جـامعة عمار ثليجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 58
سبتمبر 2017

ISSN 1112-4652

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلة دراسات العدد :58 - سبتمبر 2017

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث (نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- **البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط لا تؤخذ بعين الاعتبار**.

8- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

9- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

10- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

- **قواعد التوثيق: تتبع إحدى الطريقتين:** 1-عندما يشار إلى المراجع في المتن، يذكر الاسم الأخير للمؤلّف وسنة النشر بين قوسين، مثل (القوصي،1985)، وعند الاقتباس يوضع النص المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (القوصي، 1985: 43)

2- عندما يشار إلى المراجع في الهامش، يشار إليها بأرقام متسلسلة، -استعمال التهميش الآلي- وتكون في أسفل الصفحة نفسها، وتذكر المعلومات حسب المتعارف عليه منهجيًا.

3- في كلتا الطريقتين، تجمع المراجع في نهاية البحث وترتّب ترتيبًا ألفبائيًا حسب الاسم الأخير للمؤلف، وتكون كالآتي:

- اسم المؤلِّف (سنة النشر) عنوان المؤلَّف، (رقم الطبعة)، اسم البلد، اسم الناشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

مجلة دراسات العدد: 58 - سبتمبر 2017

فهرس المحتويات

مجلة دراسات العدد :58 - سبتمبر 2017

أثر القرآن والحديث في اللغة العربية

نشأة المعجم العربي أنموذجا

أ.العمري بلاعدة
جامعة المسيلة

ملخص

تتناول هذه الدراسة مدى تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في اللغة العربية عموما، وفي قضية نشوء المعجم العربي خصوصا.

وقد بيّنت هذه الدراسة مدى هذا التأثير، حيث يتجلى بصفة عامة في الحفاظ على اللغة العربية وبقائها وخلودها، وكذا إثرائها وتهذيب وتطوير ألفاظها، وكذلك سعة انتشارها وجعلها لغة عالمية.

أما تأثير القرآن والحديث في نشوء المعجم العربي فهو ظاهر وجلي، حيث يعتبر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما النواة الأولى للمعاجم العربية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الحديث النبوي، التأثير، اللغة العربية، المعجم العربي.

Abstract: This study focuses on the Influence of the Holy Quran and Hadith in the Arabic language in general, and the emergence of the Arabic lexicon in particular. The study has revealed that this Influence-in the side of Arabic language in general- was: The preserving and maintaining the Arabic language during the ages, Enriching and developing its vocabulary, gave it Wide spreading, And make it a universal language. In the side of Arabic lexicon; The study revealed that the Influence was very; because of the Holy Quran and Hadith were the first nucleus of the Arabic dictionaries.

مقدمة

إن علاقة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف باللغة العربية علاقة وطيدة ومتينة لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر، باعتبار أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان لشريعة الإسلام قد أوحاهما الله تعالى باللغة العربية، وبالتالي لا يمكن أن نفهم نصوص القرآن والسنة إلا بفهم اللغة العربية، ومما هو معلوم أن فهم نصوص القرآن والسنة واجب بإجماع العلماء، وعليه ما لا يفهم إلا بفهم اللغة يستلزم أن يكون فهم اللغة العربية فرض واجب أيضا، لأن القاعدة تقول ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب،

وقد جاءت آيات قرآنية كثيرة تدل على عربية القرآن منها قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢ . وقوله سبحانه أيضا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ طه: ١١٣ . وقوله أيضا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الشورى: ٧ . وقوله أيضا ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت: ٣ . وقوله أيضا ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٢٨ . وقوله أيضا ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥ . فمجيء هذه الآيات البينات في مساق تقرير البرهان على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم مع تضمن تعديد المنّة عليه، ومن جملتها تنزيل الوحي على قلبه ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ شاهد بوضوح الدلالة على فضل هذا العلم، والكاشف عن أسرار هذا اللسان مباشرة،

ووساطة على أن جميع ما يلوح من لطائف هذه الجملة، مشعر بذلك من حيث الإشارة إليها في سياق تعظيم المنّة عليه صلى الله عليه وسلم مقتض دليلها، لإتمام النعمة عليه في إنزال القرآن باللسان الموصوف بما دل على شرفه وفضله على غيره[1].

والحديث النبوي الشريف الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث التشريع والاستشهاد، حيث لا يوجد خلاف بين العلماء في الاحتجاج به في الشريعة الإسلامية واستنباط أحكامها. وكذا لا يوجد خلاف في مسألة الاستشهاد به في اللغة من حيث المعنى المعجمي والبلاغي لمفرداتها، وإنما وقع خلاف في الاستشهاد به في مسائل النحو وتقعيد قواعده، ولكن أغلب النحاة ذهبوا إلى الاحتجاج به، وهذا لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، وقد قال:"أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش"[2]. وهذا دليل واضح على أن كلامه أفصح كلام، وأن أسلوبه أرق الأساليب. ومن جهة أخرى فهو يعبّر بذلك عن افتخاره بأنه ينتمي إلى العروبة واللغة العربية، لأن لغته هي لغة القرآن الكريم.

وهذا الكلام يدل على عِظَم شأن اللغة العربية ومكانتها، واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بها.

ومن مظاهر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته أن انقادت له البالغة والفصاحة، وأوتي جوامع الكلم، فكان عليه الصلاة والسلام يتكلم بالكلام الموجز القليل اللفظ الذي يدل على معانٍ عظيمة، حيث ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال:"فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"[1].

وقد أخطأ أحد المتحدثين أمام رسول الله في اللغة، فقال عليه الصلاة والسلام لمن حضر من الصحابة:"أرشدوا أخاكم فقد ضلّ"[2]. فاعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم اللحن في اللغة أو الخطأ فيها شيئا من الضلال والبعد عن الهداية والرشاد.

كما نجده حث على تعلّم العربية وتعليمها في قوله:"تعلموا العربية، وعلّموها أولادكم، فإنها لسان ربّكم في الجنة"[3].

وقد رُوِيَ عن ابن عباس عن رسول الله أنه قال:"أحبّوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام الجنة عربي"[4]. ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب أنه قال:" تعلموا العربية فإنها تقوي العقل وتزيد في المروءة"[5]. وقد كتب سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد:" تفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي"[6]. وهذا لأن فقه اللغة العربية هو الطريق إلى فقه أقواله صلى الله عليه وسلم، وفقه أقواله ﷺ هو الطريق إلى فقه أعماله.

وروي عن الإمام الشافعي وهو حجة في اللغة أنه قال:"من قرأ القرآن عظُمت قيمته، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن طلب العربية رقَّ طبعه، ومن لم يصُن نفسه لم ينفعه علمه"[7].

وممّا يستدل على فضل العربية ما ورد في الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله قال:" من أحبَّ العرب فبحبي أَحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم"[8]. فهذا الأثر متضمن لفضل العربية من جهة، وما هي موصولة لمعرفة ما خُصَّت به من بين سائر الأمم، وهو لسانها الذي نزل به القرآن الكريم، والعلم باللغة العربية وسيلة إلى فهم أشرف المقاصد، وهي علوم

---

[1] انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق، 896ه): روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، ج1، ص93.

[2] أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري. وذكره الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي،ت538ه): كتابه الفائق في غريب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، (1996م). ص9.

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح الإسناد، ج2، ص477.

[3] أخرجه البخاري في الكّنى، ص68.

[4] رواه الحاكم في المستدرك، ج4، ص87.

[5] أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح، ج4، ص97-98.

[6] رواه ابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور والبيهقي في الشعب. رجاله ثقات وفيه انقطاع بين عمرو بن دينار وعمر بن الخطاب.

[7] انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق،ت896ه): روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، ج1، ص103.

[8] رواه الحاكم في المستدرك. ج4، ص73.

الكتاب والسنة، وحينئذ يكون لها من الفضائل على الجملة ما لتلك المقاصد الشريفة، لأن الوسائل من حيث هي لها أحكام مقاصدها[9]. ولذلك قال أبو منصور الثعالبي في مقدمة كتابه فقه اللغة وأسرار العربية:" فإنَّ من أحبَّ الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحبَّ النبي العربي أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبَّ العربية عُنِيَ بها وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء، والزَّند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثُمُرُهُ، فكيف وأيسر ما خصها الله عزّ وجلّ من ضروب الممادح ما يكلّ أقلام الكتبة، ويُتعبُ أنامل الحسبة، ولما شرّفها الله عزّ اسمه وعظمها، ورفع خطرها وكرمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسان أمينه على وحيه، وأسلوب خُلفائه في أرضه، وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عباده، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه، قيَّض لها حفظة وخزنة من خواص الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض"[1].

ومن ثم فإنّ اللّغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم، ولغة الأحاديث النبويّة الشّريفة. ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم..."[2]. ولذلك اعتبر العلماء أن خدمة اللغة العربية والتأليف فيها خدمة للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والدفاع عنها يُعدُّ دفاعا عن حمى القرآن والسنة.

المطلب الأول: تعريف القرآن والحديث

أولا: تعريف القرآن

1/ تعريف القرآن لغة[3]: اختلف العلماء في أصل كلمة (قرآن) أهي مشتقة أم علم دلّ على الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن الإنجيل والتوراة عَلَمَانِ. وممن قال بهذا الإمام الشافعي رحمه الله.

أمّا من يقول أن كلمة (قرآن) هي مشتقة، فقد اختلفوا في أصل اشتقاقها أهي من قرن" بفتح الثلاثة " أم من قرأ.

ومن قال هي من قرن فالخلاف بين معنين: أولهما: الضمُّ. وذهب إلى ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري, وثانيها: القرائن. وذهب إلى ذلك الإمام الفرّاء.

ومن قال هي من قرأ فالخلاف على معنيين هما: بمعنى تلا، وبمعنى جمع.

---

[9] انظر: الحميري (أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق، ت896ه): روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، ج1، ص92.

[1] الثعالبي (أبو منصور الثعالبي،ت430ه): كتاب فقه اللغة وأسرار العربية. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1 (1416ه - 19997م). ص2 - 3.

[2] ابن تيمية(تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني،ت728ه): اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، مكتبة الرشد، الرياض.ج1، ص402.

[3] انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر. ج1، ص14-15. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت. ط3، (1421ه - 2000م). ص20. فضل حسن عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، الأردن، ط2،(1430ه - 2010م). ج1، ص55-59.

ولعلّ الأصحّ في هذا كلّه أنّها من قرأ بمعنى تلا؛ حيث يؤيّد القرآن نفسه هذا المعنى؛ وذلك في قوله تعالى﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٨ . فقد ذكر سبحانه وتعالى القراءة وهي هنا بمعنى التلاوة وأتبعها بذكر المصدر. ومن هنا فالقرآن من شأنه أن يقرأ، وإن أول كلمة أوحيت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم هي (اقرأ). وورد كذلك قوله تعالى﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ المزمل: ٤ . وقوله تعالى أيضا ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾النمل: ٩٢ . فالقراءة والترتيل والتلاوة كلّها بمعنى واحد من حيث الإشارة إلى معنى كلمة (قرآن).

ويمكن القول أن القرآن في المعاني الأخرى التي أشار إليها القائلون بأصل اشتقاق كلمة (قرآن).

فالقرآن ضمت آياته وسوّره إلى بعضها البعض. وكذلك هو بمعنى الجمع. فالقرآن لا يتلى حتى تجتمع حروفه في الفم. ثم إنه قد جمعت آياته وسوّره. وهي مرتبطة ببعضها بطريقة عجيبة محكمة. وقد جمع ثمرات الكتب السابقة كلّها.

2/ تعريف القرآن اصطلاحا: عرّف العلماء القرآن بتعريفات عديدة لعلَّ أشهرها ما رجحه العلماء، وهو المتفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية:" القرآن هو كلام الله المعجز, المنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف"[1]. وهذا التعريف يحتاج إلى شرح وبيان[2]. ونعني بـ **"كلام الله":** فالكلام جنس في التعريف يشمل كل كلام، وإضافته إلى الله يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة. أما **"المعجز"** فهو الذي أراده الله معجزة لنبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم. والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدّي, يجريه الله على أيدي أنبيائه إظهارا لصدقهم وتأييدا لهم. والإعجاز هنا هو إظهار صدق النبيّ صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب وغيرهم عن معارضته في معجزته الخالدة، وهي القرآن الكريم. علما أن هذا الإعجاز مستمر استمرار القرآن الكريم، بينما معجزات الأنبياء الآخرين انتهت في حينها. وهذا ما نلمسه في حديث أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ما من الأنبياء إلاّ أعطيَ ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا، أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[3]. فمعجزة القرآن مستمرّة لأمّة باقية شاء الله أن تكون خير أمّة أخرجت للناس، فيكون القرآن معجزا فهذا قَيْدٌ يخرج الكتب السماوية الأخرى؛ لأن الله لم يشأ لها الإعجاز. أما "المنزل " يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه وتعالى مصداقا لقوله ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ الكهف: ١٠٩ ."**على محمد ﷺ**" يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما. أما "**المتعبد بتلاوته**" فيخرج قراءات الآحاد والأحاديث القدسية؛ لأن التعبّد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك. ونعني بـ "**المنقول بالتواتر**" هو الخبر الذي ينقله جمع يؤمن تواطئهم على الكذب عن جمع مثلهم من أول السند إلى منتهاه. والقرآن نقل إلينا هكذا، فقد أوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليهما السلام عن الله تعالى. وقد حفظه العدد الكبير من الصحابة ثمّ نقلوه بمختلف قراءاته إلى التابعين، والتابعين من بعدهم وهكذا. هذا كلّه إضافة إلى الكتابة الّتي كانت مع نزوله حين اتّخذ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كتّابا للوحي، فكان توثيق النّص حفظا في الصّدور وكتابة في السطور. ويخرج بهذا القيد ما يذكره العلماء من القراءات الشّاذّة الّتي ربّما قرأ بعض الصحابة بها لا على أنّها من القرآن، بل على سبيل التفسير فقط. ونعني بـ "**المكتوب في المصاحف**" فهذا إشارة إلى ما كان في زمن عثمان بن عفان حين استنسخ عدة نسخ عن المصحف الّذي جمعه أبو بكر الصدّيق. وهذا المصحف هو جمعٌ لما كان

---

[1] صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط،(2009م). ص21.

[2] انظر: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن. ص21.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل. رقم(4696).

قد كتب في زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. فالصّحابة في زمن أبي بكر وعثمان لم يجمعوا أو ينسخوا إلاّ قرآنا فاستثنيت القراءات الشاذة والآيات المنسوخة للحكم الّتي أشار إليها سبحانه وتعالى﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦ .

بهذه الخصائص تميّز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماويّة، وأنواع الوحي، وأيّ نصّ مقدّس.

ثانيا: تعريف الحديث

1/ تعريف الحديث لغة[1]: الحديث هو الجديد من الأشياء، وهو ضد القديم، يُطلَق على الكلام قليله وكثيره؛ لأنه يحدث ويتجدَّد شيئًا فشيئًا، وجمعه أحاديث كقطيع وأقاطيع، وهو شاذ على غير قياس. ويطلق ويراد به كلّ كلام يتحدّث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه. وبهذا المعنى سمّي القرآن حديثا، قال تعالى﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ النساء(87).

2/ تعريف الحديث اصطلاحا: هو ما أضيف إلى النّبيّ صلّ الله عليه وسلّم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِية أو خُلُقِية. ونعني **بالقول** مثل قوله صلّ الله عليه وسلّم " إنّما الأعمال بالنّيّات؛ وإنّما لكلّ امرئ ما نوى..."[2]. أما **الفعل** كالّذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفيّة الصّلاة ثمّ قال: " صلّوا كما رأيتموني أصلّي"[3]. وما ثبت من كيفيّة حجّه. وقال"خذوا عنّي مناسككم"[4]. ونعني **بالإقرار** كأن يقرّ عليه الصّلاة والسّلام أمرا عَلِمَهُ عن أحد الصّحابة من قول أو فعل؛ سواء أكان ذلك في حضرته صلّى الله عليه وسلّم أم في غيبته. مثل ما روي من أنّ رسول الله بعث رجلا على سريّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم "قل هو الله أحد". فلمّا رجعوا ذكروا ذلك له عليه الصّلاة والسّلام، فقال: سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك فسألوه، فقال: لأنّها صفة الرّحمن، وأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقال عليه السّلام: " أخبروه أنّ الله يحبّه"[1]. أما **الصّفة** فمثل ما روي " أنّه كان عليه الصّلاة والسّلام دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا سخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب..."[2].

والمقصود بالحديث النبوي الشريف في مقالنا هو ذلك الكلام الصادر عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وَحْيٌ يُوحَى، والذي يأتيّ في أعلى درجات الفصاحة والبيان بعد القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مظاهر أثر القرآن والحديث في اللغة العربية: يتجلى أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في اللغة العربية بصفة عامة في الحفاظ على اللغة العربية وبقائها وخلودها، وكذا إثرائها وتهذيب وتطوير ألفاظها، وكذلك سعة انتشارها وجعلها لغة عالمية.

---

(1) – انظر: ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت711هـ): لسان العرب، مادة (ح د ث)، دار صادر. صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط، (أبريل2002م). ص4 - 5.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب: بدء الوحي، رقم(01). ومسلم في صحيحه، باب: قوله صلى الله عليه وسلم:"إنما الأعمال بالنية"، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره، رقم(1907).

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: المكث بين السجدتين. ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب: الأحق بالإمامة.

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله صلى الله عليه وسلم:"لتأخذوا عني مناسككم"، رقم(1907).

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم(6940). ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم(813). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) رواه البيهقي في دلائل النبوة من حديث هند ابن أبي هالة. ج1، ص291.

1/ الحفاظ على بقاء اللغة العربية وخلودها: إن ارتباط اللغة العربية بالوحيين القرآن والسنة جعلها محفوظة بحفظهما وباقية ببقائهما، لأن الله تعالى تكفل بحفظ دينه مصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ . ولعلَّ هذا مما يميز اللغة العربية عن بقية لغات العالم أنها ارتبطت بكتاب إلهي، وبالتالي فمادام أن هناك قرآنا يُتلى فاللغة العربية موجودة. ولذلك يقول الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم:" وإذا رحنا نبحث عن السر الكامل وراء خلود هذه اللغة والحفاظ عليها من الاندثار أثناء العصور، وبقائها غضة تتمتع بقوتها وحيويتها فلن نجد غير القرآن الذي نزل بها، فمنحها من القوة وأضفى عليها من حُلل الكمال ما جعلها أعجوبة في فم الزمان... فكان هو وما أحدثه من أثر سياجا منيعا في حفظ اللغة العربية ومدّها بين الحين والحين بمقومات الحياة حتى لا يعتريها الضعف أو الوهن وحتى لا تشعر بالإعياء أو الكلل، فقد كان القرآن ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن واقف بالمرصاد لكل من سوَّلت له نفسه بحرمة هذه اللغة"[3]. وهذا معناه أن القرآن هو الحاكم على العربية والمهيمن عليها، فلقد شاء الله أن يجعل العربية لغة الوحي المنزل لتصبح لغة دين، ثم كتب لها الحفظ والخلود بحفظ القرآن وخلوده، وحفظ القرآن ليس مهمة بشر، بل هي أمر الله وحده[4] مصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ . واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ألا يصحُّ نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى غير لغة التي نزل بها، وبالتالي فلا يجوز ترجمته شرعا، وإنما تترجم معانيه وأفكاره. علما أن هذه الترجمات لا تسمى قرآنا، وإنما هي شروح وبيان لمعاني القرآن الكريم.

إن اللغة العربية قد حافظت على بقائها ووجودها بفضل القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه وبقائه، فكان لها من السمو والرفعة والانتشار بسبب نزوله حتى أصبحت سيدة لغات العالم، وقد شهد بذلك الأعداء من المستشرقين والأعاجم، حيث يقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان:"بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا" [1]. ويقول أرنست رينان الفرنسي في كتابه تاريخ اللغات السامية:" من أغرب ما وقع في تاريخ البشرية، وصعب حل سرّه انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدأت فجأةً في غاية الكمال، بحيث لم يدخل عليها منذ نشأتها وإلى يومنا هذا أيُّ تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول مرة تامةً مستحكمةً، ولم يمضِ على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنةً حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية؛ ليفهمها النصارى"[2]. ويقول جورج سانت:" ولغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهبها الرسول صلى الله عليه وسلم مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد"[3]. ومن ثَمَّ يمكن القول أنه لولا القرآن والحديث ما كانت عربية فقد اتصل الدين باللغة اتصالا وثيقا.

2/ توحيد لهجات اللغة العربية: مما هو معلوم أن اللغة العربية قبل الإسلام كانت لها لهجات مختلفة ومتباينة لدرجة أنها قد لا تكون مفهومة لدى البعض، ويشهد لهذا ما روي عن النبي ﷺ أنه تحدّث إلى وفد بني نهد بعبارات سمعها علي بن أبي طالب ولم يعرف معناها، فقال يا رسول الله: نحن بنو أب واحد ونراك تكلّم العرب بما لا نعرفه، فقال رسول الله:" أنا

---

[3] عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن. ط1،(1401هـ - 1981م). ص583.

[4] انظر: محمد محمد داود: كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم. ص21.

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: من قضايا اللغة العربية المعاصرة. إدارة الثقافة، تونس. ط،(1410هـ - 1990م)، ص274.

[2] أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط، (1402هـ - 1982م)، ص 307.

[3] أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة السعادة. ص22.

أفصح العرب بيد أني من قريش"[4]. وهذا الأمر كان طبيعيا وشائعا بين العرب في ذلك الزمن، لأنه نابع من طبيعة فطرتهم في جرسها وأصواتها وحروفها، غير أن لغة قريش كانت لها الصدارة، وذلك لما اختصت به قريش من جوار البيت وسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام والإشراف على التجارة، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يتنزل القرآن الكريم بلغة قريش على النبي القرشي محمد ﷺ تأليفا للعرب وتوحيدا للهجاتهم المختلفة. يقول الرافعي:" ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن قد جمع أولئك العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه الفطرة اللغوية التي جعلت أهل كل لسان يأخذون بها ولا يجدون لهم عنها مرغباً إذ يرونها كمالاً لما في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية "[5].

وقد فُسِّر الحديث النبوي الوارد عن ابن عباس الذي يقول فيه النبي ﷺ:" أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[1]. على الرأي الراجح الذي ذهب إليه كثير من العلماء والمحققين إلى أن المراد بالأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب متفقة من حيث المعنى، مختلفة في اللفظ. وهذا بغاية تيسير قراءة القرآن وحفظه. وباعتبار أن لغة قريش كانت أفصح اللغات وأحسنها مسموعا فقد راعى الخليفة عثمان بن عفان هذا الجانب عند قيامه بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد، حيث قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة[2]:" إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم... "[3]. ولذلك نجد المؤرخ ابن خلدون يذكر سرَّ فصاحة لغة قريش وأصرحها، وهو بعد قبيلة قريش عن بلاد العجم من جميع الجهات الأربع[4].

3/ تهذيب اللغة العربية: نجد أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد هذَّبا اللغة العربية من الألفاظ الحوشية والغريبة، حيث من يتأمل النثر أو الشعر الجاهلي يرى كثيرا من الكلمات الحوشية، من ذلك: جحيش، ومستشزرات، وجحلنجع، والبخصات، وافرنقعوا، وغيرها من الكلمات.

كما نجد أيضا أن القرآن الكريم والحديث النبوي قد نحَّى كثيرا من الألفاظ التي تعبِّر عن معان لا يقرّها الإسلام من ذلك:

- المرباع: وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.
- النشيطة: وهي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل بلوغ المكان المقصود.
- المكس: وهو دراهم كانت تؤخذ من من بائعي السلع في أسواق الجاهلية[5].

4/ إثراء اللغة العربية وتطوير ألفاظها: لقد أضاف الوحيان القرآن والحديث إلى اللغة العربية معاني جديدة لم تكن معروفة لدى العرب، وهي ما تسمى بالألفاظ الإسلامية. يقول ابن فارس: " كانت العرب في الجاهلية على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر، بزيادة زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول"[1]. ومن

---

[4] سبق تخريجه.

[5] الرافعي (مصطفى صادق الرافعي): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط،(1425هـ - 2005م)، ص57.

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم(4705). ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب: بيان أن القرآن أزل على سبعة أحرف، رقم(272).

[2] وهم عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم جميعا.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث(4978).

[4] انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد، الإشبيلي، ت1406هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار البلخي، دمشق، سوريا. ط،(1425هـ - 2004م). ج2، ص378.

[5] انظر: محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، ط،(2001م). ص38-39.

[1] ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت395هـ): الصاحبي في فقه اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1،(1418هـ - 1997م). ص44.

الألفاظ والعبارات التي أثراها القرآن والحديث وطوّرها: الإيمان والكفر، والإسلام والنفاق، والصلاة والزكاة، والصوم والحج، والجاهلية والفسوق، مات حتف أنفه، والآن حمي الوطيس...كما كان الوحي القرآن والحديث السبب الرئيس وراء نشأة علوم العربية، وكان لكل علم من هذه العلوم مصطلحاته الخاصة به[2].

5/ سعة انتشار اللغة العربية وجعلها لغة عالمية: بمجيء الإسلام ونزول القرآن ومبعث النبي محمد ﷺ إلى الناس كافة، حيث دخل الناس في دين الله أفواجا من العرب والعجم، اتَّجه المسلمون من غير العرب إلى تعلم العربية، رغبة في أداء العبادات والشعائر وقراءة القرآن بالعربية، لأن قراءته عبادة كما هو معلوم، ولذا انتشرت العربية انتشارا واسعا، ونالت شهرة كبيرة، وصارت لغة عالمية، وما كان ذلك ليتحقق لها لولا نزول القرآن ومجيء النبي محمد ﷺ. وهذا الأمر كان واضحا حتى لدى المستشرقين ففي رأي نولدكه مثلا أن العربية لم تصر لغة عالمية حقا إلا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة قريش، فتح البدو سكان الصحراء، نصف العالم لهم وللإيمان، وبهذا صارت العربية لغة مقدسة كذلك[3]. وقد سبق قول أرنست رينان الفرنسي في كتابه تاريخ اللغات السامية: " من أغرب ما وقع في تاريخ البشرية، وصعب حل سره:انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدأت فجأةً في غاية الكمال... "[4].

إن أثر الوحي في اللغة العربية يظهر جليا عند نزول القرآن الذي يعتبر أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي، وهل بلغت المجامع اللغوية في أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية في ذلك العصر من العناية بلغتها حتى أدركت هذه اللغة أشدّها، وتمَّ لهم بقدر الطاقة البشرية تهذيب كلماتها وأساليبها. وخلاصة القول أن نزول الوحي قد كفل مجموعة من النتائج في وجود اللغة العربية[5]:

*- أن العرب جميعا تشبثوا باللغة الفصحى، لأنها لغة الوحي والعقيدة.

*- أن اللهجات العامية اقتصرت على حيِّز ضيق جدا من ممارسة الحديث الخاص بين الأفراد مع اتساع مجالات استخدام الفصحى القرآنية.

*- أن مرور الزمن، وتتابع الأجيال، لم يكن له من تأثير على بقاء اللغة العربية الفصحى واستقرار إلا مزيدا من تفاعلها مع القرآن، بحيث بقيت لغة الأمة العربية الخالدة بخلود القرآن.

*- أن نطاق اللغة العربية قد اتسع، بحيث امتدَّ إلى كل المسلمين في أنحاء العالم، فهم يقرأون القرآن بالعربية، ويتعبدون بحروفه، ويتخذون طريقة كتابته وسيلة لتسجيل لغتهم، وهذا في حدِّ ذاته نصر حقَّقَهُ القرآن للعربية على مستوى عالمي، ونعمة أنعمها الله في نفس الوقت بالإسلام ولغته على تلك الشعوب.

*- كانت آية القرآن اللغوية إعلانا عن صلاحية اللغة العربية علميا وإنسانيا لحمل وترشيد مفاهيم الحضارة، والتعبير عنها مهما يكن مستواها، لأن اللغة التي تتسع للقرآن وآياته بهذا الاقتدار البالغ، لا بدَّ أن تكون أقدر على التعبير عن أي مستوى من مستويات تقدم الإنسان عبر كل العصور.

من هذا كله يمكن القول أن الوحي كان في حكمة الله تعالى هو الحافظ لبقاء اللغة العربية صحيحة وسليمة بخصائصها وفق أصولها على مرِّ الزمن.

المطلب الثالث: أثر القرآن والحديث في نشأة المعجم العربي

قبل بيان أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نشأة المعجم العربي لا بدَّ من تعريف المعجم لغة واصطلاحا.

أولا: تعريف المعجم لغة واصطلاحا

---

[2] انظر: محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث. ص36-37.

[3] أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن. ص 307.

[4] المرجع نفسه.

[5] انظر: محمد محمد داود: كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم. ص27-30.

1/ تعريف المعجم في اللغة : العجم والعجم: خلاف العرب والعرب، والعجم جمع الأعجم الذي لا يفصح ولا يتبين كلامه، وإن كان عربي النسب كزياد الأعجم. أما الأعجمي، فالذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح، والأعجم الذي في لسانه عجمة. وعجمت الكتاب: أبهمته، خلاف قولك أعربته. والأعجم هو الأخرس، والعجماء والمستعجم كل بهيمة، سميت عجماء لأنها لا تتكلم، وكل من لا يقدر على الكلام، فهو أعجم ومستعجم، وبلاد العجم سماها العرب بذلك، لأن لغتها غير واضحة لهم ولا يفهمونها[1]. ومن ثمة فإن مادة "عجم" تفيد في اللغة معنى الإبهام والغموض. أما إذا أدخلنا الهمزة على الفعل "عجم" ليصير "أعجم"، اكتسب الفعل معنى جديدا من معنى الهمزة، أو الصيغة، الذي يفيد هنا، السلب والإزالة والنفي. وعلى هذا يصير معنى أعجم: أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام، ومنه أطلق على نقط الحروف لفظ "الإعجام"، لأنه يزيل ما يكتنفها من لبس وغموض، فمثلا حرف " ب "، يحتمل أن يقرأ ب أو ت أو ث ... فإذا وضعنا النقط، أي أعجمناه، زال هذا الاحتمال وارتفع الغموض. ومن هنا جاء لفظ" المعجم " بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما، ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين. وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجما، إما لأنه مرتب على حروف المعجم " الحروف الهجائية "، وإما لأنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه، فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض وإبهام. وعليه فكلمة معجم، إما أن تكون اسم مفعول من الفعل" أعجم "، ويحتمل من ناحية أخرى أن تكون مصدرا ميميا من نفس الفعل، ويكون معناه الإعجام، أو إزالة العجمة والغموض[2].

2/ تعريف المعجم اصطلاحا : عُرِّفَ المعجم بأنه كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء، وإما حسب الموضوعات.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا يعلم بالتحديد متى استعملت كلمة معجم بهذا المعنى المتعارف عليه اليوم، ولا اسم من أطلقها لأول مرة، ولا الكتاب الرائد في حمل هذه الكلمة في عنوانه، وربما يعود ذلك إلى ضياع كثير من كتبنا وآثارنا العلمية القديمة.

ويظهر من خلال المصادر التي وصلت إلينا، أن علماء الحديث النبوي، هم الأوائل الذين كان لهم فضل السبق في استعمال هذه الكلمة، حين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء[1].

وأول من استعمل اللفظة من المحدّثين هو الإمام البخاري (ت256هـ)، فقد جاء في كتابه المسمى بالجامع الصحيح، عنوان من تعبير البخاري يقول فيه:" باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم "، والجامع هو أحد مؤلفات الإمام البخاري المعروف بصحيح البخاري. وأوّل كتاب أطلق عليه اسم المعجم، هو معجم الصحابة لأبي يعلى(ت307هـ)، ثم جاء بعده الإمام البغوي (ت315هـ) ، وسمَّى كتابيه اللذين ألَّفهما في أسماء الصحابة: المعجم الكبير، والمعجم الصغير، ثم كثُر استمال المحدّثين لكلمة" المعجم " وعنهم أخذ اللغويون. ورغم أن الخليل بن أحمد الفراهيدي، هو صاحب أول معجم في اللغة العربية، فإنه لم يسم كتابه معجما، وإنما سماه كتاب العين وليس معجم العين، وكذلك فعل أبو عمرو الشيباني صاحب كتاب الجيم (ت213هـ)، وغيرهما.

والظاهر أن اللغويين القدامى لم يستعملوا لفظ" معجم "، ولم يطلقوه على مصنفاتهم المعجمية، وإنما كانوا يختارون لكل منها اسما خاصا بها يخلو من هذا اللفظ، ويبدو أن إطلاق لفظ معجم على هذه المصنفات جاء في وقت متأخر. وقد استعملت كلمة معجم في العربية بدلالة أخرى غير الدلالة السابقة، وهذه الدلالة الأخرى هي: الكتاب الذي يقدّم مجموعة المعارف الأساسية في أحد موضوعات المعرفة، وغالبا ما ترتب مداخل الموضوعات الجزئية بداخله ترتيبا هجائيا، وبهذه الدلالة أطلق البكري (ت487هـ) على كتابه" معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع "، وأطلق الياقوت الحموي على

---

[1] انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: ع ج م .

[2] انظر: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1،(1418هـ – 1998م). ص19 - 20.

[1] انظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار المعارف بمصر، ط،(1971م)، ص135 الهامش.

كتابه" معجم البلدان "، وكلاهما كتاب للأسماء الجغرافية، مرتب على حروف المعجم، يعطي معلومات عن البلدان والجبال والأودية والبحار وغير ذلك، وهناك" معجم الشعراء " للمرزباني، و" معجم المؤلفين " لعمر رضا كحالة[2].

ثانيا: أثر القرآن والحديث في نشأة المعجم العربي

مما هو معلوم أن الصناعة المعجمية ظهرت منذ عهد سحيق على يد الآشوريين[3] والصينيين واليونانيين والهنود.
وهناك شبه إجماع على أن هذه الشعوب سبقت العرب بأكثر من ألف سنة في ابتكار معاجم خاصة بلغتهم[1].
أما بالنسبة إلى العرب ففي العصر الجاهلي لم يعتنوا بجمع لغتهم وتدوينها، لأنهم كانوا أميين، لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ومن جهة أخرى لم تكن الحاجة داعية إلى تأليف معجم، حتى جاء الإسلام، فدعت الحاجة حينئذ إلى أن يسألوا عن معاني بعض الألفاظ ذات الاصطلاح الجديد، كما كانوا يسألون عن بعض الكلمات التي استغلق عليهم فهم معناها[2].
وعليه فإن بداية المعجم العربي كان بعد نزول القرآن الكريم ومبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومنذ أن واجه الصحابة رضوان الله عليهم مشكلة فهم ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر ويبين للصحابة عليهم الرضوان، ما صعب عليهم من ألفاظ أو معان غامضة التي وردت في القرآن الكريم، أو في الحديث النبوي الشريف، فكان عليه الصلاة والسلام بمثابة المرجع الرئيسي للأسئلة اللغوية التي يوجهها إليه الصحابة، ومن ذلك:

*- ما روي عن جابر أن رسول الله ﷺ قال:"إن أحبّكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وأبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة،هم: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله قد عرفنا الثرثارين والمتشدقين، فمن المتفيهقون؟ قال: المتكبرون "[3].

*- ما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه سئل عن دلالة قوله تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ عبس: ٣١ فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[5].

*- ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرأ قوله تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ عبس: ٣١ قال: أما الفاكهة فقد عرفناها، فما هو الأب؟ ثم يتدارك عمر نفسه ليقول: إن هذا لهو الكلف يا عمر، وفي رواية، قال: ما كلفنا وما أمرنا بهذا[6].

*- وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه:" كنت لا أدري ما ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فاطر: ١ . حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها "[7].

---

[2] انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة، ص137 - 144. إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط1(1981م)، ص12.

[3] يرى بعض الباحثين أن الكشوفات الحديثة أثبتت أن الآشوريين هم العرب القدماء، ومن ثمة فإن أجداد العرب هم أول من ابتكر المعاجم. انظر في هذا: محمد خليفة الأسود: التمهيد في علم اللغة، منشورات جامعة السابع من أبريل، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. ط2،(1425من ميلاد الرسولﷺ)، ص 136.

[1] انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة، دار غريب، القاهرة. ط، (2001م)، ص 137.

[2] انظر المرجع نفسه. ص138.

[3] أخرجه الترمذي في سننه رقم (2018)، وقال حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ج2، ص385.

[5] انظر: السيوطي(عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري السيوطي، ت911 هـ): الإتقان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة. ط،(1427هـ - 2006م). ج2، ص344.

[6] انظر: المصدر نفسه.

[7] انظر: المصدر نفسه.

وقد وقع مثل هذا كثير في تلك الفترة الزمنية.

وأشهر من تصدى للتفسيرات اللغوية في النص القرآني بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد كان يتصدر لشرح، وبيان الغوامض والمشكلات من ألفاظ القرآن الكريم.

وقد روى أصحاب السير والتراجم، أنه يعدّ من أوائل أصحاب المجالس العلمية، يأتيه الناس للسؤال، فكان له يوم للفقه، ويوم للشعر، ويوم للأنساب، ويوم للمغازي، ويوم للتفسير[1] ، وكان ابن عباس يعتمد في بيانه وتفسيره على إحاطته شبه الشاملة بديوان العرب - وهو الشعر - فقد صرح بقوله:" الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه "[2]. وكان يقول:" إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي، والله تعالى يقول﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف: ٣ . وقال ابن عباس أيضا:" إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب "[3].

*- وسؤالات نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر التي أوردها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، والتي بلغت مائتين وخمسين سؤالا، شاهد على الرغبة في تفسير القرآن، وما غمض منه بشواهد من الشعر العربي، فقد حدثنا المؤرخون أن عبد الله بن عباس كان جالسا بفناء الكعبة، قد اجتمع حوله الناس يسألونه عن تفسير القرآن العظيم، فلما سمع نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر بقدرة ابن عباس على تفسير القرآن العظيم، وفهم ألفاظه ومعانيه، فوفدا عليه يسألانه عن غريب القرآن، من ذلك:

• قال نافع: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ العاديات: ٦ . قال: الكفور النعم، وهو الذي يكفر وجده، ويمنع رفده، ويجيع عبده، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر: شكرت له يوم العكاظ نواله***ولم أك للمعروف ثَم كنودا.

• قال: يا ابن عباس، أخبرني عن قول الله عز وجل:﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ الإسراء: ٥١ . قال: يحركون رؤوسهم استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر، وهو يقول: أتنغص لي يوم الفجار وقد ترى***خيولا عليها كالأسود ضواريا.

• قال: يا ابن عباس، أخبرني عن قول الله عز وجل:﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥ . قال: الوسيلة: الحاجة، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة بن شداد وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ***إن يأخذوك تكحلي وتخضبي.

• قال: أخبرني عن قوله تعالى ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾المائدة: ٤٨ . قال: الشرعة: الدِّين والمنهاج والطريق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ***وبيَّن للإسلام دينا ومنهاجا

وهكذا يمضي نافع يسأل، وابن عباس يفسّر، ويستشهد على تفسيره ببيت من الشعر في حوالي مائتين وخمسين موضعا من القرآن الكريم.

---

[1] انظر: الزركلي، (خير الدين الزركلي، ت1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ج4، ص95.

[2] انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج2، ص387.

[3] انظر المصدر نفسه.

وقد عرفت هذه المحاورات في التاريخ بـ: "مسائل نافع بن الأزرق" أو"سؤالات نافع بن الأزرق"، وقد جُمعت هذه السؤالات، وظهرت مطبوعة في كتب عدة كالإتقان للإمام السيوطي[1]، كما ظهرت في كتاب مستقل بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي في بغداد سنة 1968م[2].

وقد اعتبر المؤرخون هذه المحاورات، النواة الأولى للمعاجم العربية، كما عزا المؤرخون لابن عباس كتاب في غريب القرآن كما ذكر بروكلمان[3] ، وأنه كانت منه نسخة في برلين قبل الحرب العالمية الثانية، لكن يرجح بعض المحققين كالدكتور حسين نصار، والدكتور أحمد مختار عمر وغيرهما[4]، أن ابن عباس لم يكن هو الذي دوّن كتابا في غريب القرآن، وإنما دوّنه أحد الرواة الذين جمعوا بعض أقواله التي أدلى بها في تفسير الغريب من ألفاظ القرآن الكريم. وهناك تفسير منسوب لابن عباس، وهو" التفسير الأكبر" رواية ابن أبي طلحة وابن الكلبي، وفيه شرح لمفردات القرآن مع تفسير آياته الكريمات، وصنيع ابن عباس في هذا التفسير، هو صنيع معجمي[5].

وقد سار على نهج ابن عباس أبان بن تغلب بن رباح الجريري، المعروف بأبي سعيد البكري، مولى بني جرير بن عباد، وكان قارئا، فقيها ولغويا كبيرا، ألّف كتابا في غريب القرآن، وذكر شواهده من الشعر العربي كابن عباس. ومن ثمة يعتبر ابن عباس ثم أبان بن تغلب، قد وضعا نواة المعجم العربي، وجعلا محوره القرآن الكريم[6].

وقد شعر العلماء منذ الصدر الأول للإسلام بحاجتهم إلى الشعر العربي للاستعانة به في فتح مغاليق الألفاظ والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة. وهذا أبو حاتم الرازي يقول مصداقا لذلك: " ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن، وأحاديث رسول الله، والصحابة والتابعين والأئمة الماضين، لبطل الشعر وانقرض ذكر الشعراء، ولعفى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم" [7]. ويقول الدكتور حسين نصار:" وكانت هذه الحركة التي ترمي إلى توضيح آيات القرآن، هي الحركة العلمية الأولى عند المسلمين... وليس فيما أحسب من شيء أكثر صلة به من محاولة فهمه بإدراك غريبه ومشكله، فتفسير غريب القرآن ومشكله أولى الحركات العلمية التي رآها العرب. وكان للحديث الشريف نصيبه في إظهار الدراسات اللغوية، فقد اتجهت هذه الدراسات إلى العناية بغريب الحديث، كما عنيت بغريب القرآن، ولعل الأهم من ذلك أن الدراسات القرآنية - أو تفسير القرآن وغريبه - كانت تعتبر من الحديث في نشأتها الأولى، لأن المفسر الأول هو الرسول الكريم، والحديث حديثه عليه الصلاة والسلام، فما فسّر القرآن منه لا يخرج عن كونه حديثا نبويا في الأصل"[1].

وقد كان لكتب الغريبين القرآن والحديث أثر ظاهر وجلي في نشأة المعجم العربي، حيث أضافت إلى مادة المعجم حتى تميَّز بورود الألفاظ القرآنية والحديثية فيه، واعتبرت من أهم مصادره. بل يمكن القول أن المرحلة الأولى لظهور فكرة المعجم كان منشؤها دراسات حول القرآن والحديث[2].

---

[1] انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج2، ص387-415.

[2] انظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص109.

[3] انظر: أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، (1413هـ – 1993م)، ص32.

[4] انظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص61.

[5] انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص140.

[6] انظر المرجع نفسه.

[7] انظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص111.

[1] حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره. دار مصر للطباعة. ط4، (1988م)، ج1، ص26-27.

[2] انظر المرجع نفسه.

وهكذا نلحظ أن دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانت أحد الأسباب الرئيسية التي أسهمت في نشأة المعجم العربي، ولذلك يقول الدكتور المبروك زيد الخير:" ومعلوم أن الدرس المعجمي في صورته التأسيسية بدأ مع تطلب فهم القرآن ودلالاته المعجزة التي أنزلت إلى البشرية جمعاء﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٥ . واهتمام العرب باللغة بدأ باهتمامهم بالقرآن الذي ضمن الله حفظه، وثبات نصه الأصلي بمنأى عن التحريف الذي طال الكتب السماوية السابقة، ولذلك يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ "[3].

وبالتالي فإن ظهور المعجم العربي كان بعد نزول الوحي، وهو ثمرة من ثمار القرآن والحديث.

والغاية من وضع المعاجم العربية هو الحفاظ على لغة الوحي المتمثل في القرآن والسنة، ولذلك وجدنا أن من أهم الأسباب والدوافع التي دعت علماء العربية إلى وضع المعاجم هو حراسة القرآن الكريم والسنة من أي خطأ في النطق أو الفهم، وخاصة إذا علمنا أن هناك ألفاظا كثيرة وردت في القرآن والحديث عدّها اللغويون من الغريب والنوادر، قد استغلق فهم معناها على الفصحاء من المسلمين الأوائل كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وغيرهما، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. وقد يكون هذا السبب نفسه هو الذي حمل النحويين على أن يعتنوا بالنحو، ليبعدوا اللسان عن الخطأ في تلاوة القرآن الكريم.

وعليه فإن الباعث يدور أساسا حول النص القرآني والحديثي لقراءته على الوجه الصحيح وفهم معانيه، وفقا لأساليب العرب وقواعد النطق والأداء، صونا وحفظا لكتاب الله وسنة النبي ﷺ من اللحن والخطأ على الألسنة والأفهام. يقول ابن منظور في مقدمة معجمه لسان العرب مبيّنا السبب الرئيسي الذي دفعه إلى وضع معجمه:"فإني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية، وضبط لفظها، إذ عليها مدار الكتاب العزيز والسنة النبوية"[4].

خاتمة

يستفاد مما سبق أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لهما أثر واضح وجلي وكبير في اللغة العربية، حيث تبيَّن من خلال هذه الدراسة ما يلي:

*- أن اللغة العربية محفوظة وباقية وخالدة ببقاء وخلود شريعة الله تعالى في أرضه.

*- أن السبب وراء ثراء اللغة العربية وتهذيب وتطوير ألفاظها، وكذلك سعة انتشارها وجعلها لغة عالمية هو القرآن والحديث.

*- أن نشوء المعجم العربي في صورته التأسيسية بدأ مع تطلب فهم القرآن ودلالاته المعجزة.

*- اعتبرت كتب غريب القرآن وغريب الحديث من أهم مصادر المعجم العربي. بل إن المرحلة الأولى لظهور فكرة المعجم العربي كان منشؤها دراسات حول القرآن والحديث.

*- لا شك أن أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كبير جدا وأنه لا ينحصر في نشوء المعجم العربي فقط، وإنما يتعدى أثرهما إلى باقي العلوم الأخرى، بل أثر القرآن والحديث يتعدى إلى الخلق والكون جميعا، ومن ثَمَّ يوصي الباحث أن تتجه جهود الباحثين إلى بيان هذه الآثار، لأن ذلك يعدُّ خدمة للقرآن الكريم وللحديث النبوي الشريف، واللغة العربية أيضا.

---

[3] المبروك زيد الخير: محاضرات في قضايا المعجم العربي وعلاقتها بالدرس اللساني الحديث، دار الوعي، الجزائر. ط1، (1432هـ - 2011م)، ص21.

[4] ابن منظر: لسان العرب، ج1، ص08.

قائمة المصادر والمراجع

*** – القرآن الكريم.**

1- أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، طبعة: 1971م، توزيع دار المعارف بمصر.

2- أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1418هـ – 1998م.

3- أحمد نعيم الكراعين: علم الدلالة بين النظر والتطبيق، الطبعة الأولى: 1413هـ – 1993م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

4- الأزرق، أبي عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الحميري الأصبحي الغرناطي: روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، تحقيق الأستاذة سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1: 1999م.

5- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني: صحيح سنن الترمذي للحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1: 1420هـ - 2000م.

6- الأنباري، أبو بكر الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان. ط:1390هـ – 1971م.

7- إميل يعقوب: المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1981م،

8- أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 1402هـ - 1982م.

9- أنور الجندي: اللغة العربية بين حماتها وخصومها، مطبعة السعادة.

10- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ضبطه وخرّج أحاديثه ووضع فهارسه: الدكتور مصطفى ديب البغا، نشر مشترك موقم للنشر، دار الهدى للطباعة والنشر. عين مليلة، الجزائر.

11- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط: 1408هـ - 1988م.

12- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض.

13- الثعالبي، أبو منصور الثعالبي: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

14- الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، بدون تاريخ.

15- حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، الطبعة الرابعة: 1988م.

16- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن المقدمة، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، سوريا، ط:1425هـ - 2004م.

17- الرافعي، مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1425هـ - 2005م.

18- رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 2001م،

19- رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة.

20- الزخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: 1996م.

21- الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر.

22- الزركلي، خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

23- السيوطي، جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط:1427هـ - 2006م.

24- صبحي الصالح: الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط: أبريل 2002م.

25- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط: 2009م.

26- عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن. الطبعة الأولى: 1401هـ - 1981م.

27- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الثعالبي من لغوي القرن الرابع الهجري: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق: أحمد حسن لبسج. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: 1416هـ - 19997م.

28- فضل حسن عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية: 1430هـ - 2010م.

29- المبروك زيد الخير: محاضرات في قضايا المعجم العربي وعلاقتها بالدرس اللساني الحديث، دار الوعي، الجزائر، ط1: 1432هـ - 2011م.

30- محمد خليفة الأسود: التمهيد في علم اللغة، الطبعة الثانية: 1425 من ميلاد الرسول ﷺ ، منشورات جامعة السابع من أبريل، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

31- محمد محمد داود: كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم.

32- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم: للإمام، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة والنشر. لبنان. الطبعة الأولى: 1375هـ _ 1955م.

33- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 1421هـ - 2000م.

34- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، إدارة الثقافة، تونس، ط:1410هـ - 1990م.

35- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر.

أثر برنامج تعليمي قائم على المنحى القصصي في تنمية مهارات الاستماع لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الأردن

أ.عائشة محمد البيطار -د.إيمان عبد الفتاح عبابنه
وزارة التربية والتعليم -الجامعة الأردنية

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر برنامج تعليمي قائم على المنحى القصصي في تنمية مهارات الاستماع لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الأردن ، ولتحقيق أهداف الدراسة أعدت الباحثتان قائمة بمهارات الاستماع(فهم المسموع، وتذوق المسموع، ونقد المسموع) للاستفادة منها في إعداد أداتي الدراسة وهما اختباران متكافئان أحدهما قبلي وآخر مكافئ له بعدي لقياس مستوى طلبة أفراد الدراسة في مهارات الاستماع.

وتكوّن أفراد الدراسة من مجموعتين إحداهما ضابطة مكونة من شعبتين (ذكور وإناث)، ومجموعة تجريبية مكونة من شعبتين(ذكور وإناث) من طلبة الصف السادس الأساسي وعددهم (152) طالباً وطالبة لسنة 2015/2014، واختيرت بصورة قصدية من المدارس التابعة للواء عين الباشا وهما مدرستا أسماء بنت أبي بكر المختلطة، وضرار بن الأزور الأساسية للبنين، لسهولة الوصول إليها ولتعاونهما مع الباحثتين، واختيرت الشعب منها بشكل عشوائي لتكون إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة، وتم تدريس المجموعة التجريبية وفق البرنامج التعليمي القائم على المنحى القصصي، أما المجموعة الضابطة فقد درست وفق الطريقة الاعتيادية، وحللت النتائج باستخدام تحليل التباين الثنائي المصاحب، وأظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية في مهارات الاستماع بدلالة احصائية عند مستوى (α=0,05) على المجموعة الضابطة تعزى للبرنامج التعليمي القائم على المنحى القصصي، وأظهرت وجود فروق بين المجموعتين تعزى إلى الجنس ولصالح الإناث، وعدم وجود فروق بين المجموعتين تعزى إلى التفاعل بين طريقة التدريس والجنس.

الكلمات المفتاحية: برنامج تعليمي، المنحى القصصي، مهارات الاستماع، طلبة الصف السادس الأساسي.

Abstract

This study aimed at investigating the Effect Of An Instruction Programme Based On Narrative Approach In The Development Of Listening Skills For Sixth Basic Grade Students In Jordan, the researchers have written alist of Listening skills(comprehension, tasting, and criticism)of the auditory texts to use them in preparing an Instructional tool which consists of two equal tests- pretest and posttest-to measure the performance of the study sample in Listening skills.

The sample of the study consisted of 152 male and females students.
They were distributed over two groups : the first represents the experimental group (male, female) taught through Instruction Programme Based On Narrative Approach, and the second represents the control group students (male , female) in the academic year 2014/2015, they deliberately selected from Asma Bent Abi Bakr Mixed School and Dirar Ibn AL-Azwar Primary school for Males, were intentionally chosen because of their location and cooperation with the researches.

The findings of the study showed that there are statistical significant differences at the level of ($\alpha = 0.05$) between the experimental group and the control group in the total score and the sub scores of the listening skills in the favor of the experimental group indicating the effectiveness of using instruction programme in developing listening skills creative , and there is an effect of sex variable on the developing of listening skills, and there is no significant effect of the interaction between the teaching method and gender of the student on listening skills.

تعدّ مهارة الاستماع إحدى مهارات الاتصال التي يشيع استخدامها في معظم مواقف الحياة اليوميّة، والتي كانت قبل ظهور الكتابة وما زالت من أهم الوسائل لنقل الثقافة ونشرها واكتسابها من جيلٍ إلى آخر، باعتبارها أول المهارات اللغوية اكتسابًا، فالفرد يستمع قبل أن يتحدث ويقرأ ويكتب.

وتبرز أهميّة مهارة الاستماع في كونها الوسيلة الأساسيّة للتعلم في حياة الفرد، عن طريقها يستطيع متعلم اللغة فهم مدلولات الألفاظ والعبارات التي تعرض له ، مما يسهل تعلم القراءة والكتابة والتحدث في دروس اللغة وسائر الدروس التي يتلقونها في المدرسة(جابر،1991).

وتظهر أهميتها أيضًا في كونها الوسيلة الأولى التي يتصل الفرد عن طريقها بالطبيعة والبيئة البشريّة بغية التعرّف علها ، ومن ثم التعامل والتفاعل معها في المواقف الاجتماعيّة المختلفة؛ وبذلك فإنّه لابدّ من إعطائها الاهتمام المطلوب من معلم اللغة العربيّة ومعلمي المواد الأخرى، وذلك من خلال تدريب الطلبة عليها منذ التحاقهم بالمدرسة؛ فهذه المهارة تلازم الإنسان طيلة حياته، وكلما كان الإنسان مستمعًا جيّداً فإنّ ذلك سيحقق له فهماً صحيحا لما يقال ويساعده في القدرة على الاستنتاج والتحليل مما يزيد من ثقافته وخبراته(الجعافرة، 2011؛ Smith,2003).

ولمهارة الاستماع دور مهم في عمليّة الاستيعاب والتحصيل؛ فالطلبة ذوو الاستيعاب الجيّد هم مستمعون جيّدون، مما يعني أنّهم متقدّمون في التحصيل الدراسيّ، وقد يكون سبب تأخّر الطالب في التحصيل الدراسيّ ليس بسبب نقصٍ في الذكاء بل لأنّه لا يسمع الألفاظ والكلمات بوضوح؛ إذ إنّ هناك ارتباطاً قويّاً بين مهارة الاستماع والاستيعاب مما يؤثر في التحصيل الدراسيّ لدى المتعلّم، لذا لا بدّ من تنمية هذه المهارة لديه في بداية تكوينه اللغويّ والمعرفيّ؛ وذلك لما لها من فائدة ونفع عليه في المراحل الدراسيّة والحياتيّة القادمة، لأنها تعد المقدمة الطبيعيّة لأغلب العمليات الفكريّة والعقليّة الموجّهة للسلوك البشريّ التنمويّ سواء أكان تعليمياً أم تدريبيّاً أم توجهيّاً؛ فالتعلم عن طريق الاستماع يكون أكثر تأثيرا في النفوس (مدكور، 2006).

وعلى الرغم من أهميّة هذه المهارة إلا أن هناك ضعفًا لدى الطلبة وعلى اختلاف مراحلهم التعليمية وهذا ما أثبتته الدراسات مثل دراسة (الخزاعلة،2006؛الصوافي،2001؛ خمايسة،1999) وقد يكون سبب هذا الضعف عدم الاهتمام بهذه المهارة باعتبارها تنمو لدى الطفل بطريقةٍ تلقائيّةٍ دون تعليم أو تدريبٍ مقصودين، أو نتيجةً لعدم فهم أهميّة عمليّة الاستماع وطبيعتها فالاستماع من أهم المهارات اللغويّة على الإطلاق وقد نوّه العالم العربيّ ابن خلدون لذلك بقوله: " إنّ السمع هو أبو الملكات اللسانيّة " فعليه يتوقف نمو باقي المهارات اللغويّة من تحدّثٍ وقراءةٍ وكتابةٍ ،ومن هنا كان الطفل الذي يولد أصم لا يتكلم ولا يقرأ ولا يكتب(الجعافرة، 2011).

وتعرف مهارة الاستماع بأنّها عمليّة فعّالة تتضمن التفكير والتقييم المستمر والقائم على ربط الأفكار ببعضها لتوظيفها في مواقف حياتيّة مستقبليّة (مصطفى ،2002). أمّا الحلاق(2010) فيرى أنّ الاستماع مهارةٌ لغويّةٌ تتطلّب قيام المستمع بإعطاء المتحدّث أعلى درجات الاهتمام والتركيز لفهم الرسالة المتضمّنة في حديثه وتحليلها وتفسيرها وتقويمها وإبداء الرأي فيها. ويعرّف عاشور والحوامدة (2007) الاستماع بأنّه: أساس كل الفنون والترتيبات العقليّة التي تليه في التعليم والتعلّم معا، وهو عماد كثيرٍ من المواقف التي تستدعي الإصغاء والانتباه، وهو الطريق الطبيعيّ للاستقبال الخارجيّ. ويعرفه الخويسكي(2008) بأنه أداء يقوم على التفاعل بين حواس السمع والبصر والعقل لمتابعة المتكلم وفهم ألفاظه ومعانيه ومقاصده. ويرى عبد الباري(2011) بأنّه عملية عقليّة إيجابيّة تتطلب من المستمع أن يتعرف الرموز المسموعة تعرفاً يقوم على التمييز الصوتيّ والهجائيّ والدلاليّ إضافة إلى التمييز الحسيّ القائم في ذاكرة المستمع ، وتكوين تصورات لما تحمله الرسالة اللغويّة من معنى علاوة على تفاعل المستمع مع النص المسموع تفاعلاً يساعده على تحليل الرسالة والحكم عليها.

وبذلك فإن مهارة الاستماع تتطلب فهم الرسائل المسموعة وإدراك تفاصيلها وجمالياتها؛ لنقدها وإبداء الرأي فيها بهدف توظيفها في مواقف حياتيّة مختلفة، مما يسهم في تكوين شخصيّة المتعلّم بشكلٍ متوازن وهذا يتطلّب تدريباً وتعليماً، وخير وسيلةٍ لذلك الاعتماد على برنامج تعليمي قائم على المنحى القصصي.

إنّ المنحى القصصي من المناحي المحببة للنفوس البشريّة؛ إذ يجلب المتعة والسرور،ويحقق الاستمتاع للقارئ والكاتب والمستمع في آن واحدٍ؛ لاشتماله على عنصر التشويق، فهو يسهم في شدّ انتباه الفرد، وجعله متيقظاً، وهو من أفضل الوسائل التي يمكن عن طريقها تقديم ما نريد، وكل من تعامل مع الأطفال يعرف مكانة القصص في نفوسهم، ويعرف شوقهم لسماعها (حلاوة،2011).

والمنحى القصصيّ من المناحي الأكثر تأثيراً في الأفراد صغارهم وكبارهم، إذ اعتمد عليه الأقدمون في إيصال أفكارهم للآخرين والدليل على أهمية المنحى القصصي في التواصل مع الآخرين والتأثير فيهم اعتماد القرآن الكريم عليه في قصّ ما حدث مع أنبياء الله (سبيتان ،2010).

ويعد المنحى القصّصيّ عاملاً مساعداً في تكوين شخصيّة الطلبة لاعتماده على القصة، فالقصّة فيها فكرة ومغزىً وخيال وأسلوب وتراكيب لغويّة، ولكل هذا أثره في تكوين شخصيّة الطالب، والأخذ به نحو عالم مثير محفزّ، إذ تعدّ القصة من الآداب الشعبيّة التي تنتشر في طبقات المجتمع على اختلافها بين بدائيّةٍ ومتحضرةٍ ، وباديةٍ وحاضرةٍ ، فهي تعلمنا فن الحياة وذلك بما تقدمه في أحداثها من معارف وخبرات ومعلومات وحوادث تسهم في تشكيل اتجاهاتٍ وميولٍ وقيمٍ وأساليب حياةٍ وتكوين الشخصيّة لديهم؛ لذا لابدّ من الاهتمام باختيار القصة المناسبة للمرحلة التعليميّة المطلوبة، ومراحل نموّها؛ لتسهم في بناء الشخصيّه بشكلٍ متوازن(قناوي، 2003؛ مدكور،2006)

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تعد مهارة الاستماع من المهارات المهمة في حياة الإنسان وعلى الرغم من أهميتها إلا أنّها من أكثر مهارات اللغة العربيّة إهمالا في المدارس ومعاهد العلم، (مدكور،2006؛ الجعافرة ،2011). فمن الملاحظ وجود ضعف لدى الطلبة في مهارات الاستماع وعلى اختلاف مراحلهم الدراسيّة، مما انعكس سلبًا على تحصيلهم، وهذا ما أكدت عليه كثير من الدراسات مثل دراسة (قرالة ،2010؛ عريف،2008؛ يوسف،2007؛ القرعان، 2006) فقد أشارت الدراسات جميعها تدني مستوى امتلاك الطلبة لهذه المهارة، وقد لمست إحدى الباحثتين هذا الضعف من خلال عملها في الميدان التربويّ وزياراتها الإشرافيّة؛ إذ يفتقر الطلبة لمهارات تتبع المسموع وفهمه، وتذوقه ونقده، يضاف إلى هذا كله قلة تحليهم بآداب الاستماع. وهو ما دفع الباحثتين لمحاولة التعرّف على أثر برنامج تعليميّ قائم على المنحى القصصي في تنمية مهارة الاستماع لدى طلبة الصف السادس الأساسيّ وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α= 0.05) بين متوسطي علامات طلبة المجموعة التجريبية وأقرانهم في المجموعة الضابطة في اختبار الاستماع تعزى إلى طريقة التدريس(البرنامج التعليميّ / الطريقة الاعتياديّة)؟

2- هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى الدلالة (α= 0.05) بين متوسطي علامات طلبة المجموعة التجريبيّة وأقرانهم في المجموعة الضابطة في اختبار الاستماع تعزى إلى الجنس(ذكور /إناث)؟

3- هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى الدلالة (α =0.05) بين متوسطي علامات طلبة المجموعة التجريبيّة و المجموعة الضابطة في اختبار الاستماع تعزى إلى التفاعل بين طريقة التدريس والجنس؟

أهمية الدراسة

تتحدد أهميّة هذه الدراسة بالآتي:

1- تعريف المعلمين والباحثين التربويين بمهارات الاستماع ومؤشراتها الفرعية والمتعلقة ب(فهم المسموع، و تذوّق المسموع، ونقد المسموع) وكيفية تنميتها لدى الطلبة عمليًا.

2- قد يستفيد من نتائج هذه الدراسة الباحثون والتربويون والمعلمون في معرفة جوانب الضعف لدى الطلبة لمعالجتها بالاعتماد على البرامج التعليمية وكيفية توظيفها عمليًا.

3- قد يكون البرنامج التعليميّ نموذجاً لبناء برامج أخرى مشابهة في مجال مهارات الاستماع.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية

الاستماع: تعمّد تلقي أيّ مادة صوتيّة بقصد فهمها، والتمكّن من تحليلها واستيعابها والقدرة على نقدها، وإبداء الرأي فيها(عبد عون، 2012) .

ويعرف إجرائيّاً بأنّه تلقي مادةٍ صوتيّةٍ قصصيّةٍ تخدم الموضوعات المطروحة في كتيّب الاستماع وهي (الوحدة الثالثة عشرة بعنوان: (الصداقة إخلاص وتعاون) ولها قصة بعنوان :(الشهداء الثلاثة) والوحدة الرابعة عشرة بعنوان(الوجه الأسود) ولها قصة بعنوان: (الأسرة السعيدة) والوحدة الخامسة عشرة بعنوان : (أدب الاختلاف) ولها قصة بعنوان: (اللوحة الخضراء) ؛ ليفهمها طالب/طالبة الصف السادس الأساسيّ وينقدها ويتذوقها وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة المطروحة والمرتبطة بأهداف تعليم مهارة الاستماع والواردة في وثيقة منهاج اللغة العربية .

مهارات الاستماع : قدرة طلبة الصف السادس الأساسي على تنفيذ مجموعة من المهارات والأداءات المراد تحسينها لديهم في مجال مهارة الاستماع وتشمل ثلاث مهارات رئيسة هي(فهم المسموع، وتذوّق المسموع، ونقد المسموع) والمؤشرات الدالة عليها، التي تم قياسها من خلال اختبارين تحصيليين متكافئين وهما من إعداد الباحثتين.

المنحى القصصي : هو توجه تعليمي يقوم على تنظيم الخبرات الإنسانيّة لدى الفرد بالاعتماد على القصص التي تعبر عن المدلولات الاجتماعيّة و التجارب الإنسانية وتبيّن علاقة الفرد مع الواقع المعاش (bell,2003).

ويعرف المنحى القصصي إجرائيا بأنه توجه تعليمي اعتمد عليه البرنامج التعليميّ ويقوم على مجموعةٍ من الأفكار والمعاني التي قُدّمت على شكل قصصٍ تخدم الموضوعات المطروحة في مادة الاستماع لدى طلبة الصف السادس الأساسي الممثلة بالوحدات (الثالثة عشرة بعنوان :(الصداقة إخلاص وتعاون) ولها قصة بعنوان (الشهداء الثلاثة) ، والرابعة عشرة بعنوان: (الوجه الأسود) ولها قصة بعنوان (الأسرة السعيدة) ، والخامسة عشرة بعنوان: (أدب الاختلاف) ولها قصة بعنوان (اللوحة الخضراء) والتي قُرِئت على مسامعهم واستفيد منها في وضع تدريبات وأنشطةٍ تتناسب معها لتنمية مهارات الاستماع المطلوبة لديهم .

البرنامج التعليميّ : هو مجموعة منظمة من النتاجات والأساليب والوسائل والأنشطة التي قام المعلّم/ المعلّمة بتوظيفها أثناء تدريس مهارة الاستماع لدى طلبة الصف السادس الأساسيّ،وذلك من خلال توظيف محتوى تعليمي يقوم على ثلاث قصص مناسبةٍ للموضوع المطروح في كتيّب الاستماع مقروءة على مسامع طلبة الصف السادس الأساسيّ في الغرفة الصفية وهي (قصة الشهداء الثلاثة، وقصة الأسرة السعيدة ، وقصة اللوحة الخضراء) لتنمية مهارات الاستماع لديهم ، وهو من إعداد الباحثتين.

حدود الدراسة ومحدداتها

اقتصرت الدراسة الحالية على الحدود والمحددات الآتية :

- حدود مكانية : اقتصرت هذه الدراسة على طلبة الصف السادس الأساسيّ في مدرستي أسماء بنت أبي بكر للبنات و ضرار بن الأزور للذكور في لواء عين الباشا .
- حدود زمانيّة: طبّقت الدراسة الحالية خلال الفصل الدراسيّ الثاني من العام الدراسيّ 2015/2014.
- اقتصرت هذه الدراسة على قياس أثر برنامج تعليمي قائم على المنحى القصصي في تنمية مهارات الاستماع ، ولا يمكن تعميم نتائج الدراسة على مهاراتٍ لغويّةٍ أخرى أو برامج أخرى.

- تتحدد إمكانيّة تعميم النتائج في ضوء خصائص أدوات القياس من حيث الصدق والثبات، وطبيعة عينة الدراسة، ومدى موضوعيتها في الاستجابة على أداة الدراسة.

متغيّرات الدراسة

اشتملت الدراسة على المتغيّرات الآتية:

1- المتغيّر المستقل، وله مستويان :

أ. البرنامج التعليمي القائم على المنحى القصصي. ب. الطريقة الاعتياديّة.

- المتغير التصنيفيّ : الجنس ، وله فئتان: أ . ذكور ب. إناث

2-المتغيّر التابع: مهارات الاستماع.

الدراسات السابقة

وبعد مراجعة الأدب التربوي لوحظ العديد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال، وقسمت إلى قسمين :الدراسات التي أجريت حول أثر برامج تعليمية في تنمية مهارات الاستماع لدى الطلبة وعلى اختلاف مراحلهم التعليمية، والدراسات التي تناولت القصة وأثرها في تنمية اللغة لدى الطلبة وعلى اختلاف مراحلهم التعليمية؛ ورتبت من الأحدث إلى الأقدم.

أولا- لدراسات التي تناولت أثر البرامج التعليمية في تنمية مهارات الاستماع لدى الطلبة:

أجرى الجهني (2012) دراسة هدفت إلى الكشف عن أثر برنامج تعليميّ قائم على التفكير الاستراتيجيّ في تنمية مهارتي الاستماع والقراءة الاستراتيجية لدى طلبة الصف الأول الثانويّ في المملكة العربية السعودية ، وقد تكونت عينة الدراسة من ستين طالبا تم توزيعهم في مجموعتين ضابطة وتجريبيّة ، وقد أعد الباحث اختبارين أحدهما للاستماع والآخر للقراءة الاستراتيجية ، وقد استخدم الباحث تحليل التباين الأحادي المصاحب لتحليل بيانات الدراسة ، وقد أظهرت النتائج وجود أثر ذي دلالة إحصائيّة للبرنامج التعليميّ في تنمية مهارتي الاستماع والقراءة الاستراتيجيّة.

وأجرت نمر(2008) دراسة هدفت إلى استقصاء أثر برنامج تعليميّ قائم على المنحى التكامليّ في تنمية مهارات الاستماع لدى طالبات الصف الثامن الأساسيّ في مدارس وكالة الغوث وقد تكونت عينة الدراسة من سبع وثمانين طالبة تم توزيعهن في مجموعتين تجريبيّة وضابطة تم تدريس المجموعة التجريبيّة وفق البرنامج التعليميّ والضابطة بالطريقة الاعتياديّة ، وقد استخدمت الباحثة أداتين هما البرنامج التعليميّ واختبار الاستيعاب الاستماعيّ ، وقد أظهرت النتائج وجود أثر ذي دلالة إحصائيّة في مهارات الاستيعاب الاستماعيّ لصالح المجموعة التجريبيّة التي درّست وفق البرنامج التعليميّ، ووجود أثر دال إحصائيًا في الاستيعاب الاستماعيّ يعزى إلى التحصيل لمصلحة الطالبات ذوات التحصيل المرتفع.

وأجرى الظنحاني (2008) دراسة هدفت إلى معرفة أثر برنامج تعليمي قائم على أدوات كورت في التفكير في تنمية مهارات الاستيعاب القرائي والاستماعي ، وقد تكونت عيّنة الدراسة من (99) طالباً وطالبةً من طلبة الصف التاسع الأساسيّ في منطقة الفجيرة للعام 2008/2007، وقد اعتمد الباحث المنهج شبه التجريبي في الدراسة، وقد استخدم أدوات كورت للتفكير مع المجموعة التجريبيّة، والبرنامج الاعتيادي مع المجموعة الضابطة لتنمية مهارات الاستيعاب الاستماعي ، وقد أعدّ الباحث قائمة بمهارات الاستيعاب الاستماعيّ من (11) مؤشرًا سلوكيّاً في مستوياته الحرفيّ والاستنتاجيّ والناقد، وقد تكون الاختبار من ثلاثين فقرةً أظهرت نتائجه وجود فرقٍ ذي دلالةٍ إحصائيّة للبرنامج التعليميّ في تنمية مهارات الاستيعاب الاستماعيّ لصالح المجموعة التجريبيّة، كما أظهرت النتائج عدم وجود أثر للتفاعل بين البرنامج التعليميّ والجنس ويعزو الباحث ذلك لطبيعة البرنامج التعليميّ الذي راعى ميول الطلبة وخصائصهم النمائيّة حيث كانت النصوص متفقةً مع خبراتهم المعرفيّة ، كما لعبت أدوات كورت دورًا في إثارة تفكير الطلبة وتشجيعهم على المشاركة ، وقد أوصى الباحث بضرورة تدريب المعلمين على استخدام برامج تنمي التفكير لدى الطلبة .

ثانيًا- الدراسات التي تناولت القصة وأثرها في تنمية اللغة لدى الطلبة :

فقد أجرى العقيل (2012) دراسة هدفت إلى قياس أثر استخدام استراتيجيه قائمة على القصة في تحسين مهارات التذوق الأدبي لدى طلبة الصف العاشر حيث تم تطبيق الدراسة على عينة قصديّة من طلبة الصف العاشر في مدرستين حكوميتين بلغ عددهم (110) طالبا و طالبة (54) طالبا و طالبة في المجموعة التجريبية و (56) طالباً و طالبة في المجموعة الضابطة، وقد أشارت النتائج وجود فروق بين المتوسطات الحسابية المعدلة لصالح المجموعة التجريبية التي درست باستخدام القصة، و كذلك أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اختيار مهارات التذوق الأدبي بين الذكور و الإناث بعد تطبيق الاستراتيجية لصالح الإناث، حيث أظهرت النتائج وجود فروق بين المتوسطات الحسابية المعدلة لصالح الإناث، كما أظهرت النتائج عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية في مهارات التذوق الأدبي تعزى إلى التفاعل بين متغيري المجموعة والجنس حيث كانت القيمة (1,12) غير دالة إحصائيا بمعنى لا يوجد أثر يعزى إلى التفاعل ما بين الجنس و الاستراتيجية في اختبار مهارات التذوق الأدبي البعدي.

وأجرت شبقلو (2010) دراسةً هدفت إلى إظهار أثر القصة في التعليم وتحسين مستوى المفردات اللغويّة والحقل المعجميّ حيث تم تقسيم الطلبة في ثانوية (الأدفنتست) من طلبة الصف الثالث الأساسيّ إلى مجموعتين تجريبيّة وضابطة تم تدريس المجموعة التجريبيّة بطريقة القصة والضابطة بالطريقة التقليديّة، وقد صممت الباحثة اختبارًا تحصيليّا لمتعلمي الصف الثالث تم تطبيقه بعد الدراسة ، وقد تم إعداده بناءً على تقرير المعلّمة وينطلق من مخزون المتعلمين ومعلوماتهم السابقة والاطلاع على المفاهيم والمكتسبات الجديدة الخاصة بمنهج هذه المرحلة التي تم تدريب المتعلّمين عليها أثناء التجربة، وقد اعتمدت الباحثة تقويم القصة باختبار بعد تدريسها باستثناء القصة الثانية من القصص الثلاث ، وبعد تدريس القصص جميعها تم إخضاع الطلبة لاختبار بعديّ أظهرت نتائجه تحسن مستوى اللغة لدى أفراد العيّنة على الرغم من تدني العلامات لدى طلاب المجموعة التجريبيّة وقد عزت الباحثة ذلك إلى قصر المدة الزمنيّة للدراسة بحيث لم يتمكّن الطلبة من التخلّص من الأخطاء الشائعة.

وفي دراسةٍ أجرتها خلف (2004) هدفت إلى معرفة أثر استخدام القصّة في تنمية مهارتي القراءة الجهريّة والتعبير الكتابي لدى طالبات الصف الرابع الأساسيّ ، حيث وزّعت الطالبات إلى مجموعتين تجريبيّة وضابطة تتكون كل مجموعة منها من ثلاثين طالبةً ،درّست التجريبية بطريقة القصة والضابطة وفق المنحى الاعتيادي، وقد بنت الباحثة اختباراً للقراءة الجهريّة وآخر للتعبير الكتابيّ، وصممت برنامجاً لتطوير مهارتي القراءة الجهريّة والتعبير الكتابيّ استمر البرنامج لمدة شهرين أظهرت نتائجه وجود فرق ذي دلالة إحصائيّة في تنمية التعبير الكتابيّ والقراءة الجهريّة لصالح المجموعة التجريبيّة.

وأجرى أبو كايد (2004) دراسةً هدفت إلى معرفة أثر سرد القصة في تنمية مهارات الاستيعاب القرائي، وقد تكوّنت عيّنة الدراسة من 100 طالبٍ وطالبةٍ في الصف السابع الأساسيّ في محافظة جرش موزعين على أربع مدارس حكوميّة، وقد قام الباحث بإعداد أداة الدراسة وهي اختبار تحصيليّ في الاستيعاب القرائيّ يتكون من 42 فقرة من نوع الاختيار من متعدد، وقد أظهرت نتائج الدراسة فعالية طريقة سرد القصة في التدريس، وتعزيز ميل الطلبة للقراءة في المجموعة التجريبيّة حيث تم تدريس المجموعة التجريبيّة بطريقة المواقف الحية غير المصطنعة، حيث التدريبات الصوتية والحركيّة والانفعاليّة التي كانت تمارس في هذه الطريقة، كما أظهرت النتائج تفوّق الإناث على الذكور في مهارة الاستيعاب القرائي الكليّ.

ويلاحظ من الاستعراض السابق للدراسات السابقة التي تمكنت الباحثتان من الاطلاع عليها عدم وجود دراسات تناولت أثر القصة في تنمية مهارة الاستماع تحديدًا، ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت أثر القصة في تنمية اللغة بشكل عام دون الاستماع، ومن هذه الدراسات دراسة العقيل (2012) التي درست أثر القصة في تنمية مهارات التذوق الأدبي، ودراسة شبقلو (2010) التي درست أثر القصة في تحسين مستوى المفردات اللغوية ، أما دراسة خلف (2004) فقد حاولت معرفة أثر القصة في تنمية مهارتي القراءة الجهرية والتعبير الكتابي، ودراسة أبو كايد (2004) حاولت دراسة أثر القصة في

تنمية مهارات الاستيعاب القرائي؛ مما يعني فاعلية القصة في تنمية جوانب مختلفة من اللغة، لذا فقد حاولت الدراسة الحالية معرفة أثر برنامج تعليمي قائم على المنحى القصصي في تنمية مهارات الاستماع لدى طلبة الصف السادس الأساسي.

ويلاحظ من الاستعراض أيضًا أن هناك كثيرًا من الدراسات التي بينت فاعلية البرامج التعليمية في تنمية مهارة الاستماع مع اختلاف الأسس القائمة عليها هذه البرامج؛ فدراسة الجهني (2012) قائم على التفكير الاستراتيجيّ ،أما دراسة نمر(2008) قائم على المنحى التكامليّ ، بينما دراسة الظنحاني(2008) قائم على أدوات كورت في التفكير، وما ميز الدراسة الحالية عن هذه الدراسات اعتمادها على المنحى القصصي، لاسيما وأن الباحثتين لم يتمكنا من ايجاد دراسات ترتبط بأثر المنحى القصصي في تنمية مهارة الاستماع لدى الطلبة.

الطريقة و الإجراءات

أفراد الدراسة

تكون أفراد الدراسة من (152) طالبا وطالبة تم توزيعهم بشكل عشوائي إلى مجموعتين إحداهما ضابطة مكوّنة من شعبتين ذكور و إناث، وأخرى تجريبيّة مكوّنة من شعبتين ذكور و إناث من طلبة الصف السادس الأساسيّ لسنة 2015/2014 في مدرستين حكوميتين تم اختيارهما بصورة قصديّة؛ لتوافر شعبتين للصف السادس فيهما ولتعاونهما مع الباحثة ، هما مدرستا أسماء بنت أبي بكر الأساسيّة المختلطة، و ضرار بن الأزور الأساسيّة للبنين في لواء عين الباشا؛ ولتحقيق أغراض الدراسة اختيرت المجموعتان منهما بطريقةٍ عشوائيّة بواقع (77) طالباً وطالبة في المجموعة التجريبية و(79) طالبا وطالبة في المجموعة الضابطة ، وقد كانت أعداد الطلبة في المجموعة التجريبيّة (38) ذكور و (39) إناث ، وفي الضابطة (41) ذكور و(38) إناث، فقد كان عدد أفراد الدراسة(156) طالباً وطالبة، وعند التحليل الإحصائيّ تم استثناء طالبةٍ من المجموعة التجريبيّة وثلاثة طلابٍ من المجموعة الضابطة لم يتقدّموا للاختبار البعديّ بسبب الغياب؛ فأصبح عدد الطلبة(76) طالباً وطالبةً في كل مجموعة ليصبح العدد الكلي (152) طالبا وطالبةً .

أداتا الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة تمّ إعداد قائمة بمهارات الاستماع والمتمثّلة ب (فهم المسموع، وتذوّق المسموع، ونقد المسموع) ومؤشراتها الدالة عليها للاستفادة منها في بناء أداتي الدراسة والمتمثلة ب:

1-اختبار قبليّ: اختيرت القصة الخاصة بالاختبار القبليّ من كتاب (ألف حكاية وحكاية من الأدب العربي) للدكتور حسين أحمد أمين وهي بعنوان (العطار وصاحب العقد) ، بهدف الاستماع لها والإجابة عن الاختبار الذي أعدّ لذلك وهو اختبار مكوّن من (14) فقرة كل فقرةً تقيس مهارة من مهارات الاستماع ومؤشرات الأداء الدالة عليها، وقد تنوعت طبيعة الأسئلة بين الاختيار من متعدد والأسئلة المقاليّة التي تراوحت بين الإجابات القصيرة والطويلة، وقد تم إعداد الأسئلة بناءً على مهارات الاستماع المطلوبة في الدراسة الحالية.

2_ اختبار بعديّ مكافئ : اختيرت القصة الخاصة بالاختبار البعديّ من كتاب (المستظرف من كل مستطرف) للإبشيهي وهي بعنوان (ذكاء القاضي إياس) وهي قصّة مكافئةٌ لقصة (العطار وصاحب العقد) المعتمدة في الاختبار القبليّ من ناحية الفكرة وطريقة عرضها؛ إذ عرضت القصتان على عدد من المحكمين، للتحقق من مدى التكافؤ بينهما، وبعد الاستماع لهذه القصة طُلِبَ من طلبة المجموعة التجريبيّة والضابطة الإجابة عن أسئلة الاختبار البعديّ وهو اختبارٌ مكافئ للاختبار القبليّ من حيث طبيعة الأسئلة، ومعاملات الصعوبة والتميز، ومدى تمثيل العبارات للمهارة المقيسة، والتساوي في عدد الأسئلة، وأسلوب صياغتها، والفترة الزمنية لتطبيق الاختبار، وتم احتساب تكافؤ الاختبارين من خلال معامل ارتباط بيرسون.

صدق أداتي الدراسة

تم التحقق من صدق أداتي الدراسة من خلال صدق المحكمين، وذلك بعرض الاختبارين المتكافئين القبليّ والبعديّ وقائمة مهارات الاستماع، والبرنامج التعليميّ على مجموعة من المحكمين ذوي الاختصاص في مجال اللغة العربية، وعلم

النفس، والقياس والتقويم للتحقق من صدقها ومدى مناسبتها لطلبة الصف السادس الأساسيّ، وتمّ الأخذ بآرائهم من حيث التعديل والإضافة والحذف.

ثبات أداتي الدراسة

للتحقق من ثبات الأداتين، تم تطبيق الاختبار القبليّ على عيّنة استطلاعيّة من خارج أفراد الدراسة قوامها (20) طالبا وطالبةً من مدرسة بيت جيز الإسلاميّة في لواء عين الباشا، ثمّ تم تطبيق الاختبار البعديّ على العينة نفسها بعد أسبوعين تقريباً، وبعد تصحيح الاختبارين تم احتساب معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفيّة، حيث قسّمت الفقرات إلى مجموعتين فرديّة وزوجيّة وتم إيجاد معامل الارتباط بيرسون بين المجموعتين حيث بلغ (92%)، وعند استخدام معامل التصحيح بيرسون براون بلغ معامل الثبات (95.8%) وهو معامل ثباتٍ عالٍ.

وتم حساب معاملات الصعوبة والتميز لفقرات الاختبارين، وتراوحت معاملات الصعوبة بين(0.30-0.68) والتميز (0.37-0.74) للاختبار القبلي، بينما كانت معاملات الصعوبة (0.29-0.78 (0.40-0.93) والتمييز) للاختبار البعدي.

وتمّ قياس تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة حيث كانت نسبة التكافؤ بين المجموعتين (97.5)، وأعدت اختباراً بعدياً لقياس أثر البرنامج التعليمي في تنمية مهارات الاستماع، وبعد حساب المتوسطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين فقرات الاختبارين للتحقق من تكافؤهما وأظهرت النتائج أنّ الاختبارين متكافئين كما تم تحديد الوقت المناسب للاختبارين من خلال تطبيقهما على العينة الاستطلاعيّة والذي حدد بخمسين دقيقةً وفق المعادلة الآتية :

زمن أسرع طالب في الإجابة + زمن أبطأ طالب في الإجابة
2

$$50 = \frac{60 + 40}{2}$$

تصحيح الأداتين

قامت الباحثة بتصحيح الاختبار بالإضافة إلى معلمي الشعب عينة الدراسة ومعلمتي لغة عربية من مدرسة البقعة الثانوية للبنات، وتم حساب معامل الاتفاق بين المصححين وبلغت 80% وفق معادلة هولستي

معادلة هولستي : عدد مرات الاتفاق بين المصححين / (عدد مرات الاتفاق +عدد مرات الاختلاف) x 100%

1702 / (1702 +250) x 100%

إجراءات الدراسة

بعد الحصول على الإذن الرسميّ من الجامعة الأردنية ، ووزارة التربية والتعليم ومدرستي أسماء بنت أبي بكر الأساسيّة المختلطة، و صلاح الدين الأساسيّة للبنين أجرت الباحثتان ما يأتي

1 -اختيار الشعبتين التجريبيّة والضابطة وبشكلٍ عشوائيّ.

2- تمّ تطبيق الاختبار القبليّ بتاريخ 2015/4/9 في مدرستي ضرار بن الأزور الأساسيّة للبنين ،وأسماء بنت أبي بكر الأساسيّة للبنات، بهدف معرفة مدى امتلاك الطلبة لمهارات الاستماع قبل الشروع بالدراسة .

3-وزع المعلّم/ المعلّمة أوراق الاختبار على الطلبة وطلب منهم إبقاء الورقة مقلوبةً وعدم الاطلاع عليها لحين الاستماع إلى القصة والانتهاء من ذلك .

4-قام المعلّم / المعلّمة بقراءة القصة على مسامع الطلبة بواقع قراءتين وفي مدةٍ زمنيّةٍ لم تتجاوز (10) دقائق، ثم ضبط الوقت لكلتا المجموعتين حيث خضعت المجموعتان لخمسين دقيقة وهو الوقت المقدّر للاختبار.

5-تم تصحيح الأوراق من قبل إحدى الباحثتين ومعلمي الشعب ومعلمتي لغةٍ عربية في مدرسة البقعة الثانويّة للبنات بناءً على الإجابة النموذجية المتفق عليها.

6- تم إعطاء درجات لكل فقرة من الفقرات في الاختبار فقد تكون الاختبار من (14) فقرةً موزّعة درجاتها كالآتي

- الفقرة الأولى وتشتمل على سؤالين أحدهما من نوع الاختيار من متعدد خصص له أربع درجات، وسؤال مقاليّ يقوم على كتابة جملة من إنشاء الطالب خصص له درجة واحدة .

- الفقرة الثانية خصص لها درجتان/ الفقرة الثالثة خصص لها ثماني درجات/-الفقرة الرابعة خصص لها أربع درجات/

- الفقرة الخامسة خصص لها درجتان/ الفقرة السادسة خصص لها درجتان/ الفقرة السابعة خصص لها ثلاث درجات

- الفقرة الثامنة خصص لها خمس درجات/ الفقرة التاسعة خصص لها درجتان / الفقرة العاشرة ولها أربع درجات / الفقرة الحادية عشرة خصص لها درجتان/والفقرة الثانية عشرة ولها درجتان / الفقرة الثالثة عشرة خصص لها ست درجات/ الفقرة الرابعة عشرة ولها ثلاث درجات.

7- تجميع الدرجات لكل طالب وتفريغها على نموذج خاص باستخدام الحاسوب .

8. بعد تطبيق الاختبار القبليّ تم البدء بتدريس طلبة المجموعة التجريبيّة وفق البرنامج التعليميّ القائم على المنحى القصصي والمجموعة الضابطة وفق الطريقة الاعتيادية بتاريخ 2015/4/12 إلى 2015/5/24 ، بواقع حصتين أسبوعيّا وحسب الزمن المبرمج لكل وحدة دراسيّة، بحيث يعطى موضوع الاستماع في الموعد المخصص له .

9. بعد الانتهاء من تدريس المجموعتين الضابطة والتجريبيّة طبقت الباحثة الاختبار البعديّ بتاريخ 2015/5/26 بالظروف نفسها التي خضع لها الاختبار القبليّ من حيث الوقت المخصص للاختبار وتعليماته، وعدم اطّلاع الطلبة عينة الدراسة على القصة المخصصة للاختبار البعديّ، وتم التحقق من ثبات التصحيح وفق معادلة هولستي .

10-ادخال البيانات جميعها إلى الحاسوب لإجراء المعالجات الإحصائيّة اللازمة بهدف الوصول إلى نتائج الدراسة .

المعالجة الإحصائيّة

بعد جمع البيانات تم استخراج المتوسطات الحسابيّة، والانحرافات المعياريّة لأداء الطلبة في المجموعتين التجريبيّة والضابطة، وحللت البيانات باستخدام تحليل التباين الثنائي.

نتائج الدراسة ومناقشتها

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها:

ينص السؤال الأول على ما يأتي:"هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) بين متوسطي علامات طلبة المجموعة التجريبية وأقرانهم في المجموعة الضابطة على اختبار مهارات الاستماع تعزى إلى البرنامج التعليمي ".

وللتحقق من صحة هذا السؤال استخرجت المتوسطات الحسابيّة والانحرافات المعياريّة لأداء طلبة الصف السادس الأساسيّ عيّنة الدراسة على كل مهارةٍ من مهارات الاستماع ثمّ عليها مجتمعةً حسب طريقة التدريس والجنس وكما هو مبيّن في الجدول (1)

الجدول (1)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعلامات طلبة الصف السادس الأساسي على مهارات الاستماع حسب متغيري الطريقة والجنس.

الطريقة	المهارة	الجنس	العدد	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي	
				الوسط	الانحراف	الوسط	الانحراف

				الحسابي	المعياري	الحسابي	المعياري
المجموعة التجريبية	فهم المسموع	ذكر	38	18.56	2.354	26.21	2.414
		أنثى	38	22.65	1.95	28.54	2.067
		الكلي	76	20.6	4.12	27.38	7.175
	تذوق المسموع	ذكر	38	4.14	3.256	6.74	1.783
		أنثى	38	6.05	2.054	7.14	2.207
		الكلي	76	5.6	2.84	6.94	2.14
	نقد المسموع	ذكر	38	6.32	3.154	7.57	2.376
		أنثى	38	7.5	2.074	9.6	2.886
		الكلي	76	6.91	3.42	8.59	2.609
	مهارة الاستماع ككل	ذكر	38	27.72	3.87	36.52	5.160
		أنثى	38	30.14	4.98	38.28	7.061
		الكلي	76	28.94	4.63	37.9	11.505
المجموعة الضابطة	فهم المسموع	ذكر	38	18.4	4.57	19.56	3.381
		أنثى	38	16.87	3.45	20.41	3.843
		الكلي	76	17.64	2.77	20.00	6.858
	تذوق المسموع	ذكر	38	3.08	3.58	4.52	1.51
		أنثى	38	5.99	1.98	5.9	2.131
		الكلي	76	6.04	3.8	5.21	1.878
	نقد المسموع	ذكر	38	4.3	3.27	6.04	2.6
		أنثى	38	6.18	5.62	7.28	2.814
		الكلي	76	5.24	5.45	6.67	2.81
	مهارة الاستماع ككل	ذكر	38	20.19	4.24	26.12	4.814
		أنثى	38	25.94	6.41	28.59	8.182
		الكلي	76	23.07	5.32	29.86	6.087

يتبيّن من الجدول (1) وجود فروق بين المتوسطات الحسابيّة لأداء طلبة الصف السادس الأساسيّ على كل مهارةٍ من المهارات الفرعيّة للاستماع وعليها مجتمعةً بحسب طريقة التدريس والجنس إذ بلغ المتوسط الحسابيّ لدى المجموعة الضابطة (29.86) في حين بلغ لدى المجموعة التجريبيّة (37.9)، ولمعرفة دلالة الفروق الإحصائيّة بين متوسطات أداء الطلبة على مهارات الاستماع استخدمت الباحثة تحليل التباين الثنائيّ المصاحب (2 Way ANCOVA) والجدول (2) يوضح ذلك.

الجدول (2)

نتائج تحليل التباين الثنائي المصاحب لمعرفة أثر البرنامج التعليميّ القائم على المنحى القصصي في تنمية مهارات الاستماع لدى طلبة الصف السادس الأساسيّ

حسب متغيري طريقة التدريس والجنس والتفاعل بينهما

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
القبلي	636.45	1	636.45	25.278	0.000
الطريقة	152.31	1	152.31	21.466	0.000
الجنس	189.67	1	189.67	53.622	0.000
التفاعل الطريقة × الجنس	69.12	1	69.12	0.646	0.038

الخطأ	326.45	148	92.544		
المجموع	1543	152			
المجموع المعدل	1553.25	151			

يتبين من الجدول (2) وجود فروق دالةٍ دلالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α=0.05) بين متوسطات المجموعتين التجريبيّة والضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، حيث بلغت قيمة ف حسب متغير طريقة التدريس (21.466)، وبلغت قيمة ف حسب متغيّرالجنس (53.622)، علما بأنه قد تم احتساب المتوسطات الحسابية المعدّلة للمجموعتين التجريبية والضابطة وكما هو موضح في الجدول (3).

الجدول (3)

المتوسطات الحسابية البعديّة المعدّلة لعلامات طلبة الصف السادس الأساسي

في اختبار مهارات الاستماع وفقا لمتغيري الطريقة والجنس.

الطريقة	الجنس	المتوسط الحسابي البعدي المعدل	الخطأ المعياري
المجموعة التجريبية	ذكر	36.10	0.26
	أنثى	38.48	0.29
	الكلي	37.29	0.32
المجموعة الضابطة	ذكر	26.57	0.26
	أنثى	28.13	0.31
	الكلي	27.35	0.26
الكلي	ذكر	31.34	0.24
	أنثى	33.31	0.25
	الكلي	32.32	0.25

يتبين من الجدول (3) وجود فروق بين المتوسطات الحسابية المعدلة لصالح المجموعة التجريبيّة التي درِّست باستخدام البرنامج التعليمي القائم على المنحى القصصيّ، فمن الملاحظ أن المتوسط الحسابي المعدل للمجموعة التجريبية هو (37.29)، بينما كان المتوسط الحسابي المعدل للمجموعة الضابطة (27.35) والعلامة الكلية للاختبار خمسون درجةً، مما يعني أنّ البرنامج التعليميّ القائم على المنحى القصصي أسهم في تحسين مهارات الاستماع لدى الطلبة.

ولعل ذلك يعزى إلى البرنامج التعليميّ القائم على المنحى القصصي، فقد اشتمل البرنامج على قصصٍ واقعيةٍ في موضوعها، بسيطةٍ في ألفاظها، خاليةٍ من الغموض وذلك بما يتناسب مع المرحلة العمريّة ، وتعد القصة من الجوانب المحببة إلى النفوس البشريّة لا سيّما طلبة المراحل الأساسيّة من التعليم فهي تشتمل على عنصر التشويق الذي زاد من دافعيتهم وتفاعلهم مع أحداثها والاستماع إليها حتى النهاية ، يضاف إلى ذلك أن كلّ قصةٍ من القصص الثلاث قد ناقشت الفكرة التي طرحت في كتيّب الاستماع المقرر لديهم بطريقة القصة متكاملة العناصر (الشخوص، والزمان، والمكان، والعقدة ،والحل) .

وترى الباحثتان أن النشاطات وأوراق العمل التي قامت بإعدادها قد يكون لها دور في الوصول إلى هذه النتيجة؛ لأنّها أفسحت المجال أمام الطلبة للمشاركة في العملية التعليمية، وذلك من خلال إتاحة الفرصة أمامهم لاستنتاج الأفكار والمعاني غير المصرّح بها، وإتاحة الفرصة أمامهم لإبداء الرأي حول بعض التفاصيل والأحداث الواردة في القصة؛ فزاد ذلك من تفاعلهم وحماسهم في درس الاستماع مما أسهم في تحسين نواتج التعلّم .

كما أنّ وضوح أهداف البرنامج التعليمي القائم على المنحى القصصي وتحديد مهارات الاستماع المطلوبة قد ساعد في زيادة قدرة الطلبة على التفاعل أثناء درس الاستماع، وذلك من خلال إتاحة الفرصة أمامهم للتعبير عن آرائهم ، وإيصال وجهات نظرهم للآخرين، فيتحول الطالب بذلك من متلقٍ سلبي إلى إيجابيّ، إذ أصبح مشاركاً فعالاً في عمليّة الاستماع وذلك

من خلال الحوار والمناقشة ، والتفكير حول المعاني الواردة في النص المسموع، والاستنتاج للمعاني غير المصرّح بها وبما يتناسب مع مستوياته وقدراته.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة العقيل (2012) التي اعتمدت على استراتيجية القصة في تحسين مهارات التذوق الأدبي، ودراسة أبو كايد (2004) التي تناولت أثر سرد القصة في تنمية مهارات الاستيعاب القرائي لدى طلبة الصف السابع ،اللتين أظهرتا فعالية القصة في تحسين مهارات لغويّةٍ مختلفةٍ .

النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني ومناقشتها:

ينصّ السؤال الثاني على ما يأتي: "هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) بين متوسطي علامات طلبة المجموعة التجريبية وأقرانهم في المجموعة الضابطة على اختبار الاستماع تعزى إلى الجنس ".

وللتحقق من صحة السؤال الثاني استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء الطلبة في المهارات الفرعية الثلاث من مهارات الاستماع : (فهم المسموع ، وتذوق المسموع، ونقد المسموع)، وفي مهارة الاستماع ككل، مع مراعاة الجنس في المهارات الثلاث وفي مهارة الاستماع ككل وكما هو وارد في الجدول(1)، فمن الملاحظ أن المتوسط الحسابي على الاختبار البعديّ للطلبة الذكور في المجموعة التجريبية في مهارة فهم المسموع هو (26.21) ، أما بالنسبة للمتوسط الحسابي للطلبة الإناث في المجموعة التجريبية فهو (28.54) وقد كانت النتيجة لصالح الإناث.

وبالحديث عن مهارة تذوق المسموع فنجد أن المتوسط الحسابي للطلبة الذكور ضمن المجموعة التجريبية هو (6.74)، أما بالنسبة للمتوسط الحسابي للطلبة الإناث في المجموعة التجريبية فهو (7.14) ، وكانت النتيجة لصالح الإناث .

وبلغ المتوسط الحسابي للطلبة الذكور في مهارة نقد المسموع في المجموعة التجريبيّة (7.57) بينما كان المتوسط الحسابيّ للإناث في المهارة نفسها (9.6) والنتيجة لصالح الإناث.

وبالنظر إلى مهارة الاستماع ككل، فنجد أنّ المتوسط الحسابي للطلبة الذكور ضمن المجموعة التجريبية هو (36.52)،أما بالنسبة للإناث في المجموعة نفسها فهو (38.28) والنتيجة لصالح الإناث أيضًا.

ويتضح من الجدول (2) وجود فروق ظاهرية ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى الدلالة (α=0.05) تعزى لأثر الجنس حيث بلغت قيمة ف (53.622) المقابلة لمستوى الدلالة(α=0.05)، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) بين متوسطي علامات طلبة المجموعة التجريبية وأقرانهم في المجموعة الضابطة في اختبار الاستماع تعزى إلى الجنس ولصالح الإناث.

ومن الممكن أن يعزى ذلك إلى طبيعة الإناث فهنّ أكثر ميلاً إلى المشاركة الإيجابيّة في أثناء الاتصال الشفويّ، ولا يقتصرن على الاستماع دون المشاركة وإبداء الرأي حول النص المسموع مقارنةً مع الذكور ، والذي سمح لهن بذلك هو اهتمامهنّ بالنشاطات اللغويّة التي تقوم على الحوار والمناقشة التي تسمح بالدخول إلى أعماق القصة المسموعة ، وهذا ما أكدّته دراسة أبو سرحان (2014) إذ أكّدت أنّ الطالبات يبدين اهتماماً بالنشاطات اللغويّة ، ويظهرن التفاعل والحماس بالاستراتيجيات الجديدة أكثر من الذكور، بل ويتفوقن عليهم في معظم القدرات اللغوية وذلك في مراحل العمر المختلفة ، كما أنّ الطالبات أكثر انضباطاً وجدّيةً في التعامل مع الواجبات وإنجازها، إضافةً إلى جرأتهن في عرض المنجزات، وهو ما أكدته دراسة مستريحي(2006) ، وللجانب القصصيّ دور في ذلك أيضاً.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث ومناقشتها:

ينص االسؤال الثالث على ما يأتي : "هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05)بين متوسطي علامات طلبة المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على اختبار الاستماع تعزى إلى التفاعل بين طريقة التدريس والجنس".

يتبيّن من الجدول (2) عدم وجود فروق ذات دلالةٍ إحصائيّة عند مستوى الدلالة (α=0.05) تعزى إلى التفاعل بين طريقة التدريس والجنس، إذ بلغ متوسط الذكور في المجموعة التجريبية(36.52) وفي المجموعة الضابطة (26.12) بينما بلغ المتوسط الحسابي للاناث في المجموعة الضابطة (28.59) وفي المجموعة التجريبية(38.28) مما يعني أنّ هناك عدم تفاعل بين البرنامج التعليمي وجنس الطلبة.

وتعزو الباحثتان هذه النتيجة إلى ما يتمتع به البرنامج التعليمي من صفات كالقدرة على إثارة الطالبات وزيادة الحماس لديهن للتعلم؛ لاشتماله على القصص بالإضافة إلى إنّ الموضوعات المطروحة كانت تشكّل اهتماما لدى الطالبات فموضوع التمييز بين الذكور والإناث قد شجع الطالبات على المشاركة بفعالية وإثراء النقاشات الصفيّة لديهن، إضافةً إلى أنّ الطالبات ينجذبن نحو القصص أكثر من الذكور، كما أنّ لطبيعة الإناث دورًا في ذلك فهن أكثر انضباطا من الذكور في المواقف الصفية التي تتطلب الاستماع. واتفقت بذلك نتائج هذه الدراسة مع دراسة العقيل (2012) التي أظهرت عدم وجود أثرٍ للتفاعل بين الطريقة والجنس.

التوصيات:

بناءً على النتائج التي توصلت لها الدراسة، توصي الباحثتان بما يأتي :

1. تدريب المعلمين على كيفية توظيف الجانب القصصي في تدريس مهارة الاستماع.
2. تركيز واضعي المناهج على الأسئلة التي تراعي مهارات الاستماع ومؤشراتها.
3. إجراء مزيد من الدراسات حول مهارات جديدة للاستماع ولمراحل دراسيّةٍ مختلفةٍ. 4
4. ضرورة اهتمام المعلمين بالجانب القصصيّ عند تعليم المهارات اللغويّة كالتعبير الكتابي والقراءة والتحدّث؛ لما له من قدرة على جذب انتباه الطلبة وزيادة دافعيتهم نحو التعلّم.

المراجع العربية

أبو سرحان، عايد. (2014). أثر استراتيجية التعلّم التباادليّ في تحسين مهارات الاستماع الناقد لدى طلبة الصف التاسع الأساسيّ. **المجلة الأردنية في العلوم التربويّة**، 10(4)445-457.

أبو كايد، عاصم. (2004). **أثر استخدام طريقة سرد القصة في تنمية مهارات الاستيعاب القرائي لدى طلبة الصف السابع الأساسيّ في محافظة جرش**، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة اليرموك : إربد

جابر، وليد.(1991). **أساليب تدريس اللغة العربية**، دار الفكر للنشر والتوزيع: عمان.

الجعافرة، عبد السلام. (2011). **مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها بين النظرية والتطبيق**،مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع : عمان

الجهني، عبد الله. (2012). **أثر برنامج تعليميّ قائم على التفكير الاستراتيجيّ في تنمية مهارتي الاستماع والقراءة الاستراتيجيّة في اللغة العربيّة لدى طلبة المرحلة الثانويّة في المملكة العربيّة السعوديّة**. أطروحة دكتوراه غير منشورة،الجامعة الأردنية: الأردن.

الحلاق، سامي.(2010). **المرجع في تدريس مهارات اللغة العربيّة وعلومها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس : لبنان.

حلاوة، محمد السيّد.(2011). **الرعاية الثقافيّة وأدب الأطفال** ، دار المعرفة الجامعيّة ، الاسكندرية: مصر

الخزاعلة، محمود.(2006). **مستوى الاستماع الناقد لدى طلبة الصف التاسع الأساسيّ في محافظة جرش في ضوء تحصيلهم في مبحث اللغة العربيّة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: الأردن.

خلف، مجدولين. (2004). **فاعليّة برنامج يقوم على استخدام القصّة في تنمية مهارتي القراءة الجهريّة والتعبير الكتابيّ لدى طالبات الصف الرابع الأساسيّ** . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عمان العربية للدراسات العليا: عمان .

خمايسة، إياد.(1999). **مستوى الاستيعاب الاستماعي في اللغة العربيّة لدى طلاب الصف العاشر الأساسيّ في المدارس التابعة لمديريّة إربد الثانية** ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: إربد.

الخويسكي، زين.(2008). **المهارات اللغوية(الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة)وعوامل تنمية المهارات اللغوية عند العرب وغيرهم**،دار المعرفة الجامعيّة: مصر.

سبيتان،فتحي. (2010). **أصول وطرائق تدريس اللغة العربية**، عمان : دار الجنادرية.

شبقلو، مي.(2010). **القصة القصيرة ودورها في تنمية مهارات اللغة العربية وكفاياتها عند متعلمي الصف الثالث الأساسيّ** . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القديس يوسف : بيروت

الصوافيّ،نصرة .(2001). **تقويم أداء تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسيّ في مهارات الاستماع**. رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة السلطان قابوس: سلطنة عمان.

الظنحاني، راشد.(2008). **فاعلية برنامج تعليمي لغويّ في تنمية مهارات الاستيعاب القرائيّ والاستماعي لدى طلبة المرحلة الأساسيّة في دولة الإمارات العربية المتحدة** . أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا: عمان

عاشور، راتب و الحوامدة، محمد .(2007). **أساليب تدريس اللغة العربيّة** ط 2، دار المسيرة للنشر والتوزيع : عمان

عبد الباري، ماهر.(2011). **مهارات الاستماع النشط**، عمان:دار المسيرة للنشر والتوزيع

عبد عون، فاضل ناهي.(2012). طرائق تدريس اللغة العربية وأساليب تدريسها،دار صفاء: عمان

عريف، محمد .(2008). النهوض بالمهارات اللغوية العربية الأساسيّة وقياسها في مواجهة تحديات العولمة. **بحوث المؤتمر النقدي الحادي عشر لقسم اللغة العربيّة بكلية الآداب بجامعة جرش**،278-316.

العقيل، نواف.(2012). **أثر استخدام استراتيجية قائمة على القصة في تحسين مهارات التذوّق الأدبيّ لدى طلبة الصف العاشر الأساسيّ** . رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنيّة: الأردن.

قرالة ،زيد.(2010). قراءة الاستماع في الصفوف الأربعة الأساسيّة الأولى في وزارة التربية والتعليم الأردنية بين الواقع والمأمول ،**الموسم الثقافي الثامن والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردنيّ :الأردن**،339-382.

القرعان،هيام.(2006). **أثر استراتيجيّة التعلم المنظم ذاتيّاً والمستندة إلى عمليات ما وراء معرفيّة في تنمية مهارات الاستماع لدى طالبات المرحلة الأساسيّة في الأردن**.رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عمان العربية للدراسات العليا:عمان.

قناوي، هدى .(2003). **أدب الأطفال وحاجاته (خصائصه ووظيفته في العمليّة التعليميّة)**، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت.

مدكور ، علي .(2006). **تدريس فنون اللغة العربية**، دار الفكر العربي : القاهرة.

مصطفى،عبد الله .(2002)، **مهارات اللغة العربيّة**،دار المسيرة للنشر والتوزيع: عمان.

مستريحي، قطنة.(2006). **أثر برنامج تعليميّ قائم على استراتيجيات ما وراء المعرفية في تنمية مهارات الاستماع الناقد والتذوق الأدبيّ لدى طلبة المرحلة الأساسيّة العليا في الأردن** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عمان العربية: عمان

نمر،عبير. (2008). **أثر برنامج تعليميّ قائم على المنحى التكامليّ في تنمية مهارات الاستيعاب الاستماعيّ لدى طالبات الصف الثامن الأساسيّ في وكالة الغوث الدوليّة في عمان**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنيّة: الأردن.

يوسف،أحمد. (2007). **بناء برنامج تعليميّ قائم على استخدام المختبر اللغويّ واختبار أثره في اكتساب مهارتي الاستماع**

والقراءة الجهريّة لدى طلبة الصف السابع الأساسيّ. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا: الأردن.

المراجع الأجنبية:

Bell, Anne(2003),anarrative approach to research,**canadian journal of environmental education**,(8),95

Smith,carl (2003), **skils student use when speaking and listening**.ERIC Document Reproduction service.no 480895

استلهام حملة هولاكو على بغداد سنة (656هـ/ 1258م)
في المسرحية التاريخية العربية

. د. يحيى سليم سليمان عيسى
كلية الفنون والتصميم .
الجامعة الأردنية.

. ملخص الدراسة :

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على استلهام حملة هولاكو على بغداد سنة (656هـ/ 1258م) في المسرحية التاريخية العربية، فالمسرحية التي تتخذ من التاريخ مصدرا لها تشكل محاولة جدية لإعادة بناء حياة إحدى الشخصيات التاريخية، أو أحد العهود التاريخية، أو قسم منها، وابرازها في شكل مسرحي، ومن هنا تحددت مشكلة الدراسة من خلال قيام الباحث بدراسة كيفية تناول المسرحية التاريخية العربية لتلك الحملة من خلال اختياره القصدي لنصين من نصوص المسرح العربي كتبهما كل من سعد الله ونوس وسلطان القاسمي، ويمكن لهذه الدراسة أن تحقق الفائدة للعاملين في مجال المسرح من مؤلفين ومخرجين ونقاد، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالمسرح ككليات ومعاهد الفنون الجميلة.

. الكلمات المفتاحية: المسرحية التاريخية، المستعصم بالله ، هولاكو، سعد الله ونوس، سلطان القاسمي.

Summary

The goal of this study is to identify Arabic historical play and the way it dealt with the expedition of Holako to Baghdad (656H/ 1258AD). The play that uses history as the main source form a new attempt to rebuild the life of one historical character or a historical era or part of it and representing it theatrically. In this paper the researcher studied the way the historical Arabic play of this expedition through the intentional choosing of two Arabic scripts written by, Saad-Allah Wannous, and Soltan Al- Kasimi . This study will be beneficial for researchers, directors, authors and critics as well as theater academic institutions.

Key words: Historical play, Al-Musta'sim Billah, Holako, Saad-Allah Wannous, Soltan Al-Kasimi.

. المقدمة:

يعد التاريخ معينا لا ينضب من الأحداث والقصص والحكايات، والتي تشكل رافدا حيويا للأدباء على اختلافهم، وقد يكون أمراً طبيعياً أن يبدأ الأديب مؤلفاته مستهدياً بالتاريخ، حيث تعتبر وقائع التاريخ هياكل جاهزة تعفيه من مشقة بناء العمل الأدبي، من هنا شكل استلهام التاريخ وتوظيفه في المسرح مصدرا هاما من بين المصادر التراثية، وقد عبر بحكم ماهيته وموضوعاته ومناهجه عن معطيات واقعية، حيث وثق للمسار البشري ضمن تحولاته المرحلية المتعددة محاولا من خلال ذلك البلوغ إلى أكبر قدر من الموضوعية.

إن الأديب المسرحي يختار من التاريخ واقعة يعالج من خلالها الموضوع الذي يريده، لاسيما وأن الاختيار والانتخاب من وقائع الحياة المعاصرة صعباً، ويأتي التاريخ لحل تلك المعضلة من خلال ما يحمله من أحداث وتفاصيل وملابسات متبلورة وجاهزة، وقد تم تشغيل التاريخ من خلال النص المسرحي بمستويات متعددة، فأصبح النص بذلك وثيقة تكشف عن بعض تفاصيل الصورة المتكاملة لفترة زمنية معينة، ليعبر عن عدد من الدوافع الوطنية، ويسهم مساهمة فعالة في توطين الثقافة العربية، من هنا فقد اجتذب التاريخ كتاب المسرح، ولعل ذلك يعود لإعجابهم بسيرة أبطاله، بالإضافة إلى أن طواعية الحقائق التاريخية للرمز والإيحاء والإشارة وغيرها من أدوات التعبير الخاصة بالمسرح.

وعند البحث والتقصي في بنية النص المسرحي على اختلاف مراحله نجد أنه لم ينفصل وضمن مرجعياته عن معطيات التاريخ ، من هنا ذهب (جورج بوشنر) في حديثه عن علاقة المسرح بالتاريخ إلى أن المؤلف المسرحي هو أقرب إلى " أن يكون مؤرخا، ولكنه يحتل مرتبة أعلى من هذا الأخير لأنه يخلق التاريخ مرة أخرى، ويغوص بنا في حياة أحد العصور بدلا من أن يقدم لنا سردا جافا عنه، ويرينا الطبائع بدلا من الخواص، والوجود بدلا من الوصف، (...)، وأسمى واجبات هذا الشاعر هو الاقتراب من التاريخ كلما كان فعلا ما أمكنه ذلك"([1])، وبذلك فإن (بوشنر) قد رجح أهمية الجوانب التاريخية في عمل المؤلف على الجوانب الإبداعية، متجاهلا إلى حد ما أهمية تدخل الإبداع الفني في المنتج من خلال الحذف والإضافة وإعادة التركيب، وذلك لخلق الصدق الفني في الكتابة التاريخية.

ولأن التاريخ يتفق في طبيعته مع المسرح في كونهما يعنيان بالأحداث المصيرية لشعب من الشعوب أو فرد من الأفراد، فقد شكل مصدرا من أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف المسرحي، فالتاريخ يقدم " أحداثا هي إذا صح التعبير معروفة من الخارج فقط، ما قام به الناس ولكن ما فكر فيه الناس، الأحاسيس التي رافقت مناقشاتهم ومشاريعهم ونجاحاتهم وخيباتهم ، المحادثات التي فرضوا بها أو حاولوا أن يفرضوا بها عواطفهم وإراداتهم على العواطف والإرادات الأخرى، والتي باختصار كشفوا بها عن شخصيتهم الفردية : كل هذا يمر به التاريخ بصمت تقريبا"([2]).

ولا تنفصل المعالجة التي يقوم بها الأديب المسرحي للتاريخ هنا عن ثنائية الأصالة والمعاصرة بوصفهما تحققان وحدة باطنية عضوية تعبر عن الرؤية المعاصرة للتراث التي تفرض علينا أن نتعامل معه كمواقف وحركة مستمرة من شأنها أن تساهم في تطوير التاريخ وتقديمه بقيمه الإنسانية المثلى، وذلك لإيجاد السبيل الأفضل للأمة للتعبير عن نفسها وهويتها وملامحها الخاصة المستقلة، ورغم ما يبدو ظاهريا من اختلاف بين المسرح والتاريخ، نتيجة لاختلاف مجالي اشتغالهما، فإن هناك علاقة خفية تحيك وشائج متشابكة فيما بينهما، حتى أن المتأمل لهذه العلاقة سيكتشف حالة من التكامل تربط بعضهما ببعض، فإذا كان التاريخ شاهدا على الحياة فإن المسرح شاهد آخر بمقدوره هضم التاريخ ومعطياته دون الخلط بين التاريخ والموروث، فالمسرح يستطيع التقاط تلك الفجوات التاريخية وملؤها بالحاضر، وهو يشكل لحظة راهنة تستقطب الماضي والمستقبل، مما يعني أن المسرح هو زمن الحدث المسرحي وزمن الشخصية وزمن العرض مثلما هو زمن التلقي.

وبما أن إشكالية تأصيل المسرح العربي لم تنفصل عن مجموعة التحديات التي واجهت الأمة والمتمثلة بالمد الاستعماري والسلبيات التي نجمت عن الحكم العثماني للمنطقة العربية, كذلك حالة الإحساس بالضعف أمام التقدم الغربي، فإن توظيف الأحداث التاريخية في المسرح قد جاء للوقوف على القضايا الاجتماعية المعاصرة، بل واستشراف رؤية جديدة للمستقبل يمكن لها تحقيق الخلاص من آثار الحقب السالفة, وإعطاء دفعة قوية للأمة من أجل النهوض والتقدم الحضاري.

وفي ضوء ذلك فقد شكلت حملة هولاكو على بغداد سنة (656هـ/ 1258م)، بأبعادها التاريخية والاجتماعية ونتائجها المأساوية على الأمة الإسلامية، ميدانا خصبا بالنسبة للمسرحيين، حيث تم توظيف أحداثها انطلاقا من أن الماضي بانكساراته ومصائبه يستدعي من أبناء الأمة الوعي لما يحاك حولهم من مؤامرات تهدد حاضرهم ومستقبلهم، من هنا فقد تحددت مشكلة الدراسة في معرفة كيفية استلهام حملة هولاكو على بغداد في المسرحية التاريخية العربية، وكذلك رصد المقاربات التاريخية وثنائية الأصالة والمعاصرة فيها.

. تحديد المصطلحات:

---

[1] . أصلان، أوديت، **(د ت)، فن المسرح**، ج1، ترجمة. سامية أحمد أسعد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص (246. 247).

[2] . لوكاش، جورج، (1978م)، **الرواية التاريخية**، ترجمة صالح جواد الكاظم، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ص (152. 153).

. **استلهام:** لغة: لا ترد كلمة "استلهام" في المعاجم الأدبية واللغوية القديمة والحديثة بالمعنى المتداول الشائع استخدامه في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة، وهي ترد بصفة حصرية في اشتقاقات معاني كلمة "لَهَمَ" من الإلهام Inspiration المتصل بالغيب أو بالقدرة الإلهية العظمى. ويرجع (ابن منظور) الاستلهام لغة " إلى مادة (لَهَم)، الذي يدل على ابتلاع الشيء. ومن هذا الباب الإلهام، كأنَّه شيءٌ أُلقِيَ في الرُّوع فالتَهَمَه. ويقولون للعظِيم الكافي: اللِّهَمّ، ومن الباب اللُّهمُوم: الرّجُل الجَواد. وهذا على العِظَم والسَّعة"([1]).

ويعلّق (المرزوقي) على هذين المعنيين قائلا: " للكلمة معنى إحاطة الملتهِم بالملتهَم سواء كانت الإحاطة ماديّة وهو الوضع الأول للكلمة (التهام الآكل للمأكول أو سيطرة الجيش الغالب على الجيش المغلوب في الحرب أو ابتلاع البحر لما يغرق فيه) أو معنويّة وهو الوضع الثاني لدلالتها (أن يغمر الباذل المبذول إليه بماله أو بعطفه أو بعلمه)"([2]).

اصطلاحا: تعدد استخدام مصطلح (الاستلهام) في الدراسات النقدية واللغوية، حيث جاء بمعنى توظيف أو استخدام أو استدعاء أو استحضار، ومنهم من يقول استلهام دون أن يوضح معنى هذا الاستلهام بأن يضع له تعريفاً ضابطاً، وذلك راجع إلي عنايتهم بالإجراء علي حساب التنظير في هذه الممارسة النقدية، وذهب (المرزوقي) إلى أن الاستلهام مرتبط بالماضي، وعرفه بأنه: " الفعل الذي يربط ماضي الأمة بمستقبلها ليجعلها تسير في طريقها المميز لها عن غيرها من الأمم"([3]).

وعرفه (أبو هيف) بأنه " جهد الكاتب المبذول في إبداع عمل أدبي جديد يستند في شكله أو محتواه، أو في الاثنين معاً إلى التراث"(). وفي محاولة منه لوضع حدود لمصطلح الاستلهام، ذهب أبو هيف، إلى " أن الاستلهام يفيد الاستعادة، بينما لا يتعدى الإعداد أو التحويل أو التقديم حدود الإعادة على سبيل الشرح أو التعريف"([4]).

وفي موضع آخر ربط (أبو هيف) الاستلهام بالتاريخ ربطا مباشرا حينما عرفه بأنه : " استحضار الشخصيات أو الأحداث أو المراحل التاريخية في عمل أدبي جديد، ويكون الاستحضار جزئياً أو كلياً، وتصريحاً أو تلميحاً، تعبيراً مباشراً أو تعبيراً فنياً"([5]).

وتماشيا مع أهداف بحثه فقد تبنى الباحث ما ذهب إليه (أبو هيف) كتعريف إجرائي.

. **المسرحية التاريخية:** ذهب (ملتون ماركس) إلى أن المسرحية التي تتخذ من التاريخ مصدرا لها هي: " محاولة جدية لإعادة بناء حياة إحدى الشخصيات التاريخية، أو أحد العهود التاريخية، أو قسم منها، وإبرازها في شكل مسرحي، وكاتب التمثيليات التاريخية ينتقي كل شخصياته أو معظمها من بين صفحات التاريخ، ويضيف إليها أخرى من مخيلته ليحسن قصته أو يقوي أثرها "([6]).

لكن (حمادة) وصف المسرحية التاريخية بأنها " القطعة الدرامية التي تتخذ مادتها من التاريخ. ويمكننا أن نقول: مأساة تاريخية أو ملهاة تاريخية . مثلا . إذا كان الموضوع المعالج مستمدا من أحداث الماضي. أما عن مدى التزام الكاتب بالحقيقة التاريخية التي يعالجها، فقد مال بعض النقاد إلى القول بوجوب التزامه بالخطوط العامة الأساسية، دون التقيد بالتفاصيل الجزئية، بينما مال بعضهم الآخر إلى التصريح للكاتب بأن يعمل خياله في المادة التاريخية مثلما يعملها في وقائع الحياة"([7]).

---

[1] . ابن منظور، (1993م)، **لسان العرب**، إشراف عبد أحمد علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ص248.

[2] . المرزوقي، أبو يعرب، (2007م)، **استلهام ابن خلدون والفكر الاجتهادي**، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، ص 21.

[3] . أبو هيف، عبد الله، (2001م)، **التنمية الثقافية للطفل العربي**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ص 82.

[4] . المصدر نفسه، ص82.

[5] . المصدر نفسه، ص84.

[6] . ماركس، ملتون، (1965م)، **المسرحية كيف ندرسها ونتذوقها**، ط1، ترجمة. فريد مدور، بيروت، دار الآداب، ط1، ص245.

[7]. حمادة، ابراهيم، (د ت)، **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، القاهرة، دار الشعب، ص147.

وتماشيا مع الإطار العام للبحث فقد صاغ الباحث التعريف الاجرائي التالي:
المسرحية التاريخية: هي المسرحية التي تتخذ من أحداث التاريخ مادة لها عبر تقديم مرحلة تاريخية معينة بأحداثها وشخصياتها، وقد تأتي عملية التقديم ضمن سياق مقارب لتلك الأحداث والشخصيات يفرضه طبيعة التزام الكاتب بالحقيقة التاريخية ومعطياتها، أو ضمن سياق متباعد يتدخل فيه خيال الكاتب بالحذف والإضافة على الأحداث والشخصيات وبما يتوافق مع رؤيته الفنية.

أولا: الرواية التاريخية لحملة هولاكو على بغداد سنة (656هـ/ 1258م)

يعد سقوط بغداد بيد المغول سنة (656هـ /1258م) مصيبة كبرى في تاريخ الأمة الإسلامية، حيث عبرت تلك الأحداث عن جوانب مأساوية لا يمكن حصرها نتيجة لما اقترفه المغول من جرائم، حيث قاموا بإنهاء منظومة الخلافة الإسلامية بقتلهم آخر الخلفاء العباسيين الخليفة المستعصم بالله وأبناءه وكبار مساعديه، إضافة إلى اجهازهم على آلاف من علماء بغداد ووجهائها،كما ذبح المغول نحو مليون مسلم كما ورد في بعض الروايات التاريخية، ودمروا الحضارة وأتلفوا ما لا يحصى من أمهات الكتب، وعند العودة إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبيل الغزو المغولي، نجد أنها قد مهدت الطريق لحدوث ذلك، فقد وصل المستعصم بالله إلى منصب الخلافة في بغداد وذلك بعد وفاة أبيه المستنصر (640هـ / 1242م)، " ومثلما أجمعت المصادر على وصف المستنصر بالله بالحزم وسداد الرأي فقد أجمعت على نعت المستعصم باللين والضعف وعدم الاهتمام بكبائر الأمور، لكنه كان متدينا، متمسكاً بتعاليم الدين"([1]).

ويذكر المؤرخون أن كبار رجال الدولة كانوا حريصين على إسناد الخلافة للمستعصم بالله بعد وفاة والده المستنصر بالله، بالرغم من وجود أخ له يعرف بالخفافجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة، إذ كان يقول: "إن ملكني الله تعالى أمر الأمة لأعبرن بالعساكر نهر جيحون وأنتزع البلاد من يد التتار"([2])، ويبدو أن التيار الذي كان يخطط لتدمير دولة الخلافة هو الذي شجع على تولي المستعصم للخلافة رغم ضعف شخصيته، " إذ أن وجود رجل قوي في سدة الخلافة يعرضهم للرقابة المستمرة ويقطع عليهم آمالهم وطموحاتهم"([3]).

لقد كان أمام الدولة العباسية في أواخر عهدها فرصة ثمينة لأن تعيد مجدها من جديد والتخلص من سيطرة العناصر الخارجية، وإعادة سيطرتها على البلاد التي تدين بالتبعية الروحية لها، وكان ذلك بعد أن تخلصت من السيطرة السلجوقية عام (٥٩٠هـ / 1193م)، إلا أنه " وبعد أن تمزقت دولة السلاجقة وسادها الضعف والنزاع وبدأت تعمل على السيطرة على العراق مركز الخلافة، استنجدت الخلافة بالدولة الخوارزمية العتيدة، واستطاع السلطان تكش الخوارزمي هزيمة السلطان طغرل السلجوقي في معركة عنيفة بالقرب من الري، ثم قتله، وقتل السلطان طغرل في ساحة المعركة، وأُرسل رأسه للخليفة العباسي الناصر لدين الله عام (590هـ / 1193)"([4]).

---

[1]. أنظر. ابن طباطبا، محمد بن علي، (د ت)، **الفخري في الآداب السلطانية**، بيروت، دار صادر، ص244.

. أنظر. ابن العبري، أبي الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي، (1997م)، **تاريخ مختصر الدول**، ط1، وضع حواشيه خليل المنصور، ومحمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، ص254.

[2]. اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (1960م)، **ذيل مرآة الزمان**، ج1، ط1، تصحيح . وزارة التحقيقات الحكومية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، القاهرة، دار الكتاب الاسلامي، ص254.

. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (1999م)، **تاريخ الخلفاء**، ط1، مراجعة وتعليق . جمال محمود مصطفى، القاهرة، دار الفجر للتراث، ص464.

[3]. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن علي، (د ت)، **تاريخ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر**، ج2، بيروت، دار الكتب الكتب العلمية، ص 276.

[4]. الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد، (1937م)، **تاريخ جهانكشاي**، ج2، نشر . محمد بن عبد الوهاب القزويني، ليدن، مطبعة يربل، ص32.

لكن الخوارزميين عملوا أيضا على بسط سلطتهم ووصايتهم على الخلافة العباسية، فدخلت العلاقة بين الطرفين في أزمة حادة، ونتيجة لتعدد الكيانات السياسية في خراسان والشام ومصر، في الحقبة التي سبقت اجتياح المغول لأراضي العالم الإسلامي وتحديداً العراق، فقد تم التآمر على اسقاط دولة الخلافة بيد المغول من قبل عناصر داخلية أيضا، حيث عملت على تهيئة البلاد للسقوط، فقد أثبتت الأحداث التاريخية أنه ليس بمقدور جيوش المغول إسقاط الخلافة الإسلامية والقضاء عليها نظرا لما كانت تمتلكه من قوة عسكرية واقتصادية وروحية، إلا أن المؤامرة التي نسجت بدءا من وصول خليفة ضعيف إلى سدة الحكم، مرورا باستلام الوزير ابن العلقمي لشؤون الوزارة، ومن ثم عزل الخليفة عن مسرح الأحداث، ليتم بعد ذلك تدمير الجيش والاقتصاد وإشاعة الفوضى وجعل بغداد مسرحاً للانفلات الأمني، ونشر ثقافات جديدة قائمة على المهادنة والمسالمة للعدو، ويجمع المؤرخون أن ابن العلقمي " كان رجلاً خبيراً يتميز بالمكر والدهاء" ([1])، وقد استفرد بسلطة الخلافة بعد أن أقصي منها الخفافجي رجل الدولة القوي، حتى استطاع أن يقضي على كل أركان الدولة وأسباب منعتها.

ويؤكد المؤرخون أن ابن العلقمي "قد حصل له من التعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لكثير من قبله من الوزراء، وقد عظم شأنه وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد، وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه، وخضعت لها الرقاب، وجعل لها النظر في ديوان الحسبان، لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات في الجند، مما احتاج إلى النظر في جمعه وتفريقه، وأضيف إليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسرار السلطان "([2])، ونظرا لاتساع سلطات هذا الوزير فقد نعته بعض المؤرخين بالملك، لاسيما وأن صلاحياته فاقت صلاحيات جميع الوزراء في تاريخ الدولة العباسية.

لقد اتسمت المرحلة الأخيرة من عمر الدولة العباسية بسيطرة الوزراء على مقاليد الحكم، وأصبح دور الخليفة شكلياً ولا يدرك تطورت الأحداث الخارجية والداخلية، لاسيما بعد أن حجبت عنه وسائل الاتصال والرسائل مع العالم الخارجي، التي كان يضطلع عليها ابن العلقمي ويتخذ الاجراء الذي يراه مناسبا لها، " وعندما كانت جيوش المغول تقترب أرسل صاحب الموصل عدداً من الرسائل للخليفة ولكنها كانت تصل لابن العلقمي وكذلك فعل صاحب إربل ابن صلايا ولكن لم تصل رسائله للخليفة الذي كان يغرق في خيالاته، التي أوهمه بها ابن العلقمي، وكان الخليفة يعتقد أن حكم العباسيين مستمر إلى يوم القيامة وأن جميع القوى التي تحاول مهاجمة الخلافة إلى زوال، وسيكون مصيرها مثل مصير البويهيين والسلاجقة والخوارزميين ، كما اعتمد الخليفة على القوة المعنوية للخلافة العباسية داخل بغداد معتقدا أن بغداد تكفيه، وانشغل بتربية الحمام، ورياضة الصيد بالبندق"([3]).

---

[1] . الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (2000م)، **الوافي بالوفيات**، ج1، تحقيق . أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار احياء التراث، ص151.

. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز، (1413هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ط9، تحقيق . شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص175.

. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (2000م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج3، تحقيق . سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ص662.

[2] . أنظر. العيني، بدر الدين محمود، (1987)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق. محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص202.

. انظر. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، (1984م)، **مقدمة ابن خلدون**، ج 3، ط5 ، بيروت، دار القلم، ص238.

[3] . أنظر. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة، (1960م)، **جامع التواريخ . تاريخ المغول تاريخ هولاكو**، ج1، د ط، ترجمة. محمد صادق نشأت وآخرون، ، القاهرة، ص275.

ولما لم تفلح نداءات الولاة للخليفة، بل وتم اعدام بعضهم كإعدام المغول لابن صلايا بعد وشاية من ابن العلقمي، تجرد بعض الشعراء يخاطبون الخليفة لإيقاظه وإخراجه من عزلته، ويحذرونه مما يحدث حوله بينما هو غافل عن ذلك، فهذا علوان بن المقنع يخاطبه قائلا:

" أمير المؤمنين عليك مني — سلام الله ما ناح الحمام

تحية حافظ للعهد راع — كنشر الروض باكره الغمام

أرى خلل الرماد وميض جمر — ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى — وإن الحرب أوله الكلام

وإن لم يُطْفِها عقلاء قوم — يكون وقودها جثث وهام"([1]).

وفي الوقت الذي بقي فيه الخليفة المستعصم بالله غافلا عن شؤون الدولة، استمر ابن العلقمي بمخططه حيث سعى إلى اضعاف القوة العسكرية للبلاد، وقد روي " أن المستعصم قد ورث جيشاً عظيماً عن أبيه المستنصر يفوق المائة ألف جندي مدربين أفضل تدريب ومجهزين بكامل العتاد والسلاح"([2])، ونظرا لفشل الغارات المتكررة للمغول على أطراف العراق، بدأ العمل على التخلص من القوات العسكرية لدولة الخلافة وإضعافها وإفراغها من محتواها، لاسيما بعد أن حقق هذا الجيش نصرا مؤزرا على المغول في إحدى المعارك عام (643هـ /1245م)، من هنا بدأت عملية إضعاف الجيش بعد هذه الحرب، حيث اجتهد ابن العلقمي في إضعافه بطرق عدة، منها تقليل عدد أفراده وعدم استيعاب جدد، وإهماله في التدريب.

وذهب المؤرخون إلى أن ابن العلقمي قد سرح عشرين ألفاً من العسكر دفعة واحدة، وظل كذلك إلى أن أصبح عدد الجيش ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل. " وفي عام (٦٥١هـ / ١٢٥٣م) شهد العراق عملية نزوح للجنود وضباط الجيش إلى بلاد الشام بسبب قطع أرزاقهم"([3])، وبعد أن نجح ابن العلقمي بإضعاف الجيش، سعى لإضعاف البلاد اقتصادياً مما أثر على باقي مناحي الحياة خاصة الاجتماعية ، فتزعزعت الجبهة الداخلية للبلاد نتيجة للانفلات الأمني، وتم تدمير البنية التحتية للبلاد، واستنزاف مواردها المتبقية عن طريق الصراعات الداخلية لتكون العراق فريسة سهلة وجاهزة يتسلمها المغول، وبذلك فقد كان ابن العلقمي وراء الفوضى التي عاشتها بغداد قبيل الغزو المغولي لها.

وفي خضم تلك الأحداث العصيبة التي مرت بها بغداد انطلق هولاكو على رأس جيش ضخم من (قراقورم) عاصمة المغول سنة (٦٥١هـ = ١٢٥٣م)، وقد تم الإعداد العسكري لهذه الحملة جيداً، " حيث تم إصلاح الطرق التي تجتاز تركستان وفارس، وجرى تشييد الجسور، وتجهيز العربات اللازمة لجلب أدوات الحصار من الصين، وبذلت كل قبيلة من قبائل الحلف المغولي خمس رجالها المقاتلين، واشترك في الحملة نحو ألف من الرماة الصينيين الذين برعوا في قذف السهام التي تحمل اللهب والنار، وفرق من المهندسين لإدارة الأسلحة الجماعية، وآلات الحصار وقذف النيران، ولقد قدر المؤرخون عدد

. وأنظر. الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي، (2003م)، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، ط1، تحقيق. مهدي النجم، بيروت، دار الكتب العلمية، ص119.

. وأنظر. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص (255، 289) .

[1] . السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، (1413هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج8 ، ط2، تحقيق . محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، القاهرة، هجر للطباعة والنشر، ص264.

[2] . اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج 1، ص86.

. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، (1939م)، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج13، د ط ، القاهرة، ص202.

[3]. أنظر. الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، (1999م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط1، تحقيق. عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ص8.

جنود حملة هولاكو بمائتي ألف مقاتل ، وكان أكثر من نصف جيشه من المرتزقة الأتراك الذين اجتذبتهم تلك المنطقة اجتذاباً كلياً، وقد اصطحب هولاكو زوجته طقز خاتون النصرانية معه، وكان ذلك في صالح النصارى، وكانت شديدة التعلق بالنسطورية، فلم تخف كراهيتها للإسلام، وحرصها على مساعدة المسيحيين على اختلاف مذاهبهم"([1]).

عمل المغول في البداية على مهاجمة الطائفة الاسماعيلية في خرسان والتي كانت تنادي بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، ومن أسباب مهاجمة المغول للإسماعيلية قبل الخلافة، لأنهم اعتقدوا بأنه " لا يمكن أن يتم إنشاء كيان سياسي جديد ومستقر للمغول مع وجود هذه الفرقة التي عرف عنها أنها تبث الخوف والرعب في القلوب من خلال اغتيالاتها للشخصيات المهمة، وقد تمكنت من اغتيال جغتاي ثاني أبناء جنكيز خان"([2])، وحتى ينجح هولاكو في القضاء على الاسماعيلية فقد سعى إلى استمالة حكام وملوك المنطقة ليقدموا له المساعدة، وهدد من يتخلف بأنه سيتم القضاء عليه لاحقا من قبل المغول.

وبعد القضاء على الإسماعيلية بدأ هولاكو يفكر باجتياح العراق للقضاء على الدولة العباسية، ففي شهر رمضان لسنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) أرسل هولاكو إلى الخليفة العباسي في بغداد رسالة مليئة بالتهديد والوعيد، وذلك " لامتناعه عن إرسال المساعدة والمدد لهولاكو أثناء حصاره للإسماعيلية، كما تضمنت رسالة هولاكو المطالبة بالاعتراف بسلطة المغول على العراق، كما كان الأمر من قبل للبويهيين والسلاجقة، كما طلب من الخليفة الحضور شخصياً لمقابلته أو إرسال أكبر ثلاثة رجال في الدولة وهم الوزير، و الدويدار وسليمان شاه، وهدم حصون العراق وهدده إن لم ينفذ ذلك بالقول: (لن أدع حياً في مملكتك، وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمة للنار) " ([3]).

ويبدو أن هولاكو قد اتخذ من عدم دعم الخليفة العباسي لهولاكو في حربه ضد الاسماعيلية ذريعة لمهاجمة العراق، لكن الخليفة كان رده سريعا على هولاكو حيث رفض مطالبه، ونصحه بالرجوع إلى بلاده، مهددا إياه بجمع ملايين البشر لمقاومته، ورغم أن ابن العلقمي قد دفع باتجاه اقناع الخليفة بالاعتذار لهولاكو، وحمل كل نفيس في العراق وتقديمه بين يديه استرضاء له، فإن كبار رجال الدولة والرأي العام في العراق قد رفض ذلك، وطالب بأن تصطف البلاد صفاً واحداً لمقاومة الغزاة.

لقد عبر الخليفة في رسالته لهولاكو عن نوع من الثقة بالنفس، وهذا نابع من أنه قد أراد أن يثنيه عن غزو العراق، لذلك لم يتردد في تذكيره " بما جرى لكل الذين أرادوا غزو العراق أمثال البويهيين والبساسيري والخوارزميين فكلهم أهلكهم الله، كما حاول إقناع المغول أن حكم العباسيين مؤيد من السماء، وهو دائم إلى يوم القيامة، ويبدو أن خليفة بغداد لا يعلم أن المغول لديهم تصور كامل عن قدرات العراق وجيشه، وحصونه واستحكاماتها، وربما كان يعتقد بأن النصر الخارجي ستأتيه من المماليك في مصر والأيوبيين في الشام، وسوف تعلن إيران وتركستان التمرد والعصيان على المغول إن أقدموا على محاولة احتلال العراق، لكن نبوءاته وكرامات الحكم العباسي التي تحدث عنها في رسالته لم تجد نفعاً مع العدو الوثني.

وحينما صدر القرار من قيادة المغول بالتحرك نحو بغداد، وصل وفد من العراق للقاء هولاكو بقيادة ابن الجوزي، حيث التمس منه العودة عن غزو العراق مقابل أن تدفع الخلافة من الخزينة كل ما يقرره هولاكو، ولكنه رفض ذلك، وقد كان جواب هولاكو لهم: " وكيف نترك زيارة الخليفة، بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق. سوف نعود بإذنه بعد الحضور للقائه والتحدث معه "([4])، ويفسر الهمذاني هذا الموقف من قبل هولاكو بأنه جاء نتيجة لظن منه بأن الخليفة يريد أن يكسب

---

[1] . أنظر. الهمذاني، **جامع التواريخ**، ج2، مج 2، ص(243. 244).

. وأنظر. ابن العبري، أبي الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي، (1986م)، **تاريخ الزمان**، ترجمة . اسحاق أرملة، بيروت، دار المشرق، ص 298 .

[2] . الهمذاني، **جامع التواريخ**، ج2، مج 2، ص240.

[3] . أنظر. المصدر نفسه، ص(267. 271).

[4] . الهمذاني، **جامع التواريخ**، ج2، مج 2، ص 282.

الوقت ليعد جيوشه للمقاومة في حالة عودة المغول إلى قواعدهم، لاسيما وأن المغول كانت لديهم أخبار موثقة بما يدور في بغداد من استعدادات للمواجهة.

ومع بداية عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) استكمل المغول حشودهم على الضفة الغربية لنهر دجلة، وتولى قيادة هذه الحشود ثلاثة من كبار أمرائهم في حين كان هولاكو وكتبغا يضيقون الخناق على بغداد من الجانب الآخر، حيث ملأ جيشه الفضاء، ومعه آلات الحصار، وضج سكان الجنوب حيث انحدروا إلى بغداد حتى امتلأت شوارعها وضاقت على وسعتها فجلس الناس في الطرقات والدكاكين، وقلت الأقوات ووقع الناس في خوف شديد وويل عظيم، ويبدو أن المغول كانوا يقصدون ضغط سكان جنوب العراق في بغداد كي تحدث حالة إرباك وخوف واضطراب، ومن المرجح أنهم كانوا يهدفون إلى حصار سكان جنوب العراق في بغداد وممارسة كل أشكال الضغط عليهم لقبول الاستسلام([1]).

وعندما أصبح المغول أمام أبواب بغداد أُغلِقت في وجههم فتأكدوا من ضعف العراق، وشرعوا بحصارها، ونصب السيب والأسوار العالية والمنجنيقات قبالة أسوارها، وحفروا الخنادق حولها من جميع الجوانب، وأقاموا الاستحكامات على نهر دجلة بأعلى المدينة وبأسفلها، وأثناء ذلك كان جيش العراق الذي لم يتجاوز عشرة آلاف مقاتل قد تهيأ للقاء العدو بقيادة ركن الدين الدويدار.

لقد مكث المسلمون بقيادة الدويدار والمغول ثلاثة وعشرين يوماً دون أن يحارب أحدهما الآخر، ثم عبر الدويدار نهر دجلة بقواته والتقى بجيوش المغول واقتتلوا قتالاً عنيفاً، استطاع جيش العراق هزيمتهم، فتراجعوا وطاردهم الدويدار، وقتل منهم عدداً كبيراً، وحمل رؤوسهم إلى بغداد، وقضى النهار في تتبعهم، وأقبل الليل على جيش العراق، وقد تجاوز نهر بشير المتفرع من الدجيل فباتوا هناك، وفي الصباح انقض المغول يقاتلونهم بشراسة فتراجعت جيوش العراق لتأخذ مواقعها فوجدت أن نهر البشير قد فاض ماؤه عليهم، وذلك منذ الليل، وملأ الصحراء، فتوحلت خيولهم وغرقت، وألقى معظم العسكر نفسه في دجلة حيث هلك أغلبهم، وبعد انتصار جيش العراق في المعركة الأولى تسلل فريق من أتباع المغول وقاموا بفتح ثغرة تفجرت منها مياه دجلة فأغرقت جيش العراق ليلا، وفي الصباح كر عليهم المغول واستغرقت المعركة حتى الساعة التاسعة صباحاً من يوم الخميس، إذ هزم جيش العراق وقتل كبار القادة وتراجع الدويدار قائد القوات إلى بغداد([2])، ورغم ما أشيع عن مقتل الدويدار وسليمان شاه في تلك المعركة إلا أن أغلب المؤرخين قد أكدوا نجاتهم ووصولهم لبغداد، ومما يؤكد ذلك ما ورد في رسالة لهولاكو بعد المعركة يطالب فيها بتسليم الإثنين له. ويروي (الجوزجاني) " أن ابن العلقمي أصدر أوامره لإحدى الوحدات الخاصة من أتباعه بفتح مياه النهر تحت جنح الظلام حيث تم فتح السد الذي يحجز المياه، وتم إغراق جيش العراق وتحقيق النصر للمغول"([3]).

أما ابن العلقمي فقد ظل سائرا في خداعه ومؤامرته ضد الخلافة وضد المقاومة، وظل يؤكد دوما على ضرورة أن يخرج الدويدار وسليمان شاه لمقابلة هولاكو، كشرط لوقف القتال وقصف المدينة، " وتحت هذا الضغط خرجا ظنا منهما أن ذلك سيجنب بغداد ويلات الحرب، لكنه تم قتلهما بسرعة وبطريقة سرية"([4])، وتم إشاعة أنه قد تم ابعادهما إلى مصر أو إلى الشام في ضوء إصرار هولاكو على تسليمهما.

---

[1] . أنظر. الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص230.

[2] . أنظر. المصدر نفسه، ص (231. 232).

. وأنظر. **ابن العبري**، تاريخ الزمان، ص (306 . 308).

[3] . الجوزجاني، أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، (1964م.)، **طبقات ناصري**، كلتة، نشره. وليم ناسوليس ومولوي خادم حسين ومولوي عبد الحي، ص427.

[4] . أنظر. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص240 .

ويجمع المؤرخون أن ابن العلقمي كان أول شخصية خرجت للقاء هولاكو على أبواب بغداد، حيث أكد حصوله على الثقة والأمان منه، ثم عاد للخليفة المستعصم وقد جهز مكيدة ستكون فيها نهاية النهاية بالنسبة لدولة الخلافة، " فقد أخبر الخليفة أنه استطاع أن يصنع صلحا مع المغول، حيث تم الاتفاق معهم على أن يكون للمغول نصف خراج العراق، وللخليفة النصف الآخر، وتصبح علاقة الخليفة بهولاكو كما كانت العلاقة بين الخلافة والسلاجقة، وبدأ يُسَوِّقْ لهذا الاتفاق عند الخليفة وأن فيه مصلحة للمسلمين وحقن لدمائهم ، وعلى الخليفة أن يعمل بهذا الاتفاق بناء على القواعد الشرعية، بل إنه أبلغ الخليفة أن هولاكو تأكيداً وتوثيقاً لهذا الاتفاق يريد أن يزوج ابنته لابنك أبي بكر، وذلك من باب حسن النوايا عند المغول باتجاه الخلافة، ولكن هذا الاتفاق يحتاج إلى لقاء قمة بين قيادة المسلمين ممثلة بالخليفة وقيادة المغول، لذلك طلب من الخليفة الخروج كي يضع اللمسات الأخيرة على هذا الاتفاق ويتم التوقيع عليه، وكذلك يتم عقد قران الأمير أبي بكر على بنت هولاكو أمام كبار رجال الدولة وعلمائها وأعيانها وقادة الجيش والأمة"([1]).

واستكمالا لخداع الخليفة فقد طلب ابن العلقمي منه أن يرسل ابنه أبا بكر إلى المغول ليرى صدق قوله، ففعل الخليفة ذلك في الوقت الذي طلب فيه ابن العلقمي من هولاكو سراً أن يحسن معاملة ابن الخليفة ويخدعه بمعسول الكلام، ولما رجع أبو بكر إلى الخليفة عبر له عن الحفاوة والكرم الذي لقيه من هولاكو فانشرح صدر الخليفة، واستكمالا للاتفاق بين الطرفين " خرج الخليفة من بغداد واصطحب معه ١٢٠٠ رجل من أعيان البلاد وكبار رجال الدولة وعلمائها، بناء على طلب الوزير ابن العلقمي، كي يحضروا ويشهدوا على الصلح وكذلك على عقد قران ابن الخليفة، وعندما وصل الخليفة والأعيان إلى معسكر هولاكو تمت عملية الفصل بين الخليفة والأعيان، حيث وضع الخليفة في خيمة خاصة به وشددت الحراسة عليه، ووضع الأعيان ورجال الدولة والحكم في مكان آخر، حيث ضربت أعناقهم جميعاً، ثم بدأت الخطوة الأخرى بإفراغ البلاد مما بقي فيها فأخذ ابن العلقمي باسم الخليفة يطلب جماعة جماعة للخروج لمباركة حفل عقد قران ابن الخليفة الأمير أبي بكر، ثم طلب الحضور من حاشية الخليفة، وعندما حضروا تم إعدامهم ، ويذكر المؤرخون أنه عندما خرج الخليفة لمقابلة هولاكو مع أبنائه الثلاثة، أخذ هولاكو يلاطفهم بالحديث، ولا يبدي غضبا، ثم وضع الخليفة وأبناءه في معتقل محاذ لباب كلواذي وهو أحد أبواب بغداد، وأمر بتشديد الحراسة عليهم، ثم أصدر أمراً باسم الخليفة يقضي بخروج الناس لإحصائهم ، وتم إعدام كل من خرج من المدينة، وقد بلغ عدد الذين كانوا برفقة الخليفة وقتلوا نحو ثلاثة آلاف"([2])، وإذا كان ابن العلقمي قد تولى عملية إخراج الأعيان والعلماء وكبار رجال الدولة من بغداد لقتلهم من خلال جنود هولاكو، فإن نصير الدين الطوسي الذي كان ملازماً لهولاكو، ويعمل مستشارا له، هو الذي استطاع إقناع الخليفة بالخروج للقاء هولاكو، مثلما أقنع هولاكو من بعد بالهجوم على بغداد، وتهيئتها للقتل العام وإشعال النيران فيها، كما روى الهمذاني.

لقد كان بإمكان الخليفة المستعصم أن يجنب الأمة هذه المصيبة الكبرى لو عهد بأمور الدولة لرجال مثل الدويدار وسليمان شاه وليس لشخص مثل ابن العلقمي، فقد استباح المغول كل أركان الخلافة الإسلامية في بغداد، وقد وصف المؤرخون الجرائم والأهوال التي تعرضت لها بغداد من غزو المغول وصفا تقشعر له المشاعر، فمنذ " قدومهم للعراق استباح المغول دماء أهلها، حيث بلغ استهتار المغول بالنفوس حد الفظاعة، فروي أن أحدهم دخل زقاقاً وقتل أربعين طفلاً شفقة منه ورحمة حين علم أن أمهاتهم قتلن من قبل، وأن عمليات القتل والنهب والاستباحة فضلاً عن إشعال النيران في

---

[1] . أنظر. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج8 ، ص270. وأنظر. العيني، **عقد الجمان**، ص174. وأنظر. أبو الفداء، **تاريخ أبو الفداء**، ج2، ص302. وأنظر. الجوزجاني، **طبقات ناصري**، ص (227. 228).

[2] . أنظر. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص237.. وأنظر. الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص 231. وأنظر. الجوزجاني، **طبقات ناصري**، ص (227. 228). وأنظر. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج8 ، ص270. وأنظر. العيني، **عقد الجمان**، ص (172. 173). وأنظر. الهمذاني، **جامع التواريخ**، ج2، مج 2، ص 292.

المدينة استمرت أربعين يوما، وأنه جرت السيول من الدماء، وأن الدم صار في الأزقة كأكباد الإبل، وقد تأخرت عملية قتل الخليفة أياماً عدة إذ لم يقتل مع الأعيان، وبعد استباحة بغداد ببضعة أيام، دخل هولاكو المدينة بموكب عظيم وبجانبه كبار مستشاريه نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي، وجلس هولاكو على عرش الخلافة وكأنه يعقد احتفالاً بالنصر، وأمر هولاكو بحضور الخليفة فأتوا به تحت حراسة مشددة، حيث خضع لعملية تحقيق تم من خلالها الاستيلاء على خزائن ودفائن الدولة العباسية التي جمعها الخلفاء خلال خمسة قرون، وبعد أن نهب أموال الخلافة وخزائنها قام برمي رقاب أولاد المستعصم وذويه وأتباعه"([1]).

إنَّ هذه الأحداث الأليمة، والجرائم الفظيعة التي ارتكبها المغول بقيادة هولاكو، تؤكد على الحقد الدفين الذي ظل يعتمل في صدور أعداء الأمة وعملائها، وقد أجمع المؤرخون على أن الخليفة قُتِلَ دون أن يجري دمه، فقيل أنه قد جعل في غرارة ورفس إلى أن مات رحمه الله، ودفن وعفي أثره، ويبدو أن هناك اتفاق على عدم إراقة دم الخليفة، " فقد كان لدى المغول خوف من موروث خرافي يقضي بعدم إراقة الدماء الملكية، ويبدو أن الطوسي استطاع أن يبسط الأمر لهولاكو وأن يبتدع طريقة جديدة للتخلص من الخليفة بحيث لا يراق دمه فيغضب هولاكو ويقلق من عواقب ذلك، وكانت الطريقة أنه غم في بساط، وقيل رفسوه حتى مات ولما جاءوا ليقتلوه، صاح صيحة عظيمة"([2])، وبذلك عاشت الأمة الإسلامية مأساة كبرى في تاريخها نتيجة لسقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية وتدميرها وقتل أبناءها، حيث جاء في بعض الروايات أن هولاكو قد سفك دم ما يقرب من مليون مسلم في تلك الحملة، وهذا العدد غير مبالغ فيه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه حينما ضاقت السبل بأهل جنوب العراق لجئوا إلى بغداد مما زاد من كثافتها السكانية وبالتالي من أعداد القتلى أثناء هجوم هولاكو.

. إجراءات البحث: استلهام حملة هولاكو على بغداد في المسرحية التاريخية العربية:

. مدخل نظري : المسرح والتاريخ:

تعد المسرحية التاريخية عملا فنيا يرتكز على منظومة من القيم الأخلاقية والحضارية والاجتماعية في مرحلة زمنية معينة، وهي تلتقي مع التاريخ من ناحية تعاملها مع الزمن بأسلوب خاص، ومحاولة تغطية امتداداته الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل، ورغم ذلك إلا أنها لم تكتب حتى تكون مرجعا في التاريخ أو بديلا عنه، ولكنها قد تشكل مصدرا من المصادر التاريخية التي تقدم منتجا إبداعيا يتخذ من الماضي وسيلة لمعاينة الحاضر، " وكل ذلك سيتطلب من الكاتب المسرحي قبل أن يعمل في المادة التاريخية حذفا أو إضافة أو تحويرا، الإلمام بتفاصيل الواقعة التاريخية وطبيعة عصرها ومعطياتها وعلاقتها وروحها، وإذا استطاع الكاتب المسرحي بعد كل ذلك أن يوازن بدقة بين حقائق الواقعة التاريخية وشخوصها وبين تفسيراته وتأويلاته الفكرية والإنسانية والفنية (الدرامية)، فإنه سينجح عندئذ في تقديم الحقيقة الإنسانية والفنية إلى جانب الحقيقة التاريخية، وتبقى الحقيقة الفنية هي الهدف الأول والأهم في العمل الفني"([3]).

لقد اعتمد الأدب على توظيف معطيات التاريخ رغم الطابع التخييلي المهيمن على مجال اشتغاله، ولم يكن الأدب المسرحي العربي بمعزل عن هذا التوجه الذي اتخذ طابعا أكثر عمقا، وذلك لتحقيق أهداف فنية ودلالية، هي بالتأكيد تضفي على الإبداع قيمة مضافة، " إن المؤرخ يحكي ما حدث مجرداً من الخيال وإن أظهر ما في التاريخ من أسس إنسانية، بينما الأديب يفسر ويتخيل ويستنبط الحقائق الكلية التي تصدق على الواقع، وهو يقرأ حقائق التاريخ ويتخيلها، ثم يترك لوحيه الفني أن يلهمه صوراً لا تكذب على التاريخ برسومها وأعلامها، ولكنها ليست ترجمة تاريخية مبنية على وقائع، فلا

---

[1] . أنظر. اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج1، ص88. وأنظر. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص181. وأنظر. ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص237.. وأنظر. العيني، **عقد الجمان**، ص 174. وأنظر. الهمذاني، **جامع التواريخ**، ج2، مج 2، ص (292 . 293).

[2] . أنظر. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج8 ، ص271. وأنظر. الهمذاني، **جامع التواريخ**، ج2، مج 2، ص 271. وأنظر. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص183. وأنظر. ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج5، ص613.

[3] . هارف، حسين علي، (2001م)، **فلسفة التاريخ في الدراما التاريخية**، ط1، اربد، دار الكندي للنشر والتوزيع، ص29.

يحاول إعادة تجسيم التاريخ، بل يحاول تجسيم العوامل التاريخية "([1])، ويمكن القول أن العلاقة بين المسرح والتاريخ ليست علاقة بسيطة، أو صيغة مسطحة، إنما هي علاقة مركبة متشابكة، لكون المسرح يعتمد حساسية خاصة في التعبير عن الوضع التاريخي والحضاري ليعكس الكثير من مفردات الفعل.

إن قراءة متأنية وعميقة للعديد من المسرحيات التاريخية تظهر أن كتابها قد شددوا على النقاط الآتية:" أولا: مراجعة التاريخ الرسمي الجاهز والاهتمام بالمهمشين والمغيبين. ثانيا: عدم الاكتفاء بالمكتوب الرسمي أو الهامشي بل الأخذ بالشفوي والمرويات الجزئية، أو الكاملة التي ترمم أو تنقض النص المكتوب. وثالثا: اكتناه التاريخ للأزمنة الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل"([2]).

وإذا كان الأدب بأنواعه قد اعتمد الواقعة التاريخية ضمن مساحات واسعة من أنشطته الإبداعية ، فإنه قد شكل بذلك مورداً خصباً للتوثيق الذي يخدم الحقيقة التاريخية ويصونها من الضياع، وذلك بسبب قدرة الذاكرة البشرية على استيعاب النّص الإبداعي، " إن العلاقة بين التجربة الواقعية والتجربة التاريخية هي علاقة اتصال وانفصال ، وهناك شكلان للمسرحية المرتبطة بالتاريخ، الأول: يتمثل في ارتباط الكاتب بالتاريخ أي التجربة التاريخية زمانا ومكانا، والثاني يمزج فيه الكاتب مزجا واضحا ومتعمدا بين التاريخ والواقع فيتداخلان على نحو يصنع منهما بنية موحدة، فالوعي بالتراث لا تصبح له فعالية حقيقية إلا إذا ارتبط بوعي مماثل للواقع، لأنه في هذه الحالة وحدها، يمكن أن ينشأ جدل عميق ومثمر" ([3])، إلا أن معالجة الأديب المسرحي لموضوع تاريخي تقتضي منه أن يختار من الأحداث ما يلائم هدفه، ويترك ما لا يفيده من تلك الأحداث، وينبغي أن يكون توظيفه لهذه الأحداث التاريخية نابعا من ضرورات فنية وليست من قبيل الترف العقلي.

ولا يمكن في هذا السياق تجاهل الدور الذي مارسه التاريخ في صناعة رؤية كثير من المبدعين المسرحيين الذي استلهموا معطياته وقدموها من خلال نتاجاتهم المسرحية، حيث يعد وليم شكسبير(1564- 1616م) واحدا من أهم الأدباء الذين استندوا على التاريخ في كتابة نصوصهم، وتشكل مسرحة الشخصيات والأحداث التاريخية عند شكسبير ظاهرة فريدة في استلهام التاريخ من شتى المصادر وتوظيفه دراميا بشكل واع ومتقدم، فقد " اتخذ شكسبير من التاريخ حجة قوية عاشها الناس وعرفوها جميعا، وعليه ارتكزت العبقرية الخلاقة لتشرف على العالم ومشاكله، ولتوجه الناس نحو تأملات خصبة ذاتية وشاملة في معضلات البشر، وتأخذ بيد كل إنسان ليحيا بانسجام مع زمنه"([4]).

ولا يمكن إنكار أن التجارب الرائدة في المسرح العربي أيضا قد ارتكزت على التاريخ ومرجعياته، حيث جاءت تجارب (مارون النقاش) و(احمد أبو خليل القباني) لتأكيد غربة الشكل المسرحي الغربي وضرورة البحث عن شكل مسرحي عربي يتخذ من التراث بمعطياته الشعبية والأسطورية والتاريخية أساسا للإبداع المسرحي، وكان ذلك " يمثل نوعا من التحدي للمسرح الغربي بصيغته الأرسطية، لأن هذا النوع من المسرح ما هو إلا وجه من أوجه المستعمر المختلفة، كما أن الالتجاء إلى التاريخ لاستيحاء بطولاته وأمجاده يعكس نوعا من المواجهة الضمنية، ذلك أن المبدع المسرحي كان يلجأ إلى إحياء هذه الأمجاد والبطولات لاستنهاض الهمم وبث الحماسة، خصوصا وأن المستعمر كان يفرض رقابة مشددة على الفكر)([5]).

وفي المسرح العربي، جاءت محاولات استلهام التاريخ أيضا من خلال تجارب توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوي وسعد الله ونّوس وقاسم محمد وعز الدين المدني وعبد الكريم برشيد والطيب الصدّيقي وغيرهم، حيث قامت عملية توظيف

---

[1] هلال، محمد غنيمي، (1975م)، **في النقد المسرحي**، بيروت، دار العودة، ص (44. 45).

[2] . يقطين، سعيد، (2001م)، **انفتاح النص الروائي**، ط2، الدار البيضاء . بيروت. المركز الثقافي العربي، ص (103. 108).

[3] . العشري، أحمد، (1985م)، **المسرحية السياسية في الوطن العربي**، القاهرة، دار المعارف، ص90.

[4]. شانصوريل، ليون، (1961م)، **تاريخ المسرح**، ترجمة. خليل شرف الدين ونعمان أباظة، بيروت، مطبعة كرم، ص66.

[5] . رمضاني، مصطفى؛(1987م)، **توظيف التراث وإشكالية التأصيل في المسرح العربي**، مجلة عالم الفكر، المجلد 17، العدد الرابع، الكويت، وزارة الاعلام، ص80.

التاريخ في المسرح على قراءة الموروث التاريخي قراءة نقدية هادفة اسهمت في تأسيس رؤية لمشكلات الواقع الملحة، وذلك في سبيل تحقيق الفهم الموضوعي للذاكرة التراثية، وتفسيرها ضمن سياقات متعددة يمكن من خلالها نقد الحاضر في ضوء معطيات الماضي. وفي ضوء ذلك سيتناول الباحث آلية استلهام حملة هولاكو على بغداد سنة (656هـ/ 1258م) في المسرحية التاريخية العربية من خلال:

1. استلهام حملة هولاكو على بغداد في مسرحية (مغامرة رأس المملوك جابر) لسعد الله ونوس عام 1968م:

تعد كتابات (سعد الله ونوس) المسرحية من أهم تلك التجارب التي ارتكزت على التاريخ في المسرح العربي، حيث كتب عددا من المسرحيات ذات المرجعيات التاريخية، وقد إختار التصرف بالمادة التاريخية على المستوى الإبداعي حيث اتصفت تجربته بالعمق والأصالة، فهو " يستلهم التاريخ والتراث العربي الإسلامي لا من أجل سرد أحداث التاريخ ونقل أحداث التاريخ فحسب، وإنما الاستفادة منهما من حيث عمق المضمون ومنطقية ترابط الأحداث والشخصيات في سياقها التاريخي من حيث الشكل الذي يحظى عند ونوس باهتمام، كما يهتم بالتعرية السياسية أي التحليل العلمي الذي يتسم بالتماسك الفني والبناء العضوي"([1])، فاقترب كثيرا من الواقع السياسي وعبر من خلال توظيفه للتاريخ عن موقفه من السلطة والممارسات القمعية التي تمارس على الإنسان العربي.

في مسرحية مغامرة رأس المملوك جابر يستلهم ونوس جزءا من الأحداث التاريخية التي مرت على بغداد قبيل احتلالها من قبل المغول، وهو هنا لا يتعامل مع الرواية التاريخة حسب الدقة التي تتصف بها، وإنما يتخذ من تاريخ تلك المرحلة شواهد وأسانيد أراد من خلالها أن يقدم تجربة أخرى من تجارب (مسرح التسييس)، وذلك من خلال فرجة ممتعة ومفيدة تهم الجميع وتدفع المتفرج إلى تأمل مصيره، ضمن بناء عقلي متعدد العناصر لا ينفصل عن تأثير مسرح (بريخت) الملحمي. وحول توظيفه للحكاية في هذه المسرحية يقول ونوس: " عثرت على حدوتة المملوك جابر صدفة، عندما كنت أقلب في الطبعة الشعبية من سيرة الظاهر بيبرس. كانت الحدوتة مروية بصفحة، أو صفحة ونصف. هالتني دلالتها، وبدأت أفكر في عمل مسرحي. ولكن خلال كل فترة عملي كانت الشخصيات تنمو، لا كحقائق تاريخية، وإنما كشخصيات حية، الآن تعيش في الواقع وتطرح مشكلات هذا الواقع"([2]).

في هذه المسرحية نحن أمام عمل تغريبي ، امتزجت فيه البنية التاريخية مع عناصر فولكلورية كثيرة في محاولة لتقديم عالم مسرحي عريض متشابك العلاقات شكل المقهى الشعبي صورة مصغرة عنه ، وهذا المقهى يسيطر عليه جو من التراخي والفوضى التي تختلط بقرقرة النراجيل ، وبالأغاني المنبعثة من راديو عتيق والتي تلعب دوراً هاماً في تهيئة الجو لبدء المسرحية ، بينما رواد المقهى ينتظرون الحكواتي (مؤنس) الذي يعد شخصية تراثية مهمة ومؤثرة لما يقدم من حكايات تروق للسامعين ، ووظيفته هنا لا تتوقف على الحكي وحده ، وإنما تمتد لتأخذ وظيفة نقدية وقدرة على الاستقراء المستقبلي لطبيعة ألأحداث ليشكل بذلك ضميراً للتاريخ ، فالحكواتي هو أداة القص الشعبي الأولى ، وهو الوسيط بين الحكاية الشعبية والمستمعين ، وهو عند (ونوس) وسيلة من وسائل تحطيم الجدار الرابع بين الممثل وجمهوره لتحقيق نظام للمشاركة .

لقد فرض وجود الحكواتي في هذه المسرحية شكل السهرة، وإذا كنا نرى فيه أكثر من مجرد قاص، كأن ينفعل في قصته فيمثل ما يقوله، فإن المؤلف في المسرحية قد أراد له أن يكون حكواتياً محايداً يقوم بدور الراوي برغم أن هذا الحياد زائف

---

[1] . الطالب، عمر، (1987م)، **نحو مسرح عربي** جديد، مجلة الأقلام، العددان 3،4، بغداد، وزارة الثقافة، ص47.

[2] . ونوس، سعد الله، (1996م)، **الأعمال الكاملة**، م 3، دمشق، دار الأهالي، ص458.

لأنه يتدخل من حين إلى آخر ليلفتنا إلى معنى، أو يكرر لأزمة لغوية دالة ، إضافة إلى استخدامه كأداة جمالية تراثية، ولكن مع عكس الوظيفة من رجل يرتزق من غناء القص الشعبي إلى فنان متسلح برؤية للواقع([1]).

وعلى أثر حضور الحكواتي ترتفع ألأصوات شاكية قتامة الحكاية التي قصها بالأمس، حيث يطالبه الحضور بقص سيرة (الظاهر بيبرس) بوصفها تعبر عن أيام البطولات ، والانتصارات ، أيام الأمان ، والازدهار... لكن الحكواتي يخبرهم أن سيرة الظاهر لم يأت دورها بعد ، وإنما ستقدم بعد أن نفرغ من قصص الزمان الذي بدأنا حكايته... زمان الاضطراب والفوضى الذي نعيشه ونذوق مرارته كل لحظة .

أما حكاية الليلة، فهي تدور حول صراع الخليفة (شعبان المقتدر بالله) ووزيره (محمد العلقمي) في حاضرة الخلافة العباسية بغداد، حيث يأتي الصراع ضمن إطار سياسي اجتماعي يغيب عنه أهل بغداد طلباً للأمان بينما يتقاسم أطرافه التجار والأمراء والمستغلين، " وفي هذا المنظور ينقسم الناس إلى حكام ومحكومين ، وحين يتصارع أولو الأمر يجب أن يتحصن العامة بالفرجة فحسب، وإذا كان صراع الوزير والخليفة هو الصراع الأكبر والأبرز، فإن ظلاله تخلق عدداً من الصراعات الأخرى، أكثرها فكري جانبي شاحب، كصراع الرجل رقم (4) مع الرجلين الآخرين والنسوة"([2]).

ويعد المملوك جابر شخصية رئيسة في المسرحية ، حيث يحاول أن يستغل الظرف السياسي الذي تمر به بغداد في محاولة منه للحصول على الجارية (زمردة) خادمة (شمس النهار) زوجة الوزير (محمد العلقمي) الذي يعيش صراعا محتدما مع الخليفة شعبان المقتدر بالله، " وربّما يكون ونّوس قد اِقتبس هذه الشخصيّة من صورة أبي الفضل جعفر بن المعتضد المقتدر بالله، وهو من خلفاء الدولة العباسيّة. ولد سنة 282ه. وعهد إليه أخوه المكتفي بالخلافة، ووليها بعد وفاة المكتفي وعمره ثلاث عشرة سنة، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه. وقد اختل النّظام كثيرا في أيّامه لصغره، وكان الأمر والنّهي لنسائه، قتل سنة 320ه . أما شخصية محمد العلقمي فقد اقتبسها ونوس من شخصية ابن العلقمي وزير الخليفة العباسي عبد الله بن منصور المستنصر، وهو الذي رتّب مع هولاكو بمعاونة نصير الدّين الطوسي قتل الخليفة واحتلال بغداد، على أمل أن يسلمه هولاكو إمارة المدينة "([3]).

لذلك نجد المملوك جابر يلجأ إلى فطنته ودهائه ومكره وذلك للقيام بإقناع الوزير بقدرته على نقل رسالته إلى ملك الأعاجم متجاوزاً الحراسة المشددة المفروضة على أبواب بغداد من قبل الأعداء، حيث يعرض عليه إمكانية تحقيق ذلك من خلال كتابة الرسالة على رأسه بعد حلق شعره:

" جابر: لا أبتغي إلا مرضاة سيدي ، إلا أني أجد نفسي ضعيفاً أمام كرمه .

الوزير: لا تساوم . سأعطيك ما تريد (...) لو بلغت رسالتي .

جابر: ويكرمني فيزوجني زمردة خادمة سيدتي شمس النهار؟

الوزير: (نافذ الصبر) هي لك . . وفوقها مال كثير. ولكن أرني أولا تدابيرك.

جابر: (ينحني مقترباً من الوزير.. لهجة بطيئة مع تشديد على الكلمات) إني أهبك رأسي يا مولاي. (...) لو لم يكن رأسي نافعاً ما قدمته لمولاي..

الوزير: وما نفعه لي ؟

---

[1]. بدوي ، محمد ، (1982م)، **تجليات التغريب في المسرح العربي**، مجلة فصول، م2 ، العدد 3 ، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص97.

[2]. المصدر نفسه، ص94.

[3]. البوجديدي، علي، (2011م)، **تجليات السخرية في مسرحية رأس المملوك جابر لسعد الله ونوس**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 13، تونس، ص27.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

جابر : راقبت الحراس ساعات طويلة يا مولاي.. رأيتهم كيف يفتشون ، وكيف تتغلغل أصابعهم كالثعابين في كل شيء. يمزقون الثياب.. يقطعون الأحذية. . يؤلمون الناس وهم يغرسون أظافرهم في كل بقعة من أجسادهم . البطون ، الظهور... وأحياناً ما بين الأفخاذ . . ولكن أحد منهم لم يخطر بباله أن يفتش تحت شعر الرأس .

الوزير : (ببلاهة) وماذا سيجدون تحت شعر الرأس سوى القمل والبراغيث ؟ .

جابر : قد يجدون الرسالة التي يفتشون عنها يا مولاي.. (...) إذن إليكم التدبير.. ننادي الحلاق ، فيحلق شعري ! . وعندما يصبح جلد الرأس ناعماً كخد جارية جميلة . يكتب سيدنا الوزير رسالته عليه ثم ننتظر حتى ينمو الشعر ويطول ، فأخرج من بغداد بسلام"([1]).

إن (جابر) شاب ذكي وقوي , وهو لم يقف هذا الموقف مع الوزير إلا لأنه شخصا وصوليا لا يبحث إلا عن مصالحه , لذلك فهو يقف مع الجانب القوي والمنتصر أيا كان, منتهزا كل فرصة من شأنها أن تحقق له شيئا من مصالحه الذاتية، وهو في الوقت نفسه لا يتهم بالصراع القائم بين الخليفة والوزير, وإذا اشتد فإنه سينزوي من اجل الفرجة والتسلية .

ولم تكن نوايا الوزير لتعجب أعوانه الذين ارتابوا من تآمره على بلاده نتيجة لصراعه مع الخليفة ولوجود مطامع شخصية لديه، فالوزير يعي تماما الويلات التي سيجلبها الغزاة للبلاد ولكنه لا يهتم سوى بإسقاط الخليفة، يقول الوزير: " الوزير: ولكن الجيش الغازي يأتي ليحمي مصالحنا, ويجهز لنا كرسي السلطة .فماذا يهمنا بعد ذلك ! بالتأكيد سيكون هناك خراب... لن يدخل الجيش بالدفوف والغناء, ولن يوزع الورد والعطور, هذه حرب.. سيقتلون ويخربون.. طبعا لن يبقى من ذرية الخليفة حي , وستصبح قصوره خرائب... كما لن يوفروا المدينة. هي الأخرى سينهبونها . على أية حال هذه ضريبة الانتصار , أما نحن فماذا يخيفنا ؟ يأتون ليدعموا لنا السلطة... فهل نطلب أفضل من ذلك !"([2])، وكلما اشتد الصراع بين الوزير والخليفة ازدادت أحوال الناس سوءا، نتيجة للكساد وغلاء الأسعار والضرائب التي فرضها الخليفة على الرعية كالضريبة المقدسة التي يقدمها الناس دفاعا عن خليفتهم .

أما جابر الذي قد انطلق بالرسالة لاهثا خلف أحلامه ومآربه الشخصية , فلم يكن يتوقع بأن الرسالة التي يحملها فيها مقتله, وبقيت أحلامه في العودة السريعة للحصول على الجارية (زمرد) مسيطرة عليه، فحينما يصل جابر إلى ملك الفرس الذي يتحرق شوقا إلى أن يطأ بغداد الفاتنة المهيبة, يبلغه بأنه يحمل إليه رسالة من الوزير (محمد العلقمي) وهي مكتوبة على فروة رأسه, ويمكن قرائتها بعد حلق شعره، فيخرج ابن الملك (هلاوون) ويعود وهو يحمل موسا , حيث يحلق شعر جابر حتى تظهر الرسالة, فيقوم الملك (منكتم) بقرائتها بينما جابر مطرق في الأرض حابسا أنفاسه , وبعد الانتهاء من قراءة الرسالة يأتي سياف الملك (لهب) وهو رجل ضخم الجثة , أقرع الرأس , له شاربان كثان , ووجه جامد الملامح مخيف, حيث يقتاد جابر لإعدامه تنفيذا لأمر الملك الذي رأى في إعدامه ضرورة نجاح حملته على بغداد , وبعد أن يتدحرج رأس المملوك جابر بضربة من بلطة (لهب) الحادة يقرأ الحكواتي ما هو مخطوط عليه , يقول وزير بغداد في رسالته: " من الوزير محمد العلقمي إلى بين أيادي الملك منكتم... نعلمكم أن الوقت حان.. وفتح بغداد صار بالإمكان.. فجهزوا جيوشكم حال وصول الرسالة إليكم... وليكن هجومكم سرا، وتحت ستر من الكتمان حتى تتم المفاجأة بفتح بغداد .. وان وجدتم في الطريق عساكر تمشي إلينا , فاقضوا عليها لأنها إمدادات للخليفة .. ونحن هنا نتكفل بالعون وفتح الأبواب, (...) وكي يظل الأمر سرا بيننا أقتل حامل الرسالة من غير إطالة"([3]).

---

[1] ونّوس، سعد الله، (1977م)، **الفيل يا ملك الزمان ومغامرة رأس المملوك جابر** ، ط 2، بيروت، دار الآداب، ص (105-106).

[2] . المصدر نفسه، ص(96 . 97)

[3] . المصدر نفسه، ص (163. 164).

وتزحف جيوش العجم إلى بغداد حيث تخرب في طريقها كل ما هو قائم , بينما يستمر الوزير بالاتصال بقواده ليرتب معهم خططه , وما أن يتم الجيش الغازي مهمته حتى ينتشر الموت في المدينة , ويعم الحزن في كل مكان بينما الجميع يندب حظه العاثر ويعلن حسرته وألمه لما آلت إليه الأمور . ومن الملاحظ على هذه المسرحية أن الأحداث قد قدمت على مستويين :

" الأول : مستوى المقهى الشعبي , حيث يقرأ العم (مؤنس) من كتاب قديم بين يديه ,وهو ما يمكن تسميته بالمستوى الروائي , وعبر هذا المستوى يمهد العم مؤنس لأحداث حكاية المملوك , ويربط أجزاءها بعضها بالبعض الآخر, إضافة إلى تعليقه وإبداء رأيه بالحدث, وخلق عنصر التشويق لدى المتفرج .

الثاني : ويتجسد في تمثيل أحداث حكاية المملوك جابر على خشبة المسرح تماشيا مع سرد العم مؤنس لها، ويؤديه ممثلون آخرون غير الممثلين الذين يقومون بأدوار رواد المقهى"([1]).

إن ونوس هنا يقدم قراءة واعية للواقع المعاصر من خلال اختياره القصدي لحكاية تاريخية تعبر عن مرحلة من مراحل الانحطاط في التاريخ العربي، وهو عبر مقاربته بين القديم والواقع المعاصر إنما يريد أن يقدم للمتلقي قراءة موضوعية للواقع العربي المأزوم لاسيما بعد نكسة حزيران عام 1967م، فالمسرحية " تجسد واقع الهزيمة العربي، مرموزا إليه بجو المقهى السكوني الرتيب، وبزبائنه الكسالى والمتخلفين والمستسلمين لمصائرهم وأقدارهم، والعاجزين عن تغيير ظروفهم المتدهورة، ولكي يتجنب ونوس الطرح الآلي المباشر، ويتمكن من تجسيد التاريخ تجسيدا فنيا تغريبيا، يبعد عمله عن جو الإيهام المسرحي وأسلوب تخدير المتلقي، ويلجأ إلى التاريخ معتمدا على طريقة (المسرح داخل مسرح)، ليحقق قراءة واعية للتاريخ وقوانينه، في سيرورته وتبدلاته المستمرة"([2])، وهكذا جاءت هذه المسرحية لتشكل إدانة للحاكم على خيانته، وللمحكوم على مواقفه السلبية وعدم المبالاة بالمصلحة العامة لأبناء الوطن، والاهتمام فقط بالمصالح الشخصية الضيقة، لذلك فقد جعل المؤلف لهؤلاء من يناقضهم في الأفكار والتوجهات, وكانت شخصية المملوك (منصور) إحدى هذه الشخصيات, حيث ظهر وهو يوجه اهتمامه للمجتمع , رافضا صراع الوزير مع الخليفة وموجها في الوقت نفسه النقد لنمط المملوك النفعي المتمثل بجابر.

2. استلهام حملة هولاكو على بغداد في مسرحية (عودة هولاكو) للشيخ سلطان القاسمي عام 1998م:

استند الشيخ سلطان بن محمد القاسمي . حاكم الشارقة في كتاباته المسرحية على عدد من المرجعيات التاريخية، حيث وظفها توظيفاً دلالياً عبّر عن الواقع العربي الراهن بكل مأساويته، محاولاً إعادة قراءة التاريخ الإسلامي في سبيل قراءة الذات العربية التي تحفل بالمعاناة والألم. " لقد أحكم القاسمي بنيان نصوصه المسرحية، ورصفها بثقافته العربية الأصيلة وبمعرفته بالتاريخ العربي، فوثق العناصر التي انتقى منها مواضيعه لمسرحة التاريخ، فاختار التاريخ من المعطى الموجود، وإحضار الواقع المنسي بعوالمه المسدودة وإدراجه في الكتابة الدرامية لفهم دروسه وعبره وأحداثه، معناه فهم التاريخ وفهم الوجود العربي في هذا التاريخ، والقاسمي يجعل من التاريخ في مسرحه عاملاً مساعداً يعين على كشف الواقع التراجيدي العربي، وما العودة إلى التاريخ العربي الإسلامي إلا لتقديم رؤية واحدة موحدة ترصد تراجيديا التاريخ العربي في الكتابة المسرحية"([3]).

وقد حققت دراسته الأكاديمية للتاريخ خزينا فكريا ومعرفيا بالنسبة له، مما ساعده على توظيف معطيات التاريخ في مسرحه، فوظف قصصاً من التاريخ العربي اشتملت على أحداث وشخصيات أثرت في حركة التاريخ، وأصبحت أعماله المسرحية تندرج تحت ما يسمى بمسرح الوثيقة السياسية، وتأخذ "توصيف (التراجيدي – ملحمي) لأنها تخوض غمار البحث في مواضيع تاريخية واسعة أفقياً، وعميقة عمودياً – من أحداث رئيسة مرت في حياة الأمة الإسلامية – العربية، ثم

---

[1] . ا إسماعيل، إسماعيل فهد، (1981م)، **الكلمة – الفعل في مسرح سعد الله ونّوس**، ط1 ، بيروت، دار الآداب، ص (150 . 151).

[2] . ونّوس، سعد الله، **الفيل يا ملك الزمان...** ص (5 . 7).

[3] . مجموعة من الكتاب، (2005م)، **شاهد على التاريخ**، ط1، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ص69.

تتوغل هذه التآليف في كشف هذه الأحداث، عبر مراحلها المختلفة، عارضة ومحللة محنها المصيرية وكاشفة بقوة لحظة الانهيار الهائل لمراكز الحضارة العربية الإسلامية، سواء ما كان منها دنيوياً مادياً، وما كان من بنائها الروحي، أو ما كان قد تراكم من منجزها الفكري والفني والثقافي، وبناء حضاري كلي مرموق في حواضرها الشهير على امتداد تاريخها الإنساني"([1]).

إن عملية استلهام التاريخ عند القاسمي تقوم على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهو ينتقي من التراث أفكاراً أو مواقفاً أو قيماً فكرية يمكن لها التفاعل مع القضايا المعاصرة، ويدمجها في أحوال العرب الراهنة التي تشكلت بفعل الوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية التي أثرت في مسيرة المجتمع، لذلك فإن "عملية الرجوع إلى الأصول وإحياء التراث، يجب أن تتم في إطار نقدي للاحتماء بها أمام التحديات الخارجية، فالماضي هنا مطوياً ليس فقط من أجل الارتكاز عليه والقفز إلى المستقبل بل من أجل تدعيم الحاضر، ومن أجل تأكيد الوجود وإثبات الذات"([2])، وهكذا جاءت نصوصه المسرحية ضمن سياق تاريخي معبّر عن تصورات أملتها الحالة السياسية الراهنة للأمة عربي، والتي فرضتها المشكلات والأزمات المتعاقبة عبر مسيرة التاريخ.

فاستلهمت النصوص تلك اللحظات واقتنصتها للتعريف بالنتائج والممكنات التي قد تستنبط من درس التاريخ لإعادة إنتاجها بزمن جديد وبرؤية مفيدة، واستدعاء الشخصيات بعظمتها التاريخية والمتوجة بهالات التقديس أو الإيجابية ضرورة فنية لمعانقة إشكاليات الراهن، فإكساب تلك الشخصيات لحماً ودماً من جديد وتحريكها أمام المتلقي ستعيد لديه حراك الفكر وتنتشله من ركوده، ومسرح القاسمي ينفخ في التاريخ ويوقظه من أجل إيقاظنا وتنبيهنا للخطر المحدق لأننا غارقون في حالة اللامبالاة([3]).

وتتشابه نصوص القاسمي المسرحية من حيث مغزاها الفكري، فهي تعرض من ناحية، وضمن إسقاط للحقائق التاريخية على الواقع العربي، للتردي الراهن في واقع الأمة، وتستنهض من ناحية أخرى الإنسان العربي مطالبة إياه بعدم اليأس من الواقع، إذ أن الأمة قد مرت بمراحل أشد قسوة مما هي فيه اليوم، لكن تلك الأحداث كانت دافعاً نحو المجابهة وعدم الانحناء أمام العواصف، أما شخصياته المسرحية فهو يستلهمها من الواقع التاريخي. ويعود الاتكاء على المصدر التاريخي من بين المصادر التراثية عند القاسمي إلى سببين:

" الأول: فني يتصل بتقنيات العمل الإبداعي ومضمونه، وما يكمن في التاريخ من معطيات تعين على تخيّر الموضوع، ورسم الشخصيات وإذكاء الصراع، مما يسهم في بناء إطار فني متماسك للعمل الإبداعي الأدبي.

والثاني: أسباب موضوعية عامة ترجع إلى رغبة الكاتب في التغني بأمجاد الآباء والأجداد، أو زيادة الوعي الوطني والقومي من خلال تقديم وقائع وأحداث من الماضي وربطها بالحاضر، محدثة من خلال ذلك حالة من الإسقاط على الواقع " ([4]).

ولم يكن استلهام التاريخ عند القاسمي غاية في حد ذاته, بقدر ما تعامل معه بوصفه وسيلة طيعة من شأنها أن تحقق له القدرة على الخلق الدرامي الكاشف عن معاني الأحداث التي يريد أن يتمثلها, ضمن رؤية ملتزمة تنبثق من رؤيته للواقع, ليقدم لنا بذلك نتاجا مسرحيا لا يختلف احيانا عن ذلك الإطار الزمني الذي ينتظم الوقائع التاريخية، وهو من خلال نصوصه التاريخية يقدم قراءة للواقع الراهن من خلال الماضي محاولا أن يضع رؤيته للمستقبل وفق ما أملته الحالة السياسية المتأزمة, معطيا الأهمية للدلالة على حساب الواقعة التاريخية، وهذا الأسلوب الفني الذي ينهجه (القاسمي) هو تكنيك يهدف إلى استكشاف سيكولوجيا الانسان المسلم والعربي المهزوم ,وتهيئة كل الظروف التي من شأنها أن تمكنه من تجاوز ضبابية الواقع والبحث عن أفق أفضل.

---

[1]. المصدر نفسه، ص88.

[2]. الجابري، محمد عابد، (2000م)، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص26.

[3]. مجموعة من الكتاب، **شاهد على التاريخ**، ص (32. 33).

[4]. المصدر نفسه، ص44.

وفي هذه الثيمات يتبنى (القاسمي) في مسرحياته التاريخية مسرح الأطروحة, ويجعل من الموقف السياسي رهان بناء سرديات موازية قدم بها أهمية الموقف المعرفي لديه, لتقديم صورة الزمن العربي كماهية تعيد الأبطال التاريخيين إلى حتفهم لبناء تراجيديا الكتابة في هذه النصوص بمضمون عربي اسلامي صب فيه قيم الإنسان والتسامح وحالاته الانفعالية في ماهية هذا الزمن العربي ماضيا وحاضرا في كل صيغ وتراكيب حوارات النصوص, حتى يصير المضمون الزمني للسقوط العربي رؤية تراجيدية تغذي الفعل الدرامي لتجعل منه كيانا واحدا يتكون من الماضي والحاضر مع فارق التشبيه والتماثل في الخصوصيات, وحتى إذا وجد تشابه فذلك لأن السياسيين يتحملون مسؤولية أخطائهم في التاريخ وفي هذه المسرحيات([1]).

وفي مسرحية (عودة هولاكو) عام 1998م، استلهم القاسمي حادثة من الحوادث الكبرى في التاريخ العربي ارتبطت بالدولة العباسية قبل سقوطها، محاولا اسقاط ذلك الواقع المؤلم على الواقع العربي الحالي في سبيل بث روح التنوير لتحقيق النهوض في مسيرة أبناء الأمة العربية، وقد جعل المؤلف أسماء الشخصيات والأحداث والأماكن في المسرحية حقيقية, فالشخصيات تتألف من مجموعة مجلس الخليفة المستعصم وهم: المستعصم، الوزير ابن العلقمي, الشرابي، مجموعة من الجنود، وغيرهم. وهناك أيضا مجموعة رجال هولاكو, مجموعة السفراء, مجموعة القاده, مجموعة حراس هولاكو, مجموعات الجنود المغول, الوجهاء, جنود الأمير المغولي, وغيرهم.

أما الزمان فهو سنة 635هـ الموافق لسنة 1255م, أما المكان فهو يتوزع بين مجلس الخليفه المستعصم في بغداد, وقلعة ميمون في بستام شمال ايران. ومن هذه المعطيات السابقة يبدأ المؤلف في تشكيل أحداثه المسرحية من خلال اختياره لشخصيات لها مرجعياتها الراسخة في الوعي الجمعي العربي, ومنذ البداية يظهر لنا المؤلف حالة من حالات التخاذل العربي الإسلامي حينما يبلغ الدويدار الصغير (قائد الجيش) الخليفة المستعصم بأن القائد المغولي (هولاكو) يحاصر وجنده ثلاث قلاع للمسلمين في مناطق (تون, تركشيز, وكاملي), ولا أحد من المسلمين يقوم بنجدتهم.

وتتعمق حالة التخاذل بل والتواطؤ مع (هولاكو) في عدوانه حينما يدخل الحاجب على الخليفة (المستعصم) ويسلمه رسالة من (هولاكو) كان قد أحضرها رسول من قبله, حيث يطلب فيها أن يرسل (المستعصم) كتيبة من قبله مساهمة منه للقضاء على تلك القلاع المسلمة المحاصرة, لتتضح بعد ذلك حالة السقوط التي وصل إليها (ابن العلقمي):

" المستعصم: وانت ما رايك يا ابن العلقمي؟

ابن العلقمي: مولاي رأيي أن ترسل كتيبة تساهم في القضاء على تلك القلاع .

المستعصم: وأنا رأيي من رأيك.

الدويدار: أنا أعترض على ارسال قوة للمشاركة في تلك الحرب.

ابن العلقمي: (موجها كلامه للدويدار), أولا:هؤلاء الناس يخالفوننا في الرأي والتوجه.

ثانيا: إنهم خطر على المنطقة.. ألم تسمع بقائمة الضحايا على أيدي أولئك الناس..؟!

ونحن.. لماذا نلوم المغول في حصارهم لتلك القلاع ..؟! ألم يكونوا جيوبا للإرهاب في بلاد المغول، وتهديد أمن بلاد المغول والرؤساء المغوليين أنفسهم دون استثناء ..؟!

الدويدار: أنا معك يا ابن العلقمي, ولكن هولاكو ليس في حاجة لتلك المساعدة, إنه ماكر يريد خروج هذه القوات من بغداد وبذلك يسهل عليه احتلال بغداد. (...) أرسلوا له بعض الهدايا بدلا من الجنود"([2]).

---

[1] . أنظر. المصدر نفسه، ص 74 .

[2] . القاسمي، سلطان بن محمد، (2008م)، **الأعمال المسرحية – عودة هولاكو**، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص (17. 18).

إن الخليفة هنا يظهر بوصفه واحدا من أهل الدنيا, فهو يختار أن يضحي بكل شيء في سبيل المحافظة على كرسي الخلافة, وهو أمام حاشيته لا يتوانى عن محاولة حفظ ماء وجهه ببعض الخطابات الهزيلة, وفي النهاية فإن كل الهدايا والإغراءات لا تثني (هولاكو) عن أطماعه في احتلال بغداد, وبسقوط إحدى القلاع يأتي شيخ الطائفة (ركن الدين خورشاه) وأتباعه وعدد من السفراء إلى (هولاكو) الذي يرحب بهم ويجلس شيخ الطائفة بالقرب منه ويقول:

" هولاكو: أحضرو فتاة مغولية لركن الدين خورشاه.. والآن.. نريدك أن تتعاون معنا.. ونوقف سفك الدماء..(...). أريدك أن تبعث برسل إلى القلاع المنيعة تطلب من قواتك هناك الاستسلام.

ركن الدين خورشاه: (لوزرائه) ليذهب كل واحد منكم مع فرقة من فرق هولاكو.. ليطلب باسمي الاستسلام .."([1]).

وأمام هذه الحالة من الانهيار والضعف التي يبدو عليها المسلمون نجد أن (هولاكو) يتمسك بالقوة كشعار دائم في حياته, فبعد أن يحقق له (ركن الدين خورشاه) هدفا من أهدافه يأمر بقتله، ثم يعلن أنه قد حان وقت الذهاب لاحتلال بغداد، ويبقى نهج (هولاكو) قائما على الترغيب والترهيب في النيل من خصومه, وهو يستخدم الوسائل كافة للوصول إلى أهدافه، وبينما (هولاكو) يحقق تقدما في مشاريعه التوسعية، ينشغل (الدويدار) بتوجيه اللوم للمستعصم الذي رهن نفسه لآراء (ابن العلقمي), يقول (الدويدار): " مولاي.. منذ سنتين وأنا أطالب بأن تمدنا بالأموال لتكوين جيش قوي يدافع عنك وعن الاسلام .. ما فائدة هذه المجوهرات التي ملأت بها خزائنك.. كما طالبتك بأن تعرض القضية على جميع القادة المسلمين ليتحمل كل واحد منهم هذه المسؤولية.. ولكنك لم تستمع لكلامي واقتنعت بكلام ابن العلقمي.."([2]).

وتسقط بغداد تحت سيطرة (هولاكو) وتتم تصفية الخليفة (المستعصم) وإنهاء الخلافة العباسية في بغداد, ويصبح (ابن العلقمي) وزيرا على بغداد مكافأة له من قبل (هولاكو) على دوره في اسقاط الخلافة, لكن (ابن العلقمي) ينتهي نهاية مأساوية حينما يرفسه أمير مغولي برجله فيقع على الأرض ميتا, ثم يعين وزيرا آخر ليتضح في المشهد الأخير من المسرحية أنه (ابن ابن العلقمي) وذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين رجل من أهالي بغداد, في دلالة على توريث الخيانة لعناصر جديدة في البلاد الإسلامية:

" الرجل: أنا من أهالي بغداد.. لقد ظلمني الوزير السابق.. لقد انتقم لي ربي منه.. حسبي الله ونعم الوكيل.. (يدنو من الوزير وهو يسأله) ما اسم الوزير الجديد ؟

الوزير : ابن العلقمي..

الرجل : ابن العلقمي مات..

الوزير: أنا ابنه.. أنا ابن ابن العلقمي..

(يصرخ الرجل البغدادي في وجه ابن ابن العلقمي وهو يقول):

الرجل : ابن ابن العلقمي رمز الخيانة مرة ثانية ؟! (يلتفت إلى الجمهور قائلا): ومن يدري لربما هو موجود بينكم الآن..

(ثم ينتقل إلى وسط القاعة ويقول): يا عرب! يا مسلمون! أخرجو ابن العلقمي من دياركم فهولاكو راجع"([3]).

ويظل الرجل يردد العبارة السابقة, حيث ينزل إلى القاعة ويكلم الناس, ويمر بين الصفوف وهو يفتش عن (ابن العلقمي) دلالة على أن (ابن العلقمي) لم يزل موجودا بيننا، ومن الملاحظ أن (القاسمي) قد أراد أن يشرك المتلقي معه بهذا الوعي محاولا إبراز نماذج لأفراد تآمروا على أمتهم في وقت لم يجدوا فيه رادعا لهم في ظل وجود حكام ضعاف ومتخاذلين انصرفوا عن هموم الأمة وقضاياها، وبذلك فقد جاءت مسرحية (عودة هولاكو) لتقدم لنا خطة درامية متعددة القراءات ، تتفاعل عناصرها من أحداث وشخوص وأمكنة وأزمنة لتحقيق إنجاز درامي يمكن أن يؤدي دوراً فكرياً وجمالياً، " فالمؤلف تعامل

---

[1]. المصدر نفسه، ص 26.

[2]. المصدر نفسه، ص36.

[3]. المصدر نفسه، ص (59 . 60).

مع تلك الاشتراطات التاريخية وأطرها وهو يتحسس ذلك الفضاء الفني المشحون بالحس الجمالي ويبتدع تلك الصور المسرحية بفعل الذهنية الفنية الشخصية للمؤلف والمنتمية إلى عمق التاريخ والحضارة العربية الإسلامية من جهة، والمنفتحة على حتمية الواقع ومهيمناته من جهة أخرى"([1])، وهو بذلك أراد أن يتعرض لكل ما هو جوهري في الواقع الراهن من خلال إدراك إشكالات العصر الكبرى وتناقضاته إدراكاً عميقاً، متجاوزاً في ذلك المستوى العادي والمكرر إلى المستوى الإبداعي والجمالي الذي يمكن من خلاله مجابهة الواقع والتغلب عليه.

الخاتمة:

ركزت المسرحية التاريخية العربية في استلهامها لحملة هولاكو على بغداد سنة (656هـ/ 1258م) على عدد من المقاربات التاريخية التي أكدت مسؤولية ابن العلقمي فيما آلت إليه الأمور، وتم من خلال تلك المقاربات رصد ثنائية الأصالة والمعاصرة في المسرحيات التي استلهمت الحملة، حيث وظف المبدع المسرحي التاريخ بطريقة فنية هدفها خدمة الحاضر واستشراف المستقبل، وذلك لدعوة أبناء الأمة إلى الحفاظ على مقدراتهم وهويتهم وملامحهم الخاصة المستقلة.

واقتضت معالجة الأديب المسرحي العربي للحملة أن يختار من الأحداث ما يلائم هدفه، ويترك ما لا يفيده من تلك الأحداث، فجاء توظيفه لهذه الأحداث التاريخية نابعا من ضرورات فنية وليس من قبيل الترف العقلي، وهو بذلك ينطلق من أن العلاقة بين التجربة الواقعية والتجربة التاريخية هي علاقة اتصال وانفصال ، فهو قد يتعامل مع التاريخ بأنه مجرد شواهد وأسانيد يمكن أن تعبر عن الواقع عبر اختياره لأحداث وشخصيات لها مرجعياتها في العقل الجمعي العربي كما عند (سعد الله ونوس)، أو يمزج مزجا واضحا ومتعمدا بين التاريخ والواقع فيتداخلان على نحو يصنع منهما بنية موحدة كما عند (سلطان القاسمي).

والمسرحية التاريخية في تناولها لحملة هولاكو على بغداد إنما تقدم منظومة من القيم الأخلاقية والحضارية والاجتماعية في مرحلة زمنية معينة، وهي تلتقي مع التاريخ من ناحية تعاملها مع الزمن بأسلوب خاص، ومحاولة تغطية امتداداته الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل، عبر حشد من الأحداث الحقيقية والمتخيلة التي تتحرك بقوة ونشاط، والتي تعبر عن قدرة فنية عالية في التوفيق بين الأحداث المسرحية رغم تنوعها، لذلك نجد أن سعد الله ونوس يختار المادة التاريخية ويضيف إليها من إلهامه ما يساعد على رسم صورة حية لتلك الفترة الحرجة التي لابد وأن تتوازى أحداثها مع أحداث معاصرة، دون أن يتجاوز منطق التاريخ، ومنطق الحوادث والشخصيات، أما القاسمي فهو ينتقي من التراث أفكاراً ومواقفاً يمكن لها التفاعل مع أحوال العرب الراهنة التي تشكلت بفعل الوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية التي أثرت في مسيرة المجتمع، ويمكن القول أن تقديم الواقعة التاريخية المرتبطة بالحملة هنا قد جاء بعد الإلمام بتفاصيلها وطبيعة عصرها ومعطياتها، مما مكن الكاتب المسرحي من الموازنة بين حقائق تلك الواقعة وشخوصها وبين تفسيراته وتأويلاته الفكرية والإنسانية والفنية.

المصادر والمراجع:

. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (2000م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج3، تحقيق. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر.

. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (1984م)، **مقدمة ابن خلدون**، ج 3، ط5، بيروت، دار القلم.

. ابن طباطبا، محمد بن علي،(د ت)، **الفخري في الآداب السلطانية**، بيروت، دار صادر.

. ابن العبري، أبي الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي،(1997م)، **تاريخ مختصر الدول**، ط1، وضع حواشيه خليل المنصور، ومحمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية.

[1] . مجموعة من الكتاب، **شاهد على التاريخ**، ص196.

. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن علي،(د ت)، **تاريخ أبو الفداء المختصر في أخيار البشر**، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية.

. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، (1939م)، **البداية والنهاية في التاريخ**، ج13، د ط ، القاهرة.

. ابن منظور، (1993م)، **لسان العرب**، إشراف عبد أحمد علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية.

. أبو هيف، عبد الله، (2001م)، **التنمية الثقافية للطفل العربي**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

. إسماعيل، إسماعيل فهد،(1981م)، **الكلمة – الفعل في مسرح سعد الله ونّوس**، ط1 ، بيروت، دار الآداب.

. أصلان، أوديت،(د ت)، **فن المسرح**، ج1، ترجمة. سامية أحمد أسعد، ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

. بدوي ، محمد ،(1982م)، **تجليات التغريب في المسرح العربي**، مجلة فصول، المجلد2، العدد3، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

. البوجديدي، علي ،(2011م)، **تجليات السخرية في مسرحية رأس المملوك جابر لسعد الله ونوس**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 13، تونس.

. الجابري، محمد عابد ،(2000م)، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

. الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد ،(1937م)، **تاريخ جهانكشاي**، ج2، نشر وتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني، يربل، مطبعة ليدن.

. الجوزجاني، أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين ، (1964م)، **طبقات ناصري**، كلتة، نشره. وليم ناسوليس ومولوي خادم حسين ومولوي عبد الحي.

. حمادة، ابراهيم، (د ت)، **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، القاهرة، دار الشعب.

. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز، (1413هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ط9، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة.

. الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، (1999م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط1، عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي.

. رمضاني، مصطفى، (1987م)، **توظيف التراث وإشكالية التأصيل في المسرح العربي**، مجلة عالم الفكر، المجلد17، العدد4، الكويت، وزارة الاعلام.

. السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، (1413هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج8 ، ط2، تحقيق. محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر.

. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (1999م)، **تاريخ الخلفاء**، ط1، مراجعة وتعليق . جمال محمود مصطفى، القاهرة، دار الفجر للتراث.

. شانصوريل، ليون، (1961م)، **تاريخ المسرح**، ترجمة. خليل شرف الدين ونعمان أباظة، بيروت، مطبعة كرم.

. شبولر، برتولد، (1982م)، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، ط1، ترجمة. خالد أسعد عيسى، دمشق، دار الاحسان للطباعة والنشر.

. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (2000م)، **الوافي بالوفيات**،ج1، تحقيق. أحمد الأرناؤوط وزميله، بيروت، دار احياء التراث.

. الطالب، عمر، (1987م)، **نحو مسرح عربي جديد**، مجلة الأقلام، العددان 3،4، بغداد، وزارة الثقافة.

. العشري، أحمد، (1985م)، **المسرحية السياسية في الوطن العربي**، القاهرة، دار المعارف.

. العيني، بدر الدين محمود العيني، (1987م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق. محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

. الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي، (2003م)، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، ط1، تحقيق. مهدي النجم، بيروت، دار الكتب العلمية.

- القاسمي، سلطان بن محمد، (2008م)، **الأعمال المسرحية . عودة هولاكو**، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

. لوكاش، جورج، (1978م)، **الرواية التاريخية**، ترجمة. صالح جواد الكاظم، بغداد، وزارة الثقافة والفنون.

. ماركس، ملتون، (1965م)، **المسرحية كيف ندرسها ونتذوقها**، ط1، ترجمة. فريد مدور، بيروت، دار الآداب.

. مجموعة من الكتاب، (2005م)، **شاهد على التاريخ**، ط1، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام.

. المرزوقي، أبو يعرب، (2007م)، **استلهام ابن خلدون والفكر الاجتهادي**، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع.

. هارف، حسين علي، (2001م)، **فلسفة التاريخ في الدراما التاريخية**، ط1، اربد، دار الكندي للنشر والتوزيع.

. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة، (1960)، **جامع التواريخ . تاريخ المغول تاريخ هولاكو**، ج1، د ط، ترجمه محمد صادق نشأت وآخرون، ، مج 2، القاهرة.

. هلال، محمد غنيمي، (1975م)، **في النقد المسرحي**، بيروت، دار العودة.

. ونوس، سعد الله، (1996م)، **الأعمال الكاملة**، المجلد الثالث، دمشق، دار الأهالي.

. ونّوس، سعد الله، (1977م)، **الفيل يا ملك الزمان ومغامرة رأس المملوك جابر** ، ط2 ، بيروت، دار الآداب.

. يقطين، سعيد، (2001م)، **انفتاح النص الروائي**، ط2، الدار البيضاء . بيروت، المركز الثقافي العربي.

. اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (1960م)، **ذيل مرآة الزمان**، ج1، ط1، تصحيح. وزارة التحقيقات الحكومية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، القاهرة، دار الكتاب الاسلامي.

مظاهر العنف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي

–دراسة استكشافية بمدينة الأغواط–

أ.كزواي عطاء الله -د.قاسم بوسعدة
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة –

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة مظاهر العنف المدرسي لدى عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية، من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط، من خلال معرفة مستوى درجة العنف، وكذا المجال (نوع العنف) الأكثر درجة في ذلك، ولهذا الغرض طبق استبيان، موجه لعينة من أساتذة التعليم الثانوي، أعده الباحثان، يشمل أنواع ومظاهر العنف المدرسي، على عينة مكونة من40 أستاذا ببعض ثانويات مدينة الأغواط، وقد أشارت نتائج هذه الدراسة، إلى أن مستوى درجة العنف المدرسي، مرتفعة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، أما المجال (نوع العنف) الأكثر درجة ، هو عنف التلميذ ضد زميليه وضد الذات.

الكلمات المفتاحية: العنف المدرسي، تلاميذ المرحلة الثانوية. أساتذة التعليم الثانوي

ABSTRACT

The current research work on aspectes of school violence was conducted on a sample of high school students , anddata gathered from the perspective of secondary education teachers in laghouat municipality.

This reseach study aimed at shedding light on the degree level of school violence and the field (kind of violence) with the highest impact degree. for this end , and whith included kinds and aspects of school violence were applied on a sample composed of 40 (forty) teachers in some secondary schools in laghouat municipatity.

Research findings pointed out that the degree level of school violence was high among students in secondary education. As for the field (kind of violenc) with the highest degree , it is student violence against their class mates, and against them selves.

مقدمة:

يعتبر العنف مشكلة خطيرة، وهي نتيجة طبيعية لما وصلت إليه المجتمعات الإنسانية من مستوى اجتماعي وأخلاقي وثقافي، لا يعبر عن إنسانية الإنسان ورقيه المعرفي، فساءت بذلك العلاقات في جميع المؤسسات الاجتماعية، انطلاقا من الأسرة إلى المدرسة ثم إلى المجتمع، وأصبح العنف من أهم الموضوعات التي تشغل بال الأولياء، والمربين والمسؤولين باختلاف مراتبهم بما في ذلك الهيئات الدولية والحكومات لما تخلفه هذه الظاهرة من نتائج سيئة على استمرار المجتمعات وتقدمها. (قريشي وأبي ميلود،2003 ، 09).

ومن أهم أنواع العنف الذي أصاب مجتمعنا، هو العنف في الوسط المدرسي، والذي يعتبر من الاضطرابات السلوكية، لأنها تحدث آثارا اجتماعية، تؤثر في البيئة المدرسية، كما أنه يتداخل مع الخبرات التي يتعرض لها الطالب، أثناء اتصاله بالآخرين، هذا بالإضافة إلى احتمالية التعرض للأذى الجسدي والنفسي.(المصري وطارق، 2013،06).

كما أنها تؤثر في البيئة المدرسية وتسيئ إلى عملية التعليم والتعلم، مما يؤثر على الأطراف البيداغوجية في المدرسة من أساتذة و مشرفين و حتى العمال في حد ذاتهم.

01/ إشكالية الدراسة:

يعد العنف ظاهرة عالمية أو مرضا انتشر في كيان المجتمع، وهو الأمر الذي يدعونا إلى النظر والتأمل في هذه الظاهرة لمعرفة أسبابها ودوافعها والتعرف على المستجدات التي حدثت على الصعيد المحلي والدولي.(المصري وطارق، 2014، 05)

كما تضاعفت حوادث العنف، بأشكالها المختلفة، في الآونة الأخيرة، في كافة المجتمعات العربية والعالمية، وينظر علماء النفس إلى ظاهرة العنف، باعتبارها شكلا من أشكال الاضطرابات السلوكية، حيث يظهر بطرق وأشكالا مختلفة للأفراد والجماعات والمجتمع، وينتج عنها آثار نفسية واجتماعية خطيرة تؤثر في البيئة التي يعيش فيها الأفراد. (رشا و زينب، 2007، 13)

وباعتبار المدرسة المؤسسة التي أنشأها المجتمع، لنقل تراثه وإعطاء أبنائه التربية اللائقة التي تمكنه من مسايرة المجتمعات المتطورة والمتقدمة، فهي التي تستقبل التلاميذ، من جميع طبقات المجتمعات وفئاته، فقد يقف هذا الاختلاف، أو التباين الطبقي، وراء الكثير من حالات سوء التوافق داخل الفصل الدراسي وخارجه وتحاول المدرسة بنمطها ومناهجها وكفاءة معلميها وإدارتها، أن تجعل هذه الاختلافات تقاربا أكثر بين مستويات التلاميذ خصوصا من الناحية الاجتماعية، لما لهذه الأخيرة من تأثير على شخصياتهم وتحصيلهم العلمي و توافقهم الجيد مع متطلبات الحياة.(قريشي وأبي ميلود، 2003، 09)

والمدرسة كذلك جزء لا يتجزأ من المجتمع، ولا يمكن عزلها عنه، فقد تأثرت هي أيضا بهذه الأحداث وأصبحت تعاني من العنف بين طلابها بشكل غير مسبوق.... وإن أعمال العنف المدرسي، تصاعدت في الآونة الأخيرة وأخذت صورا وأشكالا مختلفة.

والعنف المدرسي يندرج تحت طائلة العنف ككل وهناك عوامل ومظاهر مشتركة في كل البيئات والبلدان لظاهرة العنف، أما بالنسبة لضحايا العنف المدرسي فيأتي الطلاب في المرتبة الأولى، ثم الممتلكات ثم المعلمين و العاملين في المدرسة، وقد شهدت السنوات الأخيرة، اهتماما بمشكلة العنف المدرسي، و من أهم التحديات المتعلقة بالعنف المدرسي، هو التعريف الحقيقي بمصطلح العنف المدرسي. (إيهاب وطارق، 2014، 05-06)

تبين من خلال إحصائيات المنظومة التربوية للسنوات الأخيرة، أن سلوكات العنف المدرسي، في تزايد سريع و مستمر، مما شكل عائقا أمام السير الحسن للجانب البيداغوجي للأستاذ والإدارة التربوية إضافة إلى أولياء الأمور، وقد انتهجت العديد من الدراسات، سياسة التشخيص والبحث عن أسباب التي أدت إلى ظهور وتسارع هذه السلوكات الغريبة، التي لا تتماشى مع أخلاق وثقافة المجتمع الجزائري، إضافة إلى الاضطرابات النفسية والجسمية والانفعالية، التي يتخبط فيها التلميذ في مرحلة التعليم الثانوي، والمتزامنة مع مرحلة المراهقة

ونظرا لانتشار هذه الظاهرة، التي أخلت بالنظام العام للمؤسسات التربوية، أصدرت وزارة التربية عدة مراسيم وتعليمات تقضي بضرورة التصدي لهذه الظاهرة، والمحافظة على الاستقرار الداخلي للمؤسسات التربوية من بينها القرار رقم 171 المؤرخ في 1992/6/1 المتعلق بمنع العقاب، والعنف اتجاه التلاميذ في المؤسسات التعليمية، الذي ينص في المادة الأولى عل أنه:« يهدف إلى منع استعمال العقاب البدني والعنف اتجاه التلاميذ منعا باتا في جميع المؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها"،أما المادة الثالثة منه جاءت كما يلي"يجب على التلاميذ أن يتقيدوا بقواعد الانضباط المنصوص عليها في النظام الداخلي لمؤسساتهم وأن يتحلوا بالسلوك الحسن مع جميع المعلمين والأساتذة وباقي أفراد الجماعة التربوية داخل المؤسسة وخارجها، أما القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04 08- المؤرخ في 23 جانفي 2008 في بابه الثاني الخاص بالجماعة التربوية ينقص في مادته العشرين على ما يلي":يجب على التلاميذ احترام معلميهم وجميع أعضاء الجماعة التربوية الآخرين، كما يتيقن على التلاميذ الامتثال للنظام الداخلي للمؤسسة لا سيما تنفيذ كل الأنشطة المتعلقة بدراستهم وكذا المواظبة واحترام التوقيت والسيرة الحسنة واحترام قواعد سير المؤسسات والحياة المدرسية"…. كما تنص المادة الواحد والعشرين منه على ما يلي"يمنع العقاب البدني وكل أشكال العنف المعنوي والإساءة في المؤسسات المدرسية، يتعرض المخالفون لأحكام هذه المادة لعقوبات إدارية دون الإخلال بالمتابعات القضائية.(سلطاني، 2014، 84)

وهذا ما سيتناوله الباحثان في الدراسة الحالية، والمتعلقة بمعرفة أهم مظاهر العنفk في الوسط المدرسي لدى التلاميذ بالمرحلة الثانوية، من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط، أين سنسلط الضوء على أهم هذه

المظاهر في الواقع المدرسي، وذلك في ضوء الأبعاد التالية (عنف التلميذ ضد زمليه التلميذ، عنف التلميذ ضد الأستاذ ، عنف ضد الذات ، تخريب ممتلكات المؤسسة المدرسية من طرف التلميذ.)، وهذا حسب أنواعه التي تكلم عنها أهم الباحثين والعلماء في مجال علم النفس وعلوم التربية وعلم الاجتماع.

والجدير بالذكر، انه بعد اطلاع الباحثين على الدراسات السابقة، والنزول إلى الميدان، لمعرفة أنواع العنف المدرسي ومظاهره لدى التلميذ العنيف، تبين أن هناك أهمية في دراسة هذه الظاهرة خاصة في المرحلة الثانوية.

وبالتالي نستطيع أن نطرح بعض التساؤلات والتي هي محل الدراسة الحالية كالآتي:

01- ما مستوى درجة سلوك العنف المدرسي لدى لتلاميذ المرحلة الثانوية، من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط؟

02/ ما هو المجال الأكثر درجة في العنف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، حسب مجالات التالية (عنف التلميذ ضد زملائه، عنف التلميذ ضد الأستاذ، عنف ضد الذات، تخريب ممتلكات المؤسسة) من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط؟

02/ أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

- معرفة مستوى درجة سلوك العنف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط.
- معرفة المجال الأكثر درجة في العنف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، حسب مجالات التالية (عنف التلميذ ضد زملائه، عنف التلميذ ضد الأستاذ، عنف ضد الذات، تخريب ممتلكات المؤسسة) من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط
- بناء أداة تتمتع بدلالات الصدق كأداة متخصصة في معرفة مظاهر العنف المدرسي، لدى عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية.

03/أهمية الدراسة:

أ- الأهمية النظرية:- تزويد المكتبة والباحثين والدارسين في مجال الإرشاد النفسي بهذا العمل، من اجل المساعدة، ولو بالقليل لمعرفة أنواع ومظاهر هذا السلوك الغير المرغوب، وبالتالي محاولة التخفيف منه عن طريق أساليب إرشادية علمية.

- إثراء هذه الدراسة بالأدبيات السابقة التي تناولت متغيرات الدراسة.
- قد تفيد نتائج هذه الدراسة الفريق التربوي والبيداغوجي بالمحيط المدرسي بالجزائر، في تعاملهم مع التلاميذ الذين يعانون من هذا السلوك.
- تناولت مرحلة مهمة في حياة التلميذ، وهي الثانوية، والمتزامنة على مرحلة المراهقة.

ب-الأهمية التطبيقية

- توفر هذه الدراسة استبيان، لمعرفة مظاهر العنف المدرسي، قد تساعد الباحثين، في إثراء دراسات جديدة.
- قد يقدم صورة حقيقية للعنف المدرسي بالأغواط.

_ نأمل أن تساهم هذه الدراسة، في كيفية التعامل مع التلاميذ ذوي المشكلات السلوكية (العنف) من طرف الأساتذة في المرحلة الثانوية.

05/ تحديد مصطلحات الدراسة:

أ –العنف المدرسي:

ويعرف الباحثان العنف المدرسي إجرائيا:بأنه مشكلة سلوكية، تصدر من **التلميذ نحو زملائه** أو **معلمه** أو يقوم **بتخريب ممتلكات المؤسسة**، عنف **ضد الذات (يعنف نفسه)**، بسبب مشاكل نفسية، أو تعليمية، أو أسرية.

ب-تلاميذ المرحلة الثانوية : هم التلاميذ الذين يدرسون في الثانوية بجميع مراحلها (الأولى ثانوي – ثانية ثانوي – ثالثة ثانوي) وبجميع الشعب ذو سلوكات عنيفة اتجاه الآخرين داخل محيط المؤسسة.

ج- أساتذة التعليم الثانوي:

كما يعرف **الباحثان** أساتذة التعليم الثانوي إجرائيا بانهم: "أساتذة يدرسون في الطور الثانوي بثانويات مدينة الأغواط في جميع المراحل أولى، ثانية ، ثالثة ثانوي، وبجميع الشعب."

أولا / الإطار النظري للدراسة:

01-تعريف العنف:

وفي معجم العلوم الاجتماعية، العنف هو استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شانه التأثير على إرادة فرد ما.(أميمة منير، 2005، 03)

ويشتق، مفهوم العنف في اللغة الإنجليزية، من المصدر **Violence**، بمعنى ينتهك أو يتعدى، أما في العربية فإنه كما جاء في المعجم الوسيط يشتق من عنف حيث يقال عنف به وعليه، أي أخذه بشدة وقسوة فهو عنيف.

ويأتي تعريف العنف، في موسوعة " الجريمة و العدالة " كتعريف عام، يشير إلى كل أشكال السلوك سواء كانت واقعية أو مرتبطة بالتهديد الذي يترتب عليه تحطيم وتدمير الملكية أو إلحاق الأذى أو الموت بفرد أو نية بفعل ذلك.

ويكمن القول أن العنف هو ببساطة، استعمال الإيذاء مع الآخر، وهو يؤدي إلى أذى نفسي وحرمان من بعض المكونات الحياتية. (طارق، إيهاب، 2014، 10-11).

ويشير مفهوم العنف إلى أنه: "سلوك يهدف إلى إحداث نتائج تخريبية أو مكروهة أو إلى السيطرة، من خلال القوة الجسدية أو اللفظية على الآخرين، ينتج عنه إيذاء شخص، أو تحطيم ممتلكات وإلحاق الضرر المادي أو المعنوي بكائن حي أو بديل عن كائن حي أفرادًا أو جماعات".(العكور، 2007، 07)

02- العوامل المؤدية للعنف:

أ- البيئة الأسرية: يمكن إجمالها في ما يلي :

- أساليب التنشئة الخاطئة مثل القسوة، الإهمال، الرفض العاطفي، التفرقة في المعاملة، تمجيد سلوك العنف من خلال استحسانه، القمع الفكري للأطفال، من خلال التربية القائمة على العيب والحلال والحرام دون تقديم تفسير لذلك، التمييز في المعاملة بين الأبناء.
- فقدان الحنان نتيجة للطلاق أو فقدان أحد الوالدين
- الشعور بعدم الاستقرار الأسري نتيجة لكثرة المشاجرات الأسرية والتهديد بالطلاق.
- عدم إشباع الأسرة لحاجات أبنائها المادية نتيجة لتدني المستوى الاقتصادي
- كثرة عدد أفراد الأسرة، فلقد وجد من خلال العديد من الدراسات أن هناك علاقة بين عدد أفراد الأسرة وسلوك العنف.
- بيئة السكن، فالأسرة التي يعيش أفرادها في مكان سكن مكتظ يميل أفرادها لتبني سلوك العنف كوسيلة لحل مشكلاتهم.(فاطمة، 2011 ،182)

ج- جماعة الرفاق والأصدقاء: وتعتبر جماعة الرفاق والأصدقاء من الجماعات الأولية التي لها تأثير على شخصية الفرد بعد الأسرة، ومما يقوي من تأثير هذه الجماعة على الفرد: التشابه والتجانس بين أفرادها من حيث العمر والأهداف والميول والاتجاهات.

وكل ذلك يؤدي إلى تقوية تأثيرها على تشكيل سلوك الفرد، وقد وجد بعض الباحثين، أن جماعة الرفاق قد تكون البديل للأسرة في بعض الأحيان، خصوصًا للمنحرفين والمجرمين، وقد أشارت معظم الدراسات والأبحاث التي تناولت

موضوع الرفاق وعلاقتهم بالانحراف إلى أن معظم المنحرفين، والمقبوض عليهم في السجون، والموجودين في المؤسسات الإصلاحية كانوا على علاقة بأصدقاء منحرفين.

ويمكن أن نوجز أسباب سلوك العنف التي ترجع إلى الرفاق والأصدقاء في الأمور التالية:

- النزعة إلى السيطرة على الآخرين.
-الشعور بالفشل في مسايرة الرفاق.
- الهروب المتكرر من المدرسة.
- الشعور بالرفض من جهة الرفاق. http://www.gulfkids.com/vb/s

د-وسائل الإعلام: لوسائل الإعلام دور بارز في تنامي ظاهرة العنف لدى المراهقين؛ فالبرامج الإعلامية، وخصوصًا التلفزيونية، من حيث إنها تقدم لهم عينة من التصرفات الخاطئة، مثل العنف الذي يشاهده المراهق لمجرد التسلية والإثارة، قد ينقلب في نهاية التسلية والإثارة لواقع مؤلم بفعل التأثير السلبي القوي والفعال لوسائل الإعلام لتجسيد العنف بأنماطه السلوكية المختلفة، ولا يخفى علينا أن المراهقين لديهم القدرة على التقليد والمحاكاة لما يشاهدونه في التلفزيون، كما أنهم ينجذبون لمشاهد العنف، ويجدون فيه المتعة؛ لذا نجد أن معظم حديثهم يدور حول البرامج التلفزيونية العنيفة.

ويمكن أن نوجز تأثير وسائل الإعلام على الأطفال والمراهقين في الأمور التالية:

- أدت مشاهدة العنف إلى تقوية نزعة العنف لدى الأطفال، وحرصهم على إخراجها.
- تؤثر وسائل الإعلام تأثيرًا بالغًا في انتشار الجريمة، وتقليد السلوك العنيف؛ لأنها تعلِّم الأفراد أساليب ارتكاب الجرائم.
- قد تبالغ وسائل الإعلام فيما تنشره من إثارات حول أخبار العنف، الأمر الذي يظهر العنف كسلوك عادي مقبول.

الكثير من الكتب والمجلات وقصص المغامرات تعتبر وسائل إلى الانحرافات السلوكية والعدوانية.

- المشاهدة المستمرة للعنف في وسائل الإعلام تؤدي على المدى الطويل إلى انعدام الإحساس بالخطر وإلى قبول العنف كوسيلة استجابية لمواجهة بعض الصراعات. http://www.gulfkids.com/vb/

03-تعريف العنف المدرسي: عرف أحمد حسين الصغير (1998)، العنف الطلابي بأنه: السلوك العدواني الذي يصدر من بعض الطلاب والذي ينطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير، والموجه ضد المجتمع المدرسي بما يشتمل عليه من معلمين وإداريين وطلاب وأجهزة وأثاث وقواعد وتقاليد مدرسية، والذي ينجم عنه ضرر وأذى معنوي أو مادي.

وعرف مجدي أحمد محمود (1996)، العنف الطلابي بأنه:" الطاقة التي تتجمع داخل الإنسان ولا تنطلق إلا بتأثيرات المثيرات الخارجية، وهي مثيرات العنف، وتظهر هذه الطاقة على هيئة سلوك يتضمن أشكالا من التخريب والسب والضرب بين طالب وطالب أو بين طالب ومدرس، كما عرف يحي حجازي وجواد دويك (1998)، بأنه كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون الأذى جسميا أو نفسيا فالسخرية والاستهزاء من الفرد وفرض الآراء بالقوة وإسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة.

وعرفت كوثر إبراهيم (2006)، العنف بأنه استجابة متطرفة فجة وشكل من أشكال السلوك العدواني، تتسم بالشدة والتصلب والتطرف والتهيج والتهجم وشدة الانفعال و الاستخدام غير المشروع للقوة، تجاه شخص ما أو موضوع معين ولا يمكن إخفاءه وإذا زاد تكون نتيجته مدمرة، يرجع إلى انخفاض مستوى البصيرة والتفكير يتخذ أشكالا (جسمية، لفضية، مادية، غير مباشرة) ويهدف إلحاق الأذى والضرر بالنفس أو بالآخرين أو بموضوع ما، وهو إما أن يكون فرديا أو جماعيا.(الخولي، 2008، 61).

04- المقاربات النظرية المفسرة لظاهرة العنف:

أ- المقاربة البيولوجية

يفسر العنف على أساس وراثي، ويرى أصحاب هذا الاتجاه ،أن الشخص العنيف ، لديه استعدادات وراثية وتركيبية نفسية، خاصة جعلته يتجه اتجاها يتميز بوراثة جهاز عصبي سريع الاستشارة.

وفي نفس السياق تشير أمال عبد السميع وحلمي المليجي إلى أهمية نشاط الجهاز الطرفي والهيوبوتلاموس بالنسبة للعدوان(قريشي وأبي ميلود، 2003، 26).

ب- المقاربة الاجتماعية:

تنطلق النظرة الاجتماعية للعنف، على أنه سلوك مكتسب يتلقاه الطفل من محيطه الخارجي، عبر التنشئة الاجتماعية المقصودة وغير المقصودة، من خلال عملية الاحتكاك، وتقليد النماذج المنحرفة التي يتعامل ويتعلم ويتفاعل معها في محيطه.

كما يرى حمدي حسين، بان الطفل يتعلم السلوك العدواني، عن طريق ملاحظة النماذج التي يتعرض لها في المحيط الاجتماعي، أو خلال التجارب التي يكون فيها الطفل كعامل إيجابي في ذلك السلوك الذي تعلمه في وضعيات مختلفة.(قريشي وأبي ميلود، 2003، 27).

ج- المقاربة النفسية: ترتكز هذه المقاربة في نظرتها للعنف على فكرة الإحباط كمتسبب في العدوان السلبي و كتعبير على المعاناة وعدم إشباع الحاجات حسب هرم ماسلو للحاجات الذي يبدأ من الحاجات الفيزيولوجية كقاعدة الهرم و ينتهي بتقدير الذات.

ويرى ميلر بأن الشعور بالإحباط يؤدي إلى أنواع مختلفة من السلوك العدواني، ويتجسد العنف في ارتباط الإحباط بالتعبير السلبي عن العدوان" عندما لا يستخدم كميكانيزم دفاعي تكيفي بيولوجي أو مقاومة أو إنذار لخطر يهدد مصالح الإنسان الحيوية أو بقائه"(قريشي وأبي ميلود، 2003، 28).

05- أسباب العنف المدرسي: هناك عوامل عديدة ترتبط بالعنف المدرسي، عوامل نفسية تتعلق بجماعة الأقران وعوامل موقفية وأخرى تتعلق بالمجتمع وحيث أن السلوك العنيف هو دالة تفاعل الفرد مع البيئة فلا شك أن الخطوة الأولى نحو الوقاية من العنف هو تحديد و فهم العوامل التي تسهم في حدوث العنف، إذ أن الوقاية من العنف تعتمد في جزء كبير منها على فهم أسبابه، فالعنف المدرسي لم يكن أحداث معزولة بل هو جزء من مشكلة العنف العام في المجتمع.

ويمكن تصنيف العوامل التي تؤدي إلى العنف المدرسي إلى عدة عوامل وهي:

أ- عوامل فردية: وهي عوامل ترتبط بالفرد العنيف، وتشير إلى الخصائص النفسية، والانفعالية لديه و التي تدفعه إلى العنف أي أن السلوك العنيف لدى الطلاب، قد يكون راجعا إلى البناء النفسي والإنفعالي، وخصائص الشخصية لديهم، ومن بين هذه الخصائص الإندفاعية، والخوف، فالأطفال المندفعين يكون لديهم استعدادا للسلوك العدواني.(حسين، 2007، 265)

ب- عوامل وأسباب تعود إلى البيئة المدرسية. قد يكون من المتوقع، أن يتجه عمل معظم المديرين، باتجاه مساعدة المعلمين على تحسين عملية التعليم بإبعادها، إلا أن هذا قد يظل توقعا مثاليا، ما دامت الدراسات، تؤكد ضعف القدرات الإدارية لدى مديري المدارس، وعدم توفير الجو، المؤدي للسلوك السوي، من خلال إشراك الطلاب، في اتخاذ القرارات والنزعة التسلطية في الأساليب الإدارية، وغياب التناغم بين الادراة والمدرس والطالب، هذا أيضا ما يؤكده التقرير المعد من طرف الفريق التقني لمركز التوجيه المدرسي بغرداية (2000-2001) إن العوامل سابقة الذكر في علاقتها بالعنف المدرسي، ليست تحصيل حاصل، بل هي مظاهر متعددة لتربية العنف المدرسي، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على، تعمق العنف وامتداده في معظم جوانب، العمل التربوي.

للإشارة، فالعوامل المذكورة ما هي إلا بعض من أوجه تقرير العنف المدرسي، من الناحية التربوية، على أن هناك من يعرض عوامل أخرى :كطريقة تصميم المؤسسة، واكتظاظ الصفوف، نقص المرافق الضرورية انعدام الخدمات. (عجرود، 2006، 21).

ج –أسباب تعود إلى جماعة الرفاق:

أكد عبد العزيز النغيمشي (1990)، بأن جماعة الأقران، هي أحد المصادر المهمة والمفضلة عند المراهقين، للاقتداء واستقاء الآراء والأفكار، حيث أن الفرد، وهو يتفاعل مع أصدقائه، فإنه يراوح نفسه في انه يميل إلى أولا العتاب و التصافي، ثم يعرج مباشرة إلى المقاطعة، وهي شكل من أشكال العنف الرمزي في تفاعله مع أصدقائه، ولجماعة الرفاق أدوار إيجابية كثيرة، لها أهميتها في حفظ وضبط سلوك الطلاب. إلا أن لجماعة الرفاق و قرناء السوء أدوار غير تربوية من الخطورة، بمكان على مستقبل الطلاب وخاصة طلاب التعليم الثانوي. (الخولي وآخرون، 2008، 74)

06- علاج و الوقاية من العنف في المدرسة: هناك العديد من البرامج والاستراتيجيات التي تستخدم في مساعدة الأطفال والمراهقين على خفض العنف في المدرسة ومعظم هذه البرامج والاستراتيجيات تتطلب تضافر الجهود والتعاون بين إدارة المدرسة والمدرسين والطلاب وأسرهم والمجتمع.

كما أن المفتاح في منع العنف وإيجاد مدارس آمنة يكمن في تحديد أي البرامج و الاستراتيجيات التي يجب أن تطبق، وإلى من، وبواسطة من، وفي أي مرحلة عمرية، أو يجب أن يتم ذلك كله بالتعاون بين أولياء الأمور والمعلمين ورجال الإدارة المدرسية ومختلف المؤسسات المعنية، انطلاقا من أن العنف مشكلة تربوية ولن تحل إلا بحلول تربوية و تضافر الجهود (المصري وطارق، 2013، 226-227)

07/الدراسات السابقة:

هدفت دراسة **قريشي وأبي ميلود (2003)** إلى معرفة مظاهر وأسباب العنف في المؤسسات التربوية ومدى انتشارها وظهورها باختلاف بعض المتغيرات، والحلول التي يمكن من خلالها التخفيف من حدة هذه الظاهرة التي هي في تزايد مستمر، كما بلغت عينة الدراسة142 مستشارا تربويا ومساعدا تربويا في إكماليات وثانويات ولاية ورقلة، وكانت نتائج الدراسة أن هناك فروق بين مظاهر العنف المنتشرة في المؤسسات التربوية، وفروق بين العناصر المسببة للعنف، والطرق المقترحة للتخفيف من هذه المشكلة السلوكية.

كما سعت **دراسة صباح عجرود (2007)**، إلى معرفة تأثير قرار التوجيه المدرسي على سلوك التلاميذ، وعلى اتجاههم نحو العنف في الوسط المدرسي، حيث كانت عينة الدراسة(167) تلميذ، من السنة الثانية ثانوي، بولاية أم البواقي وبينت نتائج الدراسة أن عدم رغبة التلميذ وقدراته وعدم احترام ميولاته نحو شعبة ما، يؤدي إلى رفضه لقرار التوجيه المدرسي، وبالتالي تتكون لديه اتجاهات إيجابية نحو العنف في الوسط المدرسي.

وهدفت دراسة أخرى **للمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية 99/98** ، من إعداد الباحث محمد حسونة وآخرون، إلى معرفة بعض المشكلات السلوكية لدى طلاب المرحلة الثانوية ، ظاهرة العنف الطلابي وهذا للتعرف على مظاهر العنف الطلابي والأسباب الكامنة وراءها، وكيفية الحد منها، من خلال وضع تصور مقترح يساعد المسؤولين والمهتمين، بقضايا الشباب بالتغلب على هذه الظاهرة، وأشارت هذه الدراسة إلى مظاهر العنف الطلابي عالميا ومحليا التي تمثلت في الاعتداء أو الهجوم على المعلمين، القيام بحرق الأشياء الثمينة داخل المدرسة، التخريب المتعمد على للممتلكات الخاصة، تعاطي المخدارت، التعدي على القوانين واللوائح المدرسية. اعتداء بعض الطلبة على زملائهم ممن يخالفونهم في الرأي أو الفكر، كما أن من أسباب الكامنة وراء انتشار ظاهرة العنف الطلابي الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام، المجتمع ، وكانت من اهم الحلول التي توصلت اليها هذه الدراسة، الاهتمام بغرس القيم الدينية، السليمة للأبناء، مشاركة أولياء الأمر فعلية من خلال مجالس الآباء، تخصيص برامج تناقش مشكلات الطلاب. (أميمة ،2005، 102-103)

التعليق عن الدراسات السابقة:

من خلال عرض وقراءة الدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة، تبين من خلالها أنها دراسات مفيدة جدا، وهذا لما توصل إليه **الباحثون** من نتائج خاصة في مجال العنف في الوسط المدرسي، حيث أجريت في بيئة عربية مما يدل على أن جل الباحثين العرب مهتمين بدراسة هذه الظاهرة الخطيرة، التي تفشت في مؤسساتنا التربوية وبينت كذلك أهم مظاهر العنف في الوسط المدرسي، خاصة في المرحلة الثانوية، مما ساعدت **الباحثين** في إكمال الدراسة الحالية، وساعدت في تفسير نتائج الدراسة، كما بينت أهم مظاهر وأنواع العنف في الوسط المدرسي كالعنف اللفظي للتلميذ ضد زميله وأستاذه وكذا تخريب ممتلكات المؤسسة، وتختلف من حيث البيئة (البلد العربي) وطريقة اختيار العينة، كما هناك فرق مع الدراسة الحالية من ناحية أدوات جمع المعلومات واختيار العينة، فالباحثان في هذه الدراسة استخدم استبيان موجه لعينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط، كما استفاد الباحثان من الدراسات حول إتباع المنهج المناسب للدراسة وهو المنهج الوصفي التحليلي لهذه الدراسة.

ثانيا /إجراءات الميدانية للدراسة.

01/ منهج الدراسة: إن طبيعة هذا البحث، تتناسب مع طبيعة تطبيق المنهج الوصفي، بالتحديد دراسة وصفية استكشافية، لأن مشكلة البحث تتعلق بتحديد ومعرفة مظاهر العنف المدرسي، من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط.

02/ عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من 40 أستاذا، من التعليم الثانوي، ممن يدرسون في المرحلة الثانوية بمدينة الأغواط، تم اختيارهم بطريقة عشوائية.

03/ الخصائص السيكومترية لأدوات القياس:

01-03الصدق:

تم تقدير صدق شبكة الملاحظة بالطرق التالية وهي:

01-01-03صدق المحكمين:

استخدم الباحثان في جمع بيانات البحث أداة بحث، الهدف الأساسي منها، جمع المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة، وترتيبها بأسلوب منطقي مناسب، وهذه الأداة هي: **" الاستبيان ".**

وتم إتباع المراحل التالية للوصول إلى الصورة النهائية إليها وفق ما يلي:

- الإلمام بالتراث النظري و قراءة لدراسات و مواضيع ميدانية متعلقة بالعنف المدرسي بالمرحلة الثانوية، التي ساعدت الباحثين، في إعداد أداة القياس
- القيام بزيارة ميدانية إلى ثانويات المتواجدة بمدينة الأغواط، من أجل التشاور والنقاش حول الموضوع، مع أهل الاختصاص (أساتذة ومستشاري التوجيه).
- بعد جمع جميع المعلومات الأساسية حول موضوع الدراسة من الواقع، تم ترتيبها وتعديلها وتصحيحها.
- تم تحديد الأبعاد التالية: (**عنف التلميذ ضد التلميذ-عنف التلميذ ضد الأستاذ – تخريب ممتلكات المؤسسة-عنف ضد الذات).**
- تم إعداد استبيان أولي، يحتوي على 52 عبارة، مقسم على أربعة أبعاد كما يلي:
- **البعد الأول**: **العنف التلميذ ضد زميله** يتكون من 15 عبارة، **البعد الثاني**: العنف ضد الأستاذ، يتكون من 09عبارة،**البعد الثالث**: العنف ضد الذات، يتكون من 18عبارة،**البعد الرابع**: تخريب ممتلكات المؤسسة، يتكون من 10عبارات.

- بعدها تم تحكيم الاستبيان كالتالي:

تم عرض الاستبيان، على عدد من المحكمين المتخصصين، في مجال علم النفس وعلوم التربية وعلم النفس التربوي، بكل من: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة عمار ثليجي بالأغواط، وقسم علم النفس وعلوم التربية بجامعة قاصدي مرباح ورقلة.

وذلك من أجل التحقق من مدى قياس كل فقرة، للهدف الذي وضع لقياسه وكذا الصياغة اللغوية، وفي ضوء آراء السادة المحكمين تم إلغاء بعض الفقرات وتعديل وإعادة صياغة بعض منها، وتصحيح بعض الأخطاء اللغوية.

بعدها أصبح الإستبان مكونا من49 عبارة مقسمة كما يلي:

البعد الأول:12عبارة، **البعد الثاني**: 09 عبارات ،**البعد الثالث**: 18عبارة،**البعد الرابع**: 10 عبارات، وبعد الانتهاء من مرحلة التحكيم التي تم فيها الموافقة على أغلب البنود وتعديل بعضه، وتطبيقه.

02-01-03 صدق الاتساق الداخلي: (التجانس الداخلي): وتسمى هذه الطريقة أحيانا بطريقة التكامل المتبادل.

الاتساق لكل بعد: قام الباحثان بحساب معامل الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بعد والدرجة الكلية للمقياس ككل، وكشف النتائج على التالي:

جدول رقم (01)يوضح معامل ارتباط كل بعد من أبعاد الاستبيان لمظاهر العنف في الوسط المدرسي بالدرجة الكلية للمقياس

رقم البعد	معامل الارتباط	الدلالة الإحصائية
01	0.504	0.05
02	0.708	0.01
03	0.870	0.01
04	0.369	0.05

يتضح من الجدول رقم (1) أن قيم معامل ارتباط كل بعد من أبعاد الاستبيان لمظاهر العنف المدرسي بالدرجة الكلية للمقياس دالة إحصائية عند **(0.01)**، وبالتالي فهي تتمتع بدرجة صدق مرتفعة ويؤكد قوة الارتباط الداخلي، كما تدل على تجانس البنود مع المقياس، وبتالي يمكن الوثوق به وتطبيقه.

03-01-03: الصدق التميزي:(صدق المقارنة الطرفية):

قام الباحثان بترتيب أفراد العينة الاستطلاعية (22) أستاذا ترتيبا تنازليا، من أعلى درجة إلى أدنى درجة ثم تم تقسيمهم إلى مجموعتين، حسب درجاتهم على المقياس، فالمجموعة الأولى تقدر بـ (06 أفراد) بنسبة 27% ، من الذين تحصلوا على درجات مرتفعة من المقياس، والمجموعة الثانية تقدر بـ (06 أفراد) بنسبة 27% ، من الذين تحصلوا على درجات منخفضة من المقياس، ثم حساب الفرق بين متوسطي المجموعتين فكانت النتائج كما يلي:

يمثل الجدول(02) قيم "ت" لدلالة الفرق بين الثلث الأعلى والثلث الأدنى للمقياس

المقياس	مرتفعي الدرجات ن= 06(27%)		منخفضي الدرجات ن= 06 (27%)		قيمة "ت"	درجة الحرية df	مستوى الدلالة الإحصائية	الدلالة الاحصائية
	م M	ع S	م M	ع S				
مظاهر العنف المدرسي	128.00	1.265	118.33	3.445	6.452	10	0.00	0.01

يتبين من الجدول أعلاه، أن الاستبيان المتعلق بمظاهر العنف المدرسي لدى التلاميذ، يتمتع بالصدق وبدرجات عالية ويميز بين أطرافه أو بين الأفراد.

02-03 الثبات: تم تقدير المقياس لمظاهر العنف المدرسي لدى التلاميذ بعدة طرق وهي:

01-02-03 طريقة التجزئة النصفية معادلة "جوتمان":

جدول رقم: 03 يوضح معامل ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية بمعادلة جوتمان.

معامل الارتباط	معادلة الثبات بعد التصحيح	الدلالة الاحصائية
0.593	0.743	دال إحصائيا

يتضمن الجدول رقم (3) أن معامل الثبات عال وهو دال إحصائيا ويمكن الوثوق به.

02-02-03 طريقة التناسق الداخلي "معامل ألفا كرونباخ:

تعتبر هذه الطريقة مناسبة لهذه الأداة، لأنها تستخدم عندما تكون احتمالات الإجابة على البنود ليست صفرا، أي احتمالات الإجابة ثلاثية فأكثر وهذا ما ينطبق على هذه الدراسة، وكشفت النتائج على ما يلي:

جدول رقم:04يوضح معامل ثبات شبكة الملاحظة بمعادلة ألفا كرونباخ

معامل الثبات	الدلالة الإحصائية
0.730	دال إحصائيا

يتبين من الجدول رقم (4)، أن الاستبيان يتمتع بثبات عال مما يعني تجانس الفقرات، ويمكن الوثوق به.

06/ عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

01-06 عرض وتفسير نتائج التساؤل الأول:

ينص التساؤل الأول على ما يلي: « **ما مستوى درجة سلوك العنف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط؟" .**

للإجابة عن السؤال، وبعد توزيع الشبكة واسترجاعها ،تبين لنا ما يلي في الجدول التالي:

الجدول رقم 05:يبين حساب درجات المقياس الخاص بمظاهر العنف المدرسي لدى التلاميذ

طريقة حساب الفئات		الفئة	المستوى
49-147 3/98	82 =33+49 116=33+83 149=33+117	82-49	منخفض
		116-83	متوسط
		150-117	مرتفع

الجدول رقم 05 يبين حساب درجات المقياس الخاص بمظاهر العنف المدرسي، لدى التلاميذ حيث تم حساب مستوى درجة العنف المدرسي لدى التلاميذ، بطريقة تحديد الفئات وهو نوع من استخراج المعايير أين قام الباحثان بإيجاد الفرق بين أدنى درجة وأعلى درجة للمقياس، بعدها يتم جمع الدرجات في فئات وكل فئة تقابلها مستوى معين(**منخفض – متوسط - مرتفع)**

جدول رقم 06: يبين لنا مستوى العنف المدرسي لدى التلاميذ حسب وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط

النسبة المؤوية / المستوى	الدرجة	ك (التكرارات)	%
منخفض	82-49	0	%0
متوسط	116-83	02	%05
مرتفع	**150-117**	**38**	**%95**
المجموع	/	40	%100

والجدول رقم: 06 يبين لنا مستوى العنف المدرسي لدى التلاميذ حسب وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط ، ومن خلال النتائج المتحصل عليها، تبين أن 38 أستاذا، يقعون بين درجة 117-150 ، التي يقابلها

مستوى مرتفع بمعنى أن نسبة العنف المدرسي لدى التلميذ العنيف مرتفعة بنسبة 95% ، بشتى أنواعه ومظاهره وبهذه النسبة المتحصل عليها، نرى أن التلاميذ بثانويات مدينة الأغواط لهم سلوك عنيف اتجاه الآخرين، وهي مشكلة تشكل خطرا على أنفسهم بصفة خاصة، وعلى مؤسساتنا التربوية وأوليائهم.

02-07 عرض وتفسير نتائج التساؤل الثاني:

ينص التساؤل الثاني على ما يلي:

ما هو المجال الأكثر درجة في العنف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، حسب مجالات التالية (عنف التلميذ ضد زملائه، عنف التلميذ ضد الأستاذ، عنف ضد الذات، تخريب ممتلكات المؤسسة) من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي بمدينة الأغواط؟

حسب أراء أفراد عينة الدراسة فقد وجد أن هناك تباين في الإجابة على فقرات الاستبيان وسنأتي إلى ذكر ذلك بشيء من التفصيل :

البعد الأول: عنف التلميذ ضد زملائه. (12 عبارة)

الجدول رقم 07 يبين كل من المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل عبارة وكذلك ترتيب هذه العبارات من حيث مستوى درجة العنف الممارس من طرف التلميذ ضد زملائه

رقم العبارة	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى درجة العنف
1	3	2.73	0.20	مرتفع
2	3	2.73	0.20	مرتفع
3	3	2.73	0.30	مرتفع
4	7	2.68	0.37	مرتفع
5	1	2.78	0.22	مرتفع
6	1	2.78	0.27	مرتفع
7	3	2.73	0.25	مرتفع
8	7	2.68	0.32	مرتفع
9	9	2.65	0.38	متوسط
10	10	2.60	0.39	متوسط
11	11	2.45	0.50	منخفض
12	12	2.38	0.48	منخفض
المجموع	/	31.88	/	/
المتوسط الحسابي للمحور الأول			2.65	/

الجدول رقم 07 يشير إلى أن مستوى درجة العنف الممارس، من طرف التلميذ العدواني ضد زملائه تتراوح درجتها بين المتوسط و المرتفع حيث نجد أغلب العبارات (8،7،6،5،4،3،2،1)كلها مرتفعة إذ يؤكد أفراد العينة هذا الجانب، أما بالنسبة للعبارات المتبقية (12،11،10،9) فهي بين المتوسط والمنخفض، لكن بشكل عام يمكن أن نقول أن مستوى درجة العنف الممارس من طرف التلميذ العدواني ضد زملائه ، مرتفع و هذا ما أكده أفراد العينة .

البعد الثاني: عنف التلميذ ضد الأستاذ. (09 عبارات)

الجدول رقم 08 يبين كل من المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل عبارة وكذلك ترتيب هذه العبارات من حيث مستوى درجة العنف الممارس من طرف التلميذ ضد الأستاذ

رقم العبارة	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى درجة العنف
13	6	2.53	0.60	متوسط
14	5	2.55	0.53	متوسط

15	7	2.43	0.45	منخفض
16	4	2.60	0.34	متوسط
17	5	2.55	0.45	متوسط
18	1	2.75	0.24	مرتفع
19	2	2.65	0.31	مرتفع
20	1	2.75	0.29	مرتفع
21	3	2.63	0.43	مرتفع
المجموع	/	23.43	/	/
المتوسط الحسابي للمحور الثاني			***2.60***	/

الجدول رقم 08 يشير إلى أن مستوى درجة العنف الممارس، من طرف التلميذ العدواني ضد أساتذته تتراوح درجتها كذلك بين المتوسط و المرتفع حيث نجد أن العبارات (18، 19، 20 ، 21) مرتفعة إذ يؤكد أفراد العينة هذا الجانب، والعبارات رقم : (13 ،14 ، 15، 16، 17) تقع بين المتوسط والمنخفض وبالتالي نقول أن مستوى درجة العنف الممارس من طرف التلميذ العدواني ضد أساتذته مرتفع لحد ما.

البعد الثالث: تخريب ممتلكات المؤسسة (18 عبارة) .

الجدول رقم 09 يبين كل من المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل عبارة وكذلك ترتيب هذه العبارات من حيث مستوى درجة العنف الممارس من خلال تخريب ممتلكات المؤسسة

رقم العبارة	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى درجة العنف
22	9	2.53	0.40	متوسط
23	4	2.65	0.33	مرتفع
24	10	2.50	0.45	متوسط
25	11	2.45	0.51	منخفض
26	8	2.55	0.29	متوسط
27	8	2.55	0.45	متوسط
28	1	2.73	0.25	مرتفع
29	6	2.60	0.44	متوسط
30	5	2.63	0.38	متوسط
31	9	2.53	0.50	منخفض
32	7	2.58	0.29	منخفض
33	5	2.63	0.28	متوسط
34	6	2.60	0.44	متوسط
35	7	2.58	0.39	متوسط
36	3	2.68	0.27	مرتفع
37	6	2.60	0.39	متوسط
38	3	2.68	0.27	مرتفع
39	2	2.70	0.26	مرتفع
المجموع	/	46.73	/	/
المتوسط الحسابي للمحور الأول			***2.60***	/

الجدول رقم 09 يشير إلى أن مستوى درجة تخريب ممتلكات المؤسسة ، تتراوح درجتها كذلك بين المرتفع و المتوسط والمنخفض حيث نجد أن العبارات (23، 28، 39 38) مرتفعة إذ يؤكد أفراد العينة هذا الجانب والعبارات رقم : (22، 24،

26، 27، 29 ، 25، 31، 32، 34، 35، 37، 38، 40)، تقع بين المتوسط والمنخفض وبالتالي فإن مستوى درجة تخريب ممتلكات المؤسسة من طرف التلميذ العدواني متوسطة.

البعد الرابع: عنف ضد الذات. (10 عبارات)

الجدول رقم 09 يبين كل من المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل عبارة وكذلك ترتيب هذه العبارات من حيث مستوى درجة العنف الممارس ضد الذات

رقم العبارة	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى درجة العنف
40	02	2.70	0.26	مرتفع
41	01	2.78	0.17	مرتفع
42	03	2.68	0.32	مرتفع
43	6	2.60	0.29	متوسط
44	7	2.58	0.44	متوسط
45	02	2.70	0.21	مرتفع
46	4	2.65	0.33	متوسط
47	5	2.63	0.26	مرتفع
48	3	2.68	0.22	مرتفع
49	7	2.55	0.25	منخفض
المجموع	/	23.43	/	/
المتوسط الحسابي للمحور الثاني			***2.65***	/

الجدول رقم 10 يشير إلى أن مستوى درجة العنف الممارس ضد الذات، تتراوح درجتها بين المتوسط و المرتفع حيث نجد أن العبارات (40، 41، 42، 45، 47، 48) مرتفعة إذ يؤكد أفراد العينة هذا الجانب، والعبارات رقم : (43 ،44 ، 46، 49) تقع بين المتوسط والمنخفض وبالتالي نقول أن مستوى درجة العنف الممارس من طرف التلميذ العدواني ضد نفسه مرتفعة.

الجدول رقم:11 يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل بعد على المقياس ككل

الرقم	المجال	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى درجة العنف
01	عنف التلميذ ضد زميله	01	2.65	9.96	مرتفع
02	عنف التلميذ ضد الأستاذ	02	2.60	5.95	متوسط
03	تخريب ممتلكات المؤسسة	02	2.60	17.60	متوسط
04	عنف ضد الذات	1	2.65	4.95	مرتفع
المجموع		/	10.5	/	/
المتوسط الحسابي للأبعاد ككل				***2.62***	/

الجدول رقم 11 يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل مجال، أي مستوى درجة العنف الممارس من طرف التلاميذ بكل أنواعه حسب المجالات المذكورة في الجدول أعلاه، ومن خلال النتائج نستنتج أن نوع عنف (**التلميذ ضد زميله و بعد العنف ضد الذات**)، هو الأكبر درجة، أي أنهما يحتلان المرتبة الأولى مقارنة بالبعدين الآخرين، وبالتالي فمستوى درجته مرتفع، حيث بلغ المتوسط الحسابي للأبعاد ككل 2.62 لكن بشكل عام يمكن أن نقول أن مستوى درجة العنف الممارس من طرف التلميذ العدواني مرتفعة خلال السنوات القليلة الماضية وهذا ما أكدته عينة الدراسة، بسبب عدة عوامل منها ظروف الأسرة ، عدم الاهتمام بالعامل النفسي للتلميذ وكذا وسائل الإعلام، بالإضافة إلى البيئة التي يعيش فيها التلميذ ، وهذا ما أكدته دراسة ، **للمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية 99/98** حيث بينت أنه من أسباب الكامنة وراء انتشار ظاهرة العنف الطلابي الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام، المجتمع.

مقترحات الدراسة:

- محاولة حل المشاكل بين التلميذ والأستاذ والإدارة المدرسية بطريقة سلمية غير عنيفة.
- الاهتمام بمشاكل التلاميذ والاستماع لانشغالاتهم ومشاكلهم من طرف الإدارة المدرسية والأستاذ.
- مراعاة أسلوب التشويق والترفيه والتحفيز أثناء تدريس.
- تدريب وتكوين أساتذة ومتخصصين نفسانيين ومرشدين تربويين في كيفية التخفيف من هذا السلوك الخطير.
- الإكثار من الملتقيات والندوات والأيام الدراسية حول موضوع محاربة العنف في الوسط المدرسي.
- ضرورة اهتمام وزارة التربية والتعليم بموضوع العنف في الوسط المدرسي.

- مشاركة أولياء التلاميذ في البرامج التحسيسية والإرشادية التي من شأنها أن تخفف من هذا السلوك العنيف.

-إثراء برامج ترفيهية كالمسرح والغناء والحفلات والرحلات العلمية لتخفيف الضغط عن التلميذ، خاصة في المرحلة الثانوية.

قائمة المراجع:

اولا/ الكتب

1- جادو، اميمة منير عبد الحميد (2005). **العنف المدرسي**. ط 01. دار السحاب للنشر والتوزيع: مصر.

2- حسين، طه عبد العظيم (2007). **سيكولوجية العنف المدرسي**. بدون طبعة. دار الجامعة الجديدة: مصر.

3- رشاد، علي عبد العزيز وزينب بنت محمد زين العايش (2009). **سيكولوجية العنف ضد المرأة**. ط01 مصر: عالم الكتب.

4- الخولي، محمود سعيد (2008). **العنف المدرسي الأسباب وسبل المواجهة** 01. مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة مصر.

5- سلطاني، فضيلة (2014)، تناول الصحافة المكتوبة لظاهرة العنف المدرسي في المؤسسات التربوية

06- الصرايرة خالد (2009) ، أسباب سلوك العنف الطلابي الموجه ضد المعلمين والإداريين فيا لمدارس الثانوية الحكومية فيا لأردن من وجهة نظرالطلبة والمعلمين والإداريين، المجلة الأردنية في العلوم التربوية،مجلد5 ،عدد2 ، 137-157

7- طارق، عبد الرؤوف والمصري إيهاب عيسى المصري (2014). **العنف المدرسي مفهومه أسبابه علاجه**. ط01 مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع: القاهرة مصر.

8- العكور، محمد (2007). **الدليل الوقائي لحماية الطلبة من العنف والإساءة**. إدارة التعليم العام وشؤون الطلبة. وزارة التربية الوطنية: المملكة الأردنية الهاشمية.

9- عجرود، صباح (2007). **التوجيه المدرسي وعلاقته بالعنف في الوسط المدرسي حسب اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية دراسة مسحية لمؤسسات التعليم الثانوي والتقني بولاية ام البواقي**. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة منتوري: قسنطينة الجزائر.

10- عزة، حسين (1989). **برنامج إرشادي لخفض مشكلة العدوانية لدى المراهقين الجانحين**. معهد دراسات الطفولة. القاهرة، مصر.

11- قريشي، عبد الكريم وأبي ميلود عبد الفتاح (2003). **العنف في المؤسسات التربوية**. ط01. الجزائر: مطبعة دار هومة.

12- كامل محمد، فاطمة (2011). العنف المدرسي عند الأطفال وعلاقته بفقدان أحد الوالدين، ***دراسات تربوية***.14. 179-208.

13- المصري، إيهاب عيسى وطارق عبد الرؤوف محمد (2014). **العنف المدرسي مفهومه، أسبابه، علاجه.ط01**. مصر: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.

14- ميسر، محمد فهد أبو صفية (2012). **مدى فعالية برنامج نفسي إرشادي للحد من سلوكيات العنف لدى تلميذات المرحلة الأساسية في قطاع غزة**. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الأزهر: غزة.

15- الجزائرية جريدة الشروق اليومي نموذجا، ***الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية*** 12. 80-

ثانيا/ المواقع الإلكترونية:

-16 موقع أطفال الخليج http://www.gulfkids.com/vb/s 2016/10/10 11:15سا

أخي المعلم..../ أختي المعلمة ....

يقوم الباحثان بإجراء دراسة بعنوان **مظاهر العنف المدرسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية من وجهة نظر عينة من أساتذة التعليم الثانوي –دراسة استكشافية بمدينة الأغواط-** ونظرا لما تتمتعون به من خبرة في مجال الدراسة، أضع بين أيديكم هذا الاستبيان الذي يحتوي على مجوعة من العبارات حول تصرفات التلاميذ داخل المؤسسة، وأرجو التكرم، بوضع الإشارة *X* للعبارة التي ترونها مناسبة، كما نعلكم أن هذا العمل يأتي في إطار السرية التامة، وان هذه الدراسة تندرج ضمن البحث العلمي فقط.

وشكرا على حسن تعاونكم معنا، تقبلوا وتفضلوا بقبول شكر الباحثين لجهودكم الطيبة.

المجال المقاس : مظاهر العنف المدرسي				
	بعد العنف التلميذ ضد زميله (12 عبارة)	مرتفع	متوسط	منخفض
01	يضرب زملائه عن قصد			
02	يقوم بدفع زملائه أثناء الصف بساحة المؤسسة.			
03	يقوم بسرقة زملائه بالقوة			
04	يسخر من زملائه المتميزين			
05	يبصق في أوجه زملائه.			
06	يحدث جرح أو تشوه جسدي ضد زملائه			
07	يحب التسلط على زملائه			
08	يستهزأ بزملائه كثيرا.			
09	يقوم برمي اشياء مؤلمة ضد زملائه بساحة الثانوية كالرمي بالحجارة مثلا			
10	يضرب التلاميذ الأصغر منه سنا.			
11	يتهم زملائه بسرقة أغراضه.			
12	يمزق ملابس زملائه عند الشجار.			
بعد العنف التلميذ ضد الأستاذ (09 عبارات)				
13	يقوم بتهديد أساتذته			
14	يستعمل أدوات الحادة ضد أستاذته			
15	يسب و يشتم الأستاذ عندما يخرجه من القسم			
16	يرد بعنف على الأستاذ عندما يوبخه			
17	يقوم بتصرفات عنيفة داخل القسم			
18	يقاطع الأستاذ أثناء الدرس بالتشويش			
19	يصدر أصوات عالية داخل القسم.			
20	يستعمل حركات اليدين عندما يتحدث مع الأستاذ .			
21	يقوم بالتصفير و الصراخ داخل القسم			
عنف ضد الذات (18 عبارة)				
22	يرمي بنفسه على أشياء مؤذية أو أماكن مرتفعة			
23	يهدد الجميع بالانتحار داخل الثانوية			
24	يدخن و يتناول المخدرات بدورة المياه			
25	يقوم بلطم وجهه عندما يواجه مشكلة ما.			
26	يقوم بتمزيق مئزره أمام إدارة المدرسة.			
27	يلعب بالمفرقعات بساحة الثانوية.			
28	يخرب الأشياء و يقوم بركلها عندما يغضب.			
29	يقلد الأفلام العنيفة بساحة الثانوية.			
30	يقوم بتقليد رجال المصارعة في القسم			
31	يشد شعر رأسه.			

32	يضرب رأسه على الجدران			
33	يقوم بتمزيق ملابسه و كتبه.			
34	يخدش جسمه بأظافره.			
35	يقضم أظافره بشدة .			
36	يحرق أجزاء من جسم أو يكويها بالنار			
37	يقوم بحركات بهلوانية واستعراضية تحديا أمام زملائه.			
38	عندما يغضب يبدأ بالصراخ			
39	يلوم نفسه بالشتم			
تخريب ممتلكات المؤسسة (10 عبارات)				
40	عندما يشعر بالقلق يقوم بتكسير الكراسي			
41	يكتب على الجدران عبارات قبيحة			
42	يخرب أثاث المدرسة.			
43	يقوم بتخريب حديقة المدرسة .			
44	يضرب الطاولات و الكراسي و الأبواب بعنف.			
45	يقوم بتخريب إقفال الأبواب.			
46	يقوم بتخريب وسائل التدفئة و التهوية			
47	يتلف أمتعة الرياضة أثناء حصة الرياضة.			
48	يتعمد رمي الأوساخ في ساحة المدرسة .			
49	يتعمد رمي الأوساخ في ساحة المدرسة .			

الأنماط القيادية السائدة لدى مدراء المدارس الابتدائية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية و علاقتها بالاحتراق النفسي لديهم .

دراسة ميدانية بعدد من المدارس الابتدائية بولاية "بومرداس"

أ.حموش أسماء
جامعة الجزائر- 2 -

ملخص:

تهدفت الدراسة الحالية للكشف عن أنماط القيادة الممارسة من طرف مدراء المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين وعلاقتها بواقع الاحتراق النفسي لديهم، تم الاعتماد على المنهج الوصفي كونه الأنسب لطبيعة الدراسة، وبلغت عينة الدراسة "84" معلما من كلا الجنسين، موزعين على عدد من المدارس الابتدائية بولاية بومرداس، لجمع البيانات استعمل مقياس القيادة متعدد العوامل (MLQ) ل "باس وافوليو" ل(Avolio, Bass) الذي يقيس ثلاث أنواع من القيادة هي "التحويلية والتبادلية والتسيبية "و مقياس "ماسلاش"Maslach" لقياس الاحتراق النفسي.

الكلمات المفتاحية: أنماط القيادة،الاحتراق النفسي، المدراء،المدرسة الابتدائية

Abstract:

This study aims at revealing the types of leadership among primary school Directors, From the point of view of teachers, And their relationship to burn-out,The study included "84" teachers and teachers from Boumerdes province, They were randomly chosen For data collection, the multi-factor driving questionnaire was used For(**Bass and Avolio**) Three measures of driving are measured (transformational, transactional, Anarchism) And "**Maslash "**scale of burn-out.

مقدمة:

تكتسي القيادة التربوية أهمية كبرى في العملية التعليمية، وحسب المداخل الإدارية الحديثة فإن دور المدير كقائد داخل المدرسة لم يعد يقتصر على جعل المعلمين يلتزمون بإجراءات العمل وينجزونه، بل يتعدى ذلك إلى تنمية دافعتهم وتوفير الجو النفسي والاجتماعي والتنظيمي المناسب الذي يوصلهم لمستوى الإبداع والابتكار في إنجاز مهامهم، فالمدرسة بوصفها منظمة بالغة الأهمية بحاجة لقائد تربوي يسيرها ويدير جميع وظائفها، كما يعود نجاح المعلم بدرجة كبيرة إلى المدير الذي يشرف عليه ويوجهه ويضمن له الظروف المناسبة لاستثمار طاقته واستغلالها، فمدير المؤسسة هو من يقوم بتوظيف كل العوامل المتفاعلة التي يشملها النظام التربوي والتنسيق بينها وتوفير الجو الملائم لتحقيق الأهداف المسطرة.

إذا ما نظرنا إلى واقع المنظومة التربوية في الجزائر نجدها تتخبط في العديد من المشاكل، بدء بنقص الهياكل وارتفاع معدلات الرسوب والتسرب المدرسي وانتشار العنف بنوعيه اللفظي والجسدي، وصولا لشكوى المعلمين من كثافة البرامج وتدني ظروف العمل، ما نتج عنه كثرة الاحتجاجات والإضرابات بالقطاع، وهذا رغم الجهود المبذولة للخروج به من مشاكله، فقد حاولت الدولة باستمرار النهوض بقطاع التربية والتعليم وذلك يتضح جليا من خلال الإمكانيات المادية والبشرية الكبيرة المخصصة له وعمليات التطوير المستمرة في المناهج والبرامج إضافة لعمليات التكوين المستمرة ولكن كل هذه الإجراءات تبقى غير كافية دون الاهتمام بالقائم بالعملية التربوية أي المعلم فمهنة التعليم تعرف بأنها من أكثر المهن الضاغطة فكثيرا ما يواجه المعلمون مواقف وظروف عديدة يتعرضون خلالها لحالات من الشد العصبي والقلق والخوف والاضطراب مما يؤثر سلبا على حالتهم الصحية والنفسية وعلى الأهداف التنظيمية(المشعان، 2000) .

وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن المعلمين يتعرضون أكثر من غيرهم للضغوط النفسية بسبب ما تتسم به هذه المهنة من غموض في الدور وكثرة المطالب المتعارضة واستمرارية التعرض للمواقف الضاغطة، واليوم مع التطور

التكنولوجي ازدادت مسؤوليات المعلم وتعددت واجباته حتى فاقت طاقاته وقدراته مما ينعكس سلبا على مردوده وإنتاجه في العمل، وسلوكيات العديد من الأساتذة كالغياب والإضرابات قد تكون مؤشرات على وجود احتراق نفسي.

1- إشكالية الدراسة:

يعتمد التطوير في العملية التعليمية على تحسين أداء إدارتها، لذلك لا بد أن يأخذ المسؤولين عنها بالتطور الحاصل في علم الإدارة والذي عرف انبثاق نظريات واتجاهات حديثة في مجال القيادة الإدارية، كان لتطبيق مفاهيمها في مجال الإدارة التعليمية الأثر الكبير في أداء المدرسة الحديثة ورفع كفاءة العملية التربوية، كما تختلف أهداف الإدارة المدرسية من مرحلة تعليمية لأخرى ومن إقليم لآخر ومن مجتمع لأخر وهي تخضع لشخصية المدير وسماته. (عطا،2007).

لقد تعددت تصنيفات القيادة ونظرياتها ومن أحدث مداخلها نجد القيادة التحويلية والتبادلية التي شهدت تطوّرًا ملحوظًا من خلال إسهامات "باس" Bass عندما وضع لها نظرية منهجية، ثم قدّم مع "أفوليو Avolio " سنة "1997" نموذجا أكثر حداثة للقيادة التّحويلية والتّبادلية، ووضع نماذج ومقاييس لقياس عوامل السّلوك القيادي، وهو ما يعرف بمقياس القيادة متعدّد العوامل (Multifactor Leadership Questionnaire (MLQ

إنّ" القيادة التّحويلية بجاذبيتها الشخصية وقدرتها الإلهامية واستثارتها العقلية تحقق دافعية أقوى للوصول لأهداف المنظمة وتحقيق أداء أكثر ممّا كان متوقعا، في حين توصف القيادة التبادلية بأنّها قائمة على تبادل للعلاقات بين القائد والعاملين لتحقيق مصالحهما الخاصّة، وهي بذلك قد تأخذ شكل المكافأة المحتملة"(جلاب،148:2016) ، حيث يوضّح القائد للعاملين ما يجب عليهم القيام به نظير حصولهم على المكافآت، ويعمل على تصحيح بعض إجراءات العمل، وقد تناولت عديد الدراسات هذين النمطين منها دراسة (اوتينة والروسان، 2008)، في "الأردن" والتي أكدت وجود علاقة قوية بين الإدارة التحويلية والتميز التربوي وعلاقة متوسطة بين الإدارة التبادلية والتميز التربوي، كما أكدت أن القيادة التحويلية هي الأكثر تنبؤا بالتميز التربوي، وتوصل (ناصر الحمد،2007) في دراسة على القيادتين التحويلية والتبادلية لدى مدراء المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين بالرياض إلى أن غالبية المعلمين يفضلون القيادة التحويلية وموافقون بدرجة متوسطة على نمط القيادة التبادلية.

عندما نأخذ موضوع القيادة بالمدرسة الابتدائية لا بد أن نشير لكونها عبارة عن تنظيم صغير نسبيا من حيث عدد الموظفين مقارنة بالمدارس بالطورين المتوسط والثانوي، لذلك تكون المسافة بين المرؤوس ممثلا في المعلم والقائد ممثلا في المدير مسافة بسيطة ما يسمح بالاحتكاك اليومي بالمدير، لذلك لا بد من محاولة الكشف عن الأنماط القيادية ممثلة في سلوكيات المدير لما لها من تأثير على نفسية المعلم وراحته وتنمية مساره المهني، وقد رأت "فوليت" "Follett" أن المدراء في الإدارة الحديثة يقتصر دورهم على كونهم مدربين ومسهلين للعمل وليسوا مراقبين أو مشرفين، والتحدي الكبير الذي يواجهه المدير يتمثل في كيفية تشجيع الأفراد على بلوغ أهداف المنظمة (جلاب،35:2016)، وأن تحقيق النتائج الطيبة يتوقف على عدم تلاعب المدراء بالمرؤوسين وايلائهم أهمية كبيرة للتدريب على استعمال قوة المسؤولية أي أن المدراء يمنحون مرؤوسيهم الفرصة لزيادة قدراتهم وسلطتهم الذاتية. (Baddy et Paton,1998).

تعرف مهنة التعليم بمستويات الضغوط العالية المرافقة لها، وقد أكدت دراسة قامت النقابة الأوروبية للتعليم "C.S.E.E" سنة "2007" لتحديد مصادر الضغوط لدي المعلمين بالمراحل التعليمية الثلاث وذلك في"27" دولة عضو بالاتحاد الأوروبي، معاناة المعلمين من مستويات مرتفعة من الضغوط وقد حل التعليم الابتدائي بالمرحلة الأولى، وخلصت الدراسة إلى أن أهم أسباب الضغوط لدى المعلمين هي عبء العمل وكثافة البرامج ونقص الدعم من الإدارة وسوء المناخ الاجتماعي داخل المدرسة، وفي نفس الإطار بينت دراسة (الأحسن،2015) بولايتي "تيبازة والبليدة" والتي شملت "115" معلم ومعلمة، وجود ضغوط مهنية مرتفعة لدى "66%" من معلمي المرحلة الابتدائية وقد تعددت مصادرها، مع انخفاض مستوى تقدير الذات عند "60%" من المعلمين.

إن عدم قدرة المعلم على أداء مهامه نظرا للضغوط الكبيرة المرافقة لمهنة التعليم يسهم في إحساسه بالعجز، وبتالي فان العلاقة التي تربطه بتلميذه تأخذ بعدا سلبيا له أثار مدمرة على العملية التربوية كلها، كما تؤدي هذه الضغوط في مستويات معينة إلى حالة من استنفاذ الجهد والإنهاك النفسي الكبير أو ما يسمى ب"الاحتراق النفسي" (البطانية والجوارنة،2004) ، ويحدث الاحتراق النفسي لدى المعلمين نتيجة لعدد من العوامل التي ترتبط مباشرة بمهنة التعليم، سواء ما تعلق منها بالجانب المهني كظروف العمل السيئة أو بالجانب العلائقي كسوء العلاقة مع التلاميذ والإدارة التربوية، أو بالجانب البيداغوجي ككثافة البرامج وتغيرها المستمر ...إلخ. (بوفرة ،2014) وفي الجزائر بينت دراسة (دبابي،2012) على"340" معلم بالابتدائي بولاية "ورقلة" أن"74%" من المعلمين يعانون من مستوى مرتفع من الاحتراق النفسي في حين تراوح عند "26%" بين معتدل إلى منخفض.

للاحتراق النفسي آثارا سلبية وأعراضا فسيولوجية ونفسية على شخصية المعلم المحترق، إذ يسهم بنسبة كبيرة في أمراض العصر كالنوبات القلبية وضغط الدم وأمراض الجهاز الهضمي، وفي الجزائر أوردت التقارير الخاصة بطب العمل أن أعدادا كبيرة من الأساتذة يعانون من علل دائمة مرتبطة أساسا بطبيعة المهنة، والتي تتلخص في مجملها في أمراض عصبية ونفسية، وقد توصل (زبدي،2004) إلى أن ثلثي المدرسين تقريبا مصابون بأمراض مختلفة ويعانون منها باستمرار، ويري في قضية الصحة النفسية للمعلم الجزائري أن كثرة الأمراض التي يعاني منها المعلمون ناجمة عن الضغط النفسي والإجهاد في العمل، وإذا لم تتحسن وضعية المعلم ولم يستطيع مواجهة الضغوط وإدارتها، فإن نظرته السلبية نحو مهنة التعليم تتحول من اتجاه إلى فعل، وهذا ما أشارت إليه دراسة" ألارد "Allard بإقليم" الكيبك "بكندا سنة "2010" من أن"20 إلى25" %من المعلمين يتركون مهنة التعليم خلال ثلاث سنوات الأولى بسبب ما يتعرضون له من ضغوط ومن احتراق نفسي" (Montgomery et al,2010:763) كما سجل معهد الضغط الأمريكي أن حوالي "50%" من المعلمين يتركون مهنة التدريس في سنواتهم الأولى نتيجة للضغط، وهذا يتجلى في الجزائر من خلال الأعداد الكبيرة من الأساتذة بالقطاعات الثلاث والتي تفضل الاتجاه نحو التقاعد المسبق رغم سنوات الخدمة الغير طويلة نسبيا معللة ذلك بالإنهاك الكبير الذي لحقها من مهنة التدريس.

وعليه تعتبر دراسة كل من الأساليب القيادية للمدراء ودراسة الاحتراق النفسي من الدراسات التي تعود بنتائج ايجابية على الأستاذ وعلى العملية التربوية وذلك لدورهما الكبير في تحقيق الرضا الوظيفي والتوافق النفسي والاجتماعي والصحة النفسية للمعلم، في هذا الإطار تحاول هذه الدراسة الكشف عن الأنماط القيادية الممارسة من مدراء المدارس الابتدائية ممثلة في ثلاث أنماط هي"التحويلية والتبادلية والتسيبية" من وجهة نظر المعلمين وعن علاقتها الاحتراق النفسي الذي يعاني منه المعلم بالمرحلة الابتدائية بولاية "بومرداس" وذلك بالإجابة على التساؤلات التالية :

* هل يمارس مدراء المدارس الابتدائية أبعاد القيادة التحويلية من وجهة نظر معلميهم؟.
* هل يمارس مدراء المدارس الابتدائية أبعاد القيادة التبادلية من وجهة نظر معلميهم ؟.
* هل يمارس المدراء بالمدارس الابتدائية القيادة التسيبية من وجهة نظر معلميهم ؟.
* ماهو مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي المدرسة الابتدائية؟.
* هل توجد علاقة دالة إحصائيا بين أنماط القيادة الثلاث التحويلية والتبادلية والتسيبية والاحتراق النفسي لدى معلمي المدرسة الابتدائية؟.

2- مفاهيم الدراسة: تتناول هذه الدراسة المفاهيم التالية:

* **النمط القيادي:** النمط القيادي يقصد به "السلوك الذي يمارسه القائد للتأثير الفعال في أفراد المجموعة التي تعمل معه بهدف تحسين نوعية العمل والإنتاج في المدرسة" (الفرا والخطيب،2007: 12)

و اقصد بالنمط القيادي في هذه الدراسة" مجموعة السلوكيات والأفعال المتكررة التي تصدر من المدراء بالمدارس الابتدائية، والتي تؤثر على المرؤوسين أي المعلمين" وهي النتيجة التي يحصل عليها أفراد العينة على مقياس القيادة متعدد العوامل ل"باس وافوبلو".

لا يمكن حصر التعاريف المقدمة حول القيادة فقد اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحديد مفهوم موحد لها باختلاف المداخل والمدارس التي ينطلقون منها في تعريفاتهم، ومن التعاريف المقدمة لها نجد تعريف "Rensis likert" الذي عرف القيادة بأنها " قدرة الفرد على التأثير في شخص أو جماعة وتوجيههم وإرضائهم لنيل تعاونهم وتحفيزهم على العمل بدرجة من الكفاية من أجل تحقيق الأهداف المرسومة". (Rensis likert, 1916 :p.3) كما عرف "Gibson" القيادة بأنها "عملية التأثير على جماعة في موقف معين ووقت معين وظروف معينة لإثارة الأفراد ودفعهم للسعي برغبة لتحقيق الأهداف المشتركة".(حريم، 1997:193-194)

وتوجد العديد من التصنيفات لأنماط القيادة لذلك سنكتفي بالتصنيف الذي قدمه الباحثان "باس وافوبلو" والذي يعتبر من أكثر المداخل حداثة وانتشارا في بحوث القيادة .

1-2- القيادة التحويلية: هي مدخل معاصر يلهم القائد من خلاله التابعين لتطوير قدراتهم وزيادة أداءهم، ويمنحهم الثقة بالنفس لتقديم أفضل خدمة مع دعم واضح لاحتياجاتهم الاجتماعية والعاطفية، وهي تحوي أربعة أبعاد هي:**التأثير** المثالي، الدافعية الإلهامية، الاستثارة العقلية والاعتبارية الفردية، مقاساً بمتوسط الدرجات التي يحصل عليها المعلم في فقرات استبانه وصف نمط القيادة التحويلية ل"باس وافوبلو" "MLQ".

* بدأ التحول في مفاهيم القيادة في نهاية السبعينات حيث انتقل التفكير من أهمية القائد إلى إشراك التابعين للوصول للفاعلية التنظيمية، وهذا التحول استند أساسا إلى إسهامات الباحث "Burns" عام 1978 وذلك في دراسته عن القادة السياسيين وقد بين أن القادة التحويليين هم القادرين على كشف الحاجات الحالية والطلبات الخاصة بالتابعين، ثم وسع كل من Bernard M.Bass عام 1985 هذا المفهوم ليصبح شائعا في العديد من الدراسات والبحوث (دهش جلاب،2016 : 499) فقدم نسخة موسعة ومنقحة للقيادة التحويلية اعتماداً على أعمال "بيرنز (1978) وهاوس" (1976) وأعطى باس Bass مزيد من الاهتمام لحاجات الأتباع وليس لحاجات القادة.

و تعرف القيادة التحويلية بأنها العملية التي يشترك فيها الفرد مع الآخرين فيكونون روابط ترفع من مستوى الدافعية والأخلاق عند كل من القائد والتابع، وهي تهتم كإحدى احدث واشمل المداخل القيادية بعملية كيف أن قادة معينين يكونون قادرين على الهام الأتباع بانجاز مهام عظيمة، فالقيادة التحويلية تحفز الأتباع على بذل أكثر من ما هو متوقع، وذلك بإحداث التغيير الملهم من خلال جلب الانتباه إلى حاجات العمال واهتماماتهم إذن فمهام القائد التحويلي تكون كما يلي:

* رفع مستوى وعي الأتباع بأهمية وقيمة الأهداف المحددة والمثالية.
* حث الأتباع على تغليب مصلحة الفريق أو المنظمة على مصالحهم الشخصية.
* تحفيز الأتباع للاهتمام بالحاجات ذات المستوى الأعلى.
* توضيح رؤية المنظمة وأهدافها. (Hucczynski,2001) وتشمل القيادة التحويلية الأبعاد التالية:

- **التأثير المثالي**: يتصف به القادة الذين تمثل تصرفاتهم ادوار نموذجية لأتباعهم فيرغب الأتباع في محاكاتهم بدرجة كبيرة وعادة ما يكون لدى هؤلاء القادة معايير عالية من السلوك الأخلاقي و القيم التي تلهم الأتباع.

- **الدافعية الإلهامية**: وهي العمل على إيجاد التعاون بين القادة والأتباع عن طريق تحفيز الأتباع لتقديم مستوى أداء أعلى، يتصف القادة الذين يوحدون الأتباع بتوقعات عالية ويلهمونهم من خلال تحفيزهم لكي يلتزموا بالرؤية المشتركة في المنظمة، وعند تطبيق هذه الرؤية يستخدم القادة الرموز والتودد العاطفي لتوحيد وتركيز جهود الأعضاء، من خلال

اهتمامهم الذاتي وهذا النوع من القيادة يعزز روح الفريق، مثلا مدير المبيعات يحفز البائعين ليحققوا أرقام قياسية من خلال العبارات التشجيعية.

- **الحفز الذهني**: هو ابتكار القائد لأفكار جديدة تحفز الأتباع على معرفة المشكلات وإيجاد الحلول المحتملة لها ودعم النماذج الجديدة والخلاقة لأداء العمل، أي تحفيز الأتباع ليكونوا مبدعين ومبتكرين ومساندين للقيم التي يتبناها القائد والمنظمة مثلا المدير الذي يشجع جهود العاملين الفردية للتطوير.

- **الاهتمام الفردي:** هو قدرة القائد على إعطاء اهتمام شخصي بالأتباع بإطلاعه على حاجاتهم ورغباتهم ومراعاة الفروق الفردية بينهم عند تلبيتها، يمثل هذا العامل القادة الذين يوفرون المناخ المساند الذي ينصتون فيه بعناية لحاجات الأتباع، ويتصرف القادة كمدربين ومستشارين في أثناء محاولاتهم لمساندة الأفراد في تحقيق ذواتهم، مثلا مدير يتعامل مع كل موظف على حدا باهتمام خاص.

2-2- القيادة التبادلية: هي نمط يركز فيه القائد على توضيح أهداف العمل المطالب به المرؤوس وكيفية أداء هذا العمل والمكافئات التي سيحصل عليها عند تحقيقه للأهداف بنجاح، أي أن هذا النمط قائم على أساس تبادل المنافع، وهو يتضمن العناصر التالية: المكافأة المشروطة، الإدارة بالاستثناء "الايجابية وسلبية"، مقاساً بمتوسط الدرجات التي يحصل عليها المعلم في فقرات استبانه وصف نمط القيادة التبادلية ل"باس وافويلو" "MLQ".

* وطرح مفهوم القيادة التبادلية من طرف"Burns" سنة "1978" إلا أنه لم يجد الاهتمام الكافي إلا من طرف" باس وافويلو" (Bass , Avolio) اللذان أشارا مباشرة إلى التفاعلات الحاصلة بين القائد والتابعين، فقدما مجموعة من النماذج القيادية التي تركز على التبادلات بين القادة وأتباعهم. (جلاب،503:2016) ، إن القيادة التبادلية تفرض على القائد توضيح طبيعة الدور ومتطلبات المهام المطلوبة المرؤوسين وتوضيح كيفية إشباع حاجاتهم مقابل انجاز الأهداف المحددة مسبقا أي أن القائد يقيم علاقات مع التابعين في إطار التبادل مثلا المدير عندما يرقي الموظف الذي يتجاوز الهدف المخطط.

إذن تختلف القيادة التبادلية عن القيادة التحويلية بأن القائد التبادلي لا يهتم باحتياجات الأتباع الفردية ولا يركز على تطورهم الشخصي، فالقادة التبادليون يتبادلون الأشياء القيمة مع الأتباع للحصول على مكاسب شخصية مقابل مكاسب للأتباع، وتقوم القيادة التبادلية على بعدين هما:

- **المكافأة المشروطة:** تشير لعملية المبادلة بين القادة والأتباع، وتعني تقديم القائد مكافئات لأتباعه عندما يكون هناك مبرر لذلك، أي مبادلة مجهود الأتباع في مقابل مكافئات معينة، ويحقق القائد من خلالها تعزيزا ايجابيا للتفاعل أو التبادل مع الأتباع، مما يساعد على تحقيق الأهداف المتفق عليها، مثلا عندما يتفاوض صاحب المؤسسة مع وكلاء المبيعات على مكافئة مالية مقابل نسبة معينة من المبيعات، إذن فالقيادة التبادلية تقدم الأداء المتوقع بينما القيادة التحويلية تقدم أداء يفوق ما هو متوقع.

- **الإدارة بالاستثناء:** تعني قيام القادة بمراقبة الأتباع وإجراء تصحيحات عندما تحدث انحرافات عن المعايير، أي أن القائد يهتم بالنقد التصحيحي والتغذية الراجعة والتعزيز، يأخذ هذا النوعين شكلين، شكل نشط حيث يراقب القائد الأتباع عن قرب للبحث عن الأخطاء أو المخالفات ثم يتخذ الإجراء التصحيحي المناسب، وشكل ساكن حيث يتدخل القائد فقط في حالة عدم تحقق المعايير المطلوبة وعدم ظهور المشكلات، مثلا المشرف الذي يمنح الموظف تقويم أداء سيء بدون التحدث معه حول أداءه السابق، وكلا الأسلوبين يستخدمان أنماط تعزيزيه أكثر سلبية، تعني عدم تدخل القادة إلى أن تصبح المشكلات خطيرة إذ ينتظر القادة حدوث المشكلات التي تجلب انتباههم قبل التدخل.

3-2- القيادة التسيبية: هي نمط من القيادة يتم خلاله ترك الحرية للمرؤوسين في انجاز المهمات دون أدنى تدخل، مقاساً بمتوسط الدرجات التي يحصل عليها المعلم في فقرات استبانه وصف نمط القيادة التسيبية ل"باس وافويلو""MLQ" .

* هذا النمط من القيادة يبتعد كثيرا عن القيادتين التبادلية والتحويلية ويمثل أنماط سلوكية غير تبادلية ولا مهتمة بالمرؤوسين كأفراد، فالقائد التسيبي يتخلى عن المسؤولية ويؤخر القرارات ولا يقدم للأتباع تغذية راجعة ويبذل مجهودا قليلا لمساعدة الأتباع في تحقيق وإشباع حاجتهم وقليلا ما يتفاعل معهم، فالقائد ضمن القيادة المسيبة يتجنب سلطته ودوره القيادي، ويترك المرؤوسين يتدبرون أمورهم بأنفسهم واضعين الأهداف والحلول، ومشجعين ومدربين أنفسهم على حسن الأداء، ويتقلص دور القائد المتسيب في النهاية ليقتصر على تلبية حاجة المرؤوسين من الموارد والمعلومات التي تهمهم وتلزمهم لتأدية أعمالهم.

وبدون شك فإن المنظمة التي ينتهج مديرها القيادة المتسيبة تخسر كثيرا من جراء عدم ممارسة القيادة الفعالة على المرؤوسين، فترك أعضاء المجموعة دون قيادة فعالة سيؤدي لظهور قيادات غير رسمية متصارعة ومتنافرة ويعرض الوحدة التنظيمية وأهدافها للتشتت والضياع، وقد يكون من نتائج القيادة المسيبة ضعف المجموعة وفقدان أعضائها اعتزازهم بأنفسهم وقيمة أهدافهم المهنية، لكن من الممكن استعمال هذا النمط من القيادة في الحالات التي تتطلب استقلال المرؤوسين وعدم التدخل في شئونهم تشجيعا لهم على الإبداع والابتكار كما هو الحال في مراكز البحوث والجامعات .

2-4- الاحتراق النفسي:هو حالة من التعب الجسمي والعقلي والانفعالي تتميز بالاستمرارية وبتكوين اتجاهات سلبية نحو العمل ونحو الآخرين، مقاسا بدرجات التي يحصل عليه المعلم من درجات على مقياس "ماسلاش"، ويظهر من خلال ثلاث عناصر رئيسية هي: الإجهاد العاطفي- تبلد المشاعر- شعور النقص بالانجاز الشخصي.

*و مفهوم الاحتراق النفسي حديث نسبيا حيث يعتبر المحلل الأمريكي "هيربارت فرويدنبرجر" "Herbart freudenberger" أول من أشار إلى ظاهرة الاحتراق النفسي والذي يقابله باللغة الانجليزية لفظ "burn out" وأدخله إلى حيز الاستخدام الأكاديمي سنة "1974" بعد أن لاحظ الأعراض على مجموعة كبيرة من الأشخاص الذين يراجعون عيادته النفسية في مدينة نيويورك (boudoukha,2009:12) ثم دراسته لاحقا لمظاهر الاستجابة للضغوط المهنية التي يتعرض لها العاملون بالقطاع الخدماتي كالطب والتدريس وغيرها من المهن الاجتماعية .الاحتراق النفسي هو حالة من الاستنزاف الانفعالي والبدني بسبب ما يتعرض له الفرد من ضغوط، ويظهر من خلال التغيرات السلبية في العلاقات والاتجاهات من جانب الفرد اتجاه مهنته واتجاه الآخرين بسبب المتطلبات الانفعالية الزائدة (السمادوني، 133:1990)

كما تعتبر أعمال كريستين"ماسلاش maslach" أستاذة علم النفس بجامعة "بيركلي" الأمريكية رائدة في دراسة وتطوير مفاهيم الاحتراق النفسي وقد عرفته سنة 1988 بأنه "حالة نفسية تتميز بمجموعة من أعراض الإجهاد الذهني والاستنفاد الانفعالي والتبلد الشخصي والميل للعزلة والاتجاهات السلبية نحو العمل والزملاء"،

و يشير "فريدمان Fridman" 1991 إلى أن الاحتراق النفسي له جانبين أولهما يرتبط بنمط الشخصية والذي يفسر استعداد الفرد للاحتراق، والآخر يرتبط بالنظام والمناخ المدرسي، وقد عرفه "جاكسون"Jachson،1941" بأنه "إرهاق انفعالي وجسماني وسخط على الذات وعلى الآخرين وعلى العمل مع فقدان الحماس والكسل والتبلد ونقص الإنتاجية" وقد حددت "ماسلاش" مظاهر الاحتراق النفسي في ثلاث أبعاد كما يلي:

* **الإجهاد العاطفي:** هو إحساس المعلم بالتعب والإنهاك وفقدان الحيوية والنشاط تجاه قيامه بعمله، يتصف هذا البعد بالإرهاق والضعف واستنزاف المصادر الانفعالية لدى المعلم إلي المستوى الذي يعجز به عن العطاء، ويعد هذا البعد العنصر الأساسي للاحتراق النفسي ويظهر علي شكل أعراض جسمية أو نفسية أو كلهما.

* **تبلد المشاعر:** وهو اتصاف المعلم بالقسوة واللامبالاة والشعور السلبي نحو الآخرين، يتضمن هذا البعد تغيراً سلبياً في الاتجاهات والاستجابات نحو الآخرين، وخصوصاً التلاميذ الذين يتلقون الخدمات التي يقدمها المعلم، وغالباً ما يكون مصحوباً بسرعة الغضب والانفعال وفقدان التقدير للعمل، وكذلك الاتجاهات السلبية نحو التلاميذ.

تدني الشعور بالإنجاز الشخصي: هو التقييم السلبي لإنجازات المعلم والشعور بعدم فاعلية ما يقوم به، وميل المعلم إلي تقييم إنجازاته الشخصية بطريقة سلبية، ويتمثل بمشاعر الاكتئاب والانسحاب وقلة الإنتاجية، وعدم القدرة علي التكيف مع الضغوط، والشعور بالفشل وضعف تقدير الذات.

2-5- مدير المدرسة الابتدائية:هو المسئول تربويا وإداريا على مؤسسته يمارس مهامه تحت السلطة السلمية لمفتش التربية والتعليم الأساسي، فهو يبعث عن طريقه بمراسلاته وملاحظاته إلى السلطة الوصية ويعرض عليه التنظيم التربوي كما يرفع له نسب غياب المعلمين والتلاميذ، ويعلمه بتذبذب أداء المعلمين ويطالبه بزيارتهم، وينبغي أن تكون تلك العلاقة حسنة يسودها التنسيق في كامل المجالات. (بن سالم،2000: 54)

إن مدير المدرسة هو موظف يضطلع بمهام ومسؤوليات تحددها القوانين، وهو مسئول عن حسن سير المؤسسة وعن التأطير التربوي والتسيير الإداري لها، وهو قائد في مدرسته عليه الوصول بها لتحقيق الأهداف المنشودة، ويمارس مدير المدرسة الابتدائية مهامه الإدارية في إطار القرار الوزاري رقم 839 المؤرخ في "13 نوفمبر 1991" (المنشور الوزاري:89 المؤرخ في 1991/11/13) ، والذي يحدد مهامه التي تدخل في إطار العناصر الأساسية للتسيير وهي (التنظيم والتنسيق والتخطيط والتقويم).

3- إجراءات الدراسة:

3-1- أدوات جمع البيانات:

*** مقياس القيادة:** تم الاعتماد على مقياس القيادة متعددة العوامل "Multi Factor Leadership Questionnaire" ل "باس وافوليو" نسخة سنة (2000)، وهو مخصص للكشف عن ثلاث أنماط قيادية هي "التحويلية والتبادلية والتسيبية" وثلاث مخرجات لأنماط القيادة، يتكون هذه الاستبيان في نسخته الأصلية من"45 فقرة"، وقد تم الاعتماد على نسخة معربة من الاستبيان الذي اعتمد في العديد من الدراسات، ثم تم تطبيقه على "28" أستاذ وذلك للتأكد من خصائصه السيكومترية، ليستقر في نسخته النهائية على "36" فقرة، هذا الاستبيان مصمم وفق طريقة" ليكرت" الخماسية، وتوزعت فقراته كما يلي:القيادة التحويلية "20" فقرة، القيادة التبادلية "12" فقرة والقيادة التسيبية "4" فقرات، تم التأكد بداية من صدق الاستبيان الظاهري عن طريق توزيعه على مجموعة من الأساتذة المتحكمين باللغة الإنجليزية للتأكد من سلامة الترجمة ثم حساب صدق البناء الداخلي عن طريق حساب معامل الارتباط وكانت النتائج كما يلي:القيادة التحويلية "0.87"، القيادة التبادلية"0.63"، القيادة التسيبية"0.68" ما يدل على صدق الاستبيان.

فيما يخص الثبات تم الاعتماد على ثبات التجزئة النصفية وقدرت قيمة معامل الارتباط "سبرمان" بين جزئي الاستبيان ب"0.68" ما يدل على قيمة ثبات مقبولة لهذا الاستبيان.

*** مقياس الاحتراق النفسي:** اعتمدت الدراسة الحالية على المقياس الذي أعده كل من " ماسلاش وجاكسون" سنة (1981) لقياس الاحتراق النفسي للعاملين في مجال الخدمات الإنسانية والاجتماعية.

يتكون المقياس من اثنان وعشرين(22) فقرة، كل فقرة لديها تدرج خيارات يتراوح من 0 إلى6، أعلى درجة يمكن أن يحصل عليها المعلم في المقياس الكلي هي 132 درجة، أما أدنى درجة فهي صفر، ويمكن عن طريق هذا المقياس تصنيف أبعاد الاحتراق إلى عالية أو متوسطة أو منخفضة، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم "1": يبين تصنيف كل بعد من أبعاد الاحتراق النفسي حسب الدرجات

الأبعاد	عدد الفقرات	عال	معتدل	متدن
- الإجهاد الانفعالي	9	30 فما فوق	18- 29	0- 17
- تبلد المشاعر	5	12 فما فوق	6- 11	0- 5
- نقص الشعور بالإنجاز	8	40 فما فوق	34- 39	0- 33

ورغم استعمال هذا الاستبيان في العديد من الدراسات التي أثبتت تمتعه بخصائص سيكومترية عالية، إلا انه تم التأكد منها قبل استعمالها في الدراسة الحالية فتم حساب الثبات بطريقة "التجزئة النصفية" حيث قدرت قيمة معامل الارتباط "سبرمان" بين جزئي الاستبيان ب "0.87" ما يدل على ثبات عالي للإستبيان، بينما تم التأكد من صدق المقياس عن طريق حساب صدق البناء الداخلي حيث تم التأكد من ارتباط كل عبارة مع محورها ثم ارتباط كل فقرة مع المقياس العام، وكانت معاملات الارتباط "برسون" كما يلي: الإجهاد الانفعالي"0.58"، تبلد المشاعر"0.63"، نقص الشعور بالانجاز"0.71" ما يدل على صدق عالي للاستبيان.

3-2- عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من 84 معلم من الجنسين موزعين على"17" مدرسة من ثلاث مقاطعات تربوية بولاية "بومرداس"، والجدول التالي يبين الخصائص الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة.

جدول رقم"2": يبين الخصائص الديموغرافية لأفراد العينة

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة%
– الجنس	ذكور	12	%14
	إناث	72	%86
– السن	- من 25إلى 35 سنة	51	%67
	– من 35إلى 45 سنة	22	%18
	– من 45 فما فوق	18	%15
- الحالة العائلية	عزاب	32	%27
	متزوجون	52	%73
– الخبرة	– من 5 إلى 10 سنوات	50	%68
	– من 10 إلى 20سنة	12	%14
	– من 20 فما فوق	22	%18
المجموع		84	%100

يتضح لنا من خلال البيانات المرفقة بالجدول رقم"2" أن أغلبية أفراد العينة من جنس الإناث حيث بلغ عددهم "72" معلمة بنسبة قدرت ب "86%" بينما بلغ عدد الذكور"12" بنسبة "14%" وهذا الأمر أصبح من السمات البارزة بقطاع التربية، حيث يتجه القطاع بشكل كبير نحو التأنيث، في ما يخص عامل السن اكبر نسبة احتلتها الفئة العمرية التي تتراوح بين"25 و35 سنة" وذلك بنسبة "67%" تلتها الفئة العمرية من"35 إلى 45 سنة" وأخيرا الفئة العمرية من"45 فما فوق".

بالنسبة للحالة العائلية فان أكثر من "73" من أفراد العينة متزوجون و"27"عزاب، آخر عامل وهو الخبرة المهنية حيث نجد "50" معلم أي ما نسبته "68%" خبرتهم المهنية تتراوح بين"5 و10" سنوات بينما "14%" خبرتهم بين"10و20سنة" و"18%" خبرتهم تفوق"20سنة"، ويجب الإشارة هنا إلى أن أداة الدراسة وزعت على المعلمين الذين لديهم أقدمية خمس سنوات أو أكثر، وذلك تجنبا لان تكون استجاباتهم خاصة بالضغوط المهنية التي يلاقيها الأستاذ في بداية مشواره المهني والتي يمكن أن تعود لعدم تحكمه في مهنته جيدا أو عدم تعوده عليها.

4- عرض ومناقشة النتائج:

4-1- عرض ومناقشة نتائج التساؤل الأول: * ما هي درجة ممارسة مدراء المدارس الابتدائية لأبعاد القيادة التحويلية والتبادلية والتسيبية من وجهة نظر المعلمين؟.- للإجابة على هذا التساؤل تم حساب المتوسط الحسابي لكل نمط قيادي كما هو مبين في الجدول أدناه.

جدول رقم "3": يبين المتوسطات الحسابي والانحرافات المعيارية لأنماط القيادة

السلوك القيادي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة N
*التحويلية	2.57	8.44	84
*التبادلية	2.35	6.07	
*التسيبية	1.45	3.66	

يتضح لنا من خلال المعطيات المرفقة في الجدول رقم "3" أن المتوسط العام لبعد القيادة التحويلية قدر ب"2.57" في حين يقدر المتوسط المفترض للاستبيان ب "5" وبانحراف معياري قدره "8.44" أي أن المديرين يمارسون القادة التحويلية بدرجة متوسطة، فيما قدر المتوسط الحسابي لبعد القيادة التبادلية ب "2.35" ما يشير أيضا لممارسة المدراء للقيادة التبادلية بدرجة متوسطة، وبانحراف معياري قدره"6.07" وقدر المتوسط الحسابي لبعد القيادة التسيبية ب "1.45" بانحراف معياري قدره "3.66" ما يدل على أن القيادة التسيبية ضعيفة لدى المدراء.

إذن فإن مديري المدارس الابتدائية يمارسون القيادة التحويلية والتبادلية بدرجة متوسطة بينما يمارسون نمط القيادة التسيبية بدرجة منخفضة، وتتوافق هذه النتائج مع نتائج بعض الدراسات في حين تتعارض مع نتائج دراسات أخرى، حيث تتوافق مع ما توصلت إليه دراسة بني عطا (2005) التي خلصت إلى ممارسة مدراء المدارس الثانوية في الأردن للقيادة التحويلية والتبادلية بدرجة متوسطة، في حين تتعارض مع نتائج عدد من الدراسات التي أشارت إلى ممارسة مديري المدارس للقيادتين التحويلية والتبادلية بدرجات إما منخفضة أو مرتفعة،منها دراسة "العنزي" (2005) التي أشارت إلى انخفاض مستوى السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس الثانوية في السعودية وأوصت بضرورة العمل على إعداد المدراء لتبني أساليب القيادة التحويلية

كما توصلت دراسة "سوبيزنك"supising"(2001) للتعرف على مدى ممارسة مدراء المدارس الثانوية بالمنطقة التعليمية الثامنة بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن القيادة التحويلية ممارسة بمستوى جيد وذلك في مجالاتها الأربعة، وفي دراسة "روث،Roth"(2002) حول تصورات هيئة التدريس في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية أبدي المدراء مستويات عالية من ممارستهم للقيادة التحويلية، كما خلصت دراسة "يووليثوودyu leithwood" و"جانتزjantzi" (2002) حول موافقة المعلمين على ممارسة مدرائهم للقيادة التحويلية بالمدارس الابتدائية ب"هونغ كونغ" إلى نتائج عالية خاصة فيما يتعلق بتهيئة توقعات عالية من النمو المهني للمعلمين، أما أجرت "جريفلث Griflith" دراسة سنة (2004) حول القيادة التحويلية بالمدارس الابتدائية وكانت النتائج ايجابية دلت على ممارسة المدراء لمستوى عالي من نمط القيادة التحويلية كما قام "شان شونغ، Chen chung"(2007) والتي شملت"848" معلم من"50" مدرسة ابتدائية ب"تيوان" مستوى القيادة التحويلية مرتفع، ونلحظ من خلال هذه الدراسات أن أغلبيتها ركزت على القيادة التحويلية لما تمثله من نموذج مثالي يركز على الجانب الإنساني في القيادة ويهتم بالمرؤوسين وهو ما تركز عليه مداخل التسيير الحديثة من مفهوم الاستثمار في المورد البشري.

في نفس الإطار توصلت دراسة "الشريفي والتنح"(2009) إلى أن درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية الخاصة في دولة الإمارات العربية المتحدة جاءت مرتفعة من وجهة نظر المعلمين، وخلصت دراسة "بن احمد" بالإمارات إلى موافقة المعلمين بدرجة كبيرة على ممارسة مدرائهم للقيادة التحويلية وذلك بمتوسط قدره "3.8 من 5" والقيادة التبادلية ب "3.51"، أما دراسة "الصالحي" حول ممارسة مديري المدارس الابتدائية بمنطقة "القصيم" في السعودية للقيادة التحويلية جاءت بدرجة كبيرة قدرت ب "3.83" والتبادلية "3.83"، وخلصت دراسة قام بها قام "فيشر" Fisher"(2003) إلى أن النمط التحويلي هو السائد بنسبة 92% مقابل 15% لبقية الأنماط القيادية.

إن حصول النمط التبادلي على المرتبة الثانية له ما يفسره فالظروف المادية للمعلمين جعلتهم بحاجة للتعزيز المادي من ترقيات وعلاوات ومكافئات وهذه المكافآت بأنواعها ترفع من معنوياتهم وتحفزهم على العمل ونستطيع القول أن النزعة إلى السلطة ظاهرة متأصلة في ثقافة المجتمع الجزائري وهذا يمكن ملاحظته حتى في ابسط المستويات، فالمدير يكون غالبا قد نشأ في وسط سلطوي، ولم يمكنه لا المجتمع ولا المدرسة ولا الأسرة من التعرف المحسوس على مزايا وفضائل تقاسم السلطة، لأن تقاسم السلطة عبارة عن ممارسة لم يعثر عليها في حياته (تعزيبت 275:1996)، بالنسبة للنمط التسيبي فحصوله على اضعف متوسط مرده إلى حساسية المنظمة التي يسيرها المدير وهي المدرسة، وثقل وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه مع أن هناك من يقول بإمكانية ممارسة هذا النمط في بعض المستويات كمراكز البحوث حيث يحتاج الباحثين لهامش حرية اكبر لتفجير طاقاتهم.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه ليس لأي مدير نمط قيادي سائد وممارسات مدير المدرسة يمكن أن تكون فيها ممازجة بين جميع الأنماط، فهو يعطي الحرية الكاملة في بعض المواقف للمعلمين، كما انه يتبادل في مواقف أخرى الخدمات مقابل تحقيق الأهداف ويحاول في مواقف أخرى أن يمنح الفرص للمعلمين ليكونوا قادة ومشاركين في العملية التسييرية من خلال بناء رؤى مشتركة، وهذا مرده لكون المدير يمارس القيادة في بيئة تتنوع فيها شخصيات المعلمين ومعتقداتهم ومسلماتهم كما تتنوع فيها المواقف والظروف والأحداث.

4-2- عرض ومناقشة نتائج التساؤل الثاني:

* ماهو مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي المدرسة الابتدائية؟.

للإجابة على هذا التساؤل تم الاعتماد على التكرارات والنسب المؤوية للتعرف على مستوى كل بعد من أبعاد الاحتراق النفسي لدى أفراد العينة.

جدول رقم "4": يبين نتائج أفراد العينة على مقياس الاحتراق النفسي.

البعد	عالي		متوسط		منخفض	
	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%
الإجهاد الانفعالي	50	%59.52	19	%22.61	15	%17.87
تبلد المشاعر	33	%39.28	42	%50	9	%10.47
نقص الشعور بالإنجاز	16	%19.04	29	%34.52	39	%46.42
المجموع	84	%100	84	%100	84	%100

يتضح لنا من خلال النتائج المرفقة في الجدول رقم "4" أن"50" معلم من أفراد العينة أي"59.52%" لديهم مستوى إجهاد انفعالي عالي، بينما "19" معلم أي نسبة"22.61 %" من أفراد العينة لديهم مستوى إجهاد انفعالي معتدل، و"15" فقط من أفراد العينة لديهم إجهاد انفعالي منخفض أي بنسبة"17.87%".

بالنسبة لبعد تبلد المشاعر يلاحظ أن نصف أفراد العينة أي "42" معلم بنسبة"50%" مستوى تبلد المشاعر لديهم معتدل، بينما "33" معلم أي نسبة "39.28%" يعانون من تبلد المشاعر بمستوى مرتفع، في حين يعاني"9" معلمين أي نسبة "10.47%" من مستوى منخفض في عامل تبلد المشاعر.

فيما يخص بعد نقص الشعور بالإنجاز يتضح من خلال المعطيات أن"16" معلم أي ما نسبته"19.04%" من أفراد عينة الدراسة لديهم مستوى مرتفع على بعد تدني الشعور بالانجاز، بينما "29" معلم أي ما نسبته "34.52%" كان لديهم مستوى معتدل والبقية أي "39" معلم بأعلى نسبة وهي"46.42%" يعانون من احتراق نفسي منخفض على بعد تدني الشعور بالانجاز الشخصي.

ما نلحظه بالنسبة لبعد الإجهاد الانفعالي انه كان عاليا عند أكثر من نصف أفراد العينة وهذا يمكن تفسيره بعدة أسباب منها ما صرح به المعلمين أنفسهم فرغم أن المعلم يعتبر الشمعة التي تضيء طريق النجاح للآخرين لكنه يرى أنه لا يحصل على ما يستحقه، خاصة مع تراجع تقدير المجتمع للمعلم وصعوبة التعامل يوميا مع عدد كبير من التلاميذ الصغار الذين يحتاجون لتوجيه ومراقبة وتحفيز مستمرين، مع قلة فرص الترقية، فمهنة التعليم حسب المعلمين أصبحت لا تقدم فرص لتأمين المستقبل المادي للمعلمين، كما صرح المعلمون أن الأجر الذي يتلقونه لا يتناسب مع ما يبذلونه من مجهود .

أما تبلد المشاعر فأعلى نسبة من المعلمين تحصلوا على مستوى متوسط وهو ما يمكن تفسيره بحجم الضغوط النفسية الكبيرة التي يعانيها المعلم والتي لا تنفصل عن حياته اليومية باعتبار الإنسان وحدة متكاملة، بالنسبة لبعد نقص الشعور بالانجاز فنسبة الاحتراق كانت منخفضة عند أعلى نسبة من المعلمين، ويمكن أن نفسر النتيجة أنها جاءت في وقت يعرف فيه قطاع التربية نوع من التحسن مثل زيادة في الأجور خلال السنوات الأخيرة وترقية الخدمات الاجتماعية، كذلك إحساس المعلمين بعظم المسؤولية الملقاة عليهم خاصة أن أغلبية أفراد العينة جامعيون لديهم وعي بقدسية ومكانة الرسالة العظيمة التي يحملونها مما يجعلهم يحملون تقديرا عاليا لمهنتهم رغم ضغوطها وظروفها الصعبة، كما أن من طبيعة الفرد الجزائري أنه معطاء وخدوم لا يمكن أن يهمل الآخرين مهما كانت حجم الضغوطات التي يعانيها خاصة إذا كانوا أجيال المستقبل.

إن نتائج هذه الدراسة تتوافق مع نتائج العديد من الدراسات في بعض النقاط وتختلف معها في نقاط أخرى فنجدها تتفق تماما مع ما توصل إليه "العلي" في دراسته حول الاحتراق النفسي لدى معلمي المرحلة الثانوية في محافظة "جنين" إلى ارتفاع الاحتراق في بعد الإجهاد الانفعالي اعتداله في بعد تبلد المشاعر وتدنيه في بعد نقص الشعور بالانجاز، كما تتفق مع دراسة "المحمود" التي توصلت إلى أن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي اللغة الانجليزية في محافظات شمال الضفة الغربية بفلسطين على مقياس "ماسلاش" عالي في بعد الإجهاد الانفعالي ومعتدل في تبلد الشعور ونقص الشعور بالانجاز، كما تتوافق مع نتائج دراسة "العمري والشديفات"(2008) حول واقع الاحتراق النفسي بالبيئة الأردنية والتي استخدمت مقياس "ماسلاش" ودلت النتائج على أن الاحتراق كان عاليا في بعدي الإجهاد الانفعالي وتبلد المشاعر ومنخفض في بعد نقص الشعور بالانجاز، في حين تتعارض مع دراسة "الخرابشة وعربيات"(2005) حول الاحتراق النفسي لدى معلمي الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة إلى أن النتائج كانت متوسطة على الإجهاد الانفعالي وتبلد الشعور، وعالية على بعد تدني الشعور بالانجاز .

و تتفق هذه الدراسة مع نتائج دراسة "بوبكر دبابي" (2010) والتي شملت "425" معلم ومعلمة من الأطوار الثلاثة بمدينة "ورقلة" واستعملت مقياس "ماسلاش" في وجود احتراق نفسي منخفض لدى المعلمين على بعد نقص الشعور بالانجاز وتختلف معها في البعدين الآخرين، كما تتفق مع دراسة "الدبابسة" سنة (1993) والتي هدفت للكشف عن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة وأظهرت النتائج وجود مستوى متوسط من الاحتراق النفسي لدى المعلمين.

إن فهذه النتائج تؤكد معاناة المعلم الجزائري بالمدرسة الابتدائية من الاحتراق النفسي ما يتوافق مع نتائج العديد من الدراسات التي أكدت على ارتباط مهنة التدريس بالاحتراق، منها دراسة (مدوري ،2014) التي أكدت وجود فروق في مستويات الاحتراق النفسي مردها القطاع المهني الذي ينتمي إليه العامل ووجود علاقة تنافر بين المستوى المنخفض من الاحتراق النفسي وقطاع التدريس بنسبة "21%" وعلاقة تجاذب بين المستوى المرتفع من الاحتراق النفسي وقطاع التدريس بلغت نسبة "25%" وأن الاحتراق النفسي أعلى عند المعلمين من الإداريين والعاملين بقطاع الصحة، وتوصلت دراسة (الدسوقي والشافعي،1998) التي هدفت إلى المقارنة بين مستوى الضغوط في عدد من المهن، وخلصت إلى اختلاف تقدير الضغوط المهنية باختلاف المهنة، وأن التدريس أعلى ضغطا من مهن خدمة الجمهور واقل ضغطا من التمريض. وتجدر الإشارة إلى وجود شبه اتفاق بين الباحثين في مجال السلوك التنظيمي على أن حالة الاحتراق النفسي ترتبط بدرجة كبيرة

بالعاملين بمهن الخدمات الاجتماعية كالشرطة والمدرسين والممرضين والأطباء وغيرهم ممن يتعاملون مع الناس أثناء ممارستهم لمهنهم، وأن مجالات العمل الأكثر إثارة للضغوط هي تلك المجالات التي تمتاز بمواجهة مباشرة مع الناس، والتي يكرس فيها الأفراد أنفسهم لخدمة الآخرين كما هو الحال في مهنة التدريس.

3-4- عرض ومناقشة نتائج التساؤل الثالث:

*هل توجد علاقة دالة بين الاحتراق النفسي لدى المعلم ونمط القيادة الممارس من طرف المدراء؟

للإجابة على هذا التساؤل تم الاعتماد على معامل الارتباط "برسون" بين كل من درجات المعلمين على مقياسي الاحتراق النفسي والقيادة متعددة العوامل للكشف عن دلالة العلاقة بينهما والجدول التالي يبين ذلك.

جدول رقم "5":يبين نتائج معاملات الارتباط بين كل نمط قيادي والاحتراق النفسي.

المتغير	معامل الارتباط	العينة	مستوى الدلالة	القرار
الاحتراق النفسي - القيادة التحويلية	- 0.85**	84	0.01	دالة
الاحتراق النفسي - القيادة التبادلية	- 0.33**	84	0.01	دالة
الاحتراق النفسي - القيادة التسيبية	0.92**	84	0.01	دالة

يتضح لنا من خلال النتائج المرفقة في الجدول رقم "5" أن معامل الارتباط "برسون" بين الدرجة الكلية لمقياس الاحتراق النفسي وبعد القيادة التحويلية قدر ب"-0.85" ما يدل على وجود علاقة ارتباطيه قوية وعكسية بين بعد القيادة التحويلية والاحتراق النفسي لدى أفراد العينة.

بينما قدر قيمة معامل الارتباط "برسون" بين الاحتراق النفسي وبعد القيادة التبادلية ب ""-0.33" ما يدل على وجود علاقة ارتباطيه ضعيفة وعكسية بينهما، وقدرت قيمة معامل الارتباط "برسون" بين الاحتراق النفسي وبعد القيادة التبادلية ب "0.92" ما يدل على وجود علاقة ارتباطيه قوية وطردية بين نمط القيادة التسيبية والاحتراق النفسي.

إن الارتباط القوي والعكسي الذي خلصت إليه الدراسة بين القيادة التحويلية والاحتراق النفسي يمكن تفسيره بما يتصف به مدير المدرسة التحويلي من مقدرة على إيجاد مناخ يتميز بالدفء والصداقة والقبول والقدرة على تقديم فرص أحسن للتطوير والتعزيز لدى المعلمين، ما يساعدهم على تنمية مهاراتهم وانجاز مهامهم بكفاءة عالية، كما أن مدير المدرسة التحويلي يؤثر إيجابا في المعلمين فهو يشجعهم على المحاولة والتجريب، وهو يتقبل النتائج ويقدم للمعلمين الدعم في حل المشكلات كما يشجعهم على الأداء العالي والمتميز، وإذا تأملتا أبعاد القيادة التحويلية نجد أن بعد التأثير المثالي قائم على الاحترام والتقدير والقيم الأخلاقية والثقة وروح التفاؤل والابتعاد عن الاهتمامات الذاتية ما يؤدي لشعور المعلمين بالارتياح وإيجاد مناخ محفز للعمل والدافعية نحو النجاح، وفي مجال الاستثارة الفكرية يشارك المدير معلميه في البحث وإبداء الرأي فيشعرون بأنهم شركاء في التخطيط والتنفيذ ما يعمل على إعطاءهم دافعا وحافزا للتفاني في العمل وصولا إلى الهدف المنشود، أما الاعتبارية الفردية فكل معلم يرغب في أن تكون له شخصيته التي يتميز بها عن غيره وتجعل مدير المدرسة يحترمه، كذلك فان المدير في القيادة التحويلية يكون ملهما لأتباعه خاصة في الجانب التحفيزي ، إذن يمكن تفسير الارتباط الطردية بين الاحتراق والقيادة التحويلية بما يتمتع به القائد التحويلي من سمات وخصائص تتوافق مع قيم المعلمين المتفانين في عملهم، فالقائد التحويلي يؤمن بالتغير ويسعى لترجمته في أرض الواقع، وهو يعزز دافعية المعلمين ويحفيزهم على الإبداع من خلال التأثير فيهم بوصفه نموذجا مميزا يحتذى به في التميز والإبداع والالتزام المهني، والقائد التحويلي يبدى اهتماما عاليا بالمعلمين كأفراد ويسمح لهم بمناقشة أفكارهم ومقترحاتهم ويتقبل اتجاهاتهم ويقدم لهم الدعم والتوجيه الذي يتوقعونه، إن القيادة التحويلية تقدم اهتمام عالي بالمعلم وأفكاره الجديدة مما يشجعه على حل المشكلات بطريقة إبداعية.

فيما يخص العلاقة بين النمط التبادلي والاحتراق النفسي فقد كانت العلاقة ضعيفة وعكسية أي أن انتهاج المدير للنمط القيادي التبادلي يسهم في خفض معاناة المعلمين من الاحتراق النفسي، وهذا يمكن تفسيره بكون مدير المدرسة التبادلي محاور جيد له قدرة كبيرة على المباحثات وعلى إيصال رؤية جذابة للمستقبل، كما له القدرة على إقناع المعلمين للقيام بما يريده من خلال التبادلات، ونشير هنا إلى أن المعلمين ينظرون إلى الحوافز المادية على أنها حقوق مشروعة تمكنهم من التميز والاستمرار في العطاء، فالتعزيز المادي من بأنواعه يرفع من معنوياتهم ويشجعهم على العمل، كما يفضل المعلمون أن يمارس مدير المدرسة الصلاحيات التي يتمتع بها في معاقبة من يرتكب الأخطاء منعا لتفشي الفوضى التي يمكن أن تعيق نجاحهم وأداءهم الجيد، إضافة لما يتضمنه هذا النمط من تعزيز ايجابي ومكافآت تتفق مع طبيعة النفس البشرية التي تسعى لإشباع حاجاتها الأساسية.

أما العلاقة الطردية والقوية بين الاحتراق النفسي ونمط القيادة التسيبية فهي تؤكد النتائج المتحصل عليها بين النمطين السابقين والاحتراق النفسي لغياب جميع الممارسات السابقة في النمط التسيبي، ويمكن إرجاع هذه النتيجة لعدم إشباع حاجة المعلم المستمرة لدعم مدير المدرسة المغيبة في هذا النمط، كما أن هذا النمط يبعث على الفوضى داخل المدرسة مما يتسبب في فقدان الدافعية للعمل وهذا لا يتناسب مع أداء المعلم الملتزم مهنيا ويتناقض مع ما يؤمن به من قيم تربوية ويتفق هذه النمط مع بعد الإدارة السلبية بالنسبة للقيادة التبادلية حيث يتابع المدير الأعمال الروتينية دون تدخل ما يجعل المدير وكأنه غائب، وهذا ما يحبط روح الإبداع والتميز لدى المعلم حين يرى أن المدير غائب ولا يتدخل إلا في حالات نادرة جدا.

تتوافق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج العديد من الدراسات فقد خلصت دراسة "بني عطا" (2005) وإلى وجود علاقة سلبية ذات دلالة إحصائية عند مستوى "0.01" بين ممارسة المدراء لنمط القيادة التحويلية وتكرار الاحتراق النفسي وشدته لدى المعلمين بالأردن، أما دراسة "بن احمد" بالإمارات فخلصت لوجود علاقة طردية دالة عند مستوى 0.01 بين درجة ممارسة المدير للقادة التحويلية والتبادلية ودرجة الرضا لدى المعلمين، أما دراسة "بارنت وآخرون Barent" فأكدت وجود علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين نمطي القيادتين التحويلية والتبادلية وبين نتائج المعلم والثقافة التعليمية للمدرسة وأن القيادة التحويلية أكثر ملائمة وتسهيل لنتائج المعلمين وهي تدعم تركيزهم على مهماتهم وتميزهم وإبداعهم في العمل، وتتوافق أيضا مع نتائج دراسة (بوفرة ومنصوري، 2014) التي خلصت لوجود علاقة سلبية بين الاحتراق النفسي والرضا الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي، كما أجرت "جريفلثGriflith" دراسة سنة (2004) حول القيادة التحويلية بالمدارس الابتدائية وأكدت النتائج أنها لم ترتبط ايجابيا مع ترك العمل والأداء المدرسي وكان الرضا عاملا وسيطا بينها، كما توصلت دراسة "لايتونlayton"(2003) بولاية "نيفادا" الأمريكية والتي شملت "120" مدير لوجود علاقة دالة إحصائيا بين القيادة التحويلية ورضا المعلمين عند مستوى الدلالة "0.05"، أما دراسة "جارنكاجين Jarankagin" و"كينيث Kenneth" فقد أظهرت وجود علاقة دالة إحصائيا بين درجة ممارسة المدراء للقيادة التحويلية والروح المعنوية لدى المعلمين، وخلصت دراسة "فيشر" "Fisher"(2003) والتي شملت "640"معلم من"63" مدرسة إلى أن المدارس التي تتبنى النمط القيادي التحويلي يوجد بها مناخ تعليمي مفتوح .

5- خاتمة: حاولت هذه الدراسة الكشف عن واقع العملية التسييرية بالمدرسة الجزائرية من خلال استطلاع الأنماط القيادية لمديري المدارس الابتدائية من وجهة نظر معلميهم، وعن الصحة النفسية لدى المعلم ممثلة في واحد من أكثر المشاكل التي يعانيها موظفو المهن الخدماتية بشكل عام وهي "الاحتراق النفسي" وقد خلصت الدراسة للنتائج التالية:

* يمارس مديري المدارس الابتدائية نمطي القيادة التبادلية والتحويلية بدرجة متوسطة، ونمط القيادة التسيبية بدرجة ضعيفة.

* يعاني معلمو المدرسة الابتدائية من الاحتراق النفسي بدرجة عالية على بعد "الإجهاد الانفعالي"، وبدرجة متوسطة إلى ضعيفة على بعدي "تبلد المشاعر ونقص الشعور بالانجاز" وقد تعددت أسبابه بين التنظيمية والمادية وبين المتطلبات الكثيرة لمهنة التدريس.

* ارتبط نمط القيادة التحويلية بعلاقة سلبية قوية مع الاحتراق النفسي عند مستوى الدلالة "0.01"

* ارتبط نمط القيادة التبادلية بعلاقة سلبية وضعيفة مع الاحتراق النفسي عند مستوى الدلالة "0.01"

* ارتبط نمط القيادة التسيبي بعلاقة موجبة وقوية مع الاحتراق النفسي عند مستوى الدلالة "0.01"

6- المقترحات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة لا بد من الإشارة إلى بعض المقترحات التي من شانها تطوير العملية التسييرية بين المدراء وتحسين مناخ العمل للمعلم.

* تدعيم البرامج التدريبية لمدراء المدارس بمهارات القيادة التحويلية وتبيان أثرها في مناخ العمل ورضا المعلمين، مع تصميم برامج لتطوير أداء مديري المدارس في ضوء متطلبات إدارة التغيير القائمة على مبدأ التشاركية وعدم إقصاء الأخر.

* ضرورة وضع السبل المناسبة للحد من المعوقات التي تواجه مدراء المدارس الابتدائية للقيادة التحويلية * العمل على وضع مقاييس محددة يتم في ضوءها اختيار مديري المدارس ممن يملكون الخصائص الشخصية التي تساعدهم على ممارسة القيادة التحويلية.

* توفير الحوافز التشجيعية سواء كانت مادية أو معنوية والتي تساعد مدراء المدارس على اتخاذ القيادة التحويلية منهجا لتعامل الإداري.

* إعداد البرامج الوقائية والإرشادية لخفض الشعور بالضغوط المهنية لدى المعلم.

* الاهتمام بتكوين الأساتذة وفقا للتغيرات العلمية والتكنولوجية تماشيا مع تطبيق الأساليب والتقنيات الحديثة في عملية التدريس، والاهتمام بالمقررات السيكولوجية.

* العمل على تحسين الظروف المادية والمهنية والاجتماعية للمعلم مع المتابعة الصحية النفسية والجسدية له لضمان استمراريته وتقديم مردود ذي جودة ونوعية لأن الاهتمام بظاهرة الاحتراق النفسي هو اهتمام بالصحة النفسية للمعلمين، نظرا لما تمثله من أثار مدمرة على العملية التعليمية برمتها.

المراجع:

- أسامة البطانية والمعتصم بالله الجوارنة (2004)، مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة ومعلماتها في محافظة إربد وعلاقتها ببعض المتغيرات، جامعة دمشق.

- إحسان دهش جلاب (2016)، إدارة السلوك الإنساني في المنظمات، الأردن، دار صفاء للطباعة والنشر.

- السمادوني السيد (1991) ، إدراك المتفوقين عقليا للضغوط والاحتراق النفسي في الفصل وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والبيئية، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، كلية التربية - جامعة المنصورة، الجزء2.

- الفرا ماجد محمد الخطيب، مازن إسماعيل(2007)، النمط القيادي السائد لدى مدراء الوزارات الفلسطينية في محافظة غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسة الدراسات الإنسانية، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، غزة فلسطين.

- الأحسن حمزة (2015)، الضغوط المهنية لدى معلمي المدرسة الابتدائية وعلاقتها بتقدير الذات لديهم - دراسة ميدانية بولايتي البليدة وتيبازة، مجلة العلوم النفسية والتربوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو.

- بوبكر دبابي(2012)، مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي المرحلة الابتدائية - دراسة ميدانية استكشافية بمدينة ورقلة ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، العدد التاسع.

- بوفرة مختار، منصور مصطفى(2014)، علاقة الاحتراق النفسي بالرضا الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي- دراسة ميدانية بولاية معسكر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، العدد 17.

- تعزيبت جمال(1996)، التنمية الإدارية، المديرون دراسات نفسية واجتماعية في المؤسسات الاقتصادية، جامعة الجزائر، مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني بن عكنون.

- حسين حريم (1997)، السلوك التنظيمي، (ط1)، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع.

- سند تكويني لفائدة مديري المدارس الابتدائية (2014)، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر، وزارة التربية الوطنية ص5 شارع أولاد سيدس الشيخ الحراش.

- سلطان المشعان(2000)، مصادر الضغوط المهنية لدى المدرسين بالمرحلة المتوسطة دولة الكويت وعلاقتها بالاضطرابات النفسية الجسمية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد التاسع، جامعة الكويت.

- عبد الرحمن بن سالم (2000)، المرجع في التشريع المدرسي، الجزائر، دار الهدى.

- عبد العزيز عطا الله (2007)، الإدارة المدرسية في الفكر الإداري المعاصر، (ط1)، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع.

* ناصر الدين زبدي(2004)، دراسة سيكولوجية وصفية حول أسباب القلق عند المدرس الجزائريين وانعكاساتها على سلوكه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر-2-.

– Abdel Halim Boudoukha (2009) Burnout et traumatismes psychologiques, Paris, Dunod.

- Baddy et pato n (1998),management :An introductio, prentice hall Europe.

- Huczynski,A ,Buchanan,D (2001), Organizational behavior, An introductory text, Fourth Edition, Prentice Hall.

- Montgomery Cameron, Demers Serge, Morin Yvan (2010),Le stress, Les stratégies d'adaptation et L'épuisement Professionnel chez Les stagiaires francophones en enseignement Primaire etsecondaire, Revue Canadienne De L'éducation N° 33/4 .

- Rensis likert (1916) , new patterns of management, McGrqaw.Hill Book, N.Y.

تأثيرات تكنولوجيا الإعلام والاتصال على مؤسسات القطاع السياحي

أ.د.عبد الوهاب بن بريكة- أ.حدة عمري

جامعة بسكرة- جامعة أم البواقي

الملخص

بعد التجارة الإلكترونية في السلع المادية والرقمية، تعتبر السياحة الميدان الأكثر حداثة في استثمار تكنولوجيا الاعلام والاتصال، فقد تحولت الأنظار والاهتمامات في استخدام تلك التكنولوجيات إلى مجالات أخرى أكثر معنوية (أكثر بعدا عن المادية)، فكانت السياحة واحدة من أهم قطاعات الخدمات استخداما لها، واستفادت منها بكل مؤسساتها، من فنادق، مؤسسات نقل، مطاعم، وكالات سياحية...، وأصبحت السياحة الإلكترونية متاحة للجميع، حيث يمكن للسائح تحديد وجهته السياحية واختيار برنامجه السياحي، والحجز في فندق وكذا الحجز في طائرة أو أية وسيلة نقل أخرى برية كانت أو بحرية، وهو جالس في فراشه، مستخدما هاتفه الذكي، أو حاسوبه، مما سهل على الكثيرين ووفر عليهم الكثير من الوقت والجهد وكذلك المال المنفق في برامجهم السياحية، من خلال الاستفادة من أنظمة الحجز الإلكتروني، نظام المعلومات الجغرافي فضلا عن المساهمة في تحديد القرار الشرائي النهائي للسائح، وغيرها من التطبيقات الإلكترونية للسياحة.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا الاعلام والاتصال، السياحة الالكترونية، السياحة

Abstract :

After the electronic commerce in physical and digital goods, tourism is the most modern field in the investment of information and communication technology, the attention shifted to the use of these technologies to other areas more significant (farther away from physically things), tourism was one of the most important services sectors, Hotels, transport establishments, restaurants, tourist agencies ..., e-tourism available to all, where the tourist can determine his destination tourist choose his tourist program, hotel reservation and booking in a plane or any other means of transport land or land, is sitting In his bed, Using his smart phone, his computer or Tables, making it easy for many and saving them a lot of time and effort as well as money spent on their tourism programs, using the electronic reservation systems, GIS, as well as contribute to determining the final decision of the tourist and other electronic applications Tourism.

Keywords: Information and Communication Technology, E-Tourism, Tourism

تمهيد :

لعل من الضروري التأكيد على المسار الذي مر به الاقتصاد عبر مراحله المختلفة، وما عاشته المؤسسات معه في مسارها التاريخي، لما لذلك من فضل على تطور المؤسسة عموما، فبعد أن كانت المؤسسة تبيع كل ما تنتج في اقتصاد سُمي باقتصاد الإنتاج برزت فيه أهمية الوظيفة الانتاجية وكيف يمكن للمؤسسة الانتاج بأكبر حجم ممكن، كانت المؤسسة آنذاك تسعى إلى المكننة، وتوفير أحدث الآلات لتنتج، فكانت تأثيرات ذلك على المؤسسة والمجتمع ايجابية وسلبية على حد سواء، وبعد فترة من الانتاج الكبير ضمن ما سمي باقتصاديات الحجم، ظهرت الحاجة الماسة لوظيفة التسويق لتصريف ما تم انتاجه في اقتصاد أصبح يسمى باقتصاد التوزيع، المشكلة الأساسية فيه البحث عن منافذ للتوزيع وتسويق المنتجات، ليصل الحال بالمؤسسة وفي مرحلة متقدمة فيما بعد إلى الاهتمام بالعنصر البشري باعتباره رأس المال والمورد الحقيقي للمؤسسة الذي لا يمكن لها الاستمرار بدونه، في اقتصاد المعرفة، وضمن نفس الاقتصاد حدثت ثورة للمعلومات أين كان للتطور في وسائل الاعلام والاتصال الأثر الكبير على المؤسسات خاصة بظهور الاستخدامات التجارية للشبكات، وسواء كانت المؤسسات صناعية أو خدمية فقد مسها الأثر لاستخدام تلك التكنولوجيات بالشكل الايجابي والسلبي على حد سواء، وفي هذا الوقت بالتحديد، لم تعد مجاراة التطور في هذه التكنولوجيات خيارا، بل ضرورة ملحة لمسايرة التغيير

والتكيف معه، إلا أن ذلك لا يعني أن المؤسسة بعيدة عن سلبيات تواجدها في هذا المحيط التكنولوجي، وعلى غرار كل القطاعات، كان قطاع السياحة بمؤسساته المختلفة متأثرا بشكل كبير باستخدام هذه التكنولوجيات، لكن السؤال الذي يتبادر للأذهان، هو ما سيتم معالجته في هذا المقام، ملخصا في التساؤل التالي:

كيف يمكن لتكنولوجيات الاعلام والاتصال أن تؤثر على مؤسسات القطاع السياحي ؟

وسنحاول البحث في هذه الورقة في المحاور التالية:

المحور الأول: تكنولوجيا الاعلام والاتصال مدخل مفاهيمي.

المحور الثاني تطبيقات وآثار تكنولوجيات الاعلام والاتصال الإيجابية والسلبية على المؤسسات الناشطة في القطاع السياحي

المحور الأول: تكنولوجيا الاعلام والاتصال مدخل مفاهيمي

1. تعريف تكنولوجيا الاعلام والاتصال:

لقد أدى التطور التكنولوجي للاتصالات والمعلوماتية إلى ظهور وسائل وتطبيقات اتصالية جديدة أطلق عليها البعض اسم: "التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال(NTIC)* والحقيقة، أن مفهومها يتضمن جميع الاستعمالات من حواسيب، شبكات اتصال وأجهزة تداول المعلومات سلكية ولاسلكية[1]، حيث تتمثل عادة في أجهزة الاتصال من هاتف، فاكس، وانترنت، أقمار صناعية... وهي تستخدم بغرض أداء مختلف المهام الرامية إلى تحقيق أهداف المؤسسة. [2] وبالتالي فإن تكنولوجيات الإعلام والاتصال بالنسبة للمؤسسة هي: تلك الأدوات التي تستخدم لبناء نظم المعلومات، والتي تساعد الإدارة على استخدام المعلومات المدعمة لاحتياجاتها في اتخاذ القرارات، وللقيام بمختلف العمليات التشغيلية في المؤسسة[3]، وذلك عن طريق تحويل، تخزين ومعالجة كل أنواع المعلومات (نصوص، صور، صوت...) في شكل معطيات رقمية موحدة، وبثها بسرعة الضوء في كل أنحاء العالم، باستخدام الشبكة العالمية الإنترنت، كما يمكنها ترجمة المعلومات المستقبلة، وتحويلها إلى الشكل المرغوب فيه (نصوص، صور، صوت، ...)، فضلا عن تغيير طرق الاتصال داخل الإدارات[4].

وللإشارة أن مصطلح: "تكنولوجيا الإعلام والاتصال" يعد أشمل وأدق من الترجمة المتداولة "تكنولوجيا المعلومات والاتصالات" والتي ينقصها الشمولية لمعنى عبارة ICTS التي تعتمد ميدانين: الإعلام Information والاتصال Communication، ومن جهة أخرى فإن الفارق واضح بين مصطلح الإعلام والمعلومة حيث تعتبر المعلومة المادة الخام للإعلام، والإعلام عملية تنطوي على مجموعة من أوجه النشاط من بينها نشاط نقل المعلومات وتداولها، فهو يشمل

---

* صفة "**الحداثة**" تبقى صفة مؤقتة، فبعد سنوات قليلة ستصبح هذه التكنولوجيات والتي تتعلق بشبكة الإنترنت والهندسة المعلوماتية، والعمل التعاوني عن بعد والإدارة الإلكترونية...، من الأمور العادية، وهو فعلا ما حدث فقد تغير الوضع إلى TIC بدل NTIC، أما اليوم فالحديث يتعلق بمصطلح أكثر اختصارا IT.

1: جمال لعمارة، مالك علاوي: **أثر استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال على تسيير الموارد البشرية في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة**، الملتقى الدولي الثاني: تأثير الانكسار الرقمي شمال/جنوب على تسيير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2928- أفريل 2007.

2: إبراهيم بختي، **صناعة تكنولوجيات المعلومات والاتصالات وعلاقتها بتنمية وتطوير الأداء**، المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 09 مارس 2005، ص 318.

3: علاوي مالك، **أثر استعمال التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال على تسيير الموارد البشرية في القطاع العمومي** (دراسة حالة: الوكالة الوطنية لتنمية البحث الجامعي(ANDRU)، ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005/2006، ص58.

4: المرجع السابق.

المعلومات، لكن المعلومات لا تحتوي على كل موضوعات الإعلام[1].

2. خصائص تكنولوجيا الإعلام والاتصال:

تتميز تكنولوجيا الإعلام والاتصال بمجموعة من الخصائص يمكن إبرازها كما يلي:[2]

- ✓ **التفاعلية:** أي أنَّ المستعمل لهذه التكنولوجيا يمكن أن يكون مستقبلاً ومرسلاً في نفس الوقت.
- ✓ **اللاجماهيرية:** وتعني إمكانية توجيه وتسليم الرسالة الاتصالية لفرد واحد أو لجماعة معينة، وليس إلى جماهير ضخمة كما كان في الماضي، وتعني أيضاً درجة التحكم في نظام الاتصال بحيث تصل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستهلكها مباشرة.
- ✓ **اللاتزامنية:** بحيث يكون بإمكان المستخدم إرسال واستقبال الرسائل في أي وقت، وهو غير مطالب باستخدام النظام في الوقت نفسه مع المرسل أو المستقبل.
- ✓ **الشيوع والانتشار:** وهو قابلية هذه الشبكة للتوسع والانتشار عبر مختلف مناطق العالم، وهذا ما يسمح بتدفق الاعلام عبر مسارات مختلفة مما يعطي لهذه التكنولوجيا الطابع العالمي.
- ✓ **التفاعلية والحركية:** فهناك وسائل اتصالية كثيرة يمكن لمستخدمها الاستفادة منها في الاتصال من أي مكان أثناء حركته، مثل الهاتف النقال، بمعنى الانتقال من الأجهزة الثابتة إلى الأجهزة المتنقلة.
- ✓ **سهولة الاستخدام:** حيث تتسم وسائل الاتصال الحديثة بسهولة وبساطة التشغيل.

وانطلاقاً من الخصائص التي تميز هذه التكنولوجيا يظهر لنا سر قوتها، التي سمحت بوجود شكل جديد من الارتباط بين الأطراف العالمية المختلفة، وأن تحدث تغيرات جوهرية في سلوكات وممارسة الأفراد والمؤسسات والحكومات على السواء، وقد تركت هذه الخصائص تأثيرها على المجتمعات وعلى نظم الاعلام من خلال التطور السريع والحاسم في أساليب تخزين واسترجاع الاعلام مع ظهور ثقافة مؤسساتية جديدة، وتغير العديد من الممارسات الاقتصادية، وهذا يرجع أساساً إلى الانعكاسات المترتبة عن هذه التكنولوجيات.

3. شروط عمل الاقتصاد في عالم تكنولوجيا الإعلام والاتصال:

ركز تقدير مكتب الاستثمار الأمريكي (واشنطن) على ما سماه المكتب بالاستعداد الالكتروني، فرأى ضرورة توفر 5 نقاط قوة في الاقتصاد وهي:[3]

- ✓ **الربط:** هل شبكات تكنولوجيا الإعلام قابلة وسهلة الاستخدام؟
- ✓ **القيادة الإلكترونية:** هل وضعت الحكومة الاستعداد الإلكتروني كأولوية وطنية؟
- ✓ **رأس المال البشري:** هل حصلت القوة العاملة على التكوين المناسب ؟
- ✓ **مناخ الأعمال الإلكترونية:** إلى أي مدى يسهل القيام بأعمال إلكترونية بالبلد؟
- ✓ **أمن الاعلام:** هل يمكن للمستخدمين وضع ثقتهم في معالجة وتخزين الاعلام بالشبكات الاعلامية؟

وتعتبر القيادة الإلكترونية شرطاً ضرورياً، لأنه يسمح بوضع أولى الخطوات للدخول إلى عالم تكنولوجيا الإعلام والاتصال، فالدول الأوروبية لازالت تتقدم بشكل سريع وتصاعدي في تطبيق هذه التكنولوجيات، وهذا ما يطرح حالياً تقسيماً جديداً للمجتمع العالمي ضمن مصطلح التقسيم الرقمي الذي يصف الفجوة بين القادرين على الحصول على الاعلام والمعرفة وغير

1: بن بريكة عبد الوهاب، **أثر تكنولوجيا الإعلام والاتصال في دفع عجلة التنمية**، مجلة الباحث - عدد 07، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009-2010، ص245.

[2]: عباس لحمر، **تكنولوجيا الإعلام والاتصال وملامح المجتمع الاعلامي**، مجلة الحقيقة، العدد 3، مارس 2009، جامعة أدرار الجزائر، ص 94-96.

[3]: المرجع السابق، ص 103.

القادرين على الحصول عليها.

ويمكن قياس استعدادات دولة ما في مجال تكنولوجيا الاعلام والاتصال حسب درجة تطورها. كما يعتمد في ذلك على ما يسمى بمستوى الجاهزية وكثافة الاستخدام، التي تظهر كما يلي:[1]

أ. مؤشر الجهوزية في مجال تكنولوجيا الاعلام والاتصال: هي مؤشرات تأخذ بعين الاعتبار حضيرة أجهزة الإعلام والاتصال المستخدمة في تلك الدولة، حيث يضم هذا المؤشر:

- ✓ عدد الهواتف الثابتة والمنقولة، مع عدد خطوط الإنترنت
- ✓ عدد خطوط الإنترنت المتوفرة وعدد مشتركي الانترنت
- ✓ عدد أجهزة التلفاز والحواسيب
- ✓ نسبة العاملين في قطاع الاعلام والاتصال إلى مجموع القوة العاملة داخل البلد،
- ✓ نسبة تجارة تكنولوجيا الاعلام والاتصال من إجمالي تجارة البلد.

ب. مؤشر كثافة الاستخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال: تعبر هذه المؤشرات عن مستوى التقدم المسجل في مجال استعمال تكنولوجيا الاتصال والإعلام:

- ✓ التكلفة الشهرية لاستعمال الإنترنيت،
- ✓ نسبة المنازل المزودة بالإنترنت،
- ✓ نسبة مؤسسات الأعمال التي تستعمل الحواسيب، الانترنت، أو التي تمتلك موقع انترنيت،
- ✓ نسبة التعامل التجاري عبر الانترنت، وكذا الأمر بالنسبة لقطاع التعليم.
- ✓ سعر الحاسوب بالنسبة متوسط دخل الفرد،
- ✓ معدل استخدام الانترنت من الإدارات العمومية ونسبة الخدمات الحكومية المقدمة عبر الانترنت...

المحور الثاني: تطبيقات وآثار تكنولوجيات الاعلام والاتصال الإيجابية والسلبية على المؤسسات الناشطة في القطاع السياحي:

تسمح وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، مثل الإنترنيت، الهواتف الذكية، الخرائط التفاعلية ... بتطور السياحة، بالتعريف بالعرض السياحي بشكل يساهم في زيادة الإقبال عليه[2]، وقد ارتبط ظهور السياحة الإلكترونية بظهور الإنترنت.[3]

I. تطبيقات تكنولوجيا الاعلام والاتصال في القطاع السياحي

لعل أهم ما يمكن أن يُذكر في هذا الصدد من استخدامات لتكنولوجيا الاعلام والاتصال في المجال السياحي، أو ما يلخص تلك التطبيقات، هو ما اصطلح على تسميته بالسياحة الإلكترونية، التي سنبدأ بتحديد تعريفها أولا في هذا المحور، ومن ثم نورد بعض التطبيقات المستندة على تكنولوجيا الاعلام والاتصال في السياحة.

1. السياحة الإلكترونية: (E- tourisme)

نظرا لحداثة الدراسات في مجال السياحة الإلكترونية وقلتها إن لم نقل ندرتها، فقد خلت الدراسات من وضع تعريف قانوني لها، ولكن نظرا لأن هذا النمط من الأنماط السياحية يعد ركنا هاما من أركان التجارة الإلكترونية. فقد اخترنا التعريف الذي حاولنا من خلاله التقريب بين تعريفات التجارة الإلكترونية بصفة عامة والسياحة الإلكترونية بصفة

[1] : مغاري عبد الرحمان، شيخي بلال، **انعكاسات تكنولوجيا الإعلام والاتصال على السياحة الداخلية في الجزائر**، الملتقى الوطني حول: فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، يومي 19 و 20 نوفمبر 2012.

[2] **:**CNUD. Les perspectives offertes par le tourisme électronique dans les pays en développement. CNUD. Rapport sur l'économie de l'information. 2005, P. 10, P 17.

[3] : مغاري عبد الرحمان، شيخي بلال، **مرجع سابق**.

خاصة، في محاولة منا وضع تعريف لهذا النمط السياحي.

ومن هنا، فإنه يمكن تعريف السياحة الإلكترونية أنها: نمط سياحي يتم تنفيذ بعض معاملاته التي تتم بين مؤسسة سياحية وأخرى أو بين مؤسسة سياحية ومستهلك (سائح)، من خلال استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصالات. أو هي نمط سياحي تتلاق فيها عروض الخدمات السياحية من خلال شبكة الاعلام الدولية (الإنترنت) مع رغبات جميع السائحين الراغبين في قبول هذه الخدمات السياحية المقدمة عبر شبكة الإنترنت.[1]

من التعريف السابق يمكن القول بأن عناصر السياحة الإلكترونية ثلاثة:[2]

الأول: المؤسسة السياحية مقدمة الخدمة السياحية.

الثاني: المستهدف من عملية التسويق السياحي والخدمة السياحية (السائح).

الثالث: الرابط بين السائح والمؤسسة السياحية والمتمثل في تكنولوجيا الاعلام والاتصال وعلى رأسها شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

ومنه، فإن معاملات هذا النمط السياحي، تعتمد في مجملها على الاتصال الإلكتروني، حيث أن الخدمات السياحية والتسويق السياحي يتم بصورة الكترونية، كذلك عرض البرامج السياحية من قبل الشركات وقبولها من جمهور السائحين يتم بصورة إلكترونية. ولا يقف الأمر عند الدعاية والعرض؛ بل يتم الحجز وترتيب كل ما يتعلق بالرحلة السياحية من خلال الوسائل الإلكترونية وفى مقدمتها الإنترنت.

وعلى هذا يمكن تعريف عقد السياحة الالكتروني بأنه: *عقد ينطوي على تبادل للرسائل والمعلومات بين المؤسسة السياحية من خلال نماذج وصيغ معدة سلفا ومعالجة إلكترونيا، وينشأ عنها التزامات تعاقدية.*[3]

2. تكنولوجيا الاعلام والاتصالات كأساس لظهور نوع جديد من السياح:

نتج عن المزج بين صناعة السياحة وتكنولوجيا الاعلام والاتصال نوع جديد من السياح، حيث أصبح هذا النوع من السياح أكثر تعقيدا وأكثر تطلبا، ويحتاج إلى منتجات ذات جودة عالية ولديه معرفة أوسع عن الوجهات والمنتجات السياحية، كما أن للسائح الجديد أفضليات واضحة وهو دائما في مقارنة للبدائل المختلفة، فضلا عن أنه أكثر تطلعا ومعرفة بالجانب الثقافي والبيئي.

وتوفر الوسائط الالكترونية للسائح إمكانية الاطلاع على مختلف العروض في وقت قصير جدا وبسهولة تامة، لذلك تسعى المؤسسات السياحية على اختلاف أنواعها لتقديم أحسن عرض من حيث العلاقة (جودة/السعر)، والتعريف به ليكون على مرئ من السائح، كما يندمج السائح ضمن المجتمع الافتراضي للبحث عن الخبرات والآراء وتبادل الصور وأشرطة الفيديو مجانا وفي الوقت الحقيقي. لأنه يريد الشعور بالانتماء ويحب أن يقدم آراءه، كما يحب أن يكون ملما بمختلف المعلومات. ويُعتقد أن السائح لم يعد الزبون السلبي الذي يذهب إلى وكالة السفر ويجلس لساعات لشراء عطلة، إنما السائح الجديد هو الأكثر نشاطا والذي يرغب في الحصول على المشاركة في عملية الشراء ويتطلع إلى وجود المرونة في تقديم واختيار الخدمة[4]

3. الاتصالات الترويجية الالكترونية كأساس لخلق الرغبة لدى السياح:

1: رشا علي الدين، **النظام القانوني لعقد السياحة الإلكتروني**، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، 2010، ص ص 22، 23.

2: المرجع السابق.

3: المرجع السابق، ص 24.

[4] حماني أمينة، **دور تكنولوجيا الاعلام و الاتصالات في الترويج للسياحة الداخلية في الجزائر**، الملتقى الوطني حول: فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة الحاج لخضر –باتنة ، يومي 19-20 نوفمبر 2012.

إن المبدأ الأساسي لسلوك المستهلكين هو أن لديهم القدرة على التأثير القوي على بعضهم البعض، ولعل استخدام الوسائل الإلكترونية ساعد في ذلك بشكل واضح، والمواقع الإلكترونية التي تسمح للمؤسسات السياحية حصد آراء مستخدمي شبكة الالكترونية خير مثال على ذلك، حيث أصبحت هذه المواقع جد معروفة من الملايين من مستخدمي الشبكة من مختلف أنحاء العالم. فموقع Tripavisor على سبيل المثال يشترك به 15 مليون عضو مشترك؛ 34 مليون زائر كل شهر، 35 مليون رأي، وللإشارة فقط في هذا الموضوع، أن ثلث الرسائل الموضوعة على تلك المواقع تعرف إجابة على الأقل في 24 ساعة، كما أن الصور التي يضعها أعضاء تلك المواقع قد تصل إلى المليون في عددها، ذلك ما يخلق الرغبة لدى الزبائن لاستهلاك الخدمات المعروضة أو موضوع النقاش، حيث ينتقل الزبون إلى مرحلة أعلى من مراحل قراره الشرائي، وبالتالي فإن هذه المواقع أكثر المواقع المعبرة عن آراء المسافرين الحقيقيين، غير المتحيزة للسفر والتي تمنح الصورة الحقيقية عن الفنادق والمطاعم السياحية في مختلف أنحاء العالم، حيث تشكل هذه الآراء حافزا كبيرا لخلق الرغبة لدى السياح وهم يبحثون عنها في كل مرة.[1]

كما تعتبر المدونات واحدة من أهم الوسائل التي تجمع السائحين المحتملين أو الذين ساحوا في منطقة أو أخرى، حيث تعتبر مدونة La maison de beau à voir كمثال على ذلك، حازت على أفضل مدونة سياحية سنة 2007 بمناسبة الملتقى الثاني للمدونة المحلية في مدينة Alançon بفرنسا، وهي من البيوت القليلة في المدينة بسعته من 5 إلى 8 أفراد وتقع في منطقة جميلة جدا، حيث يقوم صاحبها بتقديم مختلف المعلومات حول المنطقة والتظاهرات التي تعرفها باستخدام الصور والفيديو ويترك المجال لزائرين المدونة والزبائن الذين أقاموا في بيئته لتقديم تعليقاتهم وآرائهم حول خدماته.[2]

4. نظام المعلومات الجغرافي Geographic Information System GIS:

استفادت المؤسسات السياحية من هذا النظام بشكل كبير، فقد سجل قدرته الكبيرة على المساهمة في توسيع السوق وزيادة الحصة السوقية للمؤسسات السياحية، بنسب تتراوح بين 2 إلى 22 %، كما أتاح استعمال هذا النوع من التكنولوجيا عرض المنتج السياحي عن طريق رسائل الإيميل E-mail للسياح، وتقديم كافة المقومات السياحية البشرية والطبيعية، وإرسالها للسياح المحتملين عبر شبكة الإنترنت. إضافة إلى إمكانية حصول السياح على احتياجاتهم، والاختيار بين منتجات الشركات العالمية، بغض النظر عن مواقعهم الجغرافية، خاصة وأن هذا النوع من التسويق لا يعترف بالفواصل والحدود الجغرافية[3].

ويعتمد هذا النظام على المعطيات الحقيقية للانتشار الجغرافي للمواقع السياحية، والمؤسسات السياحية، وكل ما بشأنه أن يخدم السائح في تنقله بين الأماكن السياحية بما في ذلك الهياكل القاعدية من مستشفيات، مطارات...، ليُوجِّهه إلى الطريق الأسرع والأكثر أمنا والأكثر توفرا على الخدمات اللازمة، والتي قد يحتاج لها السائح في رحلته السياحية، وبذلك فإن هذا النظام الإلكتروني، يحتاج إلى التحديث المستمر لكي يقدم النفع الحقيقي للسياح، كما أنه يحتاج إلى وسائل إلكترونية كحوامل، تسهل على السائح الاستفادة من خدمات النظام، كجهاز الـ MDV* وهو جهاز محمول باليد تعرض فيه الخرائط، أو LDV**، أو الهواتف الذكية. والشكل التالي يوضح صورة لأحد الأجهزة التي تعمل من خلال هذه البرمجية:

الشكل: أجهزة تعمل من خلال برمجيات نظم المعلومات الجغرافية

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

3: ابراهيم خليل بظاظو، **التخطيط والتسويق السياحي باستخدام GIS**، دار الوراق، الأردن، 2009، ص ص 243، 244.

* Map View Display

** List View Display



المصدر: ابراهيم خليل بظاظو، **التسويق الالكتروني باستخدام برمجية ARCGIS9.2**، دراسة تطبيقية على مواقع السياحة العلاجية في الأردن

5. أنظمة الحجز الإلكترونية :

هي أنظمة إلكترونية (برامج على شكل مواقع إلكترونية)* هدفها الأساسي أتمتة عمليات الحجز بالفنادق ورحلات الطيران...، تعتمد في الأساس على قواعد البيانات على نطاق تجاري واسع[1]، حيث تشترك في تلك القواعد العديد من المؤسسات السياحية والمختلفة الأنشطة، بما فيها المؤسسات الفندقية، الوكالات السياحية، مؤسسات النقل خاصة الخطوط الجوية...، وذلك بتوفير المعلومات المناسبة من غرف وأماكن شاغرة، بالتواريخ المحددة والأزمنة المتوفرة لدى تلك المؤسسات، حيث يكون التحديث مستمرا لتلك المعطيات مما يسمح للسياح الاستفادة من المعلومة الأنسب والأسرع والأدق عن طريق الوكالات السياحية أو المؤسسات التي توفر لهم مثل هذه الخدمات (خدمات أنظمة الحجز)، ولعل أكثر المؤسسات استخداما لهذه الأنظمة على الصعيد الوطني الوكالات السياحية التي تستفيد بشكل كبير من هذه الأنظمة، بشكل مباشر في علاقتها المباشرة مع السائح الزبون أو بشكل غير مباشر من خلال توفير خدمة الحجز لسياح زبائن لوكالات أخرى غير مشتركة في النظام، وعلى ذكر الاشتراك، فإنه لا يمكن الاستفادة من خدمات النظام إلا بالاشتراك السنوي الذي قد يكون مكلّفا لبعض المؤسسات خاصة الصغيرة منها، الأمر الذي يجعلها تلجأ إلى التعاون مع مثيلاتها المشتركة بالنظام، على الأقل هذا ما يحدث في الواقع العملي بالجزائر، كما يمكن الإشارة إلى أن لمثل هذه الأنظمة مجالات متخصصة، فمنها ما هو موجه لخدمات الحجز بالحج والعمرة، ومنها ما هو موجه للحجز بالخطوط الجوية، ومنها ما يُمكّن المؤسسة من الحصول على تأشيرات السفر...، وإذا كان النظام متطورا، فيمكنه القيام بكل تلك الأعمال، وعلى سبيل الذكر لا الحصر، الأنظمة التالية للحجز الإلكتروني الأكثرها شيوعا واستخداما على الاطلاق:

الجدول رقم(01): أنظمة الحجز العالمية والمحلية

اسم النظام	أنظمة الحجز التي يطبقها	مجال تخصصه	الخطوط المشتركة فيه
النظام الأمريكي The American System	Apollo / covia		United airline, us air
	System one		Eastern, continental
	Pars		Northwest, air canada
	Sabre		American air
	Datas2		delta air line
النظام الأوربي The European Systems	Amadeus		linked with pars(lufthansa, iberia, air france, jat,finn air)
	Galileo	• 550 شركة طيران • 45ألف فندق	linked with apollo / covia, british airways, alitalia, Swissair, olympic, sabena, air

* يطلق عليها اسم les plateforme في الواقع العملي.

1ثورة الأنفوميديا، **وكلاء السفر والمخاطر المحدقة**، ص 391، بتصرف.

		• 55ألف وكيل سياحي • 12ألف موقع تأجير سيارات	lingus, Austrian airlines, australian
المصدر: من إعداد الباحثة			

II. أسباب تطور استخدامات تكنولوجيا الاعلام والاتصال في القطاع السياحي وآثارها الإيجابية والسلبية

كان لتطور استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال بالمؤسسات السياحية أسباب عديدة، سوف نتعرض لعدد منها في الفقرات التالية من هذا المحور، كما سنعرج فيه على الآثار المحتملة سواء الإيجابية منها أو السلبية لاستخدام هذه التكنولوجيات

1. أسباب تطور استخدامات تكنولوجيا الاعلام والاتصال في القطاع السياحي الالكتروني:

إن المميزات التي خُصَّتْ بها تكنولوجيا الإعلام والاتصال- والتي ذكرناها سابقا-، عندما تلتقي مع خصوصية القطاع السياحي، فإنها تكون محفزة لنمو نمط جديد وقطاع جديد هجين بين السياحة والتكنولوجيا هو السياحة الإلكترونية، وإذا أردنا ذكر بعض المحفزات لنمو هذا الصنف الهجين وتطوره فإنه يكون بوسعنا تحديد العناصر التالية:

- ✓ عروض كبيرة ومختلفة من الخدمات السياحية.
- ✓ تأمين الثقة في وسائل الدفع عبر الانترنت(وهذا بشكل نسبي).
- ✓ الرحلات السياحية ليست منتجاً ملموساً لذلك، أصبحت صفحات الانترنت البديل المنطقي لتسويق الرحلات عبر الملفات.
- ✓ الشركات المختصة في السياحة، لها الإمكانية للتأقلم مع حاجات وطلبات المستهلكين، وبالتالي حسب الموضة والنزعة والميل الغالب تستطيع الشركات ابتكار الوسائل الملائمة لإغراء السائحين.
- ✓ زيادة إمكانية الوصول إلى تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتوافرها خاصة منها الإنترنت[1]
- ✓ الانتشار السريع للإنترنت في العالم ولمختلف تكنولوجيات الاعلام والاتصال، قد أحدث تغييرات كبيرة في هيكل الأسواق وسلوك المستهلكين، فضلا عن المقارنة بين مختلف عروض السياحة وشفافية الأسعار، كلها أمور قد أغرت المستهلكين، وأدت إلى ظهور توقعات جديدة، بل إلى تسارع المنافسة بين مقدمي الخدمات السياحية على الشبكة مباشرة،
- ✓ إتقان المستهلكون على نحو متزايد عمليات البحث والشراء على الشبكة مباشرة، وهم يتوقعون أن يجدوا معلومات موثوقة وذات نوعية لكي يتمكنوا من شراء أفضل الخدمات، وأن يحصلوا على معلومات شاملة وتأكيدات لما اتفق عليه. كما يطالبون بترتيبات مرنة تتناسب واحتياجاتهم، بما في ذلك من معلومات عن تجارب السفر الحديثة التي تشمل الموارد الثقافية، الطبيعية، وحتى البيئة الاجتماعية.
- ✓ الفرص التي أتاحها هذا التواجد والانتشار لتكنولوجيات الاعلام والاتصال، فقد أضحت هذه التكنولوجيات تشكل أولوية بالنسبة للمنظمات العامة والخاصة، فضلا عن مقدمي الخدمات السياحية على المستويين الوطني والإقليمي، وعلى مستوى المجتمعات المحلية في البلدان النامية، بما فيها البلدان الأقل نموا، حيث يتسم قطاع السياحة بأهمية استراتيجية، ويمتلك القدرة على تلبية متطلبات المستهلكين [2]
- ✓ سهولة نقل وتسليم الخدمة السياحية من المنتج إلى المستهلك عبر شبكة الانترنت، فيمكن على سبيل المثال تسليم تذاكر الطيران باستخدام التذاكر الالكترونية E-TICKET وكذلك تسليم قسيمة التبادل الخاصة بالحجز بأحد الفنادق

---

[1]: لمياء السيد حنفي، **التسويق السياحي**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص ص 229-230.

[2]: **تقرير اقتصاد المعلومات حول التجارة الإلكترونية والتنمية**، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، الأمم المتحدة، نيويورك، 2005، ص16-18.

Hotel Voucher عبر البريد الإلكترونية وهكذا.[1]

2. **أهمية ومزايا تكنولوجيا الاعلام والاتصال في القطاع السياحي:**

تضمن تكنولوجيات الإعلام والاتصال وعلى رأسها الإنترنت للقطاع السياحي والمؤسسات الناشطة فيه عددا من الفوائد، ويمكننا أن نذكر بعضها كما يلي: [2]

✓ تعتبر وسائل تكنولوجيا الاعلام والاتصال مصدر مستمر للمعلومات السياحية. فبإمكان رواد الإنترنت دخول المواقع السياحية في أي وقت وحيثما توفرت أجهزة الاتصال.

✓ اعتبار الانترنت أحسن أداة للترويج للمنتوج السياحي وتسويقه وبأقل تكلفة ممكنة، لأنها تتيح الاتصال المباشر بين عرض الخدمة السياحية والطلب عليها. فالتسويق السياحي، الذي كان يقوم فيما سبق على وجود العديد من الأنشطة الإدارية والفنية التي تقوم بها المنظمات والمنشآت السياحية داخل حدود الدولة أو خارجها لتحديد الأسواق السياحية المتوقعة والتعرف عليها والتأثير فيها من أجل زيادة التدفقات السياحية القادمة منها وتحقيق التوافق بين المنتج السياحي وبين الرغبات والدوافع للفئات السوقية المختلفة.[3]

✓ تقديم معلومات مجانية وسريعة عن الخدمات السياحية المختلفة (مواقيت الرحلات، أسعار تذاكر النقل، الفنادق، المطاعم...) وفي أي وقت كان وفي أي مكان تتوفر فيه وسائل الاتصال الحديثة.

✓ تسهيل إجراء المقارنات المتأنية بالاطلاع على مختلف المواقع الإلكترونية السياحية.

✓ امكانية اقتراح البرنامج السياحي الخاص بالزبائن، واقتراح تكلفة ذلك من خلال المواقع الإلكترونية. فموقع Travelocity.com مثلا هو اليوم يدرس طلبات زبائنه من خلال التعرف على الوجهات التي يرغبون في زيارتها والميزانية التي يتوفرون عليها، مع تحديد طبيعة الرحلة المراد القيام بها (مغامرة، ترفيه...)، ثم يتولى بعد ذلك عرض كل الخيارات الممكنة في ظل هذه القيود والشروط المحددة من قبل الزبون.

✓ مساعدة الزبون من خلال التكفل ببعض الخدمات السياحية، مثل التأمين على السفر، تأجير السيارات، حجز تذاكر المباريات والحفلات وزيارة المواقع السياحية...

✓ التشجيع أكثر على ممارسة الفعل السياحي بسبب تخفيض التكاليف السياحية، بشكل يعود بالنفع على وكالات السياحة وعلى الدولة.

✓ تمكن السياحة الإلكترونية من معرفة توجهات الزبائن وآرائهم في المنتجات السياحية، بشكل يسمح بتطويرها بما يحسن القدرة التنافسية للمؤسسات السياحية.

✓ تعتبر الإنترنت أحسن وسيلة لمقارنة العروض السياحية المتوفرة. فالاطلاع الافتراضي على مختلف الخدمات السياحية تتيح للزائر إمكانية التعرف على المعالم السياحية بسهولة اعتمادا على صورة مرئية مدعمة ببيانات توضيحية تسمح له باتخاذ القرار المناسب بأقل تكلفة ممكنة.

✓ تتيح الإنترنت لمرتادي مواقع السياحة الإلكترونية من الاستفادة أكثر من الوقت لفهم العروض السياحية ومعرفة تفاصيلها دون أي حرج، وهو ما لم يكن متوفرا بشكل كامل في حالة وكالات الأسفار التقليدية.

✓ شفافية مواقع السياحة الإلكترونية تسمح للزبائن من الحصول على مختلف الاعلام ومعرفة المزايا الممنوحة في مجال

1: سامي حامد عبد الحميد الشيشاني، أثر **استخدام التجارة الإلكترونية على سوق الخدمة الفندقية- دراسة ميدانية على فنادق الدرجة الأولى في الأردن**، ماجيستير غير منشورة، جامعة آل البيت، 2006، ص ص 88، 89.

2: http://www.weforum.org/tter08browse/index.htlm

3: عشي صليحة، **الآثار التنموي للسياحة: دراسة مقارنة بين الجزائر، تونس والمغرب**. ماجستير غير منشورة، جامعة باتنة، 2004 . 2005، ص 33.

الأسفار والإقامة، وهو ما لم يكن متاح من قبل، حيث كان موظفو وكالات السياحة والأسفار يخفون بعض الاعلام أو بعض المنافع عن بعض الزبائن، مثل الحصول على تذكرة بسعر مناسب وفي الوقت المختار... كما يتيح هذا الشكل من التنظيم السياحي الفرصة للزبائن لاقتراح وطلب خدمات سياحية حسب رغباتهم وقدرة العارضين على تشكيلها.

✓ شفافية مواقع السياحة الإلكترونية تؤدي إلى احتدام المنافسة بين وكالات السياحة من خلال ميلها إلى تجديد عروضها وتحسينها باستمرار استجابة لرغبات الزبائن، وهي في ذلك تستفيد من آراء الزبائن من خلال طرح أسئلة والحصول على أجوبة سريعة وكثيرة وبدون مجاملة.

✓ تسمح السياحة الإلكترونية من تطوير مختلف القطاعات التي تخدم هذا النوع من السياحة.

✓ تطور وسائل الاتصال الحديثة قد يساهم في تطوير وبروز حاجات كامنة لم تكن موجودة من قبل، الأمر الذي يدفع بالقطاع السياحي إلى تطوير وتنويع عرضه بما يتماشى وهذه الحاجات الجديدة.

كما يمكن لهذه التكنلوجيا أن تضيف المزايا التالية:

✓ توفر هذه التكنولوجيات لصغار منتجي الخدمات السياحية، فرصة للوصول إلى أسواق السياحة الدولية على قدم المساواة مع الكبار منهم، شريطة أن يعرضوا موقعا لهم على الشبكة يكون فعالا ومتقن التصميم، يستند إلى الابتكارات التكنولوجية ويحظى بثقة المستهلكين.[1]

✓ تعاون الفنادق والمؤسسات المتخصصة فيما بينها وبين الصناعة الفندقية، فمن أقدم المواقع التعاونية بين هذه المنشآت موقع travel web، وبعده موقع All Hotelsسنة 1998 الذي يتصل بحوالي 20000 فندق على المستوى العالمي عبر الإنترنت، كما ظهر موقع Special Offers Model، الذي يمكن المنشآت المنتمية إليه، من الإعلان لعروضها ضمنه ويمكن العميل من المفاضلة بين تلك العروض.[2]

✓ إتاحة خدمة الإقامة أو الضيافة المحمولة، من خلال تقديم الخدمات الفندقية من حجز واستعلام وغيرها عبر الأجهزة المحمولة[3]

✓ تخفيض التكاليف: الأمر الذي ينعكس مباشرة على الأسعار، فمن شأن استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال:[4]

➢ تخفيض تكاليف التسويق، وذلك من خلال:

- تكاليف التوزيع: تسهيل إجراءات الصفقات مع شريحة كبيرة من المستهدفين.
- تكاليف الترويح والإعلان عن المنتج السياحي وتحسين وتطوير الخدمات السياحية.
- تكاليف الاتصالات المباشرة مع الزبائن...

➢ تكاليف الإنتاج: من خلال تسهيل التواصل بين منتج الخدمة السياحة والوسيط.

✓ زيادة القدرة التنافسية للمؤسسات السياحية، ليساهم ذلك في زيادة مبيعاتها وإيراداتها وأرباحها، وهو ما ينعكس في النهاية على زيادة القيمة المضافة للقطاع السياحي في الناتج المحلي الإجمالي، وتزداد أهمية السياحة الإلكترونية مع زيادة الاهتمام بالتجارة الإلكترونية.[5]

✓ منع تسرب إيرادات السياحة من الدول المصدرة، خاصة الدول النامية إلى شركات السفر والمؤسسات السياحية المتواجدة في الدول المتقدمة، التي تتولى مسؤولية وضع ترتيبات للسفر والرحلات، بحكم خبرتها وإمكانياتها الكبيرة، ويتأتى

---

[1]: **تقرير اقتصاد المعلومات حول التجارة الإلكترونية والتنمية**، مرجع سابق.

2: سامي حامد عبد الحميد الشيشاني، مرجع سابق، ص 92-94

3: المرجع السابق، ص 92-94

[4]: فتحي محمد الشرقاوي، لمياء السيد حنفي، **التسويق السياحي**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 230-236.

[5]: المرجع السابق.

ذلك من خلال عرض المنتج السياحي مباشرة على الانترنت.[1]

3. التأثيرات السلبية لاستخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال في المجال السياحي

وكأي شيء في هذا الوجود، لاستخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال بعض السلبيات أو المآخذ، والتي يمكننا تجاوزها حقيقة إذا أردنا ذلك فعلا، منها:[2]

- ✓ رغم ما توفره الاعلام التي نتجت عن تكنولوجيا الاتصالات وتكنولوجيا الاعلام، والتزاوج الذي حدث بينهما، إلا أن كثيرا من الباحثين، يؤكدون على ان الدول الكبرى هي التي تستأثر بهذا التميز الكبير في إنتاج الاعلام وتوزيعها، وأن نصيب كثير من الدول النامية من الاعلام الواردة إليها عنها قليلة إلى الحد الذي يندر معه ظهور مناطق كاملة عن العالم الثالث لفترات طويلة.
- ✓ كما ان هذا الاستئثار يجعل من الدول النامية مجرد تابع لوكالات الانباء الكبرى، والتي لا تنقل عن العالم الثالث سوى الأعمال السلبية الاضطرابات عدم الاستقرار الكوارث، ولا تنظر إليه إلا أنه بؤر فساد وعنف وتخلف، ومعظم ما يصدر يشوه صورة هذه البلدان لدى شعوب تلك الدول المتقدمة ودول العالم الثالث الأخرى أيضا، مما قد يؤثر بشكل سلبي على السياحة في الدول النامية.
- ✓ كما يمكن أن نضيف أن الاحتكار هذا لا يخص هذه الدول فقط وإنما المؤسسات الكبيرة، فهي التي تمتلك القدرة على امتلاك مثل هذه التكنولوجيات، والتحكم فيها، فهي تحتاج إلى قدرات مالية وبشرية وهيكلية معتبرة، وهو ما يمكن فقدانه على مستوى المؤسسات الصغيرة التي تعجز عن مواكبة هذا التقدم، نتيجة الأسباب المادية ونقص الخبرة المطلوبة مما يؤدي إلى خروج هذه الشركات من السوق.[3]

الخاتمة

إن القطاع السياحي بمختلف منشآته ليس بمنآى عن التغيرات الحاصلة في الميادين الأخرى، خاصة قطاع تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وكغيره من القطاعات الاقتصادية تأثر بالثورة التكنولوجية، وأصبح استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال من أهم العوامل التي تستند عليها منشآت القطاع لمواجهة المنافسة، والدخول في أسواق جديدة، وقناة للتوزيع الأقل تكلفة والأكثر جماهيرية والأكثر تفاعلية، التي تعرض فيها كل الخدمات، بل ويُستلهم منها الجديد من الخدمات، فقد لقيت السياحة الالكترونية إقبالا واسعا وانتشارا كبيرا على المستوى المحلي والعالمي، لذلك لا بد من التوجه إليه كمجال للاستثمار عالي المردود.

قائمة المراجع:

I. المراجع العربية:

1. ابراهيم خليل بظاظو، **التخطيط والتسويق السياحي باستخدام GIS**، دار الوراق، الأردن، 2009.
2. إبراهيم بختي، **صناعة تكنولوجيات المعلومات والاتصالات وعلاقتها بتنمية وتطوير الأداء**، المؤتمر العلمي الدولي حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 09 مارس 2005.
3. حماني أمينة، **دور تكنولوجيا الاعلام و الاتصالات في الترويج للسياحة الداخلية في الجزائر**، الملتقى الوطني حول: فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة الحاج لخضر –باتنة ، يومي 19-20 نوفمبر 2012.

[1]: سوسن زبرق، مليكة زغيب، **السياحة الإلكترونية كأحد سبل تنمية السياحة في الوطن العربي، دراسة حالة: الجزائر، مصر والإمارات العربية المتحدة**، مؤتمر دولي حول: التنمية السياحية في الدول العربية تقييم واستشراف ، المركز الجامعي غرداية، يومي 26 و27 فيفري 2013

[2]: فتحي محمد الشرقاوي ، مرجع سابق، ص 66-67.

[3]: المرجع السابق.

4. جمال لعمارة، مالك علاوي: **أثر استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال على تسيير الموارد البشرية في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة**، الملتقى الدولي الثاني: تأثير الانكسار الرقمي شمال/جنوب على تسيير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2928- أفريل 2007.

5. رشا علي الدين، **النظام القانوني لعقد السياحة الإلكتروني**، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، 2010.

6. سامي حامد عبد الحميد الشيشاني، أثر **استخدام التجارة الإلكترونية على سوق الخدمة الفندقية- دراسة ميدانية على فنادق الدرجة الأولى في الأردن**، ماجيستير غير منشورة، جامعة آل البيت، 2006.

7. عشي صليحة، **الآثار التنموي للسياحة: دراسة مقارنة بين الجزائر، تونس والمغرب**. ماجستير غير منشورة، جامعة باتنة، 2004 . 2005.

8. فتحي محمد الشرقاوي، لمياء السيد حنفي، **التسويق السياحي**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.

9. عباس لحمر، **تكنولوجيا الإعلام والاتصال وملامح المجتمع الاعلامي**، مجلة الحقيقة، العدد 3، مارس 2009، جامعة أدرار الجزائر.

10. مغاري عبد الرحمان، شيخي بلال، **انعكاسات تكنولوجيا الإعلام والاتصال على السياحة الداخلية في الجزائر**، الملتقى الوطني حول: فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، يومي 19 و 20 نوفمبر 2012.

11. بن بريكة عبد الوهاب، **أثر تكنولوجيا الإعلام والاتصال في دفع عجلة التنمية**، مجلة الباحث - عدد 07، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009-2010.

12. لمياء السيد حنفي، **التسويق السياحي**، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.

13. علاوي مالك، **أثر استعمال التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال على تسيير الموارد البشرية في القطاع العمومي** (دراسة حالة: الوكالة الوطنية لتنمية البحث الجامعي(ANDRU)، ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005/2006.

14. ثورة الأنفوميديا، **وكلاء السفر والمخاطر المحدقة**.

15. تقرير اقتصاد المعلومات حول التجارة الإلكترونية والتنمية، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، الأمم المتحدة، نيويورك.

II. المراجع الجنبية:

16. CNUD. Les perspectives offertes par le tourisme électronique dans les pays en développement. CNUD. Rapport sur l'économie de l'information. 2005.

III. المواقع الإلكترونية:

17. http://www.weforum.org/tter08browse/index.htlm

استخدام الطلبة الجامعيين لموقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك والإشباعات المحققة منه

دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي–

د. حنون نزهة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي –

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية التعرف على مدى استخدام موقع الفيسبوك لدى الطلبة الجامعيين الجزائريين، من خلال التعرف على عادات وأنماط استخدام الطلبة لموقع الفيسبوك، ودوافع استخدامه، وكذا الإشباعات المحققة من هذا الاستخدام، معتمدين في ذلك على منهج المسح بالعينة، بالتطبيق على عينة من طلبة قسم العلوم الإنسانية بجامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي- ، بلغت 100 مفردة تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة، وصممت استمارة استبيانيه لمسح أراء الطلبة، وجمع الحقائق والمعلومات، ثم تحليلها.

وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها أن الطلبة يستخدمون موقع الفيسبوك بصفة دائمة، ويتعرضون له بدافع الاتصال بالأهل والأصدقاء، وتشكيل صداقات جديدة، وكذا التعرف على آخر المستجدات، وأنها تشبع حاجاتهم في إنجاز البحوث وزيادة المعارف الثقافية.

الكلمات المفتاحية: الاستخدامات، الطلبة الجامعيون، موقع الفيسبوك، الإشباعات.

Abstract

The study aims to determine the extent to which Facebook is used by Algerian university students by identifying their habits and methods ofusing Facebook, their motivations,as well as the satisfactions derivedfrom this use, by using the sampling methodology on a sample of students of Humanities department at l'Arbi Ben M'hidi University, comprising100 individuals randomly selected. A questionnaire was prepared to probe students' opinions.

The study concluded that students use Facebook consistently to stay in touch with their families and friends, to build new friendships.

Keywords: uses, university students, Facebooksite, satisfactions.

مقدمة

لقد أدى ظهور الانترنيت في مطلع التسعينيات من القرن العشرين إلى إحداث تغيرات مهمة أدت إلى ظهور ظواهر جديدة في هذا الفضاء: كالتويتر، اليوتوب، ماي سبايس، الفيسبوك، هذا الأخير الذي يسمح للأفراد المشتركين فيه بتبادل المعلومات والتفاعل فيما بينهم، كما انه يلم بعدة تطبيقات كالصفحة الشخصية وقائمة الأصدقاء التي تتيح فرصة إضافة أفراد نريد التواصل معهم، وكذلك يمكن مشاركة الصور وإرسال الروابط وتحميل الفيديوهات.

ويتيح أيضا إمكانية التعليق على مختلف الأخبار الموجودة على هذا الموقع، وتبادل مختلف الرسائل مع باقي المشتركين، وقدرة العديد من الباحثين أن يتشاركوا الرأي عن موضوع معين، وذلك بغية الاستفادة من الخبرات المتنوعة والمتعددة عبر هذا الموقع، كما يعتبر أداة تعليمية تضم العديد من الطلاب في مختلف التخصصات وموقع لترويج مختلف الأفكار اجتماعية كانت أو سياسية، ويمكن القول أن موقع الفيسبوك أحدث تغير نوعي ليس فقط في مجال الاتصال بل في نتائج

تأثير هذا الاتصال، إذ كان لهذا التواصل نتائج مؤثرة في مختلف المجالات، وأصبحت من أهم عوامل التغير الاجتماعي وذلك لما تتيحه من إمكانية التواصل والسرعة في إيصال المعلومة.

أولا: الإطار المنهجي للدراسة:

1. إشكالية الدراسة:

نظرا لما يمتاز به موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك من مزايا كثيرة تسهل عليهم الاتصال وتكوين صداقات جديدة متجاوزة للحدود المكانية و الزمانية، فقد أصبح أداة تثقيفية وتعليمية يستغلها الشباب لزيادة وعيهم في مختلف المجالات من خلال الصفحات الثقافية، وكذا المجموعات العلمية التي تساعدهم على تحصيلهم العلمي، إضافة إلى ذلك فإن الفيسبوك أعطى للشباب مساحة أكبر للتعبير عن أرائهم وتوجهاتهم بكل حرية كونه موقع افتراضي لا يخضع للقيود.

ومن هنا حاولنا التعرف عن مدى استخدام موقع الفيسبوك لدى الطلبة الجامعيين، حيث قمنا بطرح التساؤل الرئيسي الأتي: ما مدى استخدام طلبة قسم العلوم الإنسانية بجامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي- لموقع الفيسبوك، وما هي الإشباعات المحققة لهم من هذا الاستخدام؟

واندرجت تحته **تساؤلات فرعية** هي:

- ما هي عادات وأنماط تعرض الطلبة لموقع الفيسبوك؟.
- ما هي دوافع تعرض الطلبة لموقع الفيسبوك؟.
- ما هي الإشباعات المحققة للطلبة من خلال تعرضهم لموقع الفيسبوك؟.

2. **أهداف الدراسة**: نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- التعرف عل مدى استخدام الطلبة الجامعيين لموقع الفيسبوك.
- التعرف على عادات وأنماط تعرض الطلبة الجامعيين لموقع الفيسبوك.
- التعرف على دوافع تعرض الطلبة الجامعيين لموقع الفيسبوك.
- التعرف على الإشباعات المحققة للطلبة الجامعيين جراء تعرضهم لموقع الفيسبوك.

3- تحديد المفاهيم:

1. **تعريف الاستخدام:** يشير مصطلح الاستخدام إلى عملية معقدة تتم في ظروف معينة، تترتب عليها وظائف ترتبط بتوقعات معينة عن الإشباع.[1]

وهو ما يستخدمه الفرد فعليا من المعلومات، أي أنه الاستخدام الفعلي للمعلومات التي يحتاجها بالفعل، إضافة إلى أن الاستخدام ربما يرضي احتياجات المستفيد أو لا يرضيها، وذلك عندما لا يجد المعلومات التي يحتاجها.[2]

2. **تعريف الفيسبوك:** هو موقع ويب للتواصل الاجتماعي يمكن الدخول إليه مجانا، تديره شركة فيسبوك، ويتيح للمستخدمين خدمات عديدة مثل الاتصال مع الآخرين والتفاعل معهم.[3]

وهو شبكة اجتماعية استأثرت بقبول وتجاوب كبير من الناس خصوصا من الشباب في جميع أنحاء العالم[4].

---

[1] :محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، دار عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص29 .

[2] : زكي حسين الوردي، مصادر المعلومات الإلكترونية وخدمات المستفيدين في المؤسسات المعلوماتية، دط، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص25- 26

[3]:سحر محمد وهبي، بحوث في الاتصال، ط1، دار الفجر، القاهرة، ، 1996، ص237.

[4] : خالد غسان، يوسف المقدادي، ثورة الشبكات الاجتماعية ، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2010

3. **تعريف الطالب الجامعي:** هو الشباب الذي أصبحت له الفرصة للوصول إلى مرحلة التعليم الجامعي، أو التعليم العالي، والطلاب يمثلون فئة اجتماعية وليست طبقة خاصة، وذلك لأنهم لا يشغلون وضعا مستقلا في الإنتاج المادي، العلمي، الثقافي، وإدارة الدولة والمجتمع.[1]

والطلبة من وجهة النظر العلمية شريحة من الشباب المثقفين في المجتمع بصفة عامة، إذ يتركز المئات والآلاف من الشباب في المؤسسات التعليمية.

ثانيا: الإطار التطبيقي للدراسة:

1. مجالات الدراسة:

- **المجال المكاني:** المجال المكاني للدراسة هي جامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي، وبالتحديد قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- **المجال البشري:** المجال البشري لهذه الدراسة هم طلبة قسم العلوم الإنسانية بجامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي- بجميع فروعه وجميع مستوياته، وقد بلغ عددهم 1422 طالب وطالبة.
- **المجال الزمني:** تم إجراء هذه الدراسة في السداسي الثاني من السنة الجامعية 2014- 2015، حيث قمنا أولا بإعداد استمارة الاستبيان، تلتها عملية التوزيع، وبعدها عملية التفريغ والتعليق على الجداول واستخلاص النتائج.

2. **مجتمع الدراسة ونوع العينة:**

إن الوضع الأمثل في الدراسات الميدانية هو تطبيق أدواتها على جميع مفردات المجتمع الأصلي للدراسة، إلا أنه يصعب تحقيق ذلك في بعض الأحيان، وبما أن عينة الدراسة تجمع البيانات الميدانية وهي جزء من الكل، أين تأخذ منه مجموعة من أفراد المجتمع على أن تكون ممثلة للمجتمع لتجرى عليه الدراسة.[2]

وهي الجزء الذي يختاره الباحث وفق طرق محددة ليمثل مجتمع البحث تمثيلا سليما، وتستخدم طريقة العينة في البحث في حالات المجتمعات الكبيرة التي تعد مفرداتها بالآلاف والملايين، حيث يتعذر إجراء الدراسة عن طريق الحصر الشامل[3]

ومجتمع البحث في دراستنا هذه هو مجموع طلبة قسم العلوم الإنسانية بجامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي، وبما أنه عدده كبير جدا (1422 طالب)، فقد اعتمدنا أسلوب العينة العشوائية البسيطة من أجل إجراء الدراسة الميدانية، فوقع اختيارنا على عينة قوامها 100 طالب وطالبة.

3. منهج الدراسة:

يعتبر اختيار منهج الدراسة من الخطوات الأساسية في أي دراسة أو بحث علمي، هذا الاختيار الدقيق للمنهج يعطي مصداقية موضوعية للنتائج المتحصل عليها، فهو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة أو البرهنة عليها، حيث تختلف المناهج في البحوث الاجتماعية باختلاف المواضيع والمشكلات المطروحة.

وبما أن دراستنا تتمحور حول استخدام الفيسبوك لدى الطلبة الجامعيين، ونسعى من خلالها إلى معرفة عادات وأنماط استخدام الطلبة للمدونات الإلكترونية ودوافعهم من وراء استخدامها، فإنها تصنف
ضمن الدراسات الوصفية التي لا تقتصر على جمع البيانات وتبويبها، وإنما تمضي إلى أبعد من ذلك، أي إلى تحليل وتفسير هذه البيانات.

---

[1] :جبريل حسين العريشي، سلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، الشبكات الاجتماعية والقيم، رؤية تحليلية، ط1، دار المنهجية للنشر والتوزيع، 2005

[2] : رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2002، ص191:

[3] :أحمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص170

وقد استخدمنا منهج المسح بالعينة من أجل جمع الحقائق واستخلاص الدلالات طبقا لأهداف الدراسة المتمثلة في الكشف عن مدى استخدام الطلبة الجامعيين للمدونات الإلكترونية و الإشباعات المحققة لهم من هذا الاستخدام.

4. أداة جمع البيانات:

من أجل الإحاطة بالموضوع المدروس ميدانيا، و لكي تتم عملية جمع المادة العلمية من الميدان مجال الدراسة، لا بد من توفر أدوات جمع البيانات، هذه الأخيرة التي يعرفها أحمد بن مرسلي بأنها: تلك الوسائل المختلفة التي يستخدمها الباحث في جمع المعلومات والبيانات المستهدفة في البحث، ضمن استخدامه لمنهج معين أو أكثر[1]، وتعتبر هذه المرحلة هامة لأن اختيار طريقة جمع البيانات هي التي ستحدد ما يمكن تحليله، وما يراد دراسته، بحيث يتم اختيار هذه الأدوات حسب ما تقتضيه الإشكالية ومنهجية البحث المحددة.[2] ، فلكل بحث وسائله التي تخدم أهدافه، ولكل منهج تقنياته التي تحدد مساره، والتي تحدد درجة فاعلية الدراسة، وتساهم في إعطاء قيمة علمية للنتائج التي يمكن التوصل إليها.

واعتمدنا في دراستنا هذه على أداة الاستبيان، حيث يعد أداة ووسيلة فعالة لجمع المعلومات عن ظاهرة أو موقف أو مشكلة، ويشكل نموذجا جاهزا يحتوي على مجموعة من الأسئلة المحددة، كما يلعب دورا مهما في تزويد الباحث بمعلومات واضحة وواقعية، وهي وسيلة من الوسائل لجمع البيانات، تعتمد على استمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة، تسلم إلى الأشخاص الذين تم اختيارهم لموضوع الدراسة، ليقوموا بتسجيل إجاباتهم التي تتضمن المعلومات والبيانات المطلوبة لتوضيح الظاهرة المدروسة وتعريفها من جوانب مختلفة[3].

كما أن استمارة الاستبيان تتصدر أساليب جمع بيانات أولية أو أساسية، أو مباشرة من العينة المختارة، أو من جميع مفردات البحث، عن طريق توجيه عدد من الأسئلة المحددة والمعدة مسبقا، وذلك

بهدف التعرف على حقائق معينة، أو وجهات نظر المبحوثين واتجاهاتهم، أو الدوافع والعوامل المؤثرة التي تدفعهم إلى تصرفات سلوكية معينة [4]

وقد جاءت استمارة دراستنا مقسمة إلى أربعة محاور، وهي كالآتي:

- المحور الأول: ويضم ثلاثة أسئلة، تتعلق بالبيانات الشخصية والديموغرافية للمبحوثين.
- المحور الثاني، ويضم أسئلة حول عادات وأنماط التعرض لموقع الفيسبوك.
- المحور الثالث: ويضم سؤال واحد، تمحور حول دوافع تعرض المبحوثين لموقع الفيسبوك.
- المحور الرابع: يضم سؤالين حول الإشباعات المحققة من تعرض المبحوثين لموقع الفيسبوك.

5. **عرض بيانات الدراسة وتحليل الإجابات:** فيما يأتي تحليل الإجابات التي تم تجميعها عند تفريغ الاستمارات الموجهة للمبحوثين:

جدول رقم (01): يبين لنا توزيع المبحوثين حسب متغير السن

---

[1] : المرجع السابق ذكره، ص202

[2]: لارامي، فالي، ترجمة ميلود سفاري وآخرون، البحث في الاتصال، عناصر منهجية، مخبر علم اجتماع الاتصال والترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004، ص212

[3]:عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، ط1، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص123.

[4] : سمير محمد حسين، بحوث الاعلام، دراسات في مناهج البحث العلمي، عالم الكتب، القاهرة، 1990، ص207

الجنس	التكرار	%
ذكر	34	%34
أنثى	66	%66
المجموع	100	%100

اتضح لنا من خلال التفريغ أن أغلب المبحوثين من فئة الإناث، وذلك بنسبة 66%، أي ما يعادل 66 فرد من أفراد العينة، في حين كانت نسبة الذكور 34%، أي 34 فرد من العينة المختارة، وذلك يعود لكون فئة الإناث هي الغالبة في قسم العلوم الإنسانية بجامعة أم البواقي، بمعدل 1107طالبة، و315 طالب.

جدول رقم (02): يبين لنا توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي

المستوى	التكرار	%
ليسانس	77	%77
ماستر	23	%23
دكتوراه	00	00
المجموع	100	%100

أغلب الطلبة المبحوثين كانوا في مستوى الليسانس بنسبة 77%، تلتها فئة الماستر بنسبة 23%، ولم نسجل أي مبحوث في مرحلة الدكتوراه، وذلك راجع لتوفر مستويات الليسانس و الماستر بقسم العلوم الإنسانية وبنسب متفاوتة، في حين لم يتوفر مستوى الدكتوراه في هذا القسم.

جدول رقم (03): يبين لنا المستوى الاقتصادي للطلبة

المستوى الاقتصادي	التكرار	%
جيد	48	%48
متوسط	36	%36
ضعيف	16	%16
المجموع	100	%100

أفادت الدراسة أن معظم المبحوثين أشروا على المستوى الاقتصادي الجيد، وذلك بنسبة 46%، وبلغت نسبة المستوى الاقتصادي المتوسط 36%، بينما لم تمثل فئة المستوى الاقتصادي الضعيف إلا نسبة 16%، وهذا ما وجدناه يتنافى مع طبيعة المستوى الاقتصادي الجزائري الذي يصفه أغلب المختصين في المجال بأنه مستوى متوسط.

جدول رقم (04) يبين لنا مدى استخدام المبحوثين لموقع الفيسبوك

مدى الاستخدام	التكرار	%
دائما	49	%49
أحيانا	36	%36
نادرا	15	%15
المجموع	100	%100

لقياس مدى استخدام المبحوثين لموقع الفيسبوك، قمنا بطرح السؤال: ما مدى استخدامك لموقع الفيسبوك (دائما، أحيانا، نادرا)؟، فوجدنا أن نسبة 15% فقط من المبحوثين يستخدمون موقع الفيسبوك نادرا، وهي نسبة قليلة نوعا ما، في حين بلغت الإجابة ب: دائما، أحيانا 49% و 36% على التوالي، وهو ما يدل على أن الفيسبوك يستخدم بكثرة سواء بالنسبة لفئة الطلبة الجامعيين أو الفئات الاجتماعية الأخرى في المجتمع الجزائري من أجل التسلية والترفيه وتوسعة العلاقات الاجتماعية، وكذا سعيهم لمواكبة كل ما هو جديد.

جدول رقم (05): يبين لنا طريقة تعرف المبحوثين على موقع الفيسبوك

طريقة تعرف المبحوثين على موقع الفيسبوك	التكرار	%
عبر تصفح الانترنيت	35	%35
من خلال وسائل الإعلام	12	%12
من الأصدقاء	35	%35
بحكم الدراسة	18	%18
المجموع	100	%100

تبين لنا من خلال الدراسة أن نسبة 35% من المبحوثين تعرفوا على موقع الفيسبوك من خلال تصفحهم للأنترنيت، وهي نفسها نسبة المبحوثين الذين تعرفوا عليه من الأصدقاء، في حين 18% تعرفوا عليه بحكم الدراسة، و12% تعرفوا عليه من خلال وسائل الإعلام، وهو ما يدل على أن الفيسبوك لا يستخدمه الطلبة فقط لتحقيق أغراض معينة كإنجاز البحوث مثلا.

جدول رقم (06) يبين المدة الزمنية التي يقضيها المبحوثين في التعرض لموقع الفيسبوك

	التكرار	%
أقل من ساعة	37	%37
من ساعة إلى أقل من ساعتين	55	%55
من أقل من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات	01	%01
أكثر من ثلاث ساعات	07	07%
المجموع	100	%100

غالبية الطلبة المبحوثين يقضون من ساعة إلى أقل من ساعتين في تصفحهم لموقع الفيسبوك، وذلك بنسبة 55% ، تلتها نسبة 37% يقضون أقل من ساعة في تصفحه، وبعدها 7% أكثر من ثلاث ساعات، أما الذين يقضون من أقل من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات من ثلاث ساعات في تصفحه فلا يمثلون إلا نسبة 1%.

جدول رقم (07): يبين لنا مكان تعرض المبحوثين لموقع الفيسبوك

المكان	التكرار	%
المنزل	59	%59
الجامعة	26	%26
مقهى الأنترنيت	15	%15
المجموع	100	%100

من خلال الدراسة تبين لنا أن غالبية المبحوثين اختاروا المنزل للتعرض لموقع الفيسبوك، وذلك بنسبة 59%، و26% يتعرضون له من الجامعة، و15% من مقاهي الأنترنيت، وهو ما يفسر توفر خدمة الأنترنيت في السنوات الأخيرة في كل البيوت والأماكن تقريبا، وفي مختلف الوسائل.

جدول رقم (09) : يبين لنا الوسيلة التي يتعرض من خلالها المبحوثين لموقع الفيسبوك

الوسيلة	التكرار	%
الحاسوب	35	%35
الهاتف الذكي	70	%70
اللوح الإلكتروني	16	%16
المجموع	100	%100

تبين من خلال الدراسة أن نسبة 70% من المبحوثين يتعرضون لموقع الفيسبوك من خلال الهاتف الذكي، وهو ما يعادل 70 فردا من أفراد العينة، و35% أي 35 مبحوث يتعرضون له من خلال الحاسوب، و16% من خلال اللوح الإلكتروني، وهذا بسبب انتشار خدمة الأنترنيت في الجزائر في الآونة الأخيرة عبر هذه الوسائل، وظهور الوسائل المتعددة الوسائط، مما جعل المستخدمين بإمكانهم تصفح مواقع التواصل الاجتماعي التي من بينها الفيسبوك بسهولة ومن أي وسيلة وفي أي زمان ومكان

جدول رقم (10) يبين لنا دوافع تعرض المبحوثين لموقع الفيسبوك

الدوافع	التكرار	%
الاتصال بالأهل والأصدقاء	35	%35
استخدامها الصور وخدمات الفيديو	22	%22
تشكيل صداقات جديدة	26	%26

التسلية والترفيه	16	%16
تزيد من معلوماتي عن بعض المواضيع	22	%22
التعرف على آخر المستجدات الوطنية	28	%28
تسهل لي التفاعل مع الآخرين	12	%12
المجموع	100	%100

تنوعت دوافع استخدام الطلبة لموقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك، وقد جاءت هذه الدوافع كما يأتي:

- 35% من المبحوثين دافع استخدامهم لموقع الفيسبوك هو الاتصال بالأهل والاصدقاء.
- 28% من المبحوثين يستخدمون موقع الفيسبوك بدافع أنه يساعدهم على التعرف على آخر المستجدات الوطنية.
- 26% يرون أن دافع استخدامهم لموقع الفيسبوك هو تشكيل صداقات جديدة.
- 22% يستخدمونه لأنه يزيد من معلوماتهم عن بعض المواضيع.
- 16% يستخدمونه بدافع التسلية والترفيه.
- 12% يستخدمونه لأنه يتيح لهم التفاعل مع الآخرين.

جدول رقم (11): يبين لنا الإشباعات المحققة للمبحوثين من جراء استخدامهم لموقع الفيسبوك

الإشباعات	التكرار	%
إنجاز البحوث	36	%36
زيادة المعارف في مجال التخصص	15	%15
زيادة المعارف الثقافية	16	%16
النقد الاجتماعي	05	%05
التطرق إلى مواضيع الجنس والإثارة	02	%02
مناقشة مواضيع اجتماعية مهمة	07	%07
الإحاطة بالأحداث العربية والعالمية	12	%12
التعبير عن الذات	27	%27
الارتياح النفسي	07	%07
الابتعاد عن الضغوطات	02	%02
التسلية والترفيه	07	%07%
المجموع	100	%100

أجاب المبحوثون بأن موقع الفيسبوك يحقق لهم اشباعات، والتي تنوعت بين الاتصالية، والنفسية، والتعليمية...، وقد تمثلت هذه الإشباعات المحققة لدى الطلبة من جراء استخدامهم لموقع الفيسبوك في الآتي:

- إنجاز البحوث وزيادة المعارف الثقافية بنسبة 36% و16% عل التوالي.
- التعبير عن الذات بنسبة 27% .

- الإحاطة بالوقائع والأحداث المحلية والعربية والدولية بنسبة12% ، وهذا يعني أن الفيسبوك في وقتنا الراهن هي وسيلة اتصال بديلة.
- الارتياح النفسي، مناقشة مواضيع اجتماعية مهمة، التسلية والترفيه، جاءت كلها بنسبة 7% لكل فئة، وهذا راجع لكون موقع الفيسبوك يعبر عن الحياة الشخصية والاجتماعية للقراء.
- النقد الاجتماعي بنسبة 5%، فالفيسبوك مرآة عاكسة للوسط الاجتماعي الذي نعيش فيه، فهي تنبع منه وتعود إليه.
- الابتعاد عن الضغوطات، التطرق لمواضيع الجنس والإثارة بنسبة 2% لكل فئة، وهي نسبة تدل على اهتمام موقع الفيسبوك بمعالجة المواضيع والقضايا وشؤون المجتمع.

جدول رقم (12) يبين رأي المبحوثين في الإشباعات المحققة لديهم جراء استخدامهم لموقع الفيسبوك:

	التكرار	%
نعم	86	%86
لا	14	%14
المجموع	100	%100

أجاب أغلب المبحوثين بأن الفيسبوك يشبع احتياجاتهم بنسبة 86%، بينما أجابت نسبة 14% بأنه لا يلبي احتياجاتهم، وهو ما يؤكد بأن الفيسبوك يتيح حرية التعبير عن الأفكار والآراء.

ثالثا: النتائج العامة للدراسة: تمثلت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا في الأتي:

- **عادات وأنماط تعرض الطلبة للمدونات الإلكترونية:**

أفرزت لنا الدراسة أن 49% من الطلبة يستخدمون موقع الفيسبوك دائما، ويقضون من ساعة إلى أقل من ساعتين في تصفحها وذلك باستخدام الهاتف الذكي

- **دوافع تعرض المبحوثين لموقع الفيسبوك:** تبين لنا من خلال الدراسة أن دوافع تعرض المبحوثين لموقع الفيسبوك جاءت كما يأتي:

- الاتصال بالأهل والأصدقاء
- استخدامها الصور وخدمات الفيديو
- تشكيل صداقات جديدة
- التسلية والترفيه
- نسهل التفاعل مع الآخرين
- تزيد المعلومات عن بعض المواضيع
- التعرف على اخر المستجدات

- **أهم الإشباعات المحققة للمبحوثين من جراء تعرضهم لموقع الفيسبوك:** اتضح لنا من خلال الدراسة أن الإشباعات المحققة جاءت مرتبة كما يأتي:

- إنجاز البحوث وزيادة المعارف الثقافية.
- التعبير عن الذات.
- الإحاطة بالوقائع والأحداث المحلية والعربية والدولية.

- الارتياح النفسي، مناقشة مواضيع اجتماعية مهمة، التسلية والترفيه.
- النقد الاجتماعي.
- الابتعاد عن الضغوطات.

خاتمة:

في الختام يمكننا القول أن موقع الفيسبوك قد أحدث تغير نوعي ليس فقط في مجال الاتصال، فهو من أشهر المواقع الإلكترونية ضمن ترتيب شبكات التواصل الاجتماعي نظرا لشعبيته الكبيرة التي حظي بها من طرف المستخدمين، فهو لم يبق مجرد أداة للتواصل مع الأصدقاء والتعرف على أصدقاء جدد، بل أصبح يساهم في التعليم ونقل الحقائق والوقائع، وكذا الحصول على الأخبار والمعلومات التي يتيحها الفيسبوك بشكل مجاني ما جعلهم أكثر إقبالا عليه.

قائمة المراجع:

1. أحمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.
2. خالد غسان، يوسف المقدادي، ثورة الشبكات الاجتماعية ، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
3. جبريل حسين العريشي، سلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، الشبكات الاجتماعية والقيم، رؤية تحليلية، ط1، دار المنهجية للنشر والتوزيع، 2005.
4. رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2002.
5. زكي حسين الوردي، مصادر المعلومات الإلكترونية وخدمات المستفيدين في المؤسسات المعلوماتية، د ط، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
6. سحر محمد وهبي، بحوث في الاتصال، ط1، دار الفجر، القاهرة، ، 1996.
7. سمير محمد حسين، بحوث الإعلام، دراسات في مناهج البحث العلمي، عالم الكتب، القاهرة، 1990.
8. عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي، دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، ط1، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.
9. لارامي، فالي، ترجمة ميلود سفاري وآخرون، البحث في الاتصال، عناصر منهجية، مخبر علم اجتماع الاتصال والترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004.
10. محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، دار عالم الكتب، القاهرة، 2000..

الملحق

استبيان الدراسة:

أولا: البيانات الشخصية

- الجنس:
- المستوى التعليمي:
- المستوى الاقتصادي: جيد متوسط ضعيف

ثانيا: مدى استخدام الطلبة الجامعيين لموقع الفيسبوك.

- ما مدى استخدامك لموقع الفيسبوك: دائما أحيانا ناذرا
- ما طريقة تعرفك على موقع الفيسبوك:

عبر تصفح الأنترنيت من خلال وسائل الإعلام من الأصدقاء

بحكم الدراسة

ثالثا: عادات وأنماط تعرض الطلبة الجامعيين لموقع الفيسبوك.

- ما هي المدة الزمنية التي تقضيها عند التعرض لموقع الفيسبوك

أقل من ساعة

من ساعة إلى أقل من ساعتين

من أقل من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات

أكثر من ثلاث ساعات

- ما مكان تعرضك لموقع الفيسبوك

المنزل الجامعة مقهى الأنترنيت

- ما هي الوسيلة التي تتعرض من خلالها لموقع الفيسبوك

الحاسوب الهاتف الذكي اللوح الإلكتروني

رابعا: دوافع تعرض الطلبة الجامعيين لموقع الفيسبوك.

- ما دوافع تعرضك لموقع الفيسبوك:
  - الاتصال بالأهل والأصدقاء
  - استخدامها الصور وخدمات الفيديو
  - تشكيل صداقات جديدة
  - التسلية والترفيه
  - تزيد من معلوماتي عن بعض المواضيع
  - التعرف على آخر المستجدات الوطنية
  - تسهل لي التفاعل مع الآخرين
  - أخرى................................

خامسا: الإشباعات المحققة للطلبة الجامعيين جراء تعرضهم لموقع الفيسبوك.

- ما هي الإشباعات التي تحققت لك من جراء استخدامك لموقع الفيسبوك:
  - إنجاز البحوث
  - زيادة المعارف في مجال التخصص.
  - زيادة المعارف الثقافية
  - التعبير عن الذات.
  - الإحاطة بالوقائع والأحداث المحلية والعربية والدولية.
  - الارتياح النفسي.
  - مناقشة مواضيع اجتماعية مهمة.
  - التسلية والترفيه.
  - النقد الاجتماعي.
  - الابتعاد عن الضغوطات.

الفضاء العمومي الافتراضي كبديل للفضاء العمومي التّقليدي

بين الحاجة الاجتّماعية والمخاطر التّقنية والقانونية

د. أعمر يوسفي -د. أحمد فلاق

كلية علوم الإعلام والاتصال - جامعة الجزائر3

ملخص :

ليس كل ما هو جديد قابل للتنفيذ دون الحيطة والحذر، والفضاء الإلكتروني الذي كان نتيجة للتكنولوجيا الحديثة أفرز العديد من التطبيقات التي انساق الكثير وراءها كحاجة اجتماعية فرضت نفسها دون مراعاة بعض الخصوصيات التي قد تعود بالسلب على هذا الاستخدام، وفي هذه الورقة سنحاول الوقوف على معطى جديد، قديم من حيث الطرح كفكر عند هابرماس، وجديد اذا حاولنا اكتشاف مدى إمكانية اعتماد الفضاء الافتراضي لبناء ديمقراطية تشاركية، يقوم على أساس الشروط التي وضعها هابرماس في الفضاء التقليدي، لمحاولة اختبار مقاربته النظرية في اطار جديد والوقوف على ما يمكن أن ينجر منه من مخاطر خاصة أمام الصعوبات التقنية ومخاطر الفراغ القانوني في عالم شبكة الأنترنت.

الكلمات المفتاحية : الفضاء العمومي – الفضاء الإلكتروني - الحاجة الاجتماعية – المخاطر التقنية.

Abstract :

All that is new is not always executable in cyberspace without any caution. This cyberspace which was the fruit ofmodern technology, has generated many applications which impose themselves as a social necessity without taking into account certain details that can negatively affect this use.

In this article, we will attempt to deal with a new context, old in terms of Habermas ideology, and new if ever weattempt to discover the extent to which the virtual space is likely to be adopted for building a participative democracy, based on the conditions set by Habermas in the traditional space. This means that it is just an attempt to verify its approach to the theory in a new framework and to focus on what can be deduced as risks, especially in the face of recurring technical difficulties in a legal vacuum concerning networks on the Internet.

مقدّمة :

إنّ الحديث عن الفضاء العمومي ليستدعي اعتماد مقاربة فكرية في هذا الإطار وأهم مقاربة تناولت المصطلح بشكل مميز مقاربة المفكر هابرماس الذي قدم شروطا مهمة لبناء فضاء عمومي غرضه بناء ديمقراطية يتشارك فيها جميع الأفراد في تناول المواضيع السياسية التي تهمهم، إلا أنّ تطور المجتمعات الحديثة وما أفرزه الشق التكنولوجي والعلمي من معطيات جديدة أدى إلى ظهور حاجات اجتماعية كثيرة خاصة تلك التي تتعلق بالشق السياسي والسعي لبناء ديمقراطية تشاركية تمثل جميع أفراد المجتمع. ويعتبر الفضاء الرقمي من المعطيات الجديدة التي يجب الاهتمام الخاص بها كونها تجذب أهمّ فئة في المجتمع وهي فئة الشباب.

ونظرا لكون الفضاء العمومي مساحة للنقاش والتفاعل بين أفراد المجتمع فإنّ اعتبار مواقع التواصل الاجتماعي فضاءً عموميا نتيجة لما تتميز به من إمكانية فتح النقاش أمام مجموعات كثيرة للنقاش حول مواضيع وأحداث والتعليق عليها بكل حرية.

ونظرا لكون الديمقراطية من غايات الأفراد لتحقيق المساواة داخل المجتمع فإنّ إيجاد طريقة لتبادل الأفكار وفتح مجال للنقاش من أهمّ ما يميز الفضاء الإلكتروني، هذا الأخير كان محل نقاش العديد من الباحثين والمفكرين من حيث أهميته في حياة الأفراد من جانب ومخاطره من جانب آخر، ومن هذا المنطلق تولدت لدينا فكرة الوقوف على مدى إمكانية جعل من الفضاء الرقمي الافتراضي عنوانا للديمقراطية والنقاش السياسي الحر الذي يقوم على مبادئ كالتي حددها

هابرماس[1] في شروطه لبناء الفضاء العمومي، وهذا رغم اختلاف الواقعين من حيث الافتراضية والوجود الحقيقي إلا أنّ انعكاسات العالم الافتراضي على الحياة اليومية للأفراد من حيث الترابط العميق والقوي بين الوجودين يجعلنا نقف على طبيعة هذه العلاقة المميزة.

إنّ الاختلاف الجوهري بين العالم الواقعي والفضاء الافتراضي أدى إلى التباين من حيث المعطى ومن حيث ملاءمة القانون للتحكم في الفضائيين. ولعل ما أدى إلى بروز خطورة في الفضاء الافتراضي غياب القوانين الخاصة بالشبكة العالمية للمعلومات التي يتواجد فيها هذا الفضاء . هنا تولدت لدينا إشكالية مهمة للبحث والتقصي : **كيف يمكن للفضاء العمومي الافتراضي أن يكون بديلا للفضاء التقليدي أمام المخاطر القانونية والتقنية ؟**

لتحليل هذه الإشكالية لابد من الوقوف على محاور من خلالها يمكن تفكيكها إلى منطلقات بحث تسمح لنا بفهم أساسيات المعضلة وكيفية مواجهة تلك المخاطر بمقترحات وبحلول عملية تساهم في تقليص المسافة بين الهدف ومعوقات تحقيقه.

المحور الأول : الفضاء العمومي الهابرماسي وتطابقه مع الفضاء الافتراضي :

يعتبر يورغن هابرماس صاحب مقاربة الفضاء العمومي، حيث دعا إلى ضرورة تخطي الحكومات وتشكيل فضاء للوعي الاجتماعي والذي من خلاله يمكن توجيه انتقادات لأداء هذه الحكومات [2]، إلّا أنّ هذه الانتقادات حسب هابرماس ليس غرضها الوقوف ضد النظام الحاكم، إنّما هو فضاء يمكن للجميع أن يساهم فيه بما يستطيع من فكر لينوّر عقول الناس للحيلولة دون تمادي الفساد، والحفاظ على نمط جيد اجتماعي لحرية التعبير.

يعتبر هابرماس الفضاء العمومي فضاءً للقضايا الاجتماعية ذات الشأن العام فيه يتم إعلان المواطن لمواقفه إزاء القضايا داخل المجتمع في إطار ديمقراطي يقوم على الاحترام المتبادل وبذلك يدخل الفضاء العمومي ضمن الحيز الاجتماعي والنسيج الكلي للمجتمع [3] وذلك باعتبار أنّ كل ما هو من المجتمع يجب أن يكون في خدمة هذا الأخير. ولقد بين هابرماس ذلك من خلال اعتماده لفكرة النقاش الحر القائم على الاحترام وحرية التعبير ، وضمان جو من الأخوة مهما بلغت الخلافات الفكرية من حدة. وركز هابرماس على المقاهي كفضاء يمكن أن يستجيب للشروط المنطقية للفضاء العمومي، فهو مكان يجتمع فيه عامة الناس ولا يمكن لأحد أن يفرض قيودا أو خصوصيات ما عليه.

من هنا يمكن اعتبار الفضاء العمومي وفقا لمفهوم هابرماس[4] أنّه مجال رمزي يتوسط الحكومات والشعوب. يتضح لنا، إذن، أنّ الفضاء العمومي مجال اجتماعي يسمح بتناطح الأفكار في سياق محترم يقوم على الاحترام وتبادل الأفكار حول انشغالات الرأي العام إزاء قضايا سياسية واجتماعية تهمهم. من هنا تبرز لنا فكرة الأهمية التي يكتسيها الفضاء العمومي داخل المجتمعات المتحضرة للتنفيس عن الأفكار وكمجال حيوي لصناعة التغيير والتقدم .

الشروط الأساسية لقيام الفضاء العمومي عند هابرماس ومقارنتها بالفضاء الافتراضي:

وضع هابرماس شروطا لأي فضاء حتى يمكننا توصيفه بفضاء عمومي. وهذه الشروط يمكن الوقوف عليها كالتالي:

أولا : أن يكون الفضاء أو المجال حيزا لا تتحكم فيه الأداة :

---

[1]. صافية قاسيمي (2016) : اثر التفاعل الافتراضي على اتجاهات مستخدمي فيسبوك نحو تشكيل الفضاء العمومي ، دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر3، ص 61.

[2]. نوال بركات (2014)، الفضاء السيبيري والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الافتراضي بين جغرافيا الواقع والجغرافيا الافتراضية، العدد 12 ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، بسكرة ، الجزائر، ص 268.

[3]. فاطمة الزهراء عبد الفتاح (2012)، المدونات الإلكترونية والمشاركة السياسية ، ط1 ، القاهرة، دار العالم العربي، 2012 ، ص 48 .

[4]الصادق الحمامي (2012)، الميديا الجديدة والابستمولوجيا والإشكاليات والسياقات ، منوبة، تونس، المنشورات الجامعية ، ص 230 .

يعتبر هابرماس أنّ الأداة هي كل ما يعيق التفاعل وإمكانية المشاركة في النقاش بين أفراد المجتمع ، والأداة عنده ليست شيئا ماديا فقط كالمال الذي يسمح للطبقة الغنية بالحصول على المعلومات تتعدى تلك التي يملكها الفقراء فحسب، إنّما يمكن أن يكون شيئا معنويا. لهذا فكرة الأداة هي كل عائق مادي أو معنوي، وهنا نجد أنّ هابرماس ركّز على حيز اجتماعي بسيط وهي المقاهي التي قال أنّها تسمح بالتقاء الجميع وتبادل الأفكار بكل حرية. ومن وجهة المقارنة البسيطة بين الفضاء الهابرماسي والفضاء الافتراضي في تحقيق هذا الشرط، فإنّ الشبكات الاجتماعية ومواقع التواصل الاجتماعي أتاحت مجالا لجميع الفئات خاصة فئة الشباب للتعبير عن آرائهم. فإلى وقت مضى كان يمكن اعتبار الإنترنيت والولوج إليها أداة معيقة، فليس كل الناس بإمكانهم الولوج إلى صفحات التشبيك الاجتماعي نظرا لارتفاع أسعار أجهزة الإعلام الآلي وكذلك ارتفاع تكلفة الإبحار، لكن هذه الأداة لا تكاد تذكر اليوم نظرا لإمكانية الاستفادة من هذا الفضاء دون صعوبات تذكر، فيمكن إذن اعتبار الشبكات الاجتماعية فضاءً عاما من هذا المنظور رغم بعض التحفظات التي يمكن أن تسجّل في هذا الإطار.

ثانيا : أن يكون الفضاء مفتوحا لجميع أفراد المجتمع :

والمقصود هنا أن يكون هذا الفضاء وفقا لاسمه أي عمومي يمكن الولوج له من قبل جميع أفراد المجتمع ، وهذا الشرط أيضا يمكن أن نلمسه في الشبكات الاجتماعية وموقع التواصل الاجتماعي نظرا لما تحويه من إمكانية الإبحار خاصة وأنّها مجالات مفتوحة تسمح بالولوج إلى الصفحات دون معاناة خاصة مع تقنية " النص الفائق" التي تسمح بالانتقال من صفحة لأخرى باعتماد الروابط . ومن هنا يمكن اعتبار الإنترنيت أو الفضاء الالكتروني كبديل يشبه إلى حد ما الفضاء الواقعي أي المقهى حسب هابرماس. ومن جملة العناصر التي تجمع بين الفضائيين، وجود عنصر الأهمية الفكرية وإمكانية التفاعل وتبادل المعلومات وكذا النقاش الحر وإمكانية التدخل في النقاش دون رد أي اعتبار للشق الخاص بالزمان والمكان، فكلاهما غائبين في الفضاء الرقمي، فكما يمكن المساهمة في النقاش والاطلاع على أي موضوع في أي وقت يمكن أيضا الولوج إلى عالم الشبكة من أي مكان، إذ يكفي أن تتوفر الأدوات اللازمة لذلك.

ثالثا : أن يكون الفضاء بعيدا عن النطاق البرجوازي والمال :

والغرض من هذا الشرط عند هابرماس أن تتساوى الفرص عند جميع الأفراد. فلقد اعتبر هابرماس أنّ المال السياسي يؤدي إلى النفاق السياسي وبذلك العمل على تجسيد الرداءة والكيل بمكيالين، فيتم على إثره بتر الديمقراطية ووأدها في مهدها لهذا لا يجب لسلطة المال أن تكون هي التي تقود، وإنّما يجب تغليب الفكر وحرية التعبير والنقاش دون الضغوط المالية والمادية، وفي الفضاء الافتراضي يمكن أن نلمس سلطة المال أحيانا خاصة في المواقع التي تبنها الحكومات لكن هناك من الفضاءات التي لا يمكن للمال أن يحدث فيها تغيرا بشكل كبير ولا يكاد هذا المتغير يذكر أصلا .

إن استبعاد المال من الساحة الفكرية في الواقع يعد ضربا من الخيال فلا يمكن استبعاد المال بشكل كلي، لكن يمكن لهذا المال أن يروض وأن يعمل على دعم حرية الفكر والتعبير ، فكما أنّ الشركات الكبرى التي ترعى الفضاء الإلكتروني غرضها تحقيق الأرباح إلاّ أنّ شدة ما يمكن أن ينجر من اعتماد هذه الشركات كفضاء مدعم للديمقراطية لا يمكن أن ينكره أحد. ولو ضربنا مثالا على ذلك فموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك كمؤسسة مالية ربحية تمنح مجال لا يستهان به للتعامل مع الأحداث والمشاركة بكل حرية من أجل تقديم رأي أو أكثر حول حدث أو مجال نقاش عام ما.

رابعا: أن يكون الفضاء مجالا لتبادل الأفكار وليس للصراع والشتم والسبّ :

يصعب تحقيق هذا الشرط في دول العالم الثالث، خاصة وأنّ ثقافة الاحترام وتبادل الأفكار تكاد تكون منعدمة. لكن هناك بعض التجمعات الافتراضية التي يمكن أن نلمس فيها مبدأ الاحترام والنقاش الحر والديمقراطي، إلاّ أنّ صعوبة تحقيق هذا الشرط قد ينعكس بالسلب على الجو العام للفضاء العمومي من هذه الزاوية.

لو عدنا إلى المجال الإلكتروني مثلا في الجزائر لوجدنا أنّ الحوار والنقاش على مستوى الشبكات الاجتماعية لا يرقى لأن يكون فضاءً محترما يمكن المشاركة فيه، فهناك من الأفراد من يساهم بالسب والشتم وحتى الكلام الفاحش ضد أفراد المجموعات المناقشة ، وهنا يمكن اعتبار السبب في كون ثقافة الحوار والنقاش ليست ناضجة بعد بسبب وجود أفكار مسبقة لكل فرد عند مناقشة المواضيع. وليس المجال هنا لمناقشة فكرة ضعف ثقافة الحوار في فايسبوك أو أي مجال آخر للنقاش في مواقع التواصل الاجتماعي إلاّ أنّ خطورة الأمر يستدعي العمل على التوعية وإيصال الفكر الصحيح خاصة لفئة الشباب التي تقبل على مثل هذه الفضاءات وفي كل مناسبة .

المحور الثاني: الأنترنت لتحقيق الفضاء العمومي :

يمكن أن نقف على أهمية الأنترنت والاتصال الرقمي من زاوية الاطلاع على خصائص هذا الأخير وذلك من حيث ما قدمه فيرونيك وتوماس أرمال حول وايب 2.0 من حيث إتاحته لخدمات جليلة وإمكانية اعتماده للهواتف الذكية وخلق قنوات جديدة متحررة من القيود التقليدية ، ومن حيث إمكانية تكريس روح المناقشة وخلق منصات للتبادل السريع للمعلومات[1].

فالإنترنيت كمعطى حديث إن لم نقل جديد على الكثير من الدول له مكانة كبيرة عند الدول، خاصة بعد ظهور إمكانية توظيفه اقتصاديا إعلاميا وسياسيا، من هنا تجسدت الأهمية بشكل واضح لإدارة شؤون الأفراد من نواح عدة، ومن هنا يمكن أن نشير إلى عدة تطبيقات للإنترنيت يمكن أن تستغل لدعم الفضاء الافتراضي ليكون بديلا للفضاء العمومي وفقا لمقاربة هابرماس :

الأنترنت وتطبيقاتها الاتصالية :

هناك الكثير من التطبيقات التي يتميز بها الإنترنيت والتي تساهم بشكل كبير في دعم فكرة بناء فضاء عمومي يقوم على أسس متينة تسمح بفتح المجال أمام الفكر والنقاش الحر بين الأفراد وتمكنهم من الدخول في التفاعلات الافتراضية على غرار:

1 - **البريد الإلكتروني:** الذي يعتبر احد التطبيقات المهمة في التسجيل وفي الفضاءات الافتراضية المختلفة وكعنصر مهم لتبادل البريد مع المجموعات والأفراد الافتراضيين.

فإلى وقت ليس ببعيد كان للبريد الإلكتروني حصة الأسد في التطبيقات العملية للإنترنيت ومع ظهور الشبكات الاجتماعية حافظ البريد الإلكتروني على ميزاته وذلك كونه بقي مهما للتعامل مع الفضاءات الإلكترونية الأخرى، كوسيلة تسجيل ودعم لتلك المواقع، وما زاد من أهميته أنه يعكس الشخصية الافتراضية لصاحب البريد في مواقع التواصل الاجتماعي ويمثل السلاح القوي لمواجهة أي احتمال للاعتداءات الإلكترونية .

- غياب الوساطة بين المرسل والمتلقي وإمكانية خلق التفاعلية المباشرة خاصة مع ظهور إمكانية الاتصال المرئي عبر السكايب مثلا والتطبيقات الأخرى، هذا ما يفتح المجال أمام السرعة في الأداء وإمكانية التحكم في كلمات السر المعينة على ضمان السير الحسن للتعامل مع التطبيقات الجديدة.

- التفاعلية : إنّ هذه الخاصية من أهم الخصائص التي تسمح بالبناء الأمثل للفضاء الالكتروني الشبيه بفضاء هابرماس : فالتفاعلية مستويات :

أ. جزئية أي يكون أحد العناصر كالصورة أو السمع أو اللمس غائبة.

ب. كلية والتي يكون فيه التفاعل دون وساطة وبشكل كلي.

---

[1]. Véronique Mesguich et Armelle thomas (2010), Le guide pratique pour mieux trouver l’information utile et surveiller le web , France, 4eme ed , ADBS éditions , P 128.

والتفاعلية هي من أهم الشروط المنطقية التي أكد عليها هابرماس لدعم الفضاء العمومي. إلّا أنّ هذه التفاعلية ربطها هي الأخرى بشروط لتكون تفاعلية إيجابية تبني الديمقراطية وتساهم في تحقيق المشاركة الفعالة. ومن جملة الشروط التي أرادها هابرماس لتتوفر في التفاعلية : أن تكون دون جدال صاخب ولا إساءة بل تكون وفقا لإطار محترم يكون فيه الفكر والعقل والإقناع هي الأساليب الغالبة. ولو عدنا إلى مقياس هابرماس عند حديثه عن التفاعل وقسنا به ما يحدث في الفضاءات الافتراضية في الجزائر لقلنا دون أي تردّد أنّ الفضاءات الافتراضية في الجزائر بحاجة إلى إعادة بناء فكري لغياب ثقافة الحوار والنقاش الافتراضين. والذي ساهم في عدم احترام الأفراد لأساليب الحوار والنقاش هو التخفي وراء شخصيات افتراضية وكذا البعد المكاني الذي يجعل من المشارك يحسّ بأنه لا يمكن أن يدركه أحد حتى ولو تكلم بكلام لا يليق.

- التزامن ولا التزامن من العناصر التي تسمح بالتغلب على الزمان وإشكالية المكان ، فلا يشترط اللقاء في مكان ما بين المتفاعلين بل يكفي اللقاء الافتراضي وفي أي وقت متاح.

2 – منتديات الدردشة أو المجموعات الافتراضية :

وهي من العناصر المهمة لبناء فضاء عمومي خاص بكل مجموعة نقاش وفقا للإطار الذي تعتمده كل مجموعة في نقاشاتها وتعتبر خدمة الدردشة من الوسائل المهمة لبناء العلاقات الاجتماعية دون اشتراط التعارف الواقعي، وتسمح بالتعامل بطريقة مباشرة مع مجموعة من الأفراد في نفس الوقت خاصة مع مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة كاليوتيوب والفايسبوك[1] .

وهذه المجموعات من أهم الأماكن الافتراضية التي يجد الشباب فيها مكانا للتنفيس عن الآراء والتعليق على الأحداث خاصة السياسية منها لهذا نجدها في الكثير من الدول تعمل على حجبها على المواطنين. وفي الجزائر عرفت نوعا من التشجيع خاصة لمواجهة ما يعرف بالربيع العربي، ومنع الفوضى فلم يتم حجبها بل سمح للأفراد إبداء آرائهم حتى في الأحداث الحساسة. ومن هنا يمكن القول أنّ الجزائر يمكن أن تحقق فضاءً عموميا جيّدا إذا تمت رعايته بالشكل الصحيح للعمل على بناء فضاء متين يساهم في البناء.

3 – مجموعات الأخبار : وهي من المجموعات المهمة لبناء علاقات بين الأشخاص الذين يتقاسمون نفس الاهتمامات، فهي على شكل دائرة مستديرة لتناول أخبار ومواضيع يعيشها أفراد المجموعة الواحدة في إطار مجموعات أخرى.

وتعتبر مجموعة الأخبار أقرب منها إلى الإعلام أكثر منه إلى الرأي، فهي فضاءات ترصد أهمّ الأخبار التي تصنع الحدث ويتم تناقلها في وقت قياسي ، من هنا بدأ الإشهار لمواقع كصحافة للمواطن رغم أننا لسنا من الذين يتفقون على هذه التسمية فلا يمكن اعتبار المشاركة من قبل المواطن في نقل حدث كمصدر للمعلومة أن يكون صحفيا ، فالكتابة الصحفية ونقل المعلومات والصور باحترافية من أهم شروط قيام الصحافة وهذا لا يتوفر أبدا لكل هاو ينقل بعض الصور أو مادة خام على شكل أخبار. فكثيرة هي الأحداث التي تم نقلها من طرف وسائل الإعلام وكانت بناءً على ما تم تداوله في المجموعات الإخبارية ولكن هذه الوسائط الإعلامية اعتبرتها بمثابة مصدر لها وليست إعلاما في حد ذاته.

المحور الثالث : الفضاء السيبرني وعلاقته بالفضاء العمومي :

تعود كلمة الفضاء السيبرني والتي يصطلح عليها باللغة الأجنبية ب cyberspace إلى رواية من الخيال العلمي لصاحبها " وليام كيبسون " عن إنشاء الناس فضاءً غير واقعي يتعاملون مع بعضهم البعض في إطار هذا الفضاء، من هنا برزت فكرة الفضاءات الافتراضية مع تطور الإنترنت وما أفرزته من تطبيقات مهمة والتي تسهل العملية الاتصالية كونها لا تحدها حدود جغرافية[2].

---

[1] عامر إبراهيم قنديلجي (2015)، الإعلام الإلكتروني، ط1، عمان، الأردن، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ص 103 .

[2] . Isabelle Compiègne (2007), Internet histoire enjeux et perceptives critiques , Paris, France, ed ellipses editions marketing SA, p 83

لقد سمحت الخصائص الجديدة للفضاء السيبرني بإمكانية اعتماده كفضاء عمومي يقوم على التفاعل والمشاركة بين الأفراد في توجيه انتقادات ونقاشات حول مواضيع تخص حياتهم السياسية والاجتماعية داخل الكيان الواحد، ولكن هناك بعض الاختلافات الجوهرية بين الفضاء السيبرني والفضاء العادي يمكن حصرها كالتالي :

- الفضاء التقليدي ينتشر في الأماكن التي يعيش فيها الأفراد في حين الفضاء السيبرني في عالم المعلوماتية والشبكات .

- الفضاء التقليدي إطاره مادي ملموس في حين الفضاء الافتراضي فضاء غير مادي، والمقصود هنا بالملموس أنّ اللقاء في الفضاء التقليدي يكون على شكل اتصال شخصي يقوم عل حضور جانبي النقاش في حين في الفضاء الافتراضي لا يشترط اللقاء في العالم الواقعي إنّما يكتفي بالحضور على شكل رقم مهم في معادلة العملية الاتصالية الالكترونية الافتراضية.

- الفضاء التقليدي حقيقي في حين الفضاء الافتراضي تخيلي أي أنّ الأول من صنع الإنسان في العالم الذي يعيش فيه في حين الثاني من صنع الفضاء والواقع التخيلي.

- يتميز الفضاء التقليدي بأنه ساكن في حين يتميز الفضاء الافتراضي بالديناميكية والتغيير والحركية الدائمة .

- الفضاء التقليدي اجتماعي في حين الفضاء الافتراضي غير اجتماعي وإنّما أساسه الخيال[1].

المحور الرابع : الفضاء الافتراضي العمومي والمخاطر القانونية والتقنية:

أ . التطبيقات :

هناك العديد من التطبيقات الافتراضية التي تسمح للفضاء الافتراضي أن يكون بديلا مهما للفضاء التقليدي أو على الأقل مكملا له وذلك من خلال مواقع التواصل الاجتماعي وما توفره من أساسيات للنقاش الحر بين المجموعات الافتراضية ويمكن أن نذكر من هذه الشبكات الاجتماعية :

1 – مواقع التواصل الاجتماعي :

تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي من أهمّ الفضاءات الافتراضية التي تسمح بإنشاء مجموعات للنقاش كفضاءات عمومية، وعلى رأسها نجد الفايسبوك التي يستعملها ملايين الناس نظرا لما له من أهمية في الحياة اليومية للأفراد، ونظرا للميزات التي تسمح لموقع فايسبوك بأن يكون في طليعة المواقع التي تتوفر فيها الشروط الأساسية لمقاربة هابرماس للفضاء العمومي، بالإضافة إلى اليوتيوب والتويتر والأشكال الأخرى من مواقع التواصل الاجتماعي التي تسمح بالنقد المباشر ونقل الحقائق المختلفة عن الأوضاع الاجتماعية .

2 – وسائل الإعلام الرقمية :

تعتبر الوسائط الإعلامية من أهمّ المجموعات الإخبارية والوسائل التي تساهم في النقاش
العام لبناء ديمقراطية التواصل والنقاش العام حول عديد القضايا الاجتماعية والسياسية،
بالإضافة إلى البوابات الحكومية ووسائل الإعلام التابعة للحكومات التي تتعامل على أثرها مع القضايا المطروحة في هذا الإطار.

ب . سلبيات ومخاطر اعتماد الشبكات الاجتماعية :

رغم أهمية اعتماد الشبكات الاجتماعية كإطار لبناء فضاء عمومي بكل المقاييس يبقى هذا التوظيف فيه من الخطورة الكبيرة على الدول والمجتمعات وهذا راجع إلى :

- الفراغ القانوني الرهيب في الإنترنيت بسبب صعوبة تنفيذ القوانين التقليدية في عالم الشبكة، بسبب إمكانية التخفي للمجرم الالكتروني وراء أسماء مجهولة وارتكاب جرائمه في دول غير الدولة التي يسكن فيها.

[1] قاسيمي صافية ، مرجع سبق ذكره ، ص 112

- اختلاف القوانين من دولة لأخرى في تحديد نوع الجريمة والعقوبة التي تلائمها، وهذا ما يدعو إلى البحث عن نظرة فقهية جديدة تأخذ بعين الاعتبار الجريمة الالكترونية كظاهرة عابرة للقارات .
- غياب المسؤولية الاجتماعية وذلك بكثرة نشر الإشاعات على شكل فيديوهات وصور مفبركة، وما أحدثته مواقع التواصل الاجتماعي في الكثير من الدول العربية من تحريك للأوضاع الاجتماعية بطرق يشوبها الغموض.
- استغلال الدول الكبرى للتفوق التكنولوجي لفرض سياستها الخاصة في مواقع التواصل الاجتماعي وبروز عنصر المال والمخابرات الأجنبية في الكثير من التحريضات على العنف.
- إمكانية استغلال الجماعات الإرهابية لمواقع التواصل الاجتماعي للتحريض عل العنف والكراهية والدعوة إلى تبنّي العنف كإطار للتعامل مع الحكومات.
- النقاشات التي تبتعد عن الأخلاق والاحترام المتبادل بين المتفاعلين وهذا ما نلمسه خاصة في العالم العربي والدول المتخلفة التي كثيرا ما تأخذ النقاشات منحى السب والشتم والقذف.
- الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي ما يعود بالسلب على واقع المتفاعلين من حيث الإنتاجية والمردودية في العالم الحقيقي وظهور الكثير من الأمراض النفسية بسبب هذا الاعتماد الكبير في التعامل مع الغير على الجماعات الافتراضية .
- هناك الكثير من المخاطر التقنية ، فلا يكف استخدام الشبكات الاجتماعية دون التحكم في عالم التقنية ، ولا يكف الاستخدام دون إنتاج وتحكم في التقنية.
- إمكانية التسبب بالضرر باعتماد وسائط الكترونية جد متطورة كالفيروسات وتدمير الكثير من المواقع التي تعود بالنفع على الشركات من جانب، ويمكن اعتماد هذه الوسائط كأدوات للجريمة تمارس على الوسائط الأخرى.
- انتشار جرائم على القصر بسبب هذه المواقع التفاعلية وفي الكثير من الأحيان يصل الأمر ببعض المراهقين إلى الانتحار مع تصوير العملية على المباشر.

بالإضافة إلى المخاطر الكثيرة التي لا يسع لنا المقام لذكرها كطغيان الآلة على الإنسان والانعكاسات الاقتصادية على مداخيل الأفراد، إلّا أنّه ورغم هذه المخاطر والسلبيات يمكن الإشارة إلى الدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه الشبكات الاجتماعية كإطار فعال للديمقراطية التشاركية.

خامسا : الفضاء الافتراض العمومي ، السلطة والرأي العام :

إنّ العلاقة التي تميز الفضاء العمومي الافتراضي والسلطة والرأي العام تختلف من دولة ومن نظام لآخر، فهناك بعض الأنظمة التي تفح المجال دون رقابة واضحة في الظاهر على مواقع التواصل الاجتماعي، بل بالعكس تعمد الحكومات في بعض الدول لاعتماد الفضاءات المختلفة للتواصل مع الأفراد كبناء بوابات حكومية لتقديم خدمات وتلقي شكاوي على شكل حكومات الكترونية وكثيرة هي الدول التي تعتمد مواقع التواصل الاجتماعي ببناء موقع أو أكثر فيها خاص بها للتعامل المباشر مع المواطنين وكثيرة هي الحسابات للمسؤولين في هذا الإطار للتعامل المباشر مع المواطنين، واستغلالها أثناء الحملات الانتخابية وتنظيم تجمعات افتراضية تعمل على دعم الوعي السياسي بأهمية الاستحقاقات الانتخابية، وتعتبر كندا وأمريكا وبعض دول أوروبا الغربية من الدول التي تأقلمت في هذا الإطار [1] وهناك الكثير من الدراسات التي تؤكد اعتماد الكثير من الحكومات الغربية للفضاء الالكتروني للتعامل مع المواطنين.

ورغم استغلال الكثير من الحكومات لمواقع التواصل الاجتماعية لدعم البعد الديمقراطي، يعاني الكثير من الأفراد في العديد من الحكومات من التضييق على حرية التعبير، وتتعمد حجب بعض المواقع الخاص بالتفاعل بين أفراد المجتمع وتعمل على إضعاف التواصل بين الأفراد نظرا لتخوفها من فقدان السيطرة وخروج شعوبها عن طاعتها، كما يتم سجن الكثير من المتفاعلين مع قضايا ذات علاقة سياسية معادية للنظام وهناك من الأنظمة التي تتعمد التدفق البطيء للإنترنيت في دولها وعدم اعتمادها للتواصل مع الشعب رغم أنّ الظاهرة عالمية لا يمكن تفاديها.

الخلاصة :

وكخلاصة لهذه الورقة البحثية يمكن أنّ نلمس الكثير من الإيجابيات في اعتماد التكنولوجيا الجديدة لبناء فضاء عمومي خاص لإشراك المواطن في القضايا التي تهمه وتساهم في دعم إطار التبادل والخروج بالحلول البديلة وعدم التعنت واعتماد القوة، لكن لا يجب الإفراط ولا يجب التفريط، فالعقلانية في توظيف التكنولوجيات الجديدة أمر لابد منه خاصة إذا علمنا انه ليس كل ما هو جديد إيجابي بل لابد من الاستعانة بمختصين في المجال وتوظيف كل ما هو تكنولوجي للبناء وتفادي الهدم، فمهما حاولت بعض الأنظمة التلاعب والهروب من التعامل مع هذا الفضاء الجديد فإنّه سوف يتم استغلاله من قبل دوائر وجماعات لتنفيذ مشاريع قد تندم تلك الأنظمة من عدم العمل على ممارسته والتحكم في أطرها العامة.

منهج المحتوى وتطبيقه في المرحلة المتقدمة لأغراض أكاديمية
في حقل تعليم اللغة الثانية: وجهات نظر المدرّسين في المراكز والجامعات الأردنية

د.ختام محمّد الوزَّان- د.نادية مصطفى العسَّاف
مركز اللغات – الجامعة الأردنية

الملخّص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أحد المداخل المهمة في تعليم اللغات الأجنبية، وهو منهج المحتوى "Content Based Instruction" الذي يقوم على تحقيق التوازن بين اللغة والمحتوى. ويتمُّ ذلك باستعراض مفهومه في حقل تعليم اللغة الثانية، وبيان أنواعه، والتركيز على أحد نماذجه على اعتبار أنّه الحل المنطقي من وجهة نظرنا للمشكلة التي يواجهها بعض الطلبة في عدم مقدرتهم على تطوير كفايتهم اللغوية للانخراط في البرامج الأكاديمية الجامعية. فمن خلال هذا البحث سنقدّم برنامجاً تطبيقياً لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بناء على نموذج العزل (Sheltered Content Instruction) أحد نماذج منهج المحتوى، بالإضافة إلى رصد مواقف مدرّسي اللغة العربية لغة ثانية من توظيفه في المراكز والجامعات الأردنية.

الكلمات الدالّة: منهج، تعليم، محتوى، نموذج العزل.

Abstract

:This research aims at highlighting one of the important access point in teaching foreign languages; Content based instruction. This instruction embodies integration between language and content through reviewing the instruction's concept in the field of teaching a second language, recognizing the instruction's varieties, and concentrating on one of its forms. This form in specific is, from our consideration, a logical solution to a problem that some students face. This problem is the lack of developing their language efficiency to get them involved in the university's academic programs. Through this research, we will present an applied model to teach Arabic for speakers of other languages based on sheltered content Instruction which is one of models of the content based instruction. In addition to elicit the attitudes of Arabic language teachers as a second language in Jordan toward using it in their classes.

المقدمة:

إن تحقيق التكامل بين اللغة والمحتوى منهج عربي أصيل، استخدمه العرب في تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية.وقد بدا ذلك واضحاً "بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية إذ أصبحت اللغة العربية تدرّس لأبناء المسلمين الناطقين بلغات أخرى في الدولة الإسلامية من خلال محتوى العلوم الشرعية". (العصيلي، 1425، ص379)

ويعدّ هذا الاتجاه مهماً في تعليم اللغة الأجنبية لأغراض أكاديمية؛ نظراً لما يحقّقه لدى الطالب من تكامل بين الجوانب اللغوية، والجوانب الوجدانية؛ نتيجة لتناوله الموضوعات المتكاملة في منهج واحد، فقد ذكر مدكور": أن تكامل المعرفة فكرة تربوية قديمة حديثة، أساسها أن العقل البشري ميّال بطبيعته لدراسة الموضوع من جميع جوانبه الممكنة." (مدكور، 1991، ص140)

ظهر هذا الاتجاه " في أوروبا في التسعينيات من القرن الماضي في المدارس والجامعات الأوروبية والأمريكية المتعلّقة بتعليم اللغة الثانية، وذلك ببناء علاقة قوية بين المحتوى واللغة، من خلال اعتماد مداخل كثيرة تهدف إلى تعليمهما معاً في آن واحد مثل التعليم القائم على المحتوىContent Based Instruction (Darn ,2006) وهو المدخل الذي سنركّز عليه في هذا

البحث على اعتبار أنه أحد المداخل المهمّة في تعليم اللغات الأجنبية، إذ يتحقّق فيه التكامل بين اللغة والمحتوى. كما سنستعرض في هذا البحث أحد برامج منهج المحتوى وهو برنامج العزل وخطوات تطبيقه في حقل تعليم اللغة الثانية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:تكمن المشكلة في أنّ الطلبة الذين يدرسون في برامج تعليم اللغة العربية التقليدية ويرغبون في تطوير قدراتهم اللغوية بأسلوب أكاديمي يواجهون صعوبات في استخدام اللغة وفهمها عند الالتحاق بالبرامج الأكاديمية الجامعية. فعلى سبيل المثال، قام مركز اللغات في الجامعة الأردنية عام 2015-2016 بإنشاء برنامج خاص للطلبة الذين يريدون الالتحاق بالبرامج الأكاديمية في الجامعة الأردنية ممّن درسوا اللغة العربية مدة سنتين في الأقل، بما يسمّى "البرنامج التحضيري"، إذ يَدْرُس الطلبة في هذا البرنامج مناهج المستويات المقررّة في مركز اللغات، وذلك بعد أن يخضعوا لامتحان تصنيفي، دون النظر إلى حاجاتهم و دوافعهم، ومن ثَمَّ، فإن هؤلاء الطلبة يتعلّمون اللغة من خلال مواد تعليمية محدودة، تفرض عليهم مقرراً دراسياً يحتوي على موضوعات، ونصوص، وتدريبات معدّة سلفاً تقيّدهم بالمفردات والتراكيب والقواعد التي عليهم دراستها، إذ يُمضون وقتاً طويلاً في تعلّم اللغة دون التركيز على محتوى علمي يلبّي احتياجاتهم ودوافعهم.

وترى هذه الدراسة أن منهج المحتوى (Content Based Instruction)، يمثل حلاً لهذه المشكلة من خلال تطبيق برنامج العزل (Sheltered Content Instruction) أحد نماذجه. كما تقدّم هذه الدراسة تطبيقاً عملياً مقترحاً لهذا البرنامج في تعليم اللغة الثانية، بالإضافة إلى رصد مواقف مدرّسي اللغة العربية لغة ثانية من توظيفه في المراكز والجامعات الأردنية من خلال إجابتهم عن الأسئلة الآتية:

أ. ما مواقف المدرّسين من التدريس وفق نموذج العزل؟

ب. هل تفضل التدريس وفق نموذج العزل ؟ لِمَ؟ لِمَ لا؟

ج. في أي المستويات، في رأيك، يمكننا تطبيق هذا النموذج؟

د. ما المصادر التي تستخدمها للحصول على المواد المراد تدريسها وفق هذا النموذج؟

هـ. ما المعايير التي كنت تتبعها في اختيار هذه المواد؟

و. ما أساليب التدريس الأكثر فاعلية واستخداماً عند تطبيق هذا النموذج؟

ز. هل يحتاج المدرسون إلى التدريب للتدريس وفق هذا النموذج؟ إذا كان الأمر كذلك، ما هو نوع التدريب؟

ح. ما أبرز التحديات التي تواجهك عند التدريس وفق هذا النموذج؟

أهداف الدراسة:تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1. الجانب النظري: التعريف بمنهج المحتوى في مجال تعليم اللغة الثانية، والأسس النظرية التي قام عليها، وبيان أنواعه.

2. الجانب العملي: أ. عرض برنامج تطبيقي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بناء على نموذج العزل أحد نماذج منهج المحتوى، لمن يرغب في التخصص في مجال أكاديمي معيّن.

ب. رصد مواقف مدرّسي اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية عبر تدريس نموج العزل في صفوفهم.

أهمية الدراسة:تبرز أهمية هذه الدراسة في تناول نموذج العزل أحد نماذج منهج المحتوى المستخدَم في المستويات المتقدمة، وما يحقّقه من فوائد في تعليم اللغة العربية لغة ثانية، يمكن إيجازها في النقاط الآتية:
(Grabe & Stoller, 1997)

1. يدعم التعليم على أساس المحتوى مساقات التعليم؛ إذ يتعلّم الطالب لغة مفيدة بدلاً من أن يتعلم مفردات لغة مشتتة غير مرتبطة بمنهاج، بطريقة تسمح له بتعلّم اللغة على نحوٍ غير منعزل عن تعليم المحتوى بشكل مترابط وذي صلة.

2. يتعرّض الطالب في هذه الصفوف إلى معلومات معقدة تتطلّب الانخراط بأنشطة تؤدي إلى تحفيزه ذاتياً.

3. يسمح التدريس وفق المحتوى ببناء المزيد من المرونة في المنهاج، وذلك عندما يشترك الطالب في اختيار الموضوعات.

4. يرتكز التدريس حسب المحتوى على نشاط الطالب في الصف، ومدى تفاعله مع المحتوى.

5. الهدف من هذا المنهج فهم محتوى تعليمي معين، بحيث تكون اللغة وسيلة لفهم هذا المحتوى، وليست المادة وسيلة للغة العامة كما هو الحال في البرامج التقليدية.

6. توفير الوقت والجهد والمال. إذ يتعلّم الطالب اللغة الهدف والمحتوى العلمي المطلوب في آن واحد.

الدراسات السابقة:

إن التدريس القائم على منهج المحتوى يعدّ نهجاً جديداً في مجال تعليم اللغة، فمنذ بداية عام 1980 بدأ ينمو في حقل تعليم اللغة الثانية (Met, 1999)، باعتباره أداة مفيدة للمدرسين والمتعلّمين من أجل تطوير المهارات اللغوية ومهارات المحتوى معاً.

إذ ذكر Murphey عام 1996 أن الباحثين مهتمين دائماً بهذا الموضوع بسبب دوره المزدوج في تعلّم اللغة، " لغة ذات معنى" و" محتوى ذو معنى" (Murphey, 1996, p117).

وفي دراستين لـ Met عام 1991(Met, 1991, p281) وCurtain عام 1995(Curtain & Haas, 1995) ذكرا أنّ اكتساب اللغة يزداد عند التدريس وفق منهج المحتوى على نحو أكبر؛ لأنّ الطلبة يتعلّمون أفضل عندما يكون هناك تركيز على محتوى ذي معنى بدلاً من التركيز على اللغة نفسها. وفي دراسة أخرى قام بها Stoller عام 2002 أكّد فيها أن اللغة هي وسيلة لتعلّم المحتوى، والمحتوى هو مصدر لتعلّم اللغة وتطويرها، فالتعليم وفق منهج المحتوى، من وجهة نظره، مفيد من خلال توفير سياق عام لتعلّم اللغة، وتعزيز المناهج الدراسية الحالية. (Stoller, 2002, p109)

وفي دراسة لـ Snow عام 2004 يرى فيها أن النموذج القائم على الموضوع هو نوع من التدريس على أساس المحتوى الذي يتم خلاله اختيار موضوعات تُقدّم محتوى يركّز فيه المدرّسون على استخلاص تعليم اللغة منه (Snow, 2004). وفي دراسة قام بها Corrales & Maloof عام 2009 طبّق التدريس وفق منهج المحتوى لطلبة الطب في جامعة Del Norte . وقد تبيّن أن الطلبة كانوا أكثر حماساً وتشجيعاً عندما كانت فصول اللغة تركّز على تخصصهم، وكذلك تبيّن لهم أن ما يتعلّمونه مرتبط بالتخصص(Corrales & Maloof, 2009).

وقد أجرت Tinna Eyjólfsdóttir عام 2011 دراسة نوعية لتطبيق التعليم القائم على المحتوى داخل المدرسة الدولية في أيسلندا ومدى فعاليته وسيلة لتعلم اللغة والمحتوى. وتمّت مقابلة الطلبة والمعلمين حول استخدام اللغة الإنجليزية في الفصول الدراسية ومواقفهم تجاهه. ومن هذه المقابلات يبدو أن الطلبة والمعلمين سعداء جدا في التعلّم من خلال التعليم القائم على المحتوى؛ إذ يمكنهم التواصل باللغة الإنجليزية جيداً مع المعلم وكذلك مع بعضهم بعضاً، ويبدو أيضا أنهم يفهمون مواد المحتوى بشكل جيد. وكما هو متوقّع، فإن مهارات الاستماع والتحدث لديهم هي أكثر تقدماً من مهارات القراءة والكتابة. (Eyjólfsdóttir, 2011)

وهدفت دراسة لـ Hernandez عام 2012 إلى معرفة ردود فعل المتعلّمين نحو تنفيذ هذا المنهج. بالإضافة إلى الإطِّلاع على الكيفية التي يمكن من خلالها تحقيق أهداف المحتوى واللغة بطريقة متوازنة. إذ تم تنفيذ هذه الدراسة في إحدى الجامعات الحكومية التي تقع في كولومبيا، وقد بلغت العيّنة ثلاثة وعشرين مشاركاً ممّن يتعلّمون اللغة الإنجليزية من خلال محتوى يتضمّن موضوعات تتعلّق بالتوعية الاجتماعية. وكشفت نتائج الدراسة أن المتعلّمين يشعرون بالتحدّي الكبير والحماس اتجاه الاستراتيجية. وأعرب المتعلّمون في المقابلة النهائية أنهم لمسوا تحسناً في اللغة، وتطوراً في المحتوى، لأنهم كانوا قادرين على أداء الأنشطة المقترحة بنجاح (Hernandez, 2012).

وفي دراسة للعُصيلي عام2013، تناول فيها نموذج الموضوعات وهو أحد نماذج منهج المحتوى في تعليم اللغات حلاً لمشكلة المستوى المبتدئ في تعلّم اللغة الثانية، فمن خلال هذا النموذج قدّم مقترحاً لكيفية استخدامه وتطبيقه لتقديم مهارات لغوية وأكاديمية كافية للملتحقين به (العصيلي، 2013).

ومما تقدّم ندرك أنه من المهم تبنّي هذا المنهج لتحقيق الهدفين: اللغة والمضمون، فعلى المدرّسين والطلبة أن يجعلوا من تعلّم اللغة الأجنبية أمراً شاملاً وذا معنى، كما يجب الانتباه لما يحتاجه الطلبة وما يهمّهم. بحيث يكون هذا المنهج طريقة لتنمية مهارات اللغة لديهم.

الإطار النظري:

نشأ منهج المحتوى نتيجة للحاجة الملحّة من جهة، واستناداً إلى أسس نفسية ولغوية من جهة أخرى، فهو لم ينشأ نتيجة للبحوث الأساسية كما هو الحال في الكثير من المناهج.

فحسب الاتجاهات اللغوية والنفسية التي ظهرت في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين وما انبثق عنها من نظريات، فإن التدريس وفق منهج المحتوى يحقّق الظروف المطلوبة لاكتساب اللغة أو تعلّمها. فقد بيّن لنا Krashen عام 1984 في فرضيته " المدخل اللغوي المفهوم" أنّ اكتساب اللغة يحدث عندما يتلقى المتعلّم اللغة الهدف من خلال المدخلات اللغوية المفهومة التي يستقبلها من الناطقين باللغة في سياقات طبيعية، ومواقف اتصالية حقيقية، ومن محتوى علوم ومعارف. ويؤكّد Krashen في هذه الفرضية أهمية المعنى في تعلم اللغة؛ ولهذا فإن منهج المحتوى يغطّي هذه الفرضية، لأن دراسة موضوع معيّن يجعل عملية الإدخال أكثر شمولية ومعنى للمتعلِّم.(العصيلي، 2013، ص283)

وفرّق (Cummins) في فرضيته "مهارات الاتصال" بين نوعين من مهارات الاتصال التي يمكن أن يكتسبهما متعلمو اللغة الثانية: مهارات الاتصال الشخصية التي تفيد المتعلّم في التواصل مع الناس والتفاهم معهم لقضاء حاجاته. إذ يمكن اكتسابها في الحياة العامة. ومهارات الكفاية اللغوية المعرفية الأكاديمية وهي أصعب من المهارة الأولى لأنها تتطلّب فهم اللغة الهدف في المجالات الأكاديمية، واستعمالها في الكتابة والمحادثة، ولا يكتسبها الطالب إلا من خلال لغة علمية أكاديمية تكون وسيلة لاكتساب المعارف، والتعبير عن الأفكار وتحليلها.(Kasper, 2000, p5)

وبناء على ذلك، فإن التفريق بين هذين النوعين من المهارات مهم في ظهور منهج المحتوى، وبخاصة في المرحلة الجامعية.

وبيّن لنا Ausubel عام ١٩٨٣ في "نظريته المعرفية" أن التعليم المُجدي هو استخدام المدرّسين معرفة الطلبة السابقة في تطوير وخلق معارف جديدة لهم، إذ إنه ليس من الصواب أن يُعِدَّ المدرسون عقول الطلبة خالية كلياً، واقترح Ausubel تطبيق هذا المفهوم في تعليم اللغة الثانية، إذ يعمد المدرّس إلى أخذ معلومات مختارة من الطلبة أنفسهم، بهدف تقديم معلومات جديدة لهم. (Ausubel, 1983)

إضافة إلى ذلك،لا بدّ من الإشارة إلى أن التدريس على أساس المحتوى يساعد في تطوّر اللغة بأسلوب مؤثر في العملية التعليمية، وهذا يعني أنّ المهارات الأربعة تُطوّر عند تطبيق هذا المنهج. وكما ذكر Brinton في كتابه (content- based second language) أن تطوير المحتوى يُعدّ أفضل استخدام للغة المراد تعلّمها ؛ لأنّه يُوجّه المتعلّم نحو استخدام اللغة وفهمها على نحو كبير، لهذا يجب أن يُوازَن بين اللغة والمحتوى في الوقت نفسه.

منهج المحتوى:

يُعرف منهج المحتوى في مجال تعليم اللغات الأجنبية بـ CBI وهو اختصار لعبارة content based instruction، الذي يجمع بين تعليم اللغة الهدف وتعليم محتوى معين في آن واحد. (العصيلي، 2013، ص283)

ويرى Snow أن المحتوى -باعتباره طريقة تعليمية- هو استخدام مادة الموضوع لأهداف تدريس لغة أجنبية، ويمكن لمادة الموضوع أن تتكون من موضوعات تعتمد على اهتمام الطلبة وحاجاتهم في أجواء تعليمية.(Snow,2004)

ويضيف Crandall l& Tuckers أن "المحتوى هو الموضوع"، بينما بيَّن Genesee " أن المحتوى يمكن أن يحوي أي موضوع، أو فكرة أو حتى مسألة غير لغوية ولها أهميتها عند المتعلّم". كما عرّف Chaput المحتوى بأنه:" أي موضوع مادته تسهم في فهم الطالب للغة المراد تعلّمها، ويستهدف اللغة بشكل خاص." (Hardman, 2009, p23)

وبناء على ذلك، فإن منهج المحتوى استراتيجية عالية المستوى لتعليم اللغة الأجنبية؛ لأنها تأخذ بعين الاعتبار المعرفة السابقة للمتعلّم واهتماماته وحاجاته لدراسة لغة أخرى. وتدرّس اللغة من منظور استخدام اللغة استخداماً فعلياً على شكل مهارات أدائية اتصالية، مما يسهم في تهيئة الطالب ليعايش هذا المحتوى ويمارس من خلاله استعمال اللغة، ويحتك بمحتواه، ليخرج منه وقد اكتسب مجموعة من المعلومات والمعارف عن اللغة واستخداماتها، ومجموعة من مهارات الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة، وقدرة على التفكير باللغة والتعبير عمّا يريد، وتمكينه من استخدام اللغة العربية في مواقف صعبة تتفق وأغراضه ودوافعه.

نماذج منهج المحتوى:

يقدِّم التعليم وفق منهج المحتوى أربعة نماذج مختلفة يمكن تطبيقها في صفوف اللغة الثانية، إذ أشار Snow وBrinton إلى أن هناك، في الأقل، أربعة أنواع مميّزة من التدريس على أساس المحتوى، طوّرت في مجال تدريس اللغة الثانية، ويمكن أن نجد هذه النماذج في مراحل تعليم اللغة في مختلف برامج تعليم اللغات الأجنبية ، وتتمثل هذه النماذج في: النموذج القائم على الموضوعات (Theme/Topic- Based Language Instruction)، والنموذج المساعد Adjunct Language Instruction)، ونموذج العزل (Sheltered Content Instruction) الذي هو موضوع دراستنا، ونموذج الدمج أو الغمس (Immersion). وتُطبق هذه النماذج وفقاً لعدد المتعلّمين وحاجاتهم، واهتمامات المتعلّمين والمعلّمين على حد سواء. Snow) & Brinton, 1997)

الإطار العملي: برنامج العزل وتطبيقه في حقل تعليم اللغة الثانية:

طُوِّر نموذج العزل أو الفصل (Sheltered Content Instruction) الذي هو موضوع هذه الدراسة في جامعة أوتاوا بكندا، بوصفه بديلاً لنماذج تعليم اللغات الأجنبية التقليدية، إذ تُدرَّس المادة فيه على أساس المحتوى ولكن بلغة ثانية.

إن استخدام مصطلح "العزل" جاء من الفصل المتعمّد لطلبة اللغة الثانية عن الطلبة الناطقين باللغة، بهدف رفع مستواهم اللغوي من خلال تعليمهم المادة بلغة أخرى.(Brinton& Snow, 1989) على أن يكون الملتحقون بهذا البرنامج في المستوى المتوسط الأعلى في الاقل، وذلك بعد اجتيازهم امتحان الكفاية اللغوية. ويُطبق هذا البرنامج في فصول دراسية خاصة بهم، حسب حاجاتهم و قدراتهم اللغوية، وعن طريق مدرّس المحتوى الذي يكون على علم بطرق اكتساب اللغة الثانية في الغالب، أو مدرّس لغة لديه خلفية كاملة عن الموضوع الذي يدرّسه. (Dueñas, 2002)

ويختلف تعليم اللغة من خلال هذا البرنامج عن تعليمه في البرامج التقليدية من وجوه عدة:

1. تركّز البرامج التقليدية على مهارة واحدة عند تقديمها للمادة كالمحادثة، أو فهم المسموع، أو المقروء، أو المكتوب. بينما هذا البرنامج يجمع بين استراتيجيات اكتساب اللغة الثانية والمحتوى المقدّم للطالب، فيعطى الطالب الموضوع والمفردات والمهام المرتبطة به مركّزاً على جميع المهارات باستخدام اللغة والسياق اللذين يجعلان الطالب يفهم المعلومات المراد إيصالها له.

2. يهدف التدريس وفق هذا النموذج إلى أن يكون الطالب قادراً على فهم ما يحدث في بيئته المحيطة والخارجية من أمور وأحداث ومناقشتها والتعبير عن رأيه في القضايا التي تقدّمها، مستخدماً اللغة التي تعلّمها في فهم مادة المحتوى.

3. يختار الطالب في هذا النموذج موضوع المحتوى الذي يرغب في دراسته سواء أكان المحتوى اقتصادياً، أم سياسياً، أم اجتماعياً.. إلخ. وعلى المدرّس تحديد المادة التي سيقدّمها للطلبة بعد الأخذ برأيهم.

4. يتمتّع الطلبة في هذا النموذج بالحرية التامة في الرجوع إلى المصادر والمراجع التي تساعدهم في فهم مادتهم، وتثري مخزونهم اللغوي، وتحسّن تقدّمهم الذاتي.(Brinton, 1989, p14+15) بخلاف البرامج التقليدية التي تفرض على الطالب مقرراً دراسياً معدّاً سلفاً، فتفرض على الطالب المفردات والتراكيب والقواعد التي عليه دراستها، مقيّدة بمعايير صارمة من المعايير التربوية في البرامج التقليدية لتعليم اللغات الأجنبية.

إن التعليم وفق نموذج العزل يأخذ الآن حيّزاً واسعاً من الاهتمام، فهناك سعي نحو تطبيقه في برامج تعليم اللغات بعد برنامج الموضوعات، فقد طُبّق في المرحلة الثانوية في جامعة أوتاو University of Ottawa في كندا، وفي الجامعات البريطانية.(Edwards, et al, 1984, p268)

خطوات التدريس:

تقترح الباحثتان خطوات للتدريس وفق نموذج العزل على النحو الآتي:

1. يقسّم البرنامج الطلبة في صفوف تمثل المجالات التي يرغبون في دراستها، أو التخصص بها في مرحلتهم الجامعية، وذلك بعد حصر اهتماماتهم وحاجاتهم. فمن المواضيع التي تدرّس على سبيل المثال: مقدمة إلى القضايا السياسية في العالم العربي، القضايا الجندرية في الشرق الأوسط، الإعلام العربي، الاقتصاد، الدين ودوره في المجتمع، الأدب العربي، التحولات والصراعات السياسية في الشرق الأوسط، اللاجئون ودراسات الهجرة.

2. يضع المدرّس المنهج العام للمادة التي سيدرسها الطلبة خلال الفصل الدراسي، بحيث يتضمّن المنهج المحتوى الذي سيدرسه الطلبة مقسّماً على الأسابيع الدراسية بالإضافة إلى متطلبات المادة، وأسس التقييم التي سيتبعها، ويوزعها على الطلبة.

3. يختار المدرّس المحتوى الذي ينوي تدريسه باعتباره نصا قرائياً من الكتب أو الجرائد أو المواقع الإلكترونية، بحيث يكون النص طويلاً نسبياً و مناسباً أو أعلى قليلاً من مستوى الطلبة على نحو يدفعهم إلى قراءة النص، ومن ثّم، اكتساب اللغة عبر مدخلات لغوية مفهومة.

4. يعطي المدرِّس الطلبة نسخاً من النص بعد تصويره لهم، مرفقاً بأهم معاني المفردات والتراكيب التي يُتوقع أن تكون صعبة عليهم عند قراءتهم للنص، بالإضافة إلى ورقة عمل تتضمن أسئلة حول النص، وعلى الطلبة أن يقرؤوا هذا النص ويجيبوا عن أسئلته في البيت.

5. يناقش المدرّس النص ويحلّله ويسلّط الضوء على النقاط المثيرة للاهتمام، ويكلّف الطلبة بإبداء آرائهم، والتعليق على الأفكار الواردة فيه، ومن ثم، يتناول خلال مناقشته للنص قضية لغوية بناء على احتياجات الطلبة، ونقاط ضعفهم بهدف تحسين أدائهم اللغوي .

6. يعرض المدرِّس فيديو - يفضّل أن يكون أصيلاً- حول الموضوع الذي قدّمه للطلبة، ويطرح أسئلة حوله، ويناقشهم بمحتواه مع ربطه بالنص الذي ناقشوه سابقاً.

7. يطلب المدرّس من الطلبة أن يكتبوا كتابة علمية عن المحتوى الذي ناقشوه، ويزودهم ببعض المراجع التي سيحتاجونها في كتابتهم، بالإضافة إلى بحثهم عن مراجع أخرى. وحبّذا لو يطلب المدرِّس من الطلبة أن يرسلوا كتابتهم إلكترونياً باستخدام (الأيميل أوGoogle drive أو مواقع أخرى) فيقرأ المدرّس كتاباتهم مباشرة ويصحّحها لهم ويزودهم بالتغذية الراجعة عن كتاباتهم بكتابة الملاحظات في الكتابة نفسها، وإن لم يتمكّن الطلبة من إرساله إلكترونياً من الممكن أن يخصّص المدرِّس وقتاً ليجلس مع كل طالب ليوضّح لهم أخطاءهم ويوجّههم نحو الاستعمالات الصحيحة. فهو بذلك سيتمكّن من أن يضع يده على نقاط ضعف كل طالب في الجوانب اللغوية، والجوانب العلمية (المحتوى)، فيعالجها أولاً بأول.

7. يستمر المدّرس بتقديم المواضيع المتعلقة بمحتوى علمي محدّد وفق إطار زمني محدّد، إلى نهاية الفصل، وعليه أن ينوّع في الأساليب التي يستخدمها في تدريسه، فالحوار مرّة، والتعلّم التعاوني مرّة أخرى وهكذا.

8. يقوم المدرّس بالتخطيط لمشروع الفصل، وذلك بتقسيم الطلبة إلى مجموعات، وتكليفهم بإعداد بحوث حول جزئية من جزئيات المحتوى الذي يدرسونه خلال الفصل. ويوجههم نحو البحث في الكتب، وإجراء المقابلات، والقيام بزيارات ميدانية،

إن دعت الحاجة، للحصول على المعلومات الخاصة بكل مجموعة، ويقتصر دور المدرّس في هذه الحالة على الإشراف والتنسيق والتوجيه.

وحتى نحصل على التأثير المطلوب لهذا البرنامج، يجب أن تكون هناك ملاءمة بين مستوى الطلبة اللغوي والمحتوى. فالأساس في التدريس وفق هذا النموذج هو تطوير القدرات اللغوية للطلبة، ومن المهم أن يبقى في أذهاننا أن الهدف من هذه الصفوف هو تعليم المحتوى واللغة معاً بدلاً من الاقتصار على تعليم اللغة وحدها، لذا يعدّ هذا البرنامج أحد أقوى الطرائق التعليمية المبنية على أساس طرائق تدريس المحتوى، إذ يتم فيه تقوية المهارات الآتية: (Hernandez, 2012, p30)

أ- القراءة:

قراءة النصوص للتعرّف على الأفكار الرئيسية والثانوية، والأمثلة والتفاصيل، والتفريق بين المعلومات ذات العلاقة، والأخرى التي لا علاقة لها، وتفحّص الأفكار الرئيسة واستدراكها، والتلخيص والتعبير عن الأفكار بأشكال مختلفة، وتحديد النقاط الرئيسة في النص وفهمها من خلال النقاش.

ب- الكتابة:

كتابة الملخّصات، وفهم عناوين الموضوعات، والتخطيط للواجبات، والكتابة عن الموضوع، والاختبارات، والاستعانة بالمصادر والمراجع على نحو مناسب وصحيح؛ للتعليل والتفسير و تقديم الحجج.

ج- الاستماع:

الاستماع إلى مواد متنوّعة لاستحضار الكلمات واللغة المعقدة، والتفريق بين الحقيقة والرأي، وتقديم النص السمعي بشكل مختلف.

د- التحدث:

الإجابة عن الأسئلة وتقديم المعلومات عن المادة المسموعة، وتقديم الرأي، واستخدام أساليب المحادثة في الاعتراض، والتمسّك بالرأي، وطلب التوضيح والتفسير، وتقديم عرض باستخدام وسائل مرئية.

متطلّبات تطبيق البرنامج:

إن تطبيق هذا البرنامج يحتاج إلى عدة أمور لإنجاحه. وهي:

1. **توفير المدّرس الجيّد:**

يعدّ المدرِس الجيّد والمناسب من أهم أسباب نجاح هذا البرنامج، فيجب أن تتوافر فيه سمات أساسية سواء أكان من مدرِسي اللغة العربية المتخصصين في تعليمها للناطقين بغيرها، أم من أساتذة الجامعة، فلا بدّ أن يكون مستعدّا للتدريس وفق هذا المنهج. وأن يراعي عند تدريسه ما يلي:

أ- **الإعداد الجيّد للدرس:**

ب- فعلى المدرّس أن يعدّ مادته بشكل جيّد ويجمع المواد الضرورية لها قبل تطبيقه للدرس، فهو بحاجة إلى تحديد المحتوى، ومراجعة اللغة اللذين سيقدّمهما للطلبة مع مراعاة مستوى الطلبة عند اختياره المواد المسموعة، أو المقروءة، بالإضافة إلى تصميم الأنشطة الهادفة التي تسمح باستخدام اللغة في جميع المهارات: القراءة، والاستماع، والمحادثة، والكتابة.

ت- **بناء الخلفية:**

ث- ينبغي على المدّرس أن يكون حريصاً على بناء الخلفية عند تعليم مادة المحتوى وذلك بربط خلفية الطلبة السابقة عن الموضوع بالخلفية الجديدة.

ج- التنوّع في استخدام أساليب التدريس:

عند استخدام المدرّس أساليب متنوعة، فإن هذا يُتيح لمتعلّمي اللغة فرصة أفضل، ووقتاً كافياً لممارسة ما تعلّموه، ومن أبرز أساليب التدريس المستخدمة في مثل هذه البرامج إلى جانب المناقشة والحوار، وأسلوب حل المشكلات:

- **التعلم التعاوني**: Cooperative Learning

يعدّ التعلم التعاوني أحد الأساليب التعليمية الذي يتضمن مجموعة من استراتيجيات التدريس التي تضع المتعلّم في موقف جماعي يقوم فيه بدوري التدريس والتعليم في آن معاً، وما يتطلبه ذلك من العمل في جماعة لتحقيق أهداف مشتركة تشمل كلاً من الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية، إذ يعمل الطلبة مع بعضهم في عمل أو واجب جماعي حُدِّد بشكل واضح، الأمر الذي يسمح بتبادل المعلومات والخبرات بين الطلبة، ويشجّعهم على المشاركة في الأنشطة، ناهيك عن إعطائهم الفرصة الأكبر للحديث في الصف.

(البغدادي، ابو الهدى، كامل، 2005)

- **التعلّم القائم على المشروع**: Project Based Learning

هو أسلوب تعليمي يدمج الطلبة فى بحث وتحقيقات حول موضوعات وقضايا يريدون التعمّق بها في مجال تخصصه. ولهذه المشاريع القدرة على زيادة الدافعية لدرجة أن الطلبة يكرّسون وقتاً أطول وجهداً أكبر للمشروع برغبتهم، وهو ما كان من الصعب الوصول إليه بالطرائق التقليدية داخل الصف.

- **التعليم القائم على المهام:**

Task Based Learning جزء من العمل الصفي يؤدي فيه المتعلّمون النشاطات الإنتاجية أو التفاعلية باللغة الهدف، من خلال استقبالهم للدخل اللغوي المضمّن في المهمة اللغوية سواء أكان هذا الدخل مباشراً أم غير مباشر، بحيث يقوم المدرّس بتحليل المهمة اللغوية، وتوزيع الأدوار على المشاركين فيها فيتعاونون فيما بينهم ويتفاعلون مع المهمة لتحقيق منتج لغوي مناسب لأهدافها بحيث يمكن استثماره فيما بعد في مواقف لغوية تواصلية مشابهة.(إبراهيم، ص155، 2015)

د- **المراجعة والتقييم**:

يجب على المدرّس مراجعة المفردات والمفاهيم الأساسية، من خلال إعادتها و تكرارها في الصف، وتصميم تمارين وأنشطة خاصة، وتوفير التغذية الراجعة، والتأكد من أن نتائج التقييمات تعكس ما دُرِّس.

2. توفير الشريك اللغوي: أن يخصّص البرنامج الذي سيطبّق هذا النموذج طالباً جامعياً ناطقاً باللغة، يسمّى "شريكاً "يلتقي به الطالب الأجنبي بشكل دوري للتحدث معه ومناقشة ما درسه من مواضيع، ومساعدته في المسائل اللغوية أو الأكاديمية، أو الشخصية؛، يقرأ كتاباته ويراجعها معه ويصحّحها له. ومن الممكن أن يأخذ الشريك أجراً على هذا العمل تشجيعاً له، أو يحتسب الوقت الذي يقضيه مع الطالب الأجنبي جزءاً من ساعات خدمة المجتمع.

3. **التقييم الجيّد:**

إن المقصود بالتقييم هنا ليس التقييم المحدّد في الاختبارات، بل تقييم هذا البرنامج بكل عناصره من الأساتذة، والمدرّسين، والإداريين، والشركاء اللغويين وذوي العلاقة بالبرنامج كماً وكيفاً. ويجب أن يكون التقييم على مرحلتين؛ تقييم مبكّر Formative evaluation ويكون في نهاية الأسبوع الثاني أو بداية الأسبوع الثالث؛ والهدف منه تصحيح الأخطاء، وحل المشكلات قبل تفاقمها. ثم التقييم الختامي فيكون في الأسابيع الأخيرة من الفصل إذ يشمل المواد التعليمية وأساليب التدريس، والأنشطة المنهجية واللامنهجية، وأداء المدرّسين، والإداريين، ويكون عن طريق استبانة لا يذكر فيها اسم الطلبة ، ويطلب إليهم إبداء الرأي، والملاحظات، والمقترحات، أو عن طريق اللقاءات، والمقابلات الشخصية وتدوين ملاحظاتهم واقتراحاتهم. وقد اقترح Babbitt وMlynarczyk أن يعقد في نهاية كل فصل لقاء مدته تتراوح بين ساعتين، وثلاث بعد حصول الطلبة على نتائجهم؛ ليطمئن الطلبة على عدم تأثير ما سيقولونه من معلومات وآراء في علاماتهم، ويشارك فيه جميع المدرّسين والطلبة، والمرشدين، والإداريين، يناقشون فيه القضايا والمشكلات، ويقترحون حلولاً لها، ويتبادلون الآراء حول مدى استفادتهم من المواد، ونحو ذلك. (Babbitt & Mlynarczyk,2000, p50)

4. **التدريب وعقد ورشات العمل:**

وذلك من خلال عقد ورشات العمل المستمرة سواء أكانت أسبوعية، أم شهرية، أم فصلية بين المدرّسين تستهدف مناقشة سير العملية التعليمية، وتبادل خبراتهم وآرائهم ، والمشكلات والصعوبات التي واجهوها ويواجهونها ومناقشتها واقتراح حلول لها، وكذلك اقتراح أساليب جديدة في التدريس والتقييم. ولا ننسى أنّ التدريب المستمر للمدرّسين بإشراكهم في دورات محلية أو إقليمية أو عالمية متعلّقة بتعليم العربية للناطقين بغيرها يعدّ مصدراً جيّداً للحصول على مصادر تعليمية جديدة، وتحسين المستوى المهني للمدرّسين؛ فمن خلالها سيكتسب المدرّس طرائق جديدة في التعليم تنمّي خبرته السابقة.

5. التنظيم المالي والإداري الجيّد:

إنّ المنهج السليم، والمدرّسين المدرّبين، ورغبة الطلبة في التعلّم من الأمور المهمة في تطبيق هذا النموذج. ولكن إذا لم يرتبط هذا التعليم بإدارة جيّدة وميزانية مناسبة وكافية، فلن يتمكّن هذا التعليم وفق هذا النموذج من النجاح. فالإدارة مسؤولة عن تنسيق البرنامج الذي سيطبّق هذا النموذج، والتنسيق يحتاج إلى مسؤول أو مدير مناسب ويفضّل أن يكون متخصصاً في تعليم اللغات الأجنبية، ويتمتّع بالصبر والقدرة على التعامل مع الأشخاص، وعنده خبرة جيّدة بالإدارة. فهذه السمات الشخصية، واللغوية، والتربوية ضرورية لإنجاح البرنامج لأنّها ستوفّر الوقت، والجهد، والمال.

ولكن ما هو مواقف مدرسي اللغة العربية كلغة ثانية من التدريس وفق نموذج العزل في صفوف تعليم العربية كلغة ثانية، ولمعرفة الإجابة عن هذا الأمر قامت الباحثتان بعمل دراسة ميدانية على المدرّسين في المراكز والجامعات الأردنية الذين درّسوا وفق هذا النموذج وذلك بتوزيع استبانة عليهم، فكانت إجاباتهم عليها من خلال تجاربهم وآرائهم. وفيما يلي توضيح كامل للدراسة:

الدراسة:

إن الغرض الرئيس من هذه الدراسة هو رصد مواقف مدرسي اللغة العربية لغة ثانية من مختلف المراكز والجامعات الأردنية في الأردن نحو التدريس وفق نموذج العزل في صفوفهم. وتركّز الدراسة على كل ما يتعلّق بهذا النموذج. وتهدف الباحثتان إلى تقديم إجابات عن الأسئلة الآتية:

1. ما مواقف المدرّسين من التدريس وفق نموذج العزل في صفوف اللغة الثانية؟
2. هل تفضّل التدريس وفق نموذج العزل؟ لِمَ؟ لِمَ لا؟
3. في أي المستويات، في رأيك، يمكننا تطبيق هذا النموذج؟
4. ما المصادر التي تستخدمها للحصول على المواد المراد تدريسها وفق هذا النموذج؟
5. ما المعايير التي كنت تتبعها في اختيار هذه المواد؟
6. ما أساليب التدريس الأكثر فاعلية واستخداماً عند تطبيق هذا النموذج؟
7. هل يحتاج المدرّسون إلى التدريب للتدريس وفق هذا النموذج؟ إذا كان الأمر كذلك، ما هو نوع التدريب؟
8. ما أبرز التحديات التي تواجه المدرّسون عند التدريس وفق هذا النموذج؟

ومن أجل هذا الأمر قامت الباحثتان بعمل استبانة من أجل الإجابة عن أسئلة الدراسة، ومن ثمّ قمنا بعرضها على خمسة محكّمين متخصّصين في مجالات القياس والتقويم، واللغة العربية للناطقين بغيرها؛ للتأكد من مدى ملاءمة الفقرات لموضوع الدراسة، ووضوح الفقرات، والدقة والصياغة اللغوية، وتحديد نوع الفقرة إيجابية أم سلبية؛ وبناءً على اقتراحات المحكّمين وملاحظاتهم عُدِّلت بعض الفقرات لغوياً، واعتماد جميع الفقرات التي أجمع عليها المحكّمون.

وقد احتوت هذه الاستبانة في بدايتها على أهم المفاهيم التي وردت في الاستبانة، ثمّ طلبت من المدرّسين كتابة سنوات خبرتهم في تعليم العربية كلغة ثانية، وقدّمت الاستبانة عشر فقرات على شكل أسئلة متعددة الخيارات، وقد سُمِح للمدرّسين اختيار أكثر من إجابة واحدة وفقاً لآرائهم، وبالإضافة إلى ذلك، سُمِح لهم إضافة التعليقات الخاصة حول أي بند. (انظر إلى الملحق رقم 1) وقد وزّعت هذه الاستبانة على (25) مدرّس من مختلف المراكز والجامعات في الأردن، ويعملون في

مجال تعليم العربية لغة ثانية، ومن ثمّ قمنا بتحليل الإجابات من الاستبانة من حيث التكرار وتحويلها إلى نسبة مئوية تشير إلى مواقف المدرّسين نحو كل قضية بدقة.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

كما ذكرنا سابقاً، لقد سعت هذه الدراسة إلى تحديد مواقف مدرسي اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية نحو توظيف نموذج العزل في صفوف تعليم العربية باعتبارها لغة ثانية، وللإجابة عن أسئلة الدراسة، تم الانتهاء من تطبيق الاستبانة من قبل (25) مدرّساً للغة العربية لغة ثانية من مختلف المراكز، والجامعات الأردنية في الأردن. وهذه الاستبانة تضمّنت عشرة بنود تهدف إلى تحديد الأجوبة عن الأسئلة البحثية المذكورة. وقد تمّ تحليل إجابات الاستبانة من حيث التردد والنسبة المئوية. وفيما يلي نقدّم نتائج إجابات المدرّسين عن الاستبانة في الجدول رقم1.

جدول 1: تحليل إجابات المدرّسين عن الاستبانة.

السؤال	الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
هل تفضّل التدريس وفق نموذج العزل؟	نعم	16	64
	لا	9	36
لِمَ لا تفضّل التدريس وفق نموذج العزل؟	يتطلّب جهداً ووقتاً	3	12
	الفروق الفردية بين الطلبة	0	0
	اختلاف دوافع الطلبة واتجاهاتهم	0	0
	طبيعة البرنامج	7	28
لِمَ تفضّل التدريس وفق نموذج العزل ؟	تحفيز الطلبة	14	56
	تحقيق التكامل	16	64
	المرونة في المنهاج	10	40
	متطلبات إدارية	0	0
في أي المستويات، في رأيك، يمكننا تطبيق هذا النموذج؟	المستويات المبتدئة	0	0
	المستويات المتوسطة	6	24
	المستويات المتقدّمة	19	76
ما المصادر التي تستخدمها للحصول على المواد المراد تدريسها وفق هذا النموذج؟	الجرائد والمجلات	17	68
	التلفاز/ الفيديو	20	80
	الإذاعة	9	36
	الانترنت	24	96
	مصادر أخرى	1	4
ما المعايير التي كنت تتبعها في اختيار هذه المواد؟	المستوى اللغوي للنص	21	84
	طول النص	15	60
	احتياجات الطلبة واهتماماتهم	20	80
	مستوى الطلبة اللغوي	24	96
ما أساليب التدريس الأكثر فاعلية واستخداماً عند تطبيق هذا النموذج؟	التعليم التقليدي	0	0
	التعليم المبني على المهام	20	80
	التعليم المبني على المشروع	15	60
	التعليم التعاوني	23	92
هل تعتقد أنك بحاجة إلى التدريب على التدريس وفق هذا النموذج؟	نعم	21	84
	لا	4	16
ما نوع التدريب الذي تحتاجه؟	اختيار المواد	9	36
	تصميم الأنشطة	20	80

	أساليب التدريس	15	60
ما أبرز التحديات التي تواجه المدرسون عند التدريس وفق هذا النموذج؟	الفروق الفردية بين الطلبة	10	40
	إيجاد مواد مناسبة	23	92
	استخدام طرائق وأساليب ناجحة	19	76

كما هو مبيّن في الجدول رقم (1) أشار تحليل البيانات إلى أن (64%) من المدرسين يفضّلون التدريس وفق هذا النموذج ؛ وبالتالي كان هناك مدرّسون أجاوبوا بـ"لا" ونسبتهم(36%) ومن الأسباب التي أشاروا إليها في عدم رغبتهم التدريس وفق هذا النموذج أنه يتطلّب جهداً ووقتاً في البحث عن مواد تناسب الطلبة وكانوا (12%). وذكر(28%) أن السبب في طبيعة البرنامج، فقد كتب أحد المدرسين: "إن البرنامج يفرض عليهم المنهج الذي يدرّسونه للطلبة وهو برنامج معدّ سلفاً لطلبة المستويات اللغوية في مركزهم". وهذا الأمر يشكّل عبئاً كبيراً عليهم عند الملاءمة بين المنهج المفروض عليهم واهتمامات الطلبة.

في البند الثالث، أشار المدرسون إلى أنهم يفضّلون استخدام نموذج العزل من أجل تحفيز الطلبة للتعلّم لأنه يأخذ بعين الاعتبار اهتمام الطلبة، وهدفهم من دراسة اللغة، ولم يشر أيّاً منهم بأن ذلك مطلوب من قبل الإدارة. ذكر الأغلب ونسبتهم(64%) أن استخدام هذا النموذج يقدّم فرصة لتحقيق التكامل بين المحتوى والمهارات اللغوية. وذكر أحد المدرسين: " إن التدريس وفق هذا النموذج يساعدنا في التركيز على المحتوى الذي يحتاجه الطالب، والمهارات التي نرغب في تطويرها لديهم؛ وذلك من خلال تصميم مواد تقدّم المحتوى الذي يحتاجه الطالب، وتصميم الأنشطة التي تحفّز مهاراتهم اللغوية." وتتفق هذه النتائج مع الدراسات السابقة التي أكّدت أهمية التدريس وفق هذا النموذج لتحفيز الطلبة للتعلّم كدراسة (Curtain 1995)، و (Murphey 1996)، (Stoller 2002).

أما في البند الرابع والذي تناول المستويات التي يمكن من خلالها تطبيق هذا النموذج فوجدنا أنّ (24%) يفضّلون المستويات المتوسّطة، و(76%) يفضّلون المستويات المتقدّمة، ولم يفضّل أيٌّ منهم تطبيقه في المستويات المبتدئة، فذكر أحد المدرّسين: " إن الطلبة في المستويات المبتدئة لا يمكنهم التعامل مع المواد في هذا النموذج؛ لأنهم يفتقرون إلى العديد من العناصر التي تساعدهم على فهم هذه المواد، بالإضافة إلى أنّ قاموسهم المعجمي فقير نوعًا ما" وهذا الأمر يتطابق مع ما ذكره (Brinton& Snow) وهو بأن يكون الملتحقين في البرنامج الذي يطبّق فيه هذا النموذج في المستوى المتوسّط الأعلى في الأقل.

وفي البند الخامس الذي يتعلّق بالمصادر التي يستخدمها المدرّسون للحصول على موادهم فقد أشار (96%) إلى أنهم يستخدمون الإنترنت كمصدر رئيسي لموادهم؛ لإنه يعدّ بالنسبة لهم أسهل وأسرع طريقة للبحث عن مواد من مواقع متعدّدة ومتنوعة لكافة المجالات. و(80%) يستخدمون التلفاز/ الفيديو، وحوالي (68%) يستخدمون الجرائد والمجلات، و(36%) الإذاعة؛ فمن وجهة نظرهم يرون أنه من الصّعب عليهم متابعة جميع البرامج التي تبثُّ أو تذاع خلال هذه الوسائل من أجل إيجاد مادة مناسبة، وبالتالي يمكنهم اختصار الوقت واستخدام الانترنت مباشرة بكتابة العنوان الذي يبحثون عنه فيقدّم لهم العديد من المواقع التي تتضمّن الموضوع الذي يبحث فيه المدرّس. (4%) وهو مدرّس واحد أشار إلى أنه يستخدم جميع المصادر السابقة للحصول على مواده بالإضافة إلى القصص.

أمّا في البند السادس والذي تناول المعايير التي يتبّعها المدرسون في اختيار موادهم أشارت الدراسة إلى أن المستوى اللغوي للنصوص، ومستوى الطلبة اللغوي هي المعايير الأساسية لاختيار موادهم بنسبة (84%)، (96%) على التوالي، وكانت نسبة احتياجات الطلبة واهتماماتهم (80%)، و(60%) فقط يهتمون بطول النص، فقد ذكر مدرّس: " إنه يعرّض طلابه إلى أنواع وأنماط مختلفة من اللغة، والنصوص." وذكر آخر: " علينا أن لا ننسى أيضاً صلاحية المواد للتواصل، والأهم من ذلك فهم محتوى النصوص المختارة".

أما فيما يتعلّق بالأساليب الأكثر فاعليّة واستخداماً عند تطبيق هذا النموذج فلم يختر أحد من المدرّسين التعليم التقليدي؛ وكان (92%) يرون أن التعليم التعاوني هو الأسلوب الأكثر فعالية لتطبيق هذا النموذج؛ ولعلَّ السّبب في ذلك أن التعليم وفق هذا النموذج يعطي الدور الأكبر للطالب في العملية التعليمية فهو المحور الأساسي فيها على عكس التعليم التقليدي الذي يكون فيه المدرّس هو المحور فيملّ الطالب في الصفوف التي يُطبّق فيها. وكان التعليم المبني على المهام والتعليم المبني على المشروع قد حصلا على نسبة أقل (80%)، (60%) على التوالي؛ وذلك ربّما لحداثة تطبيق هذين الأسلوبين في المراكز والجامعات العربية على الرغم من انتشارهما بشكل أوسع في الجامعات الغربية.

وكشف التحليل لإجابات المدرّسين في البند الثامن (فيما يتعلّق بالتدريب) أنّ (84%) يشعرون بحاجة إلى التدريب للتدريس وفق هذا النموذج، في حين أكّد (16%) فقط أنهم ليسوا بحاجة إلى التدريب. ووجدت الباحثتان أنّ الإجابات عن هذا البند لم تؤثر فيه سنوات الخبرة في مجال التدريس، فقد كتب أحد المدرسين وكان لديه (30) سنة من الخبرة: " إنني دائماً أفضل التدريب، وأشارك دائما في ورشات العمل التي يكون هدفها الأساسي تدريب المدرّسين وتطوير آدائهم؛ فهذا الأمر يساعدني كثيراً في تطوير الوسائل والأساليب التي أمتلكها في تعليم العربية" وتحديثها. أمّا في البند التاسع (فيما يتعلّق بنوع التدريب الذي يحتاجونه) فكان (80%) أشاروا إلى أنهم بحاجة إلى التدريب في كيفية تصميم الأنشطة، و(60%) أشاروا إلى أنهم بحاجة إلى التدريب في كيفية تطبيق أساليب التدريس الحديثة واستخدامها، و(36%) أشاروا إلى أنهم بحاجة إلى التدريب في كيفية اختيار المواد. ولعلّ أحد التفسيرات المحتملة لهذه النتيجة هو أن تصميم الأنشطة والمهام للمواد المختارة هو أكثر صعوبة من اختيارها، ولعلّ اهتمام المدرّسين بتعلّم أساليب وطرائق جديدة ومتابعتها هو رغبتهم في التنويع في أساليبهم، والابتعاد عن النمطية والرتابة.

أما في البند العاشر والذي تضمّن التحديّات التي تواجه المدرّسين عند التدريس وفق هذا النموذج فكان (92%) يرون أن أكبر التحدّيات بالنسبة لهم هو إيجاد المواد المناسبة، فهذا الأمر يأخذ منهم وقتاً أطول لإيجاد المواد التي يحتاجها الطلبة وفق اهتماماتهم. (76%) أشاروا إلى أن أبرز تحدياتهم هو في كيفية استخدام طرق وأساليب ناجحة لإيصال المعلومات، فكتب أحدهم: "دائما أبحث عن أهم الطرائق والأساليب الناجحة في التدريس ولكن قلّما أجد دورات أو ورش عمل للتدريب حول هذا الموضوع، وحبّذا لو تتبنّى مؤسسة تعليمية عقد ورش عمل متواصلة حول هذا الإطار". وكان (40%) يرون أنّ الفروق الفردية هي من التحديّات التي يواجهونها وكانت أقل نسبة؛ ولعلّ هذا لوجود حلول كثيرة لمواجهة هذا التحدّي كالعمل في مجموعات في الصف، أو الاجتماعات الفردية مع الطلبة في أوقات مختلفة لمساعدتهم على تجاوز نقاط ضعفهم. أشار أحد المدرسين إلى تحديّات أخرى فكتب: " عدم توافر وسائل التكنولوجيا الحديثة في تعليم اللغات الأجنبية "؛ ولعلّ ذلك لقلة الموارد المالية لتوافر مثل هذه الوسائل.

نتائج البحث وتوصياته:

من خلال البحث في الموضوع توصّلنا إلى النتائج الآتية:

1. إن التعليم وفق منهج المحتوى يتمتّع باهتمام متزايد في جميع سياقاته التعليمية وأساليبه التدريسية؛ فقد ثَبُت- كما ذكرنا سابقاً- مدى فاعليته عند استخدامه في الجامعات الأمريكية والبريطانية وغيرها، فلا نستطيع تجاهل مدى فائدته لطلبة اللغة في مؤسسات التعليم العالي عند تطبيقه في جامعاتنا ومراكزنا العربية.

2. إنّ حاجة المتعلّمين الواضحة لتطوير مهاراتهم الأكاديمية في اللغة الثانية هو الدافع الرئيسي الذي جعل المدرّسين يفكّرون في مناهج وطرائق جديدة في التعليم.

3. إن تصميم برنامج وفق نموذج العزل وتنفيذه يعدّ تحدياً لمدرّسي اللغة من الناحية الأكاديمية، والمعرفية والشخصية للنجاح في تلبية جميع رغبات الدارسين.

4. لإنجاح البرنامج وفق نموذج العزل، على المشاركين في البرنامج التخطيط الجيّد والمناسب، ووضع المناهج الدراسية المناسبة للدارسين، والعمل على تطوير المواد بشكل دوري.

أما التوصيات فهي:

1. تشجيع المدرّسين على خوض التجربة في التدريس وفق هذا المنهج، فهذا الأمر سيعطي المدرّس ثقة أكبر في نفسه ويحفزّه على تطوير مسيرته التعليمية.

2. عقد دورات تدريبية للمدرّسين حول كيفية التدريس والتخطيط وفق هذا المنهج.

3. إنشاء مركز أو مكتب للبحوث في القياس والتقييم، مهمّته حفظ المعلومات التي تحصل عليها المؤسسة التعليمية من تقييمات الطلبة لجميع عناصر البرنامج من مدرّسين، أو إداريين وغير ذلك من العناصر في سجلات ورقية أو حاسوبية، ويفضّل أن تكون حاسوبية ليسهل الرجوع إليها؛ وذلك لإضافة المعلومات الجديدة، واسترجاع المعلومات السابقة، ومتابعة الطلبة والأساتذة.

4. إجراء الدراسات العلمية التي تفيد في تحسين العملية التعليمية، فإذا كانت التجربة إيجابية فينبغي تعميمها؛ لتكون للجامعات الأخرى داخل الدول العربية التي تستقبل عدداً من متعلمّي اللغة العربية للناطقين بغيرها فرصة في تجربتها وتطبيقها.

5. عمل دراسات أخرى، وخاصة أنّ عينة هذا البحث صغيرة، لقلة المراكز والجامعات الأردنية التي تدرّس وفق هذا النموذج، فحبّذا لو عمل دراسة اخرى مع عينّة أكبر بعد انتشار أكبر للتدريس وفق هذا النموذج.

6. من المفيد القيام بمقارنة بين متعلّمي اللغة الهدف من أصحاب اللغات الأخرى، ومتعلّمي اللغة الهدف (الناطقين الأصليين باللغة) بعد مرور سنة دراسية من بدء التعلّم حسب هذا النموذج.

المراجع العربية:

- إبراهيم، هداية، 2015، المهام اللغوية التواصلية واكتساب اللغة الثانية، بحث منشور من أعمال المؤتمر الدولي الأول " تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الرؤى والتجارب" - اسطنبول.

- البغدادي محمد رضا، حسام الدين أبو الهدى، آمال ربيع كامل، 2005، التعلم التعاوني، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي.

- العصيلي، عبد العزيز، 2013، منهج المحتوى في تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية في المرحلة الإبتدائية، ماليزيا، المؤتمر العالمي الرابع للغة العربية وآدابها.

- العصيلي، عبد العزيز، 1425ه، منهج المحتوى في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ع46، المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- مدكور، علي أحمد، 1991، منهج التربية أساسياته ومكوناته، القاهرة ، المطبعة الفنية.

المراجع الأجنبية:

- Ausubel, (1983), El Constructivismo desde la teoría del Aprendizaje Significativo de Ausubel. Retrieved from http://www.ctascon.com/Teoria%20del%20Aprendizaje%20Significativo%20de%20Ausubel.pdf.

- Babbitt, m. and Mlynarczyk, R, (2000), Designing implementing, and sustaining content- ESL programs. (online-Internet Document), C-ESL Guide No. 20, p50.

- Brinton, D., M. Snow and M. Wesche, (1989), Content-based Second Language Instruction. New York: Newbury House, p 14, 15.

- Corrales & Maloof. (2009), Students Perceptions on how Content-Based Instruction Supports Learners Development in a Foreign Language Context. Bogotá: Universidad del Norte.

- Curtain, H., & Haas, M. (1995), Integrating foreign language and content instruction in grades K–8. Retrieved March 29, 2005, from http://www.cal.org./resources/digest/int-for-k8.html.

- Darn, Steven, (2006), Content and Language Integrated Learning (CLIL) A European Overview.

- Dueñas, M., (2002), A Description of Prototype Models for Content-Based Language Instruction in Higher Education. Departamento defilología Inglesa: Universidad de Murcia.

- Edwards, H.P., Wesclie, M.B., Kraslien, S., Cleinent, R. & Kruideiiier, B., (1984), Second language acquisition through subject-matter learning: A study of sheltered psychology classes at the University of Ottawa, Canadian Modern Language Revie~4/ 1, 268.
- Eyjólfsdóttir, Tinna,(2011), Content-based instruction. A closer look at CBI in Iceland, This thesis t for a B.Ed exam at the Faculty of Education, School of Education at the University of Iceland
- Grabe, W., & Stoller, F., (1997), Content-Based Instruction, Retrieved from.
http://www.carla.umn.edu/cobaltt/modules/principles/grabe_stoller1997/READING1/foundation.htm.
- Hardman, M., (2009), Developing a teachers' handbook for content-based instruction at Brigham young university's English Language Center, Retrieved from http://contentdm.lib.byu.edu/cdm/ref/collection/ETD/id/1718.
- Hernandez Ana-, (2012), Teaching English throughout Content- Based Instruction to Efl Beginners –A Language Institute In Pereira- Universidad Technological De Pereira, p30.
- Kasper,L (2000), "content –based college ESL instruction: theoretical foundation and pedagogical applications"in kasper,L (ed) content –based college ESL instruction, p5.
- Met, M. (1991), Learning language through content: Learning content through language. Foreign Language Annals, 24(4), 281–295.
- Met, M., (1999), Content-Based Instruction: Defining Terms, Making Decisions. Washington D.C: The National Foreign Language Center.
- Murphy, T. (1996), Content-based instruction in an EFL setting: Issues and strategies. In Snow, M. A., and Brinton, D.N. Editors (Eds), the content-based classroom: perspectives on integrating language and content, (p. 117-131). Longman.
- Snow, M.A., (2004), Content-based and immersion models for second and foreign language teaching. Boston, MA: Heinle & Heinle,.
- Snow, M.A. and D. Brinton (eds.), (1997), The Content-based classroom: Perspectives on Integrating Language and Content. White Plains, NY: Addison Wesley-Longman.
- Stoller, F. (2002), Promoting the acquisitionof knowledge in a content based course. In J.Crandall & D. Kaufman (Eds.), Content-based instruction in higher education settings, Alexandria, VA: TESOL, (pp.109–123).

الملحق رقم 1: الاستبانة

الاسم: .... **عدد سنوات الخبرة: ....**

مفاهيم الدراسة:

نموذج العزل: نموذج العزل أو الفصل (Sheltered Content Instruction). استخدام مصطلح "العزل" جاء من الفصل المتعمّد لطلبة اللغة الثانية عن الطلبة الناطقين باللغة، بهدف رفع مستواهم اللغوي من خلال تعليمهم المادة باللغة الهدف. وذلك يكون في فصول دراسية خاصة بهم. حسب حاجات الطلبة اللغوية وقدراتهم.

التعليم التعاوني: هو أسلوب يقسّم فيه الطلبة إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة (تضم مستويات معرفية مختلفة)، يتراوح عدد أفراد كل مجموعة ما بين 4 – 6 أفراد ، ويتعاون طلبة المجموعة الواحدة في تحقيق هدف، أو أهداف مشتركة.

التعليم المبني على المشروع: هو أسلوب تعليمي يدمج الطلبة في بحث وتحقيقات حول موضوعات وقضايا يريدون التعمّق بها في مجال تخصصه. ولهذه المشاريع القدرة على زيادة الدافعية لدرجة أن الطلبة يكرّسون وقتاً أطول وجهداً أكبر للمشروع برغبتهم.

التعليم المبني على المهام:

جزء من العمل الصفي يؤدي فيه المتعلّمون النشاطات الإنتاجية أو التفاعلية باللغة الهدف، من خلال استقبالهم للدخل اللغوي المضمّن في المهمة اللغوية سواء أكان هذا الدخل مباشراً أم غير مباشر، بحيث يقوم المعلم بتحليل المهمة اللغوية، وتوزيع الأدوار على المشاركين فيها فيتعاونون فيما بينهم ويتفاعلون مع المهمة لتحقيق منتج لغوي مناسب لأهدافها بحيث يمكن استثماره فيما بعد في مواقف لغوية تواصلية مشابهة

1. هل تفضّل التدريس وفق نموذج العزل ؟

نعم .... لا ....

*** إذا كانت إجابتك "نعم" انتقل إلى سؤال رقم 3.

2. لماذا لا تفضّل التدريس وفق نموذج العزل ؟

.... يتطلب جهداً وقتاً، مضاعفاً (من حيث الإعداد والاختيار).

...... الفروق الفردية بين الطلبة.

...... اختلاف دوافع الطلبة واحتياجاتهم

أسباب أخرى: ....

3. لماذا تفضّل التدريس وفق نموذج العزل ؟

.... تحفيز الطلاب للتعلم لأنه ياخذ بعين الاعتبار احتياجات الطلبة واهتمامهم بدراسة اللغة.

.... تحقيق التكامل بين المحتوى والمهارات اللغوية.

.... المرونة في المنهاج.

.... متطلبات إدارية

4. في أي المستويات، في رأيك، يمكننا تطبيق هذا النموذج؟

.... المستويات المبتدئة .... المستويات المتوسطة .... المستويات المتقدّمة

5. ما المصادر التي تستخدمها للحصول على المواد المراد تدريسها وفق هذا النموذج؟

.... الجرائد والمجلات .... التلفاز/ الفيديو

.... الإذاعة .... الانترنت .... مصادر أخرى (أذكرها)

6. ما المعايير التي كنت تتبعها في اختيار هذه المواد؟

.... مستوى اللغة للنص. (المفردات وقواعد اللغة)

.... طول النص.

.... احتياجات الطلاب واهتماماتهم.

.... مستوى الطلاب اللغوي

معايير أخرى: ....

7. ما هي أساليب التدريس الأكثر فاعلية واستخداماً عند تطبيق هذا النموذج؟

.... التعليم التقليدي (القاء محاضرة، طرح أسئلة).

.... التعليم المبني على المهام.

.... التعليم المبني على المشاريع.

.... التعليم التعاوني

8. هل تعتقد أنك بحاجة إلى التدريب على التدريس وفق هذا النموذج؟

.... نعم .... لا

9. إذا كانت إجابتك نعم، ما نوع التدريب الذي تحتاجه؟

.... اختيار المواد. .... تصميم الأنشطة. .... أساليب التدريس

أنواع أخرى: ....

....

10. ما أبرز التحديات التي تواجهك عند تدريس وفق هذا النموذج؟

.... الفروق الفردية بين الطلاب

.... إيجاد مواد مناسبة

.... استخدام طرق وأساليب ناجحة لإيصال المعلومات

تحديات أخرى

....

تعليقات أخرى: ....

تقييم فعالية برنامج تدريبي قائم على تطبيق تقنية التّعزيز الإيجابي
لتعديل السلوكات العدوانية لدى المراهقين المتخلفين عقليا القابلين للتعلم

د.سي بشير كريمة
جامعة الجزائر2

ملخص :

تهدف الدراسة الحالية الي الكشف عن مدى فعالية برنامج تدريبي قائم على تطبيق تقنية التعزيز الإيجابي لخفض من مستوى السلوك العدواني , تحقيقا لذلك تم اختيار عينة تتكون من أربعة مراهقين تتراوح أعمارهم بين 15و 18 سنة ينتمون إلى فئة التخلف العقلي البسيط يعانون جميعهم من سلوكات عدوانية موجهة نحو الآخرين وذلك حسب نتائج تطبيق سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين.

تم تصميم البرنامج التدريبي من طرف الباحثة وتم فيه استعمال تقنية التعزيز الإيجابي كتقنية أساسية وفردية تعمل على خفض معدل تكرار ظهور السلوكات العدوانية لدى مجموعة البحث ولتقييم هذا البرنامج تقرر توظيف التصميم القاعدي العكسي الذي يتكون من ثلاثة مراحل أساسية تبدأ بمرحلة الخط القاعدي A ثم مرحلة التدريب او التدخل او العلاجB وتنتهي بمرحلة ما بعد التدريب A2 , وأظهرت النتائج فعالية التدريب الذي تلقاه أفراد العينة أثناء مرحلة التدخل مقارنة بمرحلة الخط القاعدي كما احتفظ جميع أفراد العينة بهذا المستوى في مرحلة ما بعد التدريب اي المتابعة.

الكلمات المفتاحية :برنامج تدريبي-التعزيز الإيجابي –التخلف العقلي –المراهقة - التصميم القاعدي العكسي

Abstract:

The objective of this study is to identify the effectiveness of a training program based on the application of positive reinforcement technique to reduce the level of aggressive behavior. To this end, a sample of four (4) adolescents aged between 15-18 abelonging to the category of simple mental retardation were chosen, Aggressive behavior directed at others.

The training program was designed by the researcher and was used as a positive reinforcement technique as a basic technique and individual work to reduce the rate of recurrence of the aggressive behavior of the sample. To evaluate this program it was decided to employ the reverse base design, which consists of three basic stages starting with baseline A, Training, intervention or treatment B and ending with post-training A2, and the results showed the effectiveness of the training received by the sample during the intervention phase compared to the baseline phase, and all the members of this sample retained at this level in post-training or follow-up.

Key words:
Training program - Positive reinforcement - Mental retardation - Adolescence - Reverse base design

مقدمة:

تعتبر مشكلة التخلف العقلي بكل أشكاله من بين اكثر المشكلات التي يهتم بها العلماء وبفضل تقدم وتطور أساليب البحث العلمي, انخفضت معدلاتها إلا ان السيطرة الكاملة عليها ما يزال من أهداف البحث العلمي في كل أنحاء العالم حيث انها مشكلة متعددة الجوانب والأبعاد والنتائج و تتداخل فيها الجوانب الطبية والنفسية والاجتماعية والتعليمية والتأهيلية كما ان تشخيصها والكشف عن أسبابها هو الأساس الذي تقوم عليه الاستراتيجيات والبرامج الوقائية و التدريبية والعلاجية والتعليمية التي تصمم وتنفذ مع الأفراد المعاقين وأسرهم بالإضافة إلى ان الأشكال الأخرى من الإعاقة قد تكون مصاحبة او ناتجة عنها وقبل الغوص في مشكلة الدراسة الحالية نود ان نوضح ان مفهوم التخلف

العقلي Arriération mentale قد يختلط مع مفاهيم سيكولوجية أخرى مثل العجز العقلي Déficience mentale ، والضعف العقلي Débilité mentale ، او النقص العقلي Insuffisance mentale والتأخر العقلي Retard mentale ، والأوليغورفرينيا Oligophrénie " (سي بشير كريمة ، 2017), لذلك لابد من توضيح المعنى المحدد لكل مفهوم من هذه المفاهيم ، لمعرفة التداخل والحدود الفاصلة بينها:

1- **العجز العقلي**: Déficience mentale

يقدم هذا المصطلح مفهوما وصفيا، يتحدد أساسا بالقصور العقلي الشديد أو المعتدل أو البسيط، وهو يشير إلى التخلف إذا كان القصور ناتجا عن خلل في النمو والاكتساب بينما يشير إلى الانهيار والتدهور Détérioration أو الجنون Démence ، إذا كان القصور ناتجا عن فقدان ثانوي لما اكتساب من قبل. (Kohler . C ,1975)

2-الضعف أو النقص العقلي: Insuffisance mentale / Débilite mentale:

يرى العالم Zazzo أن هناك استخدامين لهذين المفهومين ،الاستخدام الضيق والاستخدام الواسع حيث يشير الاستخدام الضيق إلى الدرجة الأقل أهمية في سلم القصور العقلي وهو يتحدد بالمتطلبات الاجتماعية التي تختلف من مجتمع إلى آخر, أما الاستخدام الواسع فهو يشمل جميع ميادين القصور العقلي، وبالتالي هو يتداخل مع مفهوم التخلف العقلي وبمعنى اخر فعندما يكون القصور شاملا وأساسيا فهو يشير إلى التخلف العقلي، أما إذا كان بسيطا نسبيا فهو يشير إلى الضعف العقلي. (Zazzo . R ,1988)

3-**التأخر العقلي**: Retard mentale

يؤكد Kohler ضرورة التمييز بين التخلف العقلي والتأخر العقلي التخلف العقلي حيث يشير التخلف العقلي إلى حالات العجز النفسي المتميزة بالقصور ألذهني وبطابعها المبكر والتكويني الذي يأخذ مسارا بطيئا، وتعود أصوله إلى قصور في النمو أو أعطاب في القشرة الدماغية.

أما التأخر العقلي فيشير إلى العجز الذي يخص المكتسبات المدرسية أو الثقافية أكثر مما يخص الذكاء نفسه الذي قد يكون عادي وهو غالبا ما ينتج عن أسباب تربوية أو مدرسية، أو اجتماعية- نفسية كإهمال الأبوين أو عدم انتظام الدوام المدرسي أو غياب التواصل الاجتماعي والثقافي . (Kohler . C ,المرجع نفسه)

4-**مفهوم الأوليغوفرينيا**:Oligophrénie

اقتصر استخدام هذا المصطلح على الأطباء الروس، وهو يشير إلى قلة العقل أو تخلف درجة نموه الناتجة عن أسباب عضوية على نقيض العجز العقلي أو الضعف العقلي أو التخلف العقلي الزائف Fausse débilité mentale أو التخلف الثقافي التي قد تعود كلها إلى أسباب نفسية- اجتماعية. (فياض منى ,1983)

5- مفهوم التخلف العقلي:

يمثل العالم الفرنسي Zazzo في كتاباته الأولى وجهة النظر الكلاسيكية إذ يوضح أن التخلف العقلي هو المرحلة الأولية من النقص ألعقلي ذلك النقص الذي يتحدد بالمتطلبات الاجتماعية التي تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف ألسن والذي يتأتى عن المحددات البيولوجية العادية أو المرضية ذات الأثر الدائم او غير القابلة للشفاء Irréversible وتشير المحددات العادية في هذا التعريف إلى المحددات الوراثية.

ويتماثل هذا التعريف مع تعريف دول Doll الذي وضح أن المتخلفين عقليا تنقصهم مجموعة من الكفاءات الاجتماعية والمهنية والتربوية الفعالة، والتي تعود إلى نقص النضج العقلي الذي غالبا ما يظهر منذ الولادة أو بعدها بقليل، ويتأتى عن أسباب عضوية غير قابلة للشفاء.

غير أن Zazzo قدم في عام 1987 تعريفا جديدا للتخلف العقلي استندا إلى تعريفات كامين Kamin عام 1974 وفولد Gould عام 1981 طابق فيه بين مفهومي الذكاء والتكيف الاجتماعي حيث يشير عدم التكيف إلى التخلف العقلي أو اللاذكاء، بينما يشير الذكاء إلى التكيف الاجتماعي. (Zazzo. R, المرجع السابق)

ومن خلال كل ذلك يمكننا القول "أن جميع تعريفات السابقة لا تتسم بالدقة أو التحديد، فهي لم تحدد المقصود بالتخلف العقلي أو العجز العقلي، كما أنها لم تحدد الوسائل أو التقنيات التي تستخدم في قياسه، بالإضافة إلى أنها تؤكد أن العامل البيولوجي هو العامل الوحيد الذي يسبب هذا الاضطراب.

وبظهور الاتحاد الأمريكي للعجز العقلي A.A.M.D تركزت جهود الباحثين حول إيجاد تعريفات أكثر دقة وتحديدا للتخلف العقلي منها تعريف Herber عام 1959 الذي يؤكد أن التخلف العقلي وظيفة ذهنية دون المعدل تصاحبها اضطرابات في النضج والتعلم والتكيف الاجتماعي وتشير عبارة دون المعدل إلى النتائج المتحصل عيها من خلال اختبار مقنن للذكاء، كما تشير إلى الحدود التي تعبر عن التخلف العقلي والتي تقع ضمن حاصل الذكاء الأقل من 83 أو 84 درجة وفقا لمقياس ترمان Terman .

وتعريف Grossman عام 1973 الذي يوضح أن التخلف العقلي هو الحالة التي تكون فيها الوظائف العقلية العامة دون المعدل مع عجز أو قصور في السلوك ألتكيفي وهي محددة في فترة النمو الواقعة قبل سن الثامنة عشر. ويشير السلوك التكيفي في هذا التعريف إلى الطريقة التي يواجه بها الفرد معايير الاستقلال الذاتي، والمسؤولية الاجتماعية المتوقعة من جماعته الاجتماعية في سن معينة، وبما أن المعايير تختلف حسب السن والجماعات الثقافية، فالتخلف في السلوك التكيفي يقيم وفقا لهذه المعايير.

وهكذا يتضح أن تعريف Grossman أكثر التعريفات دقة وتحديدا وشمولا الأمر الذي جعله يستخدم على نطاق واسع في البحوث العلمية في البلدان والمتقدمة إذ يؤكد لامبرت Lambert ، أن تعريف جرسمان التخلف العقلي يعتبر من أكثر التعريفات شيوعا في الدراسات العلمية، رغم أنه لم يميز بين التخلف العقلي واضطرابات العقلية الأخرى كالفصام والعجز الدماغي Déficience cérébrale. (Chiva . M, 1973)

وانطلاقا من جهود هؤلاء العلماء، وغيرهم توصل الاتحاد الأمريكي للعجز العقلي إلى تعريف محدد ودقيق للتخلف العقلي تبناه التصنيف الثالث ثم الرابع للجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين A.P.A ، المعروف بالجدول التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية DSM3وDSM4 .

وهو يوضح أن التخلف العقلي " هو الحالة التي تكون فيها الوظائف العقلية العامة دون المعدل مع عجز أو قصور في السلوك التكيفي وهو يظهر خلال المرحلة النمائية الواقعة قبل سن الثامنة عشر".(الروسان فاروق ، 2003)

و تتبنى معظم الأبحاث العالمية هذا التعرف نظرا لأنه أكثر التعريفات دقة وتحديدا وشمولا، وهو يوضح بدقة كبيرة جوانب القصور في هذا الاضطراب والتي تتمثل في وجود العجز أو التخلف في الوظائف الذهنية من جهة، وفي السلوك التكيفي من جهة أخرى، كما أنه حدد الوسائل أو التقنيات التي تستخدم في تقدير Assessment جوانب القصور هذه. وكل هذا يؤكد أن هذا التعريف يلتزم بالمنهج العلمي في تعريفه للتخلف العقلي، الأمر الذي جعله أكثر التعريفات شيوعا في البحوث العلمية الحديثة.

مشكلة البحث :

يمثل التخلف العقلي مشكلة ذهنية ونفسية واجتماعية وتعليمية، حيث يعاني الأفراد المتخلفين عقليا من قصور في القدرات والوظائف الذهنية ويعانون من عدم القدرة على التكيف مع المجتمع نتيجة لضعف إمكانياتهم وعجزهم من الاستفادة من الخبرات المتاحة لاقترانهم من الأطفال العاديين ومشكلة التخلف العقلي لم تطرح بعد كقضية اجتماعية تستحق المواجهة على أساس من التخطيط العلاجي والتربوي والاجتماعي، وهي غالبا ما تواجه بأسلوب جزئي ومحدود

لحصر بعض جوانبها مثل معرفة حجم او سبب الإعاقة الذهنية , الأمر الذي يعوق عملية تحديد الاستراتيجيات الملائمة لمواجهة مشكلة الإعاقة الذهنية في المراحل العمرية المختلفة وتعتبر فترة المراهقة من أدق وأهم الفترات التي يمر بها الفرد، وهي أكثر المراحل تعقيدا وأعمقها أثرا في المستقبل (الداهري صالح، 2010) وبالرغم من ذلك فهي لا تعاش من قبل فئة المتخلفين عقليا كمرحلة عادية أو حرجه إذ أنهم في هذه المرحلة يحتفظون بنفس البصمات والخصائص النمائية الطفلية وقد يحتفظون أيضا ببعض المشكلات السلوكية الطفلية التي تؤثر على التوافق النفسي والاجتماعي والمهني لديهم، وتأتي في مقدمة هذه المشكلات السلوكية، السلوك العدواني الذي يعتبر من أخطر المشكلات السلوكية التي تواجه المتخلفين عقليا، إذ أن نسبة حدوثها بين المتخلفين عقليا تفوق نسبتها لدى العاديين بالإضافة إلى تفاقمها بتقدم السن، واستمرارها في فترة المراهقة (الشهري سعيد، 2007)

ويشير مفهوم السلوك العدواني إلى استخدام القوة والعنف والهجوم ومحاولة تدمير وإلحاق الضرر بالآخرين وقد يتطور هذا السلوك إلى إلحاق الأذى بالنفس . (Rillaer J.V 7، 1988)

أما بالنسبة لأشكال السلوك العدواني الأكثر انتشارا عند فئة المتخلفين عقليا، فقد توصلت بعض الدراسات من بينها دراسة Gardorer & Moffatt سنة 1995، إلى وجود أشكال عديدة منها العدوان اللفظي والتعبيري (الإشاري) والجسدي (الحركي) وهذا العدوان يكون موجها نحو الآخرين، أما الشكل الآخر من العدوان فهو العدوان الموجه نحو الذات ويتمثل في إيذاء النفس والحاق الضرر بها (خوله أحمد، 2000)

وانطلاقا مما سبق أصبحت دراسة السلوكات العدوانية لدى المتخلفين عقليا محط اهتمام العديد من الباحثين نتيجة للآثار السلبية التي تحدثها هذه السلوكات على مستوى إقامة العلاقات الاجتماعية والمهنية واكتساب المهارات اللازمة للتفاعل مع الآخرين والمشاركة والتأثير في المجتمع، وبصفه خاصة تكون هذه السلوكات وراء فشل المتخلفين عمليا في التوافق الاجتماعي والشخصي وتحول دون دمجهم في المجتمع (نصر سهى احمد أمين، 1999).

من هنا جاءت أهمية استخدام برامج تدريبية تطبق فيها الإجراءات والفنيات السلوكية من أجل تعديل هذه السلوكات العدوانية لدى هذه الفئة حتى يتمكنوا من إقامة روابط اجتماعية سليمة مع الآخرين.

انطلاقا من نتائج الدراسات التي وردت في مقدمة ومشكلة البحث نستطيع طرح عدة تساؤلات مهمة ولكن نكتفي في البحث الحالي بمحاولة الإجابة فقط على سؤال واحد أساسي وهو كالتالي :

ما مدى فعالية البرنامج التدريبي القائم على تطبيق تقنية التعزيز الإيجابي في تعديل السلوكات العدوانية لدى المراهقين المتخلفين عقليا القابلين للتعلم ؟

وانطلاقا من هذا التساؤل تمت صياغة الفرضية التالية :

-إن استخدام البرنامج التدريبي القائم على تطبيق تقنية التعزيز الإيجابي تؤدي إلى انخفاض السلوكات العدوانية لدى المراهقين المتخلفين عقليا القابلين للتعلم.

تحديد مفاهيم الدراسة :

-التخلف العقلي :

عرف الاتحاد الأمريكي للعجز العقلي في الطبعة العاشرة والصادرة عن الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين A.P.A عام 2007 التخلف العقلي على انه عجز او قصور اساسي في كل من الاداء الوظيفي العقلي والسلوك التكيفي الذي يبدو جليا في المهارات التكيفية والاجتماعية والعملية ويظهر هذا العجز قبل سن 18 سنة، وإنطلاقا من هذا التعريف حدد هذا الاتحاد بعض المعايير تؤخذ بعين الاعتبار عند تشخيص التخلف العقلي مثل:

-توفر الأداء المحدود في الجوانب المعرفية والاجتماعية في سياق البيئة والسن التي ينتمي إليها الطفل. - ضرورة التركيز عند التشخيص على عدة عوامل تخص الطفل مثل العوامل الاجتماعية والثقافية والتنوع اللغوي مع الاخذ بعين الاعتبار الجوانب النمائية والذهنية والاجتماعية والنفسية الإيجابي ة للطفل. (سي بشير كريمة ، 2017)

البرنامج التدريبي :

هو تطبيق مجموعة من الاجراءات والترتيبات المخططة والمنظمة في ضوء اسس وتقنيات تقدم بطريقة مباشرة بهدف تدريب مجموعة من الافراد على اكتساب سلوكات تسمح لهم بتنمية المهارات اللازمة التي تمكنهم من استغلال جميع طاقاتهم وامكانياتهم . (سي بشير كريمة ، 2016)

-التعزيز الإيجابي :

هو تقنية سلوكية تستعمل لتعديل السلوك غير المرغوب فيه وهو تقديم الدعم الإيجابي الفوري بناء على اداء سلوك معين مما ينتج عنه زيادة في السلوك في مرحلة التدريب والاحتفاظ به في مرحلة ما بعد التدريب . (سي بشير كريمة ، المرجع نفسه)

-السلوك العدواني:

هو سلوك ظاهري علني يمكن ملاحظته وتحديده وقياسه ويكون سلوكا بدنيا او لفظيا مباشرا او غير مباشرا تتوفر فيه الاستمرارية والتكرار والشدة ويترتب عليه الحاق الاذى والضرر البدني والنفسي والمادي بالآخرين او بالذات . (وفيق صفوت مختار ، 2000)

إجراءات البحث:

-مكان وزمان إجراء البحث :

تم إجراء البحث في المركز النفسي البيداغوجي Centre psychopédagogique الكائن بالحراش ولاية الجزائر ويقوم المركز بالتكفل بكل فئات المتخلفين عقليا منذ الولادة إلى سن الثامنة عشر فيضمن لهم التربية الخاصة والرعاية النفسية والإدماج الاجتماعي , ويضم المركز عدة أقسام ويختلف القسم الخاص بالأطفال المتخلفين عقليا ذوي السلوك العدواني من حيث التصميم والأدوات المستعملة والمربين عن باقي الأقسام الأخرى اذ يعتبر أوسع قسم في المركز ويحتوي على تجهيزات خاصة وجدران مغلفة بعازل يحول دون إيذاء الأطفال لأنفسهم او للآخرين وتخضع هذه الحالات إلى زيارات مستمرة من قبل إخصائيين في الميدان .

تم إجراء هذه الدراسة في الفترة الممتدة بين شهر ديسمبر 2015 وشهر ماي 1016.

مجموعة البحث :

تكونت مجموعة البحث من (4) أربعة مراهقين من فئة التخلف العقلي البسيط، القابلين للتعليم من ذوي السلوكات العدوانية، تتراوح أعمارهم بين (15 و18) سنة ملتحقون كلهم بالمركز النفسي البيداغوجي بالحراش.

وقد أختيرت هذه العينة بالطريقة القصدية، إذ لم يكن القصد منها أن تكون ممثلة لمجتمع البحث بل ممثلة لمتغيرات البحث الاساسية المتمثلة في وجود التخلف العقلي البسيط والسلوكات العدوانية.

أدوات البحث:

1-بطاقة الملاحظة Fiche d'observation :

تم تشكيل قائمة الملاحظة من قبل الباحثة بالاستعانة بقائمة السلوكات المتعلقة بالسلوك العدواني الموجه نحو الآخرين والخاصة بسلوكات الضرب والشتم فقط والموجودة في سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين (E.C.H.A).

ودامت هذه الملاحظة لمدة شهر (4 أسابيع) و10 أيام تم تقسيمها إلى 3 فترات:

- الفترة الأولى وتتكون من خمسة أيام متتالية لملاحظة السلوكات العدوانية في مرحلة الخط القاعدي ...أو مرحلة ما قبل التدريب.
- الفترة الثانية وتتكون من اربعة أسابيع لملاحظة السلوكات العدوانية في مرحلة التدريب أو التدخل.
- الفترة الثالثة وتتكون من خمسة أيام متتالية لملاحظة السلوكات العدوانية في مرحلة الخط القاعدي A2 أو مرحلة ما بعد التدريب (المتابعة)

وكانت الملاحظة في كل هذه المراحل تدوم 4 ساعات متتالية في اليوم.

2- سلم السلوكات العدوانية Echelle des conduites agressives:

صمم هذا السلم من طرف كل من Tordjman.S وcollen.D.J وHaag.C سنة 2008 وهو أول سلم لتقدير وقياس السلوكات العدوانية عند الأطفال والمراهقين والراشدين ويسمح بجمع معلومات موضوعية كمية ونوعية حول السلوكات العدوانية نحو الذات ونحو الآخرين كما يحتوي في نفس الوقت على التقييم الكمي (التكرار والشدة والمدة) وعلى التقييم الكيفي (ظروف ومكان حصول السلوك العدواني) بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار أيضا المشاعر وردود الأفعال أثناء حدوث السلوك العدواني .

ويتكون هذا السلم ر من سلمين منفصلين أحدهما خاص بالسلوكات العدوانية الموجهة نحو الذات Echelle des conduites auto-agressives ويرمز له ب E.C.A.A والآخر خاص بالسلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين Echelle des conduites Hetéro agressive والذي ترمز له ب E.C.H.A،

والجدير بالذكر أن السلمين يمكن تطبيقها معا، كما يمكن تطبيق أحدهما فقط، كما هو الحال في الدراسة الحالية حيث تم تطبيق مقياس السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين فقط وذلك لطبيعة الموضوع والإشكالية المدروسة.

يتكون سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين من 16 شكل من أشكال السلوك العدواني الموجه نحو الأخرين ومن أمثلة ذلك الضرب والدفع والركل وشد الشعر والعض... وقد ترافق هذه السلوكات بنوبات من الغضب الشديدة والشتم والتهديد .و يتم تقييم كل شكل من هذه الأشكال حسب التكرار Fréquence والشدة Sévérité والمدة Durée ويتم تدوين وذكر في كل مرة مكان وظروف التي حدث فيها السلوك العدواني وتم تطبيق هذا السلم مباشرة قبل بدا تطبيق لبرنامج التدريبي –التطبيق القبلي – ثم مباشرة بعد تطبيق البرنامج التدريبي –التطبيق البعدي وتم التنقيط الكمي لكل صنف من 1 إلى 7 ثم تم حساب النسب الكلية لها Le score global .

يعتبر هذا السلم من اكثر السلاليم استعمالا في اثبات فعالية العلاجات النفسية والبرامج التدريبية الموجهة للمتخلفين عقليا والفصاميين والمصابين بالتوحد. (Cohen.D.J & Tordjman.S Haag.C,2008)

3-البرنامج التدريبي :

تم تصميم هذا البرنامج من طرف الباحثة وتم مراعاة الدقة العالية في ووضع وتنفيذ جميع مراحله، وفي هذا الصدد يؤكد الباحث LADD. G.W على أهمية التصميم الجيد لخطوات البرامج المواجهة لتدريب فئة المتخلفين عقليا نظرا لما تتصف به من خصائص مثل انخفاض في الاستعدادات والقدرات العقلية، ونقص الطاقات المعرفية لديها، الأمر الذي يجعل تدريبها حالة خاصة تستلزم البساطة والمرونة في التصميم والتنفيذ. (Ladd, Gw & Mize.J ,1983)

مراحل تصميم البرنامج :

يهدف البرنامج الحالي إلى تعديل السلوكات العدوانية لدى عينة من المراهقين المتخلفين عقليا يتراوح أعمارهم بين 15-18 سنة وقد تم تصميمه وفق المراحل الآتية:

أولا: تحديد السلوكات المراد تعديلها:

تتمثل السلوكات المراد تعديلها في البحث الحالي في السلوكات العدوانية الحركية المتمثلة في الضرب والسلوكات العدوانية اللفظية المتمثلة في الشتم وقد تم اختيار هذين السلوكين لسهولة ملاحظتهما وقياسهما في ظروف زمنية ومكانية محددة وتحدد السلوكات العدوانية الحركية في البحث الحالي من خلال سلوكات الضرب التي تتكرر بمعدل 5-6 مرات في اليوم في الفصل الدراسي أو في الساحة أو أثناء النشاطات الرياضية والترفيهية المختلفة كما تتحدد السلوكات العدوانية اللفظية من خلال سلوكات الشتم التي تتكرر بمعدل 3 أو 4 مرات يوميا في الفصل أو الساحة وأثناء النشاطات المختلفة.

ثانيا: **تدريب الطالبتين:**

عند تطبيق بطاقة الملاحظة استعانت الباحثة بطالبتين في السنة الرابعة تخصص علم النفس العيادي تم تدريبهما بعد أن تمكنت من الحصول على موافقتهما على القيام بملاحظة السلوكات العدوانية الخاصة بالضرب والشتم ، حيث تم توضيح لهما كيفية القيام بالملاحظة المباشرة وكيفية تسجيل تكرار السلوكات العدوانية الملاحظة مع تحديد زمان ومكان حدوثها، واستمر تدريب الطالبتان لمدة أسبوعين مع التأكيد على أهمية تطبيق البطاقة بطريقة فردية على مجموعة البحث كل على حده للتأكد من اتفاقهما بخصوص معدلات تكرار أشكال السلوكات العدوانية المراد ملاحظتها في اليوم وفي الأسبوع.

وقد كانت نسبة الاتفاق بين الطالبتان في تسجيل تكرار السلوك خلال فترة الملاحظة عالية جدا حيث بلغت 93% حسب المعادلة التالية:

نسبة الاتفاق أو ما يسمى بمعدل الثبات:

$$\frac{\text{عدد التكررات الأقل}}{\text{عدد التكرارات الأكبر}} \times 100$$

ثالثا: تحديد نوع المعززات الإيجابي ة:

يعتمد التعزيز الإيجابي على مبدأ التعزيز الذي يعني تكرار ظهور السلوكات المرغوب فيها حين تتبع مباشرة بأحداث أو نتائج سارة، وتظهر قيمة التعزيز في البحث الحالي في خفض معدل تكرار ظهور السلوكات العدوانية وارتفاع السلوكات المرغوبة فيها لدى مجموعة البحث .

والمعززات الإيجابي ة في البحث الحالي هي عبارة عن مجموعة من المعززات الإيجابي ة المحببة لدى فئة المتخلفين عقليا، وقد تم اختيارها بالرجوع إلى بعض الدراسات مثل دراسة Kelly et Schoen سنة 1988، ودراسة Metcalf سنة 1992 ودراسة المطرودي سنة 1996، التي أكدت أن المعززات الإيجابي ة بكل أنواعها هي أفضل المعززات بالنسبة لفئة، المتخلفين عقليا (عمارة محمد علي، 2008).

وقد تقرر في البحث الحالي تقديم ثلاثة أنواع من المعززات الإيجابي ة وهي كالآتي:

-المعززات الأولية والممثلة في الأطعمة والحلويات والمشروبات والعصائر وقد تم تقديمها في الأسبوع الأول والثاني من التدخل وذلك لجلب اهتمام وانتباه مجموعة البحث.

-المعززات الرمزية وهي معززات داعمة للمعززات الأولية وهي تتمثل في بطاقات جميلة تقدم لأفراد العينة كلما أظهروا سلوكات مرغوب فيها.

-المعززات الاجتماعية المتمثلة في التعبيرات اللفظية مثل أحسنت ممتاز، شكرا وفي التعبيرات غير اللفظية مثل الانتباه، وتعبيرات الوجه كالابتسامات والاتصال البصري والجسمي باللمس وقد تم تقديم هذه المعززات أثناء تنظيم بعض النشاطات الترفيهية والرياضية لأفراد العينة في الأسبوع الأخير من التدخل (التدريب).

رابعا: تحديد توقيت تقديم المعززات

تقرر تقديم التعزيز الإيجابي في البحث الحالي بعد حدوث السلوكات غير العدوانية مباشرة مما تؤدي إلى تكرار ظهور مثل هذه السلوكات لاحقا، حيث أن تأخير تقديم المعززات إلى وقت لاحق قد يؤدي إلى حدوث تداخل بين المعززات والسلوكات الأخرى غير المرغوب فيها.

خامسا: جدولة المعززات

ونعني به تنظيم طريق تقديم المعززات، وفي البحث الحالي ثم تقديم التعزيز بالطريقة المستمرة الثابتة، ذلك أن هذه الطريق فعالة عند بداية تعديل السلوك إذ تعمل على استمراره وتكراره ويصبح أقل مقاومة للانطفاء.

سادسا: كمية وحجم المعززات:

نقصد فيها في البحث الحالي تناسب كمية وحجم المعززات مع السلوكات الإيجابي ة إذ أن كمية أو حجم المعزز يعتبر من العوامل الهامة التي تقلل أو تزيد من فعالية التعزيز الإيجابي في أحداث السلوك وقد راعت الباحثة عدم المبالغة في تقديم المعززات الإيجابي ة حتى لا تصل أفراد عينة البحث إلى حالة الإشباع بالإضافة إلى جعل تناسب بين كمية وحجم المعززات الإيجابي ة والسلوكات المرغوب فيها.

تقييم البرنامج التدريبي:

قررت الباحثة استعمال التصميم القاعدي العكسي ABA Design لتقييم البرنامج التدريبي القائم على التعزيز الإيجابي المصمم من البحث الحالي، وذلك لتفادي عيوب التصميم القاعدي AB Design الذي يتميز بوجود مرحلة خط قاعدي آخر (A) بعد التدريب (التدخل), للتأكد من استمرار فعالية البرنامج والتقنية المطبقة (العتيبي بندر، 2011).

إجراءات تطبيق التصميم القاعدي العكسي ABA Baseline Data

أولا :مرحلة الخط القاعدي الأول (A)

وهي تتمثل في مرحلة ما قبل التدخل أو التدريب ويتم فيه التالي :

- رصد السلوكات العدوانية الحركية المتمثلة في الضرب والسلوكات العدوانية اللفظية المتمثلة في الشتم وتكرارها في فترة زمنية معينة (اليوم والأسبوع) وهذا قبل التدخل (التدريب) وهذا باستخدام بطاقة الملاحظة ويتم تأسيس الخط القاعدي لما لا يقل عن مدة خمسة أيام متتالية في الأسبوع الواحد حتى يستقر اتجاهه إذ يؤكد كل من Troutman. A.C وAlberto. P.A، سنة 1999 أن هذا الخط لا يستقر اتجاهه إلا بعد مرور خمسة أيام متتالية من الملاحظة المباشرة للسلوك المراد تعديله. (العتيبي بنذر، المرجع السابق).

-تطبيق سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين Echelle des conduites Hetéro agressive على مجموعة البحث -القياس القبلى -.

ثانيا: مرحلة التدريب (التدخل) (B):

ويتم في هذه المرحلة تطبيق البرنامج التدريبي القائم على تقنية التعزيز الإيجابي وقد دامت مدة شهر كامل (4 أسابيع).

ثالثا: مرحلة ما بعد التدريب (بعد التدخل) أو ما يسمى مرحلة الخط القاعدي (A2):

تبدا هذه المرحلة بعد انتهاء البرنامج التدريبي المحدد بتقنية التعزيز الإيجابي ويتم تحديد مستوى السلوكات العدوانية من خلال تطبيق سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين - القياس البعدي- حتى يتسنى لنا معرفة مدى تحقق الأهداف النهائية للبرنامج التدريبي والمتمثلة في انخفاض مستوى ممارسة السلوكات العدوانية الخاصة بالضرب والشتم

ومدى محافظة مجموعة البحث على هذا المستوى بعد انتهاء البرنامج ، وقد دامت هذه المرحلة 5 أيام متتالية في الأسبوع لمدة 4 ساعات في اليوم ويتم التعبير عن كل مراحل التصميم العكسي القاعدي ABA برسم بياني الذي يتضمن وصف السلوك الحالي والنهائي لأفراد العينة قبل وبعد استخدام تقنية التعزيز الإيجابي .

عرض مناقشة النتائج:

1-عرض نتائج الحالات:

1-عرض نتائج الحالة الأولى:

تم وضع هذه الحالة منذ دخولها إلى المركز النفسي في القسم الخاص بالأطفال المتخلفين عقليا من ذوي السلوكات العدوانية، وقد تم وضع هذا التشخيص من قبل الفرقة العلاجية المتواجدة بالمركز النفسي نظرا للسلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين التي كانت تظهر على هذه الحالة والمتمثلة في السلوكات العدوانية الحركية (غير اللفظية) مثل الضرب والركل والشد من الشعر والعض والبصق المستمر، والسلوكات العدوانية اللفظية مثل الشتم المستمر بألفاظ خارجة عن آداب اللياقة وقد كانت هذه السلوكات تظهر خلال الحصص الدراسية والتربوية وخلال نشاط اللعب.

تطبيق سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين Echelle des Conduites Hétéro-agressives (E.C.H.A.) وبطاقة الملاحظة :

تم تطبيق هذا السلم لمعرفة تكرار وشدة السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين عند الحالة مع التركيز على سلوكات الشتم والضرب وقد وضحت نتائج تطبيق السلم مع بطاقة الملاحظة المباشرة معدل تكرار هذه السلوكات في اليوم والأسبوع مع توضيح زمن ومكان حدوثها وتبين لنا أن هذه السلوكات كانت متكررة بمعدل 5 مرات في اليوم بالنسبة لسلوكات الضرب و4 مرات بالنسبة لسلوكات الشتم وكانت مستمرة وشدتها متفاوتة ولكنها لم تشكل خطرا على الآخرين وكانت تظهر خاصة في أوقات الأكل في قاعة الطعام وأثناء ممارسة نشاط اللعب وقد دامت فترة الملاحظة (مرحلة الخط القاعدي) 5 أيام متتالية في الأسبوع.

نتائج تطبيق البرنامج التدريبي القائم على التعزيز الإيجابي على الحالة الأولى:

عند بداية مرحلة التدريب (التدخل) تم تقديم المعززات الأولية المتمثلة في المشروبات والحلويات والبسكويت وقد استجابت الحالة لهذه المعززات بطريقة اللامبالاة في الأول ثم بالترحاب والحماس قبل نهاية الأسبوع الأول من التدريب مما جعل معدل تكرار سلوكات الضرب والشتم يقل نوعا ما، وكانت الباحثة تقدم التعزيز كلما أظهرت الحالة المزيد من السلوكات غير العدوانية .

وقد استمرت الحالة في تقديم نتائج مرضية في الأسبوع الثاني

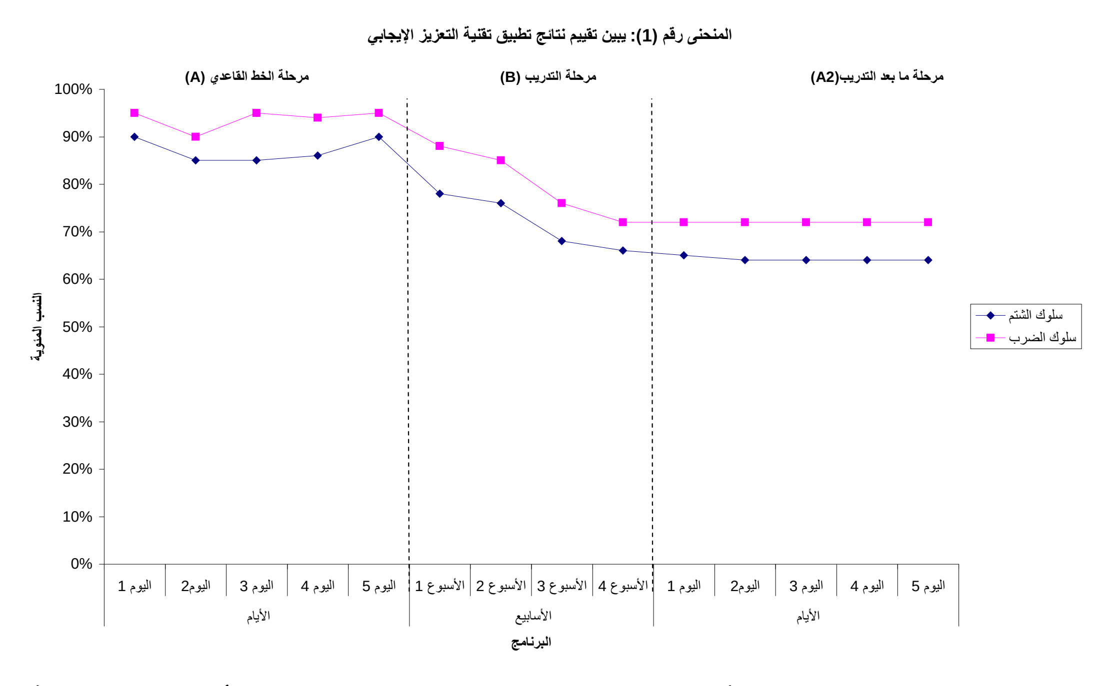
أما في الأسبوع الثالث فقد بدأ تقديم التعزيز الرمزي عن طريق تقديم بطاقات جميلة عند ترك الحالة لسلوكات الضرب والشتم، واستجابت هذه الحالة بطريقة ايجابية لهذا النوع من التعزيز وكانت تطلب المزيد من البطاقات باستمرار قائلة:

" انظروا إلينا أنا هادئة، ولا أضرب أحد ولا أشتم أحد"

وفي الأسبوع الأخير من التدخل تم تقديم المعززات الاجتماعية من خلال تنظيم عدة نشاطات ترفيهية وتربوية مثل سرد القصص، وإلقاء الأناشيد، وممارسة النشاطات الرياضية، وأثناء القيام بكل هذه النشاطات كان اهتمام الباحثة بالحالة والانتباه إليها شديدا مع الحرص على وجود الاتصال البصري المباشر مع استعمال حركة الرأس، والاتصال الجسمي باللمس والتقبيل، مع بعض التعبيرات اللفظية مثل أحسنت وشاطر وشكرا وذلك فور إصدار الحالة للسلوكات المرغوب فيها مما كان يغمرها بالسعادة والفرح والحماس.

وبعد انتهاء مرحلة التدريب (التدخل) بدأت مرحلة ما بعد التدريب والتي استمرت 5 أيام متتالية بمعدل 4 ساعات يوميا تم فيها تطبيق سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين (E.C.H.A.) وذلك بهدف معرفة مدى انخفاض مستوى

السلوكات العدوانية المستهدفة ومدى محافظة الحالة على النتائج التي تحصلت عليها في فترة التدريب والمنحنى الآتي يبين تقييم نتائج تطبيق تقنية التعزيز الإيجابي للحالة الأولى.



المنحنى رقم (1): يبين تقييم نتائج تطبيق تقنية التعزيز الإيجابي

من خلال المنحنى البياني يلاحظ أن مستوى السلوكات العدوانية عند الحالة الأولى قد انخفض أثناء مرحلة التدريب (التدخل) مقارنة بمرحلة الخط القاعدي وقد تم الاحتفاظ بهذا الانخفاض في مرحلة ما بعد التدخل والمتابعة

2-عرض نتائج الحالة الثانية:

عند التحاق هذه الحالة بالمركز النفسي تم تشخيصها على أنها حالة تخلف عقلي بسيط مصاحب لسلوكات عدوانية موجهة نحو الآخرين مما استدعى وضعها في قسم المتخلفين عقليا من ذوي السلوكات العدوانية وقد كانت تمارس هذه السلوكات ضد الزملاء دون سبب عن طريق الضرب الشد من الخلف والضرب على الرقبة وعلى الظهر دون سابق إنذار مع الشتم والبصق.

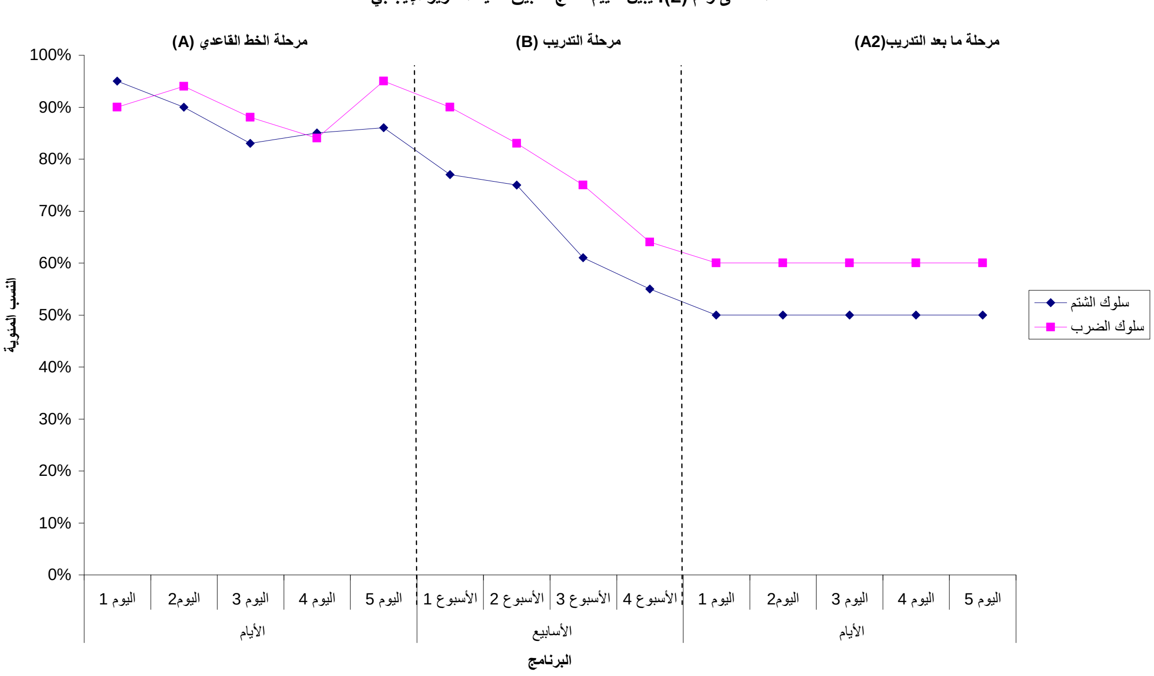
من خلال تطبيق مقياس السلوكات الموجهة نحو الذات (E.C.H.A.) -القياس القبلي - وبطاقة الملاحظة تبين ن لدينا أن هذه الحالة تعاني من سلوكات عدوانية موجهة نحو الآخرين متمثلة في الشتم والضرب والركل والشد من الشعر وقد كان معدل تكرار هذه السلوكات مرتفعة نوعا ما يصل إلى عدة مرات في اليوم، وشدتها كبيرة قد يصل في بعض الأحيان، إلى جرح الزملاء وترك آثار الاحمرار والإزرقاق على أجسامهم مما كان يتطلب أحيانا علاج طبي سريع .

نتائج تطبيق البرنامج التدريبي القائم على التعزيز الإيجابي على الحالة الثانية:

في بداية مرحلة التدخل (التدريب) تم تقديم المعززات الأولية المتمثلة في الحلويات والشكولاطة والبسكويت ورغم شدة السلوكات العدوانية التي كانت تعاني منها هذه الحالة إلا أن استجابتها لهذه المعززات كانت فورية وفعالة منذ البداية مما جعلها شديدة الاهتمام والانتباه للتوجهات والتعليمات المقدمة لها، وقد أدى هذا إلى انخفاض معدل تكرار السلوكات العدوانية بشكل ملحوظ في الأسبوع الثاني من التدريب، تواصل انخفاض معدل تكرار سلوكات الضرب والشتم، وبدأت تحل محلها سلوكات إيجابية مرغوب فيها مثل تقبيل المربيات ومصافحة الزملاء، والابتسام لهم في القسم وأثناء نشاط اللعب الجماعي في الأسبوع الثالث بدأ تطبيق التعزيز الرمزي عن طريق تقديم البطاقات الجميلة عند إصدار السلوكات المرغوب فيها مباشرة، مما جعل الحالة تبدل مجهودات كبيرة لجمع أكبر عدد من البطاقات ومع نهاية الأسبوع الثالث طرأت تغيرات كبيرة على سلوك الحالة تمثلت في إظهار سلوك الطاعة للمربيات، وتقديم الاعتذار عند الخطأ وفي الأسبوع الرابع

من التدخل، تم تنظيم عدة نشاطات ترفيهية ورياضية جماعية وأظهرت الحالة تفاعلا ومشاركة كبيرة في نشاط اللعب الجماعي، وكانت تساعد زملائها وتتفاعل معهم باستمرار، وقد استعملت الباحثة المغرزات الاجتماعية اللفظية وغير اللفظية أثناء القيام بهذه النشاطات مما زاد من انخفاض في مستوى السلوكات العدوانية عند الحالة وبعد انتهاء مرحلة التدريب بدأت مرحلة ما بعد التدريب والتي استمرت 5 أيام متتالية لمدة 4 ساعات يوميا وقد تم ملاحظة السلوكات العدوانية الحركية واللفظية لدى الحالة من خلال بطاقة الملاحظة بطريقة مباشرة ، وبعد ذلك تم تطبيق سلم (E.C.H.A.) –القياس البعدي - والمنحنى الآتي يبين تقييم نتائج تطبيق التعزيز الإيجابي للحالة الثانية.

المنحنى رقم (2): يبين تقييم نتائج تطبيق تقنية التعزيز الإيجابي



يتبنى لدينا من خلال هذا المنحنى أن مستوى السلوكات العدوانية قد انخفض أثناء مرحلة التدريب (التدخل) مقارنة بالخط القاعدي مع استمرار انخفاض ظهور هذه السلوكات أثناء مرحلة ما بعد التدريب أو المتابعة.

3-عرض نتائج الحالة الثالثة:

تعاني هذه الحالة من تخلف على بسط مصاحب بسلوكات عدوانية، مما استوجب وضعها في صف المتخلفين عقليا من ذوي السلوكات العدوانية وكانت الحالة تمارس السلوكات العدوانية الحركية غير اللفظية عن طريق الضرب والركل والشد من الشعر والعض إلى جانب السلوكات العدوانية غير اللفظية من خلال الشتم والسب وكانت تأخذ حاجيات وألعاب الزملاء أثناء نشاط اللعب بالقوة، وعند الاحتجاج فقد كانت تمارس سلوكات عدوانية عنيفة ضدهم.

لقد تبين لنا من تطبيق مقياس السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين (E.H.C.A) - القياس القبلي -و بطاقة الملاحظة بطريقة مباشرة أن هذه الحالة تمارس سلوكات عدوانية حركية تتمثل في ضرب الآخرين بعنف سواء بالركل أو باليدين كما تمارس سلوكات عدوانية غير لفظية كالشتم وهذا كان يتكرر بمعدل 5 إلى 6 مرات في اليوم وكانت هذه السلوكات في معظمها حادة وعنيفة وخطيرة في بعض الأحيان وشديدة تصل إلى حد الإيذاء والحاق الضرر بالآخرين، وتظهر خاصة في الفترة الصباحية عند بداية مختلف النشاطات التربوية والتعليمية الترفيهية.

ف نتائج تطبيق البرنامج التدريبي القائم على التعزيز الإيجابي على الحالة الثالثة:

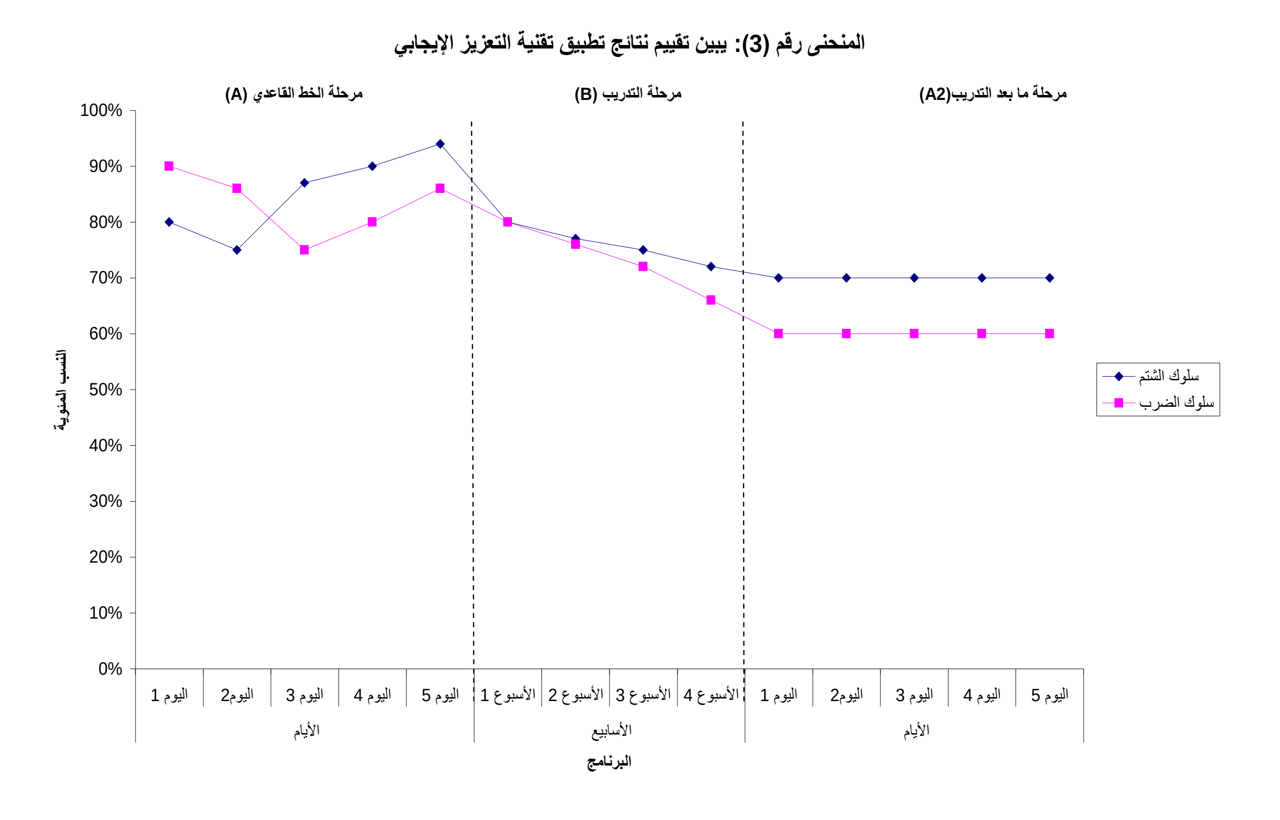
في بداية الأسبوع الأول من التدريب تم تقديم المعززات الأولية المتمثلة في المشروبات والحلويات والشكولاطة، وقد استجابت الحالة لهذا النوع من التعزيز بطريق إيجابية من خلال إظهار سلوكات مرغوبة فيها مثل الطاعة والهدوء .

وقد كانت المعززات تقدم فور ممارسة السلوكات الإيجابي ة مما جعل معدل هذه السلوكات يرتفع بشكل ملحوظ مع انخفاض محسوس في معدل تكرار السلوكات العدوانية وقد استمر انخفاض معدل تكرار السلوكات العدوانية خلال الأسبوع الثاني، وأظهرت الحالة سلوكات إيجابية مثل اللعب مع الزملاء بطريقة متفاعلة، ومشاركتهم في نشاط الرسم مما استدعى أحيانا استعمال التعزيز اللفظي من خلال المدح والتشجيع أمام الجميع .

وفي الأسبوع الثالث طرأت تغيرات ملحوظة على سلوك الحالة حيث أظهرت تفاعلات إيجابية مع الآخرين من الزملاء والمربيات حيث كانت تساعد الجميع وتحاول تشجيع الزملاء والتصفيق لهم أثناء النشاطات المختلفة التي يقومون بها، وتساعد المربيات في توزيع وتركيب الألعاب وفي الأسبوع الرابع وأثناء تنظيم عدة نشاطات ترفيهية، أظهرت الحالة حماسا كبيرا ومشاركة فعالة في كل النشاطات الترفيهية والرياضية من خلال السماع إلى القصص والمشاركة في إلقاء الأناشيد والنشاطات الرياضية المختلفة مما استدعى استعمال الباحثة للتعزيز الاجتماعي اللفظي وغير اللفظي لضمان تكرار هذه السلوكات الإيجابية

وأثناء مرحلة ما بعد التدريب تم تطبيق بطاقة الملاحظة لرصد السلوكات العدوانية من حيث معدل تكرارها وشدتها، وذلك لمدة 5 أيام متتالية بمعدل أربع ساعات في اليوم وبعد ذلك تم تطبيق سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين (E.C.H.A.) -القياس البعدي - وهذا بهدف معرفة مدى محافظة الحالة على النتائج التي توصلت إليها في مرحلة التدريب.

والمنحنى الآتي يبين تقييم نتائج تطبيق برنامج التعزيز الإيجابي للحالة.



ومن خلال المنحنى يتوضح لنا أن مستوى السلوكات العدوانية كان ينخفض باستمرار من أسبوع إلى آخر في مرحلة التدريب بالمقارنة مع الخط القاعدي(A)، وقد استمر انخفاض هذه السلوكات خلال فترة ما بعد التدريب وهذا دليل على فعالية تقنية التعزيز الإيجابي التي طبقت في البرنامج التدريبي خلال فترة التدريب.

عرض نتائج الحالة الرابعة

قررت الفرقة العلاجية منذ البداية وضع هذه الحالة في الصف الخاص بالمتخلفين عقليا من ذوي السلوكات العدوانية وذلك لممارسة الحالة للسلوكات العدوانية الموجهة خاصة نحو الآخرين سواء منها الحركية مثل الضرب بالرجل واليدين واللفظية مثل الشتم وذلك أثناء القيام بالنشاطات التربوية والبيداغوجية أو أثناء ممارسة نشاط اللعب والرسم والرياضة مما جعل هذه الحالة تدخل في صراعات ومشاجرات شديدة مع الزملاء من ذوي السلوكات العدوانية ومن خلال تطبيق مقياس السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين (E.C.H.A.) - القياس القبلي - و بطاقة الملاحظة نبين لدينا أن هذه الحالة تعاني من سلوكات عدوانية حركية تتكرر بمعدل 5 على 6 مرات في اليوم الواحد وخاصة في الفترات الصباحية، كما كانت تستعمل سلوكات الشتم الموجهة خاصة للزملاء والمربيات عند إلزامها بالهدوء والطاعة وذلك بمعدل 4 إلى 5 مرات في اليوم.

وكانت السلوكات العدوانية أكثر شدة وكانت تترك في بعض الأحيان جروحا وآثارا عند الزملاء من نفس الفصل، أما السلوكات اللفظية فقد كانت شدتها أقل مقارنة بالسلوكات الحركية.

نتائج تطبيق البرنامج التدريبي القائم على التعزيز الإيجابي على الحالة الرابعة :

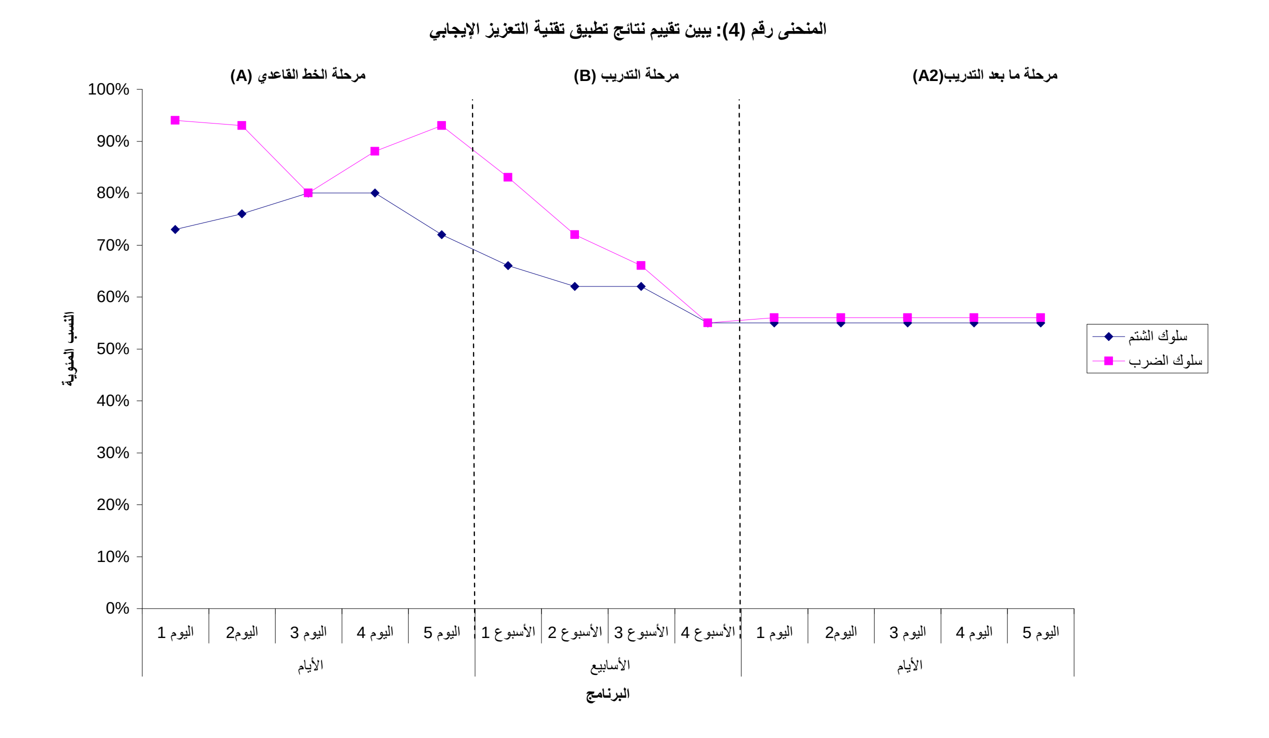
في الأسبوع الأول من التدخل تم تقديم المعززات الأولية المتمثلة في البسكويت والحلويات والمشروبات، ولم تكن استجابة الحالة إيجابية ولكن مع مرور الوقت بدأت تستجيب لهذا النوع من المعززات، وكان التعزيز يتم فور تقديم السلوكات المرغوب فيها، مع توضيح سبب تقديم المعززات في كل مرة.

وفي نهاية الأسبوع الأول بدأ معدل السلوكات العدوانية الحركية واللفظية ينخفض واستمر في الانخفاض في الأسبوع الثاني، وبدأت الحالة تظهر سلوكات أخرى مرغوب فيها مثل تقبيل الزملاء ومصافحتهم ومحاولة التفاعل معهم أثناء النشاطات التربوية والترفيهية والرياضية.

وفي الأسبوع الثالث ومع تقديم التعزيز الرمزي مباشرة بعد ملاحظة السلوكات المرغوب فيها، استمر انخفاض تكرار سلوكات الضرب والشتم بمعدل مهم جدا .

وفي الأسبوع الرابع أظهرت الحالة تفاعلا كبيرا مع الآخرين في قاعة الألعاب حيث كانت تستمتع باللعب الجماعي وتشجع الآخرين على الجري والمرح وأصبحت تفضل اللعب الجماعي وقد تلقت الحالة عدة تعزيزات اجتماعية اللفظية منها وغير اللفظية

وبعد انتهاء فترة التدريب Training period بدأت فترة المتابعة بقصد تحديد وتقييم أداء الحالة بعد انتهاء فترة التدريب ومقارنتها بأدائها في فترة الخط القاعدي أو ما قبل التدريب، وقد استمرت لمدة أسبوع وذلك بمعدل 5 أيام متتالية لمدة 4 ساعات يوميا، وذلك من خلال تطبيق بطاقة الملاحظة و سلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين و الذي بينت نتائجه فعالية التدخل حيث أن الحالة احتفظت بالمستوى المنخفض للعدوانية طول هذه الفترة وأظهرت سلوكات إيجابية تتسم بالهدوء والطاعة، والمنحنى البياني الآتي يبين تقييم نتائج تطبيق البرنامج التدريبي القائم على التعزيز الإيجابي لهذه الحالة.



يبين المنحنى البياني بالنسبة لهذه الحالة أن مستوى ممارسة السلوك العدواني قد انخفض أثناء فترة التدخل (التدريب) مقارنة بالخط القاعدي وحافظ على انخفاضه أثناء مرحلة المتابعة .

تفسير مناقشة النتائج:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على فعالية برنامج تدريبي محدد بتقنية التعزيز الإيجابي على مجموعة من المراهقين الذكور الذين يعانون من درجة بسيطة من التخلف العقلي والقابلين للتعلم Educable، وقدتم تقدير مستوى السلوك العدواني لديهم من خلال تطبيق بطاقة الملاحظة المصممة من طرف الباحثة وسلم السلوكات العدوانية الموجهة نحو الآخرين وتم تقييم البرنامج الحالي وفق التصميم العكسي القاعدي ABA الذي يتكون من ثلاثة مراحل أساسية وهي على التوالي :مرحلة الخط القاعدي (ما قبل التدريب) ثم مرحلة التدريب وتنتهي بمرحلة المتابعة مما يسمح لنا بإنجاز رسم بياني يوضح لنا مختلف مستويات تعديل السلوك العدواني.

ولقد تبيّن لدينا من خلال عرض نتائج عينة البحث، فعالية التدخل والتدريب الذي تلقته مجموعة البحث حيث انخفض مستوى ممارسة السلوك العدواني لديها أثناء مرحلة التدخل مقارنة بمرحلة الخط القاعدي، كما احتفظ جميع أفراد مجموعة البحث بهذا المستوى في مرحلة المتابعة، وبهذه النتائج تحققت فرضية البحث الحالي التي تقول: إن استخدام تقنية التعزيز الإيجابي تؤدي إلى انخفاض السلوكات العدوانية لدى المراهقين المتخلفين عقليا.

يمكن تفسير الأثر الواضح والإيجابي للبرنامج التدريبي وإرجاعه إلى الاستراتيجية التي تم من خلالها تقييم البرنامج والتي اعتمدت على التصميم العكسي القاعدي ABA والتي تكونت من ثلاثة مراحل بدأت بمرحلة الخط القاعدي أي ما قبل التدريب Pretest phase A ثم مرحلة التدريب أو التدخل Training period phase B وانتهت بمرحلة ما بعد التدريب أو بعد التدخل Terminal line phase A.

وقد تم تميل كل هذه المراحل برسومات ومخططات بيانية التي وضعت لكل حالة من الحالات المدروسة والتي ساعدت بمقارنة السلوكات العدوانية عند مجموعة البحث قبل وبعد التدريب، ومن ثم تحديد التغيرات التي حدثت في السلوك تدريجيا وفقا لمتغير الزمن (الأيام، الاسابيع)

وقد أشار Kazdin سنة 2011 إلى أهمية التصاميم الفردية أو تصاميم الحالة الواحدة single subject design في تقييم البرامج التدريبية التي تعتمد على دراسة فردا واحدا بدلا من مجموعة حيث تكون نتائجها مبنية ومعتمدة على الجمع المتكرر للمعلومات عن فرد واحد فقط، ويضيف Kazdin أن فعاليتها تزداد مع زيادة دقة ملاءمة المعلومات والأساليب والتقنيات التي أخذت بعين الاعتبار في مختلف مراحله. (Kazdin ,2011)

ويعتبر التصميم القاعدي العكسي ABA من بين اكثر التصاميم الفردية فعالية في تقييم كل حالة على حده فاعتمادنا عليه مكننا فعلا من التأكد من دقة الإجراءات والترتيبات واستراتيجيات التي طبقت في فترة التدريب والتدخل .

وفي هذا الصدد يرى العديد من الباحثين أمثال Stwart وchambless أن الاعتماد على دراسة الحالات الفردية تمكننا من الملاحظة المباشرة والمستمرة والفورية لأداء الحالة ومتابعة التغيرات التي تحدث في السلوك المستهدف وتقييمها في مختف المراحل التدريبية. (Stwart & Chambless ,2007)

وتفسر الباحثة استجابة مجموعة البحث للبرنامج التدريبي الحالي إلى الاجراءات والترتيبات التي صمم من خلالها البرنامج والتي أخذت بعين الاعتبار خصائص الفئة التي صمم من اجلها البرنامج وهي فئة المتخلفين عقليا القابلين للتعلم، وطبيعة المشكل السلوكي المراد تعديله وهو السلوك العدواني وفي هذا الصدد وضح العديد من الباحثين العرب والأجانب أن التصميم الجيد للبرنامج التدريبي يعمل على تحقيق الأهداف التي صمم من أجلها ويؤدي إلى تعديل السلوك المستهدف

وتتفق هذه النتائج مع الاتجاه العام السائد في هذا المجال والتي تؤكد ضرورة الاهتمام بالتصميم الجيد والدقيق للبرامج التدريبية المعدة خصيصا لعلاج المشكلات السلوكية لدى المتخلفين عقليا، حيث أن تطبيق هذا النوع من البرامج يسمح لهذه الفئة بالتركيز في تعليم مهارات الاستقلالية ومهارات السلوك التكيفي بكل أنواعه مما يؤدي إلى تحسين قدراتهم العقلية المحددة وتنمية مستوى السلوك التكيفي لديهم. (سي بشير كريمة , المرجع السابق)

وفي هذا الصدد أشار العديد من الباحثين من بينهم Kenneth سنة 1992 و Dave_UP سنة 1993 إلى ضرورة الاهتمام بوضع هذا النوع من البرامج التي تعمل على تأهيل هذه الفئة من المتخلفين عقليا والعمل على خفض حدة ما يعانون منه من السلوكات العدوانية ضد الذات ونحو الآخرين والحد من آثارها السلبية على الجوانب النمائية والمعرفية والاجتماعية (صالح & البنا، 2008).

وفي نفس السياق توصل Feldman إلى نتائج مهمة من خلال دراسته التي نشره في كتابه Understanding y psycholog سنة 2011 والتي هدفت إلى قياس فعالية برنامج تدريبي موجه لمجموعة من المراهقين المتخلفين عقليا قصد خفض بعض السلوكات العدوانية الدالة على المعارضة واستعمل في تقييم هذا البرنامج التصميم القاعدي العكسي ABA، وتوصل إلى أن هذه السلوكات قد تناقصت بمعدل 60% بعد التدريب الذي دام 21 يوما عن مرحلة الخط القاعدي واقترح في النهاية ضرورة الاهتمام بهذا النوع من البرامج التدريبية وتقييمها وفق التصاميم الفردية او الحالة الواحدة . (2011, Feldman)

وضحت سهير محمود من خلال دراستها سنة 2009 والتي أثبتت من خلالها فعالية برنامج إرشادي في خفض السلوك العدواني لدى مجموعة من المعاقين ذهنيا، ضرورة وأهمية تطبيق هذه البرامج على هذه الفئة من المعاقين ، كنوع من التدخل الفعال لحل مشكلة السلوك العدواني لديهم والذي أصبح السبب الرئيسي لإهدار طاقتهم الجسمية والنفسية والمعرفية . (سهير محمود، 2009)

ورغم ما كشفته نتائج البحث الحالي بخصوص فعالية ونجاح الترتيبات والإجراءات التي صمم البرنامج التدريبي من خلالها، إلا أن استخدام أسلوب أو تقنية التعزيز الإيجابي كان الأكثر فاعلية وبصورة دالة حيث تبين من خلال الرسومات البيانية انخفاض مستوى السلوك العدواني بعد فترة زمنية من تطبق تقنية التعزيز الإيجابي مما أثبت أن هذا الأسلوب بمفرده قادرا على تخفيض مستوى السلوك العدواني عند هذه الفئة، وهذه النتيجة لا تتفق مع نتائج العديد

من الدراسات من بينها دراسته witman سنة 1987 ودراسة Koppekin سنة 1994 ودراسة Katims وآخرون سنة 1998، التي أكدت أن أسلوب التعزيز الإيجابي بمفرده لا تؤدي إلى تعديل السلوك بل يجب تطبيقه مزاوجة مع تقنية النمذجة Modeling حيث أن استعمال الأسلوبين معا يؤدي إلى خفض مستوى السلوك العدواني لدى فئة المتخلفين عقليا، ويفسرون هذا بوجود قصور عند هذه الفئة وعدم القدرة على القيام بالنشاطات والمهام والسلوكات المطلوبة منهم أثناء التدخل إلا من خلال ملاحظة نموذج يوضح لهم ذلك بصورة مبسطة ومتتالية يسهل عليهم ملاحظتها وتقليدها، ورغم ما ذهبت إليه هذه الدراسات، فالدراسة الحالية قد بينت بطريق عملية أن أسلوب التعزيز الإيجابي الفوري، والاستمرار في التشجيع توصل فعلا إلى أداء السلوك المطلوب والاحتفاظ به وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسات كثيرة التي اهتمت بالتعرف على فعالية استخدام تقنية التعزيز في معالجة السلوك العدواني عند فئة المتخلفين عقليا، وذلك منذ منتصف الستينات من خلال الدراسة الرائدة التي قام بها كل من O'leary &Becker سنة 1967 حول فاعلية استخدام التعزيز الإيجابي والرمزي عند مجموعة من المتخلفين عقليا الذين تم تسميتهم في الدراسة بالأطفال الاستثنائيين Exceptional children وتوصلا إلى أن هذه التقنية فعالة في تخفيف من مستوى السلوكات العدوانية لديهم. (o'leary & Becker ¸ 1967)

كذلك دراسة Maston سنة 1984 التي استخدمت أسلوب التعزيز الرمزي لخفض السلوكات العدوانية لدى عينة مكونة من ثلاثة إناث مصابات بإعاقة ذهنية، وقد بينت النتائج الانخفاض الملموس لهذه السلوكات وتحسن في السلوك التكيفي.(عبد العزيز، 2006)

وتتفق هذه الدراسة أيضا مع نتائج الدراسة التي أجراها كل من Denkowski & Denkowski سنة 1985 حول أسلوب علاجي قائم على التعزيز لخفض من مستوى السلوكات العدوانية عند مجموعة من المراهقين المصابين بتخلف عقلي تتراوح أعمارهم بين 12 و16 سنة، وقد يوصلا إلى أن هذه التقنية قادرة بمفردها على تعديل من السلوكات العدوانية اللفظية وغير اللفظية (الجسدية). (Denkowski & Denkowski ¸ 1985)

وقد توصلت إلى نفس النتائج دراسات أخرى مثل دراسة Bear ودراسة كل من Elzinga & Sandford & Grainger سنة 1987 من خلال تقييم برنامج قائم على التعزيز الإيجابي لخفض من بعض المشكلات السلوكية التي من بينها السلوك العدواني لدى مجموعة من المعاقين ذهنيا، وقد ظهرت النتائج أن هناك تحسنا واضحا في الجوانب المرتبطة بالسلوكات المستهدفة، في حين لم تظهر المجموعة الضابطة أي تحسين في الفترة ذاتها . (Mohamed ,1990)

بالإضافة إلى الدراسات الأجنبية توصلت بعض الدراسات العربية إلى نفس النتائج مثل دراسة دراسة عبد الرحمن محمد سنة 1993 التي هدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج التعزيز الرمزي في خفض السلوكات العدوانية غير التكيفية لدى عينة من المتخلفين عقليا وأظهرت النتائج فاعلية هذا البرنامج إذ بلغت نسبة التحسن 72% في مرحلة التدخل و78% في مرحلة المتابعة وذلك لجميع أفراد العينة. (عبدالرحمن، 1993)

كما أسفرت نتائج الدراسة التي قام بها المطرودي سنة 1997 والتي هدفت إلى الكشف عن فاعلية التعزيز الإيجابي والإقصاء منفردين ومجتمعين في خفض من حدة السلوك العدواني على عينة من المتخلفين عقليا من الدرجة البسيطة ، إلى انخفاض ملحوظ في مستوى السلوك العدواني بعد تطبيق هذه التقنية . (المطرودي ضيف الله ، 1996)

وفي دراسة حديثة أجراها عبد العزيز سنة 2006 حول فاعلية استخدام أسلوب التعزيز الرمزي والعزل في تعديل السلوك العدواني لدى عينة من المتخلفين عقليا تتكون من 30 طفلا تراوحت أعمارهم بين 10 و14 سنة توصل إلى إثبات فعالية هذه التقنية في خفض من مستوى السلوك العدواني لدى هذه الفئة .(عبد العزيز، 2006).

وعلى الرغم من أن النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية لم تحقق انطفاء والتوقف النهائي عن ممارسة السلوكات العدوانية عند مجموعة البحث إلا أن السلوك العدواني قد انخفض بشكل ملموس أثناء فترة التدريب او التدخل واستمر

في التحسن بعد فترة التدخل أي المتابعة ورغم هذه النتائج إلا أن الحكم على ثبات وتراجع مستوى التحسن يحتاج إلى فترات زمنية أخرى من المتابعة.

وعلى الرغم أيضا من أن الدراسة الحالية لم يهتم إلا بتعديل السلوكات العدوانية الحركية مثل الضرب واللفظية مثل الشتم لدى أفراد العينة إلا أن هذا البرنامج قد أدى في النهاية إلى تحسن في المستوى العام للسلوك لديهم.

خاتمة

رغم ما جادت به هذه الدراسة من نتائج هامة إلا ان الصورة الكاملة للمشكلات السلوكية التي من بينها السلوكات العدوانية عند المراهقين الذين يعانون من التخلف العقلي البسيط ، وكيفية تعديلها تتطلب دراسات أعمق تتناول إشكالا أخرى من السلوك العدواني من جهة، وتهتم بتقنيات أخرى في تعديل السلوك من جهة أخرى لم يتناولها البحث الحالي ومع ذلك فان نتائج البحث الحالي تفتح أفاقا جديدة لبحوث قادمة تلقي الضوء على تعديل السلوك عند فئات أخرى من المعوقين والمضطربين مثل الجانحين والذهانيين والمصابين بالاضطرابات النفسية والحسية، كما أن البرنامج التدريبي الذي تم تصميمه في البحث الحالي يكون عونا للعاملين في ميدان تدريب المعاقين بشكل عام، والمعاقين ذهنيا بشكل خاص في تدريب هذه الفئة من خلال وضع البرامج التدريبية وتقييم فعاليتها ويكون مادة علمية ثرية ونموذجا للباحثين لإنجاز الدراسات أبعد عمقا وأكثر دقة.

المراجع باللغة العربية:

1-الداهري، صالح حسن أحمد (2010). مبادئ الصحة النفسية، دار وائل للنشر، الطبعة الثانية ، عمان.

2-الروسان، فاروق (2003). الإعاقة العقلية، الطبعة الثانية, دار الفكر، عمان، الأردن.

3-الشهري، سعد بن عبد الرحمن سعد (2007). أثر برنامج تدريبي قائم على اللعب بالتشكيل في خفض السلوك العدواني لدى عينة من الأطفال المتخلفين ، رسالة ماجستير,جامعة الملك خالد، كلية التربية، السعودية.

4- العتيبي، بندر بن ناصر (2011). التصاميم العكسية، دار الناشر الدولي للنشر والتوزيع ,الطبعة الأولى ,الرياض, السعودية .

5-المطرودي، ضيف الله إبراهيم (1996). فاعلية التعزيز الإيجابي في خفض السلوك العدواني لدى الأطفال المتخلفين عقليا من الدرجة البسيطة ، رسالة ماجستير كليه التربية، جامعة الملك السعود، الرياض.

6-خولة، أحمد يحي (2001). الاضطرابات السلوكية والانفعالية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.

7-سهير, محمود أمين (2009). الإرشاد النفسي لذوي الاحتياجات الخاصة، الطبعة الأولى , دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر.

8- سي بشير , كريمة (2016). الإرشاد النفسي الجماعي- التقنيات، الاستراتيجيات , الجلسات- دار كنور الحكمة , الجزائر.

9- سي بشير , كريمة (2017). مدخل إلى سيكولوجية الإعاقة , دار كنور الحكمة , الجزائر.

10-صالح، عايدة شعبان والبنا، أنور حمودة (2008). فاعلية برنامج ارشادي لخفض حدة السلوك العدواني لدى الأطفال المعاقين عقليا والقابلين للتعلم بمحافظة غزة، مجلة جامعة الأزهر, المجلد 10، العدد 1-A ,ص 1-70.

11-عبد الرحمن , محمد (1993). فاعلية برنامج تعزيز رمزي في خفض السلوكات غير التكيفية لدى المتخلفين عقليا، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

12- عبد العزيز ,عمر فوار (2006). فاعلية استخدام أسلوبي التعزيز الرمزي والعزل في تعديل السلوك العدواني لدى عينة من المعوقين عقليا, رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

13-عمارة، محمد علي (2008). برامج علاجية تخفض مستوى السلوك العدواني، المكتبة الجامعية، جامعة التحدي.

14-فياض, منى (1983).الطفل المتخلف عقليا في المحيط الأسري الثقافي، الطبعة الأولى، دار معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان.

15-نصر، سهى أحمد أمين (1999). المتخلفون عقليا بين الإساءة والإهمال، التشخيص والعلاج، دار قباء، القاهرة.

16-وفيق، صفوت مختار(2003) . مشكلات الأطفال السلوكية، الطبعة الثانية ، دار العلوم والثقافة للنشر، القاهرة، مصر.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Chiva.M (1973) . Débiles normaux débiles pathologiques, delachaux et Niestlé. S.A. Neuchâtel, Switzerland.

2- Denkowski, G.C & Denkowski, K.M (1985) .Community based residential treatment of mentally adolescent offender: phas (1) reduction of aggression behavior Journal of community psychology vol 1 PP 302-340.

3- Feldman, R.S (2011). Understanding psychology ,10 ED, MC Graw Hill, New York, NY.

4-Kazdin, A.E (2011). Single – Case research design, 2 ED, Oxford University press, New York, NY.

5-Kohler, C. (1975) . Jeune déficients mentaux -de l'enfance à l'âge adulte- revue française de pédagogie, volume 4, N°11 PP 61-62.

6-Ladd, G.W., & Mize. J (2009). A cognitive social learning model of social skill training, Psychological review, Vol (9), p 445-448.

7-Mohamed .M(1990) .Parental reaction to having a child with Down syndrome ,unpublished master degree , Ain Shams university ,Cairo ,Egypt.

8-O'Leary, K.D & Becker, W.C (1967). Behavior modification of an adjustment class, A token reinforcement program, exceptional children, Vol 33 PP 201-234.

9-Rillaer, J.V (1988). L'agressivité humaines, Mardaga, Bruxelles.

10- Stwart, R.E & Chambless, D.L (2007). Does psychotherapy research inform treatment decision in private practice ? Journal of clinical psychology, 63, PP 267-281.

11-Tordjman S., & Cohen. D.J., & Haag. C (2008). Manuel d'utilisation des echelles des conduites agressives, ECPA, France.

12-Zazzo. R (1969) . Les débilité mentales, Armand Colin, Paris, France.

شروط وقف تنفيذ قرار الاستيلاء الإداري في الجزائر

أ.يوسفي ليندة
جامعة قالمة

الملخـص:

قُررت سلطة الاستيلاء الإداري بجوار نزع الملكية لتتمكن الإدارة من الاستيلاء مؤقتا على ما يلزمها من أملاك الأفراد الخاصة بإجراء أسهل وأيسر من إجراءات نزع الملكية، لسهولة هذه الطريقة غالبا ما تحاول الإدارة أن تلجأ إليها لتتفادى نزع الملكية نظرا لما يستلزمه من إجراءات بطيئة ومعقّدة. لكن قاضي الأمور المستعجلة يقف للإدارة بالمرصاد في هذا المجال كلما تبيّن أن الاستيلاء المؤقت غير مشروع ويحل محل نزع الملكية، فله سلطة تقديرية واسعة للأمر بوقف تنفيذ قرار الاستيلاء إذا توفرت الشروط، إلى حين إلغائه من طرف قاضي الموضوع إذا ثبت عدم مشروعيته.

الكلمات المفتاحية:السلطة التقديرية، قاضي الاستعجال، الشرعية الإدارية، مبدأ استمرارية المرافق العامة، قرار الاستيلاء.

Summary

The authority of the administrative right-of-way, on a temporary basis, in addition to expropriation, was decided to allow the administration to seize, on a temporary basis, a real estate of an individual that it needs, by more expeditious procedures than expropriation proceedings. and for the ease of this process, often the administration tries to use it to avoid expropriation, given the slow and complex procedures required, however, the administrative judge is on the look-out for the administration in this respect, whenever he discovers that the temporary administrative right of way actually subrogates the expropriation, he will issue an order suspending the enforcement of the right-of-way decision until it is set aside by the trial judge, if it reveals its illegitimacy and compensation for damage caused to the property owner.

مـقـدمــة:

القرار الإداري يكون قابلا للتنفيذ بمجرد صدوره إذا توافرت شروط نفاذه، وبذلك تستطيع الإدارة إلزام الفرد لمنطوقه دون طلب إذن من القضاء، ويعتبر هذا مظهر من مظاهر السلطة العامة.

سرّ القوة التنفيذية للقرار الإداري يعود إلى جملة من الأسباب، كدفع المرفق العام ليسير بانتظام وإطراد خدمة للصالح العام، أضف إلى ذلك أن القرار الإداري يفترض سلامته حتى يثبت العكس ذلك أن العمل الإداري يحاط بضمانات خاصة، وأن الإدارة بإصدارها للقرار الإداري تضع نصوص القانون موضع التنفيذ والتطبيق وهو ما يدفع على القناعة أن القرار الإداري ينبغي أن يؤخذ على محمل الصحة والسلامة وعدم مخالفته للقانون أو مساسه بحقوق الأفراد، مما يتعّين تنفيذه ولو بالقوة العمومية.في المقابل للفرد حفاظا على حقوقه ضد اعتداءات الإدارة أن يلجأ إلى القضاء الإداري لحمايتها، ذلك أن الرقابة القضائية هي الأخرى رقابة قانونية في أساسها وإجراءاتها ووسائلها وأهدافها، ولذلك يمكن القول أن كيفية رقابة القضاء الإداري على العمل الإداري تبرز من خلال مختلق الدعاوى المرفوعة أمامه، لاسيما تلك المرفوعة أمام القضاء الإداري الاستعجالي إذا كانت الظروف ظروف استعجالية تبرر اللجوء إليه، إذ بإمكان صاحب الحق حماية لمركزه القانوني أن يلجأ إلى قاضي الأمور المستعجلة طالبا وقف الأشغال الناجمة عن عملية استيلاء الإدارة على ملكيته الخاصة المصونة دستوريا إلى حين الفصل النهائي في مشروعية هذا القرار من طرف قاضي الموضوع.

يملك قاضي الأمور المستعجلة في هذا المجال سلطات واسعة لتقرير وقف تنفيذ قرار الاستيلاء تطبيقا لما جاء في منطوق المادة 921 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

في هذا الإطار، يمكن القول بأنه ليس من السهل النطق بوقف تنفيذ قرار الاستيلاء لما في ذلك من مساس واضح لمبدأ الأثر غير الواقف للطعن، لذلك وجب توافر شروط شكلية وأخرى موضوعية للحكم بوقف تنفيذ قرار الاستيلاء من طرف قاضي الأمور المستعجلة. فما هي هذه الشروط؟ وهل هي كافية للحكم بذلك؟

للإجابة عن هذه الإشكالية، اتبعنا المنهج التحليلي وفق خطة تتكون من مبحثين الأول تضمن البحث في الشروط الشكلية لقبول دعوى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء، أما الثاني فقد خصص لدراسة الشروط الموضوعية لهذه الأخيرة.

المبحث الأول: الشروط الشكلية لقبول دعوى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء:

نظرا لما يكتسبه قضاء الاستعجال من أهمية كونه حامي حقوق وحريات الأفراد، فإنه ومن أجل قبول دعوى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء أمام هذه الجهة، وجب توافر شروط شكلية يترتب على تخلفها الحكم بعدم قبول الدعوى شكلا. تتمثل هذه الشروط في:

المطلب الأول: اقتران دعوى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء بدعوى إلغائه:

ما يميز الاستعجال الإداري لاسيما في القضايا المتعلقة بوقف تنفيذ قرار الاستيلاء هو ضرورة رفع دعوى موضوعية أمام الجهات القضائية الإدارية المختصة (المحاكم الإدارية، مجلس الدولة) مفادها إلغاء القرار لعدم مشروعيته، وعلى من يدعي إثبات ذلك.[1]

ولقد عبر المشرع الجزائري على وجوب إرفاق العريضة الرامية إلى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء – تحت طائلة عدم القبول – بنسخة من عريضة دعوى الموضوع صراحة في المادة 926 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية، حيث لم يكتف بوصل إيداع العريضة أمام جهة الموضوع – وهو ما يثبت رفعها – وإنما أضاف نسخة من العريضة[2]، وهذا حتى يتأكد قاضي الأمور المستعجلة من وجود ارتباط حقيقي بين الدعويين، وأن الأوجه المثارة تتسم بالجديّة وهو ما لم تتضمنه المادة 824 من نفس القانون التي تشترط فقط تزامن دعوى وقف التنفيذ مع دعوى مرفوعة في الموضوع.[3]

لقد تأكد هذا الشرط في قضاء المحكمة العليا في الجزائر في قرارها المؤرخ في (1990/06/16) في قضية بلدية (عين أزال) ضد (ب.س)، حيث قضت "من المستقر عليه قضاء أن القضاء الإداري لا يمنح وقف التنفيذ ما لم يكن مسبوقا بدعوى مرفوعة ضدّه في الموضوع".[4]

كما أن مجلس الدولة هو الآخر سار على هذا المبدأ، حيث قضى في قراره المؤرخ في (2003/01/07) في ملف رقم 13397 "حيث ثابت من عناصر الملف أن النزاع يتعلق بقرار فردي يرجع الفصل فيه إلى مجلس الدولة لكن حيث أن إجراء وقف التنفيذ يشكل طبقا لأحكام المادة 283 من قانون الإجراءات المدنية إجراء تبعيا لدعوى أصلية لبطلان القرار محل الطعن، ولما أن هذه الدعوى لم ترفع فيتعيّن رفض الطلب شكلا".[5]

---

[1]- Martine Lombard, Droit administratif (Compléments pédagogiques par Alles Dumond), 3ème édition, Dolloz, Paris, 1986, P 387.

- أنظر أيضا: د/ عبد العزيز عبد المنعم خليفة، القرارات الإدارية في الفقه وقضاء مجلس الدولة، دار الفكر العربي، الإسكندرية، مصر، 2007م، ص 278.

[2]- تنص المادة 926: "يجب أن ترفق العريضة الرامية إلى وقف تنفيذ القرار الإداري أو بعض آثاره، تحت طائلة عدم القبول، بنسخة من عريضة الموضوع".

[3]- أكثر تفصيلا في هذا الموضوع راجع:

د/ بربارة عبد الرحمان، شرح قانون الإجراءات المدنية والإدارية، طبعة 1، منشورات بغدادي، الجزائر، 2009م، ص 470.

[4]- المحكمة الإدارية، الغرفة الإدارية، العدد الأول، 1993م، ص 510.

[5]- مجلس الدولة، العدد الرابع، 2003 م، ص 135.

تبدو الحكمة من اشتراط دعوى الإلغاء لقبول دعوى وقف التنفيذ، كون سلطة هذه الأخيرة مشتقة من سلطة الإلغاء، فلا يعقل المطالبة بوقف تنفيذ قرار إداري ما لم يبادر المعني بالأمر برفع دعوى إلغائه، لأن حكم الوقف حكم مؤقت، كما أن رفع الدعويين ولو أمام نفس الجهة القضائية لدلالة على جدّية رافعيهما وحرصه مما يفرض على السلطة القضائية المختصة النظر في أمره[1]، ورغم أن دعوى الإلغاء مستقلة عن دعوى الوقف إلا أن العلاقة كبيرة بينهما وأن عدم رفع الأولى سيؤثر سلبا على الثانية.

المطلب الثاني: جوازية رفع دعوى وقف التنفيذ دون انتظار رد الإدارة على التظلم الإداري:

تنص المادة 921 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية على مايلي "..... بموجب أمر على عريضة ولو في غياب القرار الإداري المسبق".

حمل نص هذه المادة في مضمونه عبارة توحي أن المشرع الجزائري قد جعل التظلم الإداري إجراء جوازي، وعلى ذلك فقد يحدث أن يختار المعني توجيه تظلم إلى الإدارة، في هذه الحالة بإمكانه أن يطلب وقف تنفيذ قرار الاستيلاء بموجب أمر على ذيل عريضة دون اشتراط صدور قرار صريح أو ضمني من الإدارة، والذي بموجبه ترد على هذا التظلم[2]، لأنه أمام حالة من حالات الاستعجال القصوى، وأن انتظار صدور قرار الرد

على التظلم قد يلحق ضررا بالمتظلم، لأن القرار المتظلم منه ذو طابع تنفيذي وأن رفع التظلم لا يوقف التنفيذ[3].

يبدو أن هدف المشرع الجزائري من إقرار جواز طلب وقف التنفيذ دون انتظار رد الإدارة على التظلم المقدم إليها من طرف صاحب الشأن يتمثل في الحيلولة دون تسارع الإدارة في تنفيذ قرارها خلال المدة الممنوحة لها للرد على التظلم والتي تقدر بشهرين تبدأ من تاريخ تبليغ القرار، وهي مدة كافية بمقدور الإدارة أن تستغلها لتنفيذ قرارها، وبالتالي فرض سياسة الأمر الواقع على المضرور من هذا القرار وعلى القاضي الإداري أيضا[4].

فكأنما المشرع الجزائري أراد بهذا الشرط أن يقر قاعدة أن الأصل في القرارات الإدارية هو النفاذ لافتراض سلامتها وصحتها واستثناء يجوز وقف تنفيذها في حالات معينة (كحالة الاستيلاء) مواكبة لمبدأ المشروعية.

---

[1]- لمزيد من التوضيح راجع:د/ عمار بوضياف، المرجع في المنازعات الإدارية، القسم الثاني (الجوانب التطبيقية للمنازعة الإدارية)، جسور للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2013م، ص 229.

[2]- يمكن تعريف التظلم الإداري بأنه ذلك الطلب الذي يقدمه صاحب الشأن إلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار أو إلى الجهة الرئاسية طالبا تعديله أو سحبه.أنظر في هذا الموضوع: د/ محمود عاطف البنا، الوسيط في القضاء الإداري، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1990م، ص 209).

تكمن أهمية التظلم في أنه قد يمكّن المتظلم من الحصول على استجابة الإدارة لتظلمه بعد فحصها الجديد لقضيته متى اتضح لها سلامة موقف المتظلم وتعيّب قرارها ومن ثمة يعفى من مواجهة إجراءات قضائية طويلة ومعقدة ومصاريف قضائية وتحقيق العدالة بأيسر الطرق.

لمزيد من التوضيح راجع:

- رشيد خلوفي، قانون المنازعات الإدارية (شروط قبول الدعوى الإدارية)، ديوان المطبوعات الجامعية، طبعة 1، بن عكنون، الجزائر، 2009م، ص 105.
- فاطمة بن سنوسي، دور التظلم الإداري في حل النزاعات الإدارية في القانون الجزائري، دار مدني، الجزائر، 2003م، ص 61و63.
- د/ لعشب محفوظ، المسؤولية في القانون الإداري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 119 وما بعدها.

[3]- أ/ الحسين بن الشيخ آث ملويا، رسالة في الاستعجالات الإدارية، الجزء الأول، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 154.

[4]- أنظر: د/ عبد القادر عدّو، المنازعات الإدارية، دار هومة، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012م، ص 256.

المطلب الثالث: شكل العريضة:

تقدم دعوى وقف التنفيذ من طرف المعني في شكل عريضة مستقلة عن عريضة دعوى الموضوع رغم الترابط الكبير الموجود بينهما من حيث الأطراف والموضوع كما ذكرنا أنفا[1]. وفي هذا نشير أن المشرع الجزائري في قانون الإجراءات المدنية القديم قد أورد لفظ عريضة صريحة (une requête expresse) في حين نجد النصوص الفرنسية المقابلة لها تشير إلى لفظ عريضة متميزة (une requête distincte)[2]، وعند مقابلة اللفظين يظهر أن المشرع الفرنسي أكثر دقة عندما استعمل مصطلح عريضة متميزة ذلك أن المقصود من عريضة وقف التنفيذ أن تكون متميزة عن عريضة الموضوع، وقد تدارك المشرع الجزائري ذلك في قانون الإجراءات المدنية والإدارية عندما استعمل لفظ عريضة مستغنيا عن كلمة صريحة.من حيث الشكل تتضمن العريضة الرامية إلى استصدار تدابير استعجالية عرضا موجزا للوقائع والأوجه المبررة للطابع الاستعجالي، ثم ترفق – تحت طائلة عدم القبول – بنسخة من عريضة دعوى الموضوع، وتبلغ رسميا إلى المدعى عليه (الإدارة العامة).

وبهدف تمكين القاضي الاستعجالي من دراسة الملف المعروض عليه بشكل جيّد توجبه مقتضيات العدالة تعيّن عليه أن ينتقل من ملف الوقف إلى ملف الإلغاء ويفحص الأسباب المستند عليها لرفع دعوى الإلغاء وهذا من حيث الظاهر، فإن تأكّد بعد الفحص الظاهري أن هناك أسباب ترجّح النطق بقرار الإلغاء حكم القاضي الاستعجالي بتوقيف تنفيذ القرار الإداري المطعون فيه إذا توفرت بقية الشروط[3]، حكما نهائيا غير قابل للطعن[4].

وهنا نشير أن الفصل في دعوى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء يتم بتشكيلة جماعية بموجب أمر مسبب[5].ونظرا للطابع المعجل للدعوى، يتم التبليغ الرسمي للأمر القاضي بوقف التنفيذ خلال أربع وعشرين ساعة وعند الاقتضاء بجميع الوسائل إلى الخصوم وإلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار المطعون فيه.

توقف آثار القرار الإداري المطعون فيه ابتداء من تاريخ وساعة التبليغ الرسمي، وتبليغ أمر وقف التنفيذ إلى الجهة الإدارية التي أصدرته، فإن لم تستجب الجهة الإدارية لمنطوقه يجوز للخصم أن يلتمس من المحكمة المختصة توقيع غرامة في مواجهة تلك الإدارة عملا بنص المادة 981 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

وإذا كان هناك من يؤيّد المشرع الجزائري فيما ذهب إليه حين وحّد الجهة القضائية تفاديا لأي تناقض وتضارب في الأحكام[6]، إلا أننا نرى من الأحسن منح الاختصاص بنظر طلبات الوقف إلى القاضي الفرد وذلك قصد السرعة في إجراءات الفصل في الطلب نظرا لخصوصية الاستعجال التي تميّز طلبات وقف التنفيذ.

المبحث الثاني: الشروط الموضوعية لدعوى وقف التنفيذ قرار الاستيلاء

حتى يستجيب قاضي الوقف (قاضي الأمور المستعجلة في المواد الإدارية) في التشريع الجزائري وجب أن يتأكد من توافر الشروط الموضوعية لدعوى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء وإلا أصدر حكمه بعدم تأسيسها موضوعا، تتمثل هذه الشروط في:

---

[1]- أنظر الصفحة الثانية من هذا المقال.

[2]- أنظر المادة 119 من القسم التنظيمي من قانون المحاكم الإدارية في فرنسا.

أكثر تفصيلا في هذا الموضوع راجع:

د/ مسعود شيهوب، المرجع السابق، ص 515.

[3]- لمزيد من التوضيح راجع:د/ عمار بوضياف، المرجع السابق، ص 236.

[4]- تنص المادة 936 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية على مايلي "الأوامر الصادرة تطبيقا للمواد 919،921 و922 أعلاه، غير قابلة لأي طعن".

[5]- الفصل في وقف تنفيذ القرارات الإدارية بما فيها قرار الاستيلاء بتشكيلة جماعية يجد أساسه القانوني في المادة 917 والتي جاء فيها "يفصل في مادة الاستعجال بالتشكيلة الجماعية المنوط بها البت في دعوى الموضوع"

[6]- راجع:د/ عمار بوضياف، المرجع السابق، ص 242.

المطلب الأول: عنصر الاستعجال:

يكتسي شرط الاستعجال أهمية خاصة في القضاء الإداري الاستعجالي، باعتباره الشرط الموضوعي الذي يبرر سلطة القاضي الاستعجالي في الأمر بوقف تنفيذ قرار الاستيلاء، ووجوب توفره معناه أن عنصر الاستعجال قائما، حالا وأكيدا، هذا ما نصت عليه المادة 919 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية "...متى كانت ظروف الاستعجال تبرر ذلك" وهو من النظام العام.إلا أن هذه المادة أو غيرها لم تبرز مفهوم الاستعجال ودون أن تحدد حالاته، كما أن المشرع الفرنسي هو الآخر لم يتطرق إلى تعريفه عند تنظيمه لتدابير الاستعجال في الأمور الإدارية وكذلك الحال بالنسبة للمشرع المصري.وفي الحقيقة إن أية محاولة من المشرع لتعريف حالة الاستعجال أو صياغة قائمة حصرية لها يعني تقييد سلطة القاضي، فالقاضي أقرب بمعايشة الواقع من المشرع الذي لن يستطيع مهما تنبأ أن يحصر جميع حالات الاستعجال[1].إن عدم تطرق النصوص القانونية إلى تعريفه وكذا عدم حصر حالاته، قد ترك المجال واسعا لقاضي الأمور المستعجلة في تقدير الاستعجال حيث يستخلص مدى توفره أو انعدامه حسب ظروف كل قضية دون التقيد بطلبات الأطرف[2]، مما يثبت ويؤكد أن استخلاص عنصر الاستعجال مسألة واقع[3].

وعموما جرى الفقه والقضاء على تعريف الاستعجال بأنه الخطر الحقيقي المحدق بالحق المراد حمايته والذي يلزم درؤه بسرعة لا توفرها إجراءات التقاضي العادية، فالمطلوب هو المحافظة على الحق الذي يخشى عليه أمر لا يحتمل الانتظار حتى يعرض أصل النزاع على قضاء الموضوع[4].

وعليه؛ فإنه يؤخذ بمعيار دفع الضرر الذي لا يمكن أو يصعب جبره لاحقا بموجب أمر ذي طبيعة مؤقتة[5]. من حالات الاستعجال الأكثر شيوعا، نذكر دعوى وقف الأشغال جراء عملية استيلاء الإدارة نظرا لاتصال المطالبة بضرر حال يستدعي تعجيل النظر فيه شريطة عدم المساس بأصل الحق.

ويتعين توافر عنصر الاستعجال وقت رفع الدعوى إلى حين صدور الأمر الفاصل في شأنها، فإذا تخلف في أي مرحلة من مراحلها، ينتفي أحد شرطي اختصاص قاضي الاستعجال ويتعيّن القضاء بعدم اختصاصه نوعيا بنظر الدعوى[6].

وتجدر الإشارة إلى أن عنصر الاستعجال يعتبر القاسم المشترك بين الاستعجال الإداري والاستعجال المدني، وإن كانت لحالة الاستعجال معنى واسع في هذا الأخير، فإن هذه الحالة بالنسبة للقضاء الإداري مطبقة وتفسر تفسيرا ضيّقا، وهذا راجع

---

[1]- د/ مسعود شيهوب، المرجع السابق، ص 488 وما بعدها.

[2]- لقد عرّفت المحكمة الإدارية في مصر شرط الاستعجال بأنه: "مؤدى ركن الاستعجال أن يكون من شأنه تنفيذ القرار المطعون فيه أن تترتب عليه نتائج يتعذر تداركها".أشار إليه عمار بوضياف في مرجعه (القانون الإداري، الطبعة الأولى، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص43).

[3]- مصطفى مجدي هرجة، أحكام وآراء في القضاء المستعجل، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1989م، ص 18.

[4]- لقد استأنس المشرع وقت إعداد نص القانون رقم 08-09 المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية بكثير من الآراء المنادية بإعادة النظر في في القواعد المنظمة للقضاء الاستعجالي التي يتضمنها قانون الإجراءات المدنية، وهنا نذكر موقفا للأستاذ "محمد براهيمي" حينما دعا إلى وجوب التدقيق في مفهوم الاستعجال وطبيعة الأمر الاستعجالي والتعريف بالحالات التي تستوجب أخذ تدابير تحفظية.

في هذا الموضع راجع:

د/ محمد براهيمي، القضاء المستعجل، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 12.

[5]- د/ بربارة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 503.

[6]- ميز المشرع الجزائري من خلال المادة 924 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية بين رفض الطلب والحكم بعدم الاختصاص حيث:

- الرفض يكون عندما لا يتوفر الاستعجال في الطلب، أو يكون غير مؤسس.
- يحكم بعدم الاختصاص النوعي، عندما يظهر أن الطلب لا يدخل في اختصاص الجهة القضائية الإدارية، وليس للقاضي هنا أن يأمر بإحالتها إلى الجهة المختصة.

بطبيعة الحال إلى الحذر من عرقلة نشاط الإدارة بواسطة تدابير مستعجلة استنادا إلى مبدأ استمرارية المرفق العام بانتظام واطراد (مبدأ استمرارية سير المرفق العام).

المطلب الثاني: عدم المساس بأصل الحق:

نصت الفقرة الثانية من المادة 918 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية علة مايلي"لا ينظر في أصل الحق، ويفصل في أقرب الآجال"

إضافة إلى وجوب توفر عنصر الاستعجال، فحتى يكون قاضي الأمور المستعجلة مختصا للفصل في دعوى وقف تنفيذ قرار الاستيلاء، أشارت المادة المذكورة أعلاه أن لا يكون لحكمه مساسا بأصل الحق وهذا راجع إلى أن الحكم وقتيا فليس له بأي حال من الأحوال أن يقضي في أصل الحق مهما أحاط به من استعجال، ومهما ترتّب عن اقتناعه على القضاء فيه ضررا للخصوم، بل يجب تركه لقاضي الموضوع المختص وحده بالحكم فيه[1].

قدمت المحكمة العليا في قرارها الصادر بتاريخ (1985/12/18م) تحت رقم 3544 تعريفا لهذا الشرط حيث جاء فيه "... إن المقصود بأصل الحق الذي يمتنع قاضي الأمور المستعجلة عن المساس به هو السبب القانوني الذي يحدد حقوق والتزامات كل من الطرفين قبل الآخر"[2].إن معنى أصل الحق كما جاء في تعريف المحكمة العليا كل ما يتعلق بجوهره وجودا وعدما، فيدخل في ذلك ما يمس صحّتها أو يؤثّر في كيانها أو يغيّر في الآثار القانونية التي رتبّها القانون والتي قصدها العاقدان[3]، فلا يجوز لقاضي الاستعجال أن ينظر في دعوى موضوعها منازعة جدية حول حق يدعيه الخصم[4]، فدوره يتمثل أساسا في تسوية حالة مستعجلة عن طريق اتخاذ تدابير مؤقتة مما يعني أنها ذات حجية مؤقتة تنتهي بمجرد صدور حكم في الموضوع، إلا إذا قرر هذا الأخير تبني ما ذهب إليه الأمر الاستعجالي الذي يستمد في هذه الحالة حجيته ليس من ذات هذا الأخير ولكن من حكمه في الموضوع.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة ضبط عبارة "دون المساس بأصل الحق" التي يكتنفها بعض من الغموض، إذ كيف لقاضي الأمور المستعجلة في المادة الإدارية قياسا على هذه العبارة ألّا ينغمس في موضوع النزاع، وفي نفس الوقت يطلب منه تكوين قناعته القانونية والتأكد من مدى تبرير الأمر الاستعجالي خاصة بالنسبة للقرار الإداري المتضمن عملية استيلاء الإدارة على الملكية الخاصة للأفراد، إذ هو مجبر في هذه الحالة للوقوف على مدى توفر شروط قرار الاستيلاء، أن ينظر في موضوع النزاع، فعليه أن يلقى نظرة أولية ظاهرية على مدى مشروعية هذا الأخير ومدى احتمال إلغائه والبحث فيما إذا كانت الإدارة في إصدارها لقرارها قد استندت إلى نص قانوني معين ينطبق على الواقعة التي صدر من أجلها القرار، لذا يستحسن استبدال عبارة "دون المساس بأصل الحق" بعبارة "دون الفصل في أصل الحق" وهي عبارة أصّح وأوفى وتكرّس – حقيقة – الغرض من وجود القضاء المستعجل في المادة الإدارية.

المطلب الثالث: الطلب ذو محل:

مضمون هذا الشرط أن يكون القرار المتضمن عملية استيلاء الإدارة على الملكية الخاصة للأفراد والمطلوب وقف تنفيذه ساري المفعول ويستند إلى أسباب جديّة ترجّح مسألة إلغائه، ذلك أن الاستيلاء قد يكون مشروعا إذا اتبعت الإدارة الشروط والإجراءات المحددة في القانون المدني. وفي هذه الحالة لا يملك المستولى على ملكيته سوى اللجوء إلى مخاصمة الإدارة أمام القضاء المختص حول المسائل المالية المفروضة على هذه الأخيرة جراء حرمانه من الانتفاع لما يملك.وعليه يمكن تعريف الاستيلاء بأنه:

---

[1]- أنظر المادة 919 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية في فقرتها الأخيرة.

[2]- أنظر المجلة القضائية للمحكمة الإدارية، العدد الأول، 1990م، ص 46.

[3]- أنظر أ/ طاهري حسين، قضاء الاستعجال فقها وقضاءا، دار الخلدونية، الجزائر، 2005م، ص 11.

[4]- أنظر د/ بربارة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 220.

"إجراء استثنائي مؤقت تلجأ إليه الإدارة للحصول على الأموال والخدمات من الأفراد في حالة الضرورة والاستعجال، وذلك عندما لا تسمح طرق القانون المألوفة بتحقيق الأهداف المرجوة، ويقع بموجب قرار إداري مكتوب ويهدف إلى تحقيق المصلحة العامة ومقابل تعويض، فهو مبدئيا إجراء مشروع"[1].

ومن ثمة قد يكون الاستيلاء غير مشروع في الحالات التالية:

- إذا انصب على المحلات المخصصة فعلا للسكن[2]

- إذا صدر بموجب أمر شفوي

- وإذا صدر أمر الاستيلاء من سلطة غير مختصة وذلك تطبيقا لمنطوق المواد 03/679، 02/680، 01/680 من القانون المدني.وتجدر الإشارة أن الاستيلاء غير المشروع قد يرقى إلى مستوى تعدي إداري إذا بلغ درجة كبيرة من الجسامة.

وفي هذا الإطار على المتضرر من قرار الاستيلاء غير المشروع أن يلجأ إلى القضاء الاستعجالي للمطالبة بوقف الأشغال الناجمة عن عملية هذا الاستيلاء إلى حين فحص مشروعيته من طرف قاضي الموضوع. هذا ما يظهر جليا في قرار الغرفة الإدارية رقم 41543 المؤرخ في 1985/05/18 حيث جاء فيه:

"الأصل قانونا هو تحديد اعتداء الإدارة على الملكية الخاصة، إلا انه يجوز لها بموجب القانون وطبقا لإجراءات معينة أن تلجأ إلى الاستيلاء على الملكية أو نزعها جبرا عن صاحبها للمنفعة العامة، وأن صاحب الملكية الذي يرى في عملها ذلك عدم المشروعية المنطوية على الاعتداء، يجوز له الاتجاه إلى القضاء المستعجل للمطالبة أمام القاضي الإداري بتعيين خبير، ويكون القاضي المذكور مختصا بالأمر بصفة مستعجلة باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة، إذا ثبت له من خلال الدعوى أن تصرف الإدارة يحتمل وصف حالة تعد أو استيلاء، وأن قاضي الدرجة الأولى الذي صرح بعدم اختصاصه يكون قد خالف مقتضيات المادة 171 مكرر من قانون الإجراءات المدنية، الذي بموجبه يحق له ذلك مهما كانت تبريرات الإدارة المقدمة بخصوص سبب المنفعة العامة التي أسست عليها تصرفها، مما يتعين معه إلغاء القرار المذكور"[3].

خـــاتمـة:

مما سبق، يمكن القول أن خلاصة رأي القضاء تتحدد في أن القانون أعطى الإدارة الحق في المساس بالملكية الخاصة ضمن قيود شكلية وأخرى إجرائية دقيقة، وأن دائرة اختصاص الإدارة في مجال الاستيلاء تجد حدها في إتباع هذه الشروط.

فالملكية الخاصة تعتبر – بصفة عامة – خارجة عن نطاق استيلاء السلطة الإدارية ولا يمكن أن يعتبر تدخّلها موضوعا إداريا مشروعا إلا إذا اتبعت بدقة هذه الإجراءات وإلا كان قرارها عرضة لوقف تنفيذه ريثما يبت في مدى مشروعيته وذلك بشروط:

أولا: أن يكون وقف تنفيذ قرار الاستيلاء مستندا إلى دعوى إلغائه ذلك أن وقف التنفيذ ليس غاية في ذاته ولكنه تمهيد لإلغائه.

ثانيا: أن تكون نتائج تنفيذ القرار من المتعذر تداركها فيما لو حكم بإلغائه.

---

[1]- أنظر في هذا الصدد: د/ مسعود شيهوب، المرجع السابق، ص 329 وما بعدها

[2]- في هذا الموضوع نشير إلى قرار المحكمة العليا الآتي منطوقه"من المقرر قانونا أنه لا يجوز الاستيلاء بأي حال على المحلات المخصصة فعلا للسكن ومن ثمة فإن النعي على القرار الإداري المتضمن الاستيلاء على السكن يعد مشوبا بعيب خرق القانون.

لما كان من الثابت في قضية الحال أن السكن المتنازع فيه مشغولا من قبل الطاعنين وأن الشقة المتنازع عليها غير مصرح بشغورها، ومن ثمة فإن قرار والي عنابة المتضمن استيلاء على هذا السكن يعد مشوبا بعيب خرق القانون.

(المحكمة العليا، الغرفة الإدارية، العدد 4، 1990م، ص 168، 196 و 170).

[3]- المحكمة الإدارية، الغرفة الإدارية، العدد الأول، سنة 1989م، ص 262.

ثالثا: أن يستند طلب وقف التنفيذ إلى أسباب جدية ترجح إلغائه، فبالرغم من أن وقف التنفيذ هو من قبيل الأمور المستعجلة التي لا علاقة لها بموضوع الدعوى إلا أنه طلب متفرع عن طلب الإلغاء.

رابعا: اجتماع هذه الشروط وتقديرها متوقفة على سلطة القاضي الاستعجالي في الموافقة على وقف التنفيذ، فإذا قضى بوقف تنفيذ قرار الاستيلاء تعين على الإدارة أن تمتنع عن تنفيذه إذا لم تكن قد شرعت في تنفيذه أو توقف الاستمرار في التنفيذ إذا كانت قد بدأت فيه ليمكن القول بالنهاية أن وقف التنفيذ هو بطبيعته إجراء مؤقت معلق على الحكم في موضوع الدعوى ذلك أن حق الملكية حق دستوري لا يحول دون ممارسته شيء، فإقراره يفترض تمكين المتقاضي من سبل إيصال كلمته حول موضوع منع الاعتداء والاستيلاء غير الشرعي على هذا الحق ثم إلزام القاضي الاستعجالي باتخاذ التدابير اللازمة لحمايته ثم الفصل في موضوعه من طرف قاضي الموضوع عن طريق رفع دعوى وقف التنفيذ إذا توافرت شروطها المذكورة أنفا.

وإذا كانت هذه الشروط غير منتقدة فقها لأنه يراد من ورائها الرّقي بمرفق القضاء من جهة ومنع الاعتداء على الحقوق المصونة دستوريا فيجب أن لا يفهم من إقرارها أن تتحول هذه الشروط إلى قيود أوموانع يحول دون إمكانية الاستفادة من حماية هذا الحق، وإلا حُقَّ لنا أن نتساءل عن:

- من هو أحق بالحماية الرّقي بمرفق القضاء أو حقوق المتقاضي.
- دور القاضي الإداري وهو بين الإدارة وسمو غايتها وحماية حق المتقاضي وهو في مركز المدعي مع هذه الأخيرة.

قائمة المراجع

1- **النصوص القانونية:**

- التعديل الدستوري الجزائري لسنة 2016.
- القانون المدني المعدل والمتمم.
- القانون رقم 09/08 المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

2- **الكتب:**

- **الكتب باللغة العربية:**

- أ/ الحسين بن الشيخ آث ملويا (2015)، رسالة في الاستعجالات الإدارية، الجزء الأول، الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.
- د/ بربارة عبد الرحمان (2009)، شرح قانون الإجراءات المدنية والإدارية، (طبعة 1)، الجزائر، منشورات بغدادي.
- رشيد خلوفي (2009)، قانون المنازعات الإدارية (شروط قبول الدعوى الإدارية)، ، (طبعة 1)، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية.
- عبد العزيز عبد المنعم خليفة (2007)، القرارات الإدارية في الفقه وقضاء مجلس الدولة، مصر، دار الفكر العربي.
- د/ عبد القادر عدّو (2012)، المنازعات الإدارية، الجزائر، دار هومة.
- د/ عمار بوضياف:

- المرجع في المنازعات الإدارية (2013)، القسم الثاني (الجوانب التطبيقية للمنازعة الإدارية)، (الطبعة الأولى) الجزائر، جسور للنشر والتوزيع.
- القانون الإداري (2007)، (الطبعة الأولى)، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع.

- د/ لعشب محفوظ (1999)، المسؤولية في القانون الإداري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

- فاطمة بن سنوسي (2003)، دور التظلم الإداري في حل النزاعات الإدارية في القانون الجزائري، الجزائر دار مدني.

- محمد براهيمي (2007)، القضاء المستعجل، (الطبعة الثانية)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

- مصطفى مجدي هرجة (1989)، أحكام وآراء في القضاء المستعجل، مصر، دار المطبوعات الجامعية.

الكتب باللغة الفرنسية:

-Martine Lombard (1986), Droit administratif (Compléments pédagogiques par Alles Dumond), (3ème édition), Paris, Dolloz.

3- **المجلات القضائية:**

- مجلة مجلس الدولة، العدد 4، 2003م.

- المجلة القضائية للمحكمة العليا، العدد 1، 1990م.

- الجلة القضائية للمحكمة العليا، العدد 1، 1993م.

- المجلة القضائية للمحكمة العليا، العدد 1، 1989م.

دور القاضي في مواجهة الشروط التعسفية في عقد الإذعان

د.طبيب فايزة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

الملخص:
تعتبر الحرية التعاقدية من بين أهم النتائج التي ترتبت على مبدأ سلطان الإرادة والتي تقضي بأن لكل شخص الحق في التعاقد من عدمه، كما يفرض مبدأ المساواة العقدية أن يتمتع الطرفين المتعاقدين بحق مناقشة شروط وبنود العقد على قدم المساواة بينهما، ويترتب على الرضائية في العقود كذلك أن تلتزم الأطراف المتعاقدة بما تضمنه العقد إعمالا لمبدأ القوة الملزمة للعقد وتمتد هذه الإلزامية لتشمل القاضي كذلك. غير أن المشرع وسعيا منه لتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي خرج عن قاعدة المساواة العقدية باستثناء يمكن من إبرام بعض العقود بإجراءات تعاقد تختلف عن تلك المعروفة في العقود الرضائية التي تتسم بالمساومة والمساواة وعرفت هذه العقود بعقود الإذعان، غير أنه وفي المقابل وتحقيقا لحماية الطرف الضعيف في هذه العقود خرج كذلك عن مبدأ القوة الملزمة للعقد ومكن القاضي من التدخل للحد من الشروط التعسفية التي قد تتضمنها هذه العقود معيدا التوازن العقدي إلى ميزان العدالة التعاقدية.
الكلمات المفتاحية: عقد، إذعان، شروط تعسفية، تعديل قضائي.

Summary:
Contractual freedom is considered among the most important effects resulting from the principle of will, and shows that everyone has the right to contract. It also imposes the equality contractual principle, that the contracting parties have the right to discuss equally about the contract terms, and to involve mutual consent between them pursuant to the principle of the binding force and this includes the Judge. However, the legislator, trying to achieve the Economic and Social Development, came out from the base contractual equality. Except this, contracts can be concluded by procedures that differ from the consentual ones. These contracts are known as acquiescence contracts.
To protect the weaker party, the judge intervenes to limit the abusive conditions included in contracts to restore the balance of contracts to the scales of Justice

مقدمة:

الأصل العام في العقود أنها تقوم على المساومة وتفترض حق مناقشة بنودها وبحثها بحرية من جانب الطرفين، وعلى قدم المساواة بينهما، غير أن التطور الهائل في الحياة الاقتصادية الحديثة، أدى إلى ظهور طبقة ذات الرأسمال الضخم والتي تحتكر السلع والمرافق الضرورية ، مما أدى بالنتيجة إلى تمتعها بقوة قانونية مكنتها حال تعاقدها مع الغير من الإنفراد بوضع شروط العقد ولا تقبل المناقشة فيها ولا يكون أمام المتعاقد معها إلا الخضوع لهذه الشروط والتعاقد لأن المسألة تتعلق بسلعة أو مرفق ضروري لا غنى له عنه، فهو بذلك يخضع لمشيئة الطرف القوي وعرفت هذه العقود بعقود الإذعان.

في ظل هذا الصنف من العقود، المتعاقد القوي وتحت غطاء الإبهام والغموض تارة واستغلالا لمركزه المتفوق تارة أخرى، كثيرا ما يضمن عقوده شروطا تعسفية تجعل من التزام الطرف الضعيف مرهقا.

المشرع الجزائري وسعيا منه لمقاومة الشروط التعسفية في عقود الإذعان خرج عن قاعدة العقد شريعة المتعاقدين واقفا إلى جانب المتعاقد الضعيف بهدف تقويته حتى لا يستغله المتعاقد القوي، مخولا للقاضي سلطة التدخل لمواجهة من الشروط التعسفية في هذه العقود، معيدا التوازن العقدي إلى ميزان العدالة التعاقدية، أو على الأقل مزيلا التفاوت الكبير بين النفوذ الاقتصادي القوي من جانب الطرف واضع العقد والطرف المذعن الذي رضخ لشروطه.

يبقى هذا الحكم المقرر في المادة 110 من القانون المدني استثناء من القاعدة العامة التي تقضي بأن العقد شريعة المتعاقدين، وحتى يعمل القاضي بالاستثناء لابد من قيام شروط فما هي الشروط التي لابد أن تتوافر حتى يكون تدخل القاضي مسموحا ومبررا ولا يخرق قاعدة العقد شريعة المتعاقدين؟ وما هي الآليات التي يعيد بها التوازن العقدي ؟ وعلى أي أساس يكون ذلك؟

للإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى مبحثين تناولنا في الأول شروط تدخل القاضي لتعديل عقد الإذعان، أما المبحث الثاني فخصصناه لصور وضوابط تدخل القاضي للمواجهة من الشروط التعسفية في عقود الإذعان.

المبحث الأول: شروط تدخل القاضي في عقد الإذعان:

نص المشرع الجزائري في المادة 110 من القانون المدني[1] على شروط تدخل القاضي لمواجهة الشروط التعسفية في عقد الإذعان، والتي يتضح عند تحليل نصها أنه لا يكفي لإعمال سلطة القاضي في هذا المجال أن يبرم العقد بطريق الإذعان، بل لابد أن يتضمن هذا العقد شروط تعسفية.

المطلب الأول: إبرام العقد بطريق الإذعان:

الأصل في التعاقد حرية الأطراف في المساومة، أي أن عملية التعاقد تتم بعد أخذ ورد بين المتعاقدين، لتتطابق الإرادتين وينشأ العقد، لكن هناك بعض من العقود لا تتسم بهذه الخاصية بل تتم بغير مناقشة إما تقبل جملة أو ترفض جملة تعرف بعقود الإذعان.

الفرع الأول: تعريف عقد الإذعان:

نكون بصدد عقد الإذعان "متى تم العقد بين طرفين أحدهما قوي لأنه يحتكر سلعة أو خدمة ضرورية احتكارا قانونيا أو فعليا أو شبه احتكار، والطرف الآخر مضطر إلى هذه السلعة أو الخدمة، فيملي عليه الطرف القوي شروطه، والتي غالبا ما تكون في صيغة عقود مطبوعة، يذعن إليها الطرف المذعن ويضطر إلى قبولها، دون أن يكون له الحق في مناقشتها" [2].

كسائر العقود، يحتاج عقد الإذعان لانعقاده وترتيب آثاره تطابق الإيجاب والقبول.

فالإيجاب في عقد الإذعان يصدر في صورة قاطعة، متضمنا كافة شروط العقد الجوهرية منها والتفصيلية، والتي لا يحق للطرف للمتعاقد عن طريق الإذعان مساومة الموجب عليها، ولا يحتاج هذا العقد لترتيب آثاره إلى أكثر من مجرد قبول[3].

أما القبول في عقود الإذعان فهو مجرد تسليم لتلك الشروط التي يقررها الموجب ولا يقبل المناقشة فيها وما على الطرف الآخر إلى القبول بها جملة أو رفضها كاملة، وهو ما ذهب إليه المشرع الجزائري وفقا لمقتضيات المادة 70 من القانون المدني[1].

---

[1] نص المادة 110 من القانون المدني " إذا تم العقد بطريق الإذعان، وكان قد تضمن شروطا تعسفية، جاز للقاضي أن يعدل هذه الشروط أو يعفي الطرف المذعن منها، وذلك وفقا لما تقضي به العدالة ويقع باطلا كل اتفاق على خلاف ذلك" .

[2] علي علي سليمان، النظرية العامة للالتزام- مصادر الالتزام في القانون المدني الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السادسة، الجزائر، 2005، ص 38.

[3] عبد المنعم فرج الصده، نظرية العقد في قوانين البلاد العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1974، ص137.

تجب الإشارة إلى أنه وإن كان القبول في عقود الإذعان مجرد تسليم بما يمليه الموجب، من شروط دون أن يكون للقابل حق مناقشتها أو المساومة فيها، ولا يستطيع إلا أن يأخذ أو يدع، غير أن التعاقد على هذا الحال، لا يعدم الرضاء لدى القابل، ولا يجعله معيبا، فيعتبر الرضاء موجودا لديه لكنه يكاد يكون مكرها عليه، وإن كان هذا النوع من الإكراه المقصود في باب الإذعان يختلف عن الإكراه المعروف في عيوب الإرادة، ذلك أن الإكراه المتعلق بعيوب الإرادة متصل بعوامل نفسية للمتعاقد، بينما في عقود الإذعان يعتبر إكراها متصل بعوامل اقتصادية[2].

وقد عرف هذا النوع من العقود في الاصطلاح الفرنسي بعقود الانضمام les contrat d'adhésion وهي التي التسمية التي أطلقها لأول مرة الفقيه سالي في كتابه "إعلان الإرادة" وهي مشتقة من فعل adhérer ومعناه أن يوافق شخص على قرار اتخذه غيره[3]، ويراد بها أن من يقبل العقد إنما ينظم إليه دون أن يناقشه[4]، بينما عرفت في الاصطلاح العربي بعقود الإذعان وصاحب هذه التسمية هو الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري، وفيه معنى الخضوع والطاعة والاضطرار في القبول[5].

يعتبر لفظ"الإذعان" في الاصطلاح العربي أدق من الاصطلاح الفرنسي " الانضمام"، ذلك أن الإذعان يعني الاضطرار للقبول، وهو السمة الأساسية لهذا النوع من العقود، أما في الانضمام فقد ينضم القابل للعقد دون أن يكون مضطرا للقبول[6]، وبالتالي فالانضمام أوسع دلالة إذ يشمل عقد الإذعان وغيره من العقود التي ينظم إليها القابل دون أي مناقشة [7].

وعلى ذلك يمكن تعريف عقد الإذعان على أنه "العقد الذي يسلم فيه القابل بشروط مقررة (سلفا) يضعها الموجب ولا يقبل مناقشة فيها، وذلك فيما يتعلق بسلعة أو مرفق ضروري تكون محل احتكار قانوني، أو فعلي أو تكون المنافسة محدودة النطاق في شأنها"[8].

إذن لا يمكن للقاضي الخروج عن مبدأ العقد شريعة المتعاقدين ولو تضمن العقد شروطا تعسفية، إلا إذا ابرم العقد بطريق الإذعان، ذلك أن الحماية التي قررها المشرع للطرف المذعن، كانت نتيجة لانفراد الطرف الآخر في إملاء شروط التعاقد[9].

وعليه متى عرض النزاع على القاضي، وطلب منه تعديل العقد لتضمنه شروطا تعسفية، لابد عليه أن يبحث بداية في طبيعة العقد موضوع النزاع، بحيث متى وجده أبرم بطريق الإذعان، جاز له التدخل لحماية الطرف المذعن، أي عليه أن يتأكد من استفاء العقد لخصائص عقد الإذعان.

الفرع الثاني: خصائص عقد الإذعان:

يتميز عقد الإذعان عن غيره من العقود بصفات أساسية تتمثل في:

---

[1] Ali Bencheneb : Le Droit algérien des contrats, Editions AJED , Algérie,2011,p 38-39.

[2] عبد الرزاق أحمد السنهوري، نظرية العقد، الجزء الأول، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الثانية، 1998، بيروت، لبنان، ص 279 .

[3] عبد الحميد بن شنيتي، سلطة القاضي في تعديل العقد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1996، ص 41.

[4] عبد الرزاق أحمد السنهوري، المرجع السابق، 279.

[5] عبد المنعم فرج الصده، عقد الإذعان، مجلة الأمن والقانون، كلية شرطة دبي، 1996، العدد الأول، ص 244.

[6] أنس محمد عبد الغفار، آليات مواجهة الشروط التعسفية في عقود الإذعان، دار الكتب القانونية-دار شتات للنشر والبرمجيات، مصر- الامارات، 2013، ص 18.

[7] عبد المنعم فرج الصده، عقد الإذعان، المرجع السابق، ص 244.

[8] عبد المنعم فرج الصده، عقد الإذعان، المرجع السابق، ص 244.

[9] Ali Bencheneb . Op.cit., 40.

أولا: أن يتعلق العقد بسلعة أو خدمة أو مرافق تعتبر من الضروريات الأولية في حياة الأشخاص، بحيث لا يمكن لهؤلاء الاستغناء عن هذه السلع أو الخدمات دون أن يلحقهم أذى أو مشقة[1]، كما هو الحال في عقود توريد المياه والكهرباء، والنقل.

ثانيا: أن يكون الموجب في مركز اقتصادي متغلب لما يتمتع به من احتكار قانوني أو فعلي أو لكون المنافسة محدودة النطاق بشأنه، أي بأن يكون تفوقه الاقتصادي واضحا[2].

ثالثا: أن يصدر الإيجاب عاما أي إلى الجمهور كافة[3]، أو إلى فريق منه تتوافر فيه صفات معينة وليس عرضا موجها إلى شخص معين بذاته.

رابعا: يصدر الإيجاب في هذه العقود في قالب نموذجي، يعرض ككل غير قابل للنقاش، يقبل جملة، أو يرفض جملة، والغالب أن يكون في صورة شروط واحدة، محددة سلفا، تمثل الشروط الجوهرية والتفصيلية للعقد، و على نحو دائم ومستمر غير محدد المدة، وتكون مطبوعة وموضوعة من قبل الموجب [4]، يحتوى مضمونها على عبارات على قدر كبير من الدقة والتعقيد، الأمر الذي يصعب على المتعاقد العادي فهمها، وتصب في غالب الأحوال في مصلحة الموجب[5].

ثم لا يكفي أن يبرم العقد بطريق الإذعان حتى يتدخل القاضي لتعديله بل لابد أيضا أن يتحقق من تضمنه لشروط تعسفية.

المطلب الثاني: أن يتضمن عقد الإذعان شروطا تعسفية مرهقة للطرف المذعن.

لا يسوغ للقاضي التدخل في جميع العقود المبرمة بطريق الإذعان، بغرض حماية الطرف المذعن، ذلك أنه واستنادا إلى نص المادة 110 من القانون المدني لابد أن تتضمن هذه العقود شروطا تعسفية تجعل من التزام الطرف المذعن مرهقا وهو ما يبرر سلطة تدخل القاضي في هذه العقود تحقيقا للعدالة العقدية.

الفرع الأول: تعريف الشرط التعسفي:

بداية لابد من الإشارة إلى أن المشرع الجزائري لم يتطرق في أحكام القانون المدني إلى تعريف الشرط التعسفي.

بينما تولت أحكام المادة 03 من القانون رقم 04-02 المحدد للقواعد المطبقة على الممارسات التجارية تعريفه على أنه "كل بند أو شرط بمفرده أو مشتركا مع بند واحد أو عدة بنود أو شروط أخرى من شأنه الإخلال الظاهر بالتوازن بين حقوق وواجبات الأطراف".

كذلك اختلف الفقه بشأن تعريفه فعرف بأنه "الشرط الذي يدرج في العقد من قبل أحد أطرافه وقد أملى إرادته على الفريق الآخر تحقيقا لمنفعة ذاتية غير مألوفة ومفرطة منتقصا من حقوق الطرف الآخر الذي أذعن له لتسلط من فرضه على العقد"[6].

---

[1] لعشب محفوظ بن حامد، عقد الإذعان في القانون المدني الجزائري والمقارن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 59.

[2] محمد صبري السعدي، الواضح في شرح القانون المدني الجزائري، النظرية العامة للالتزامات العقد والإرادة المنفردة، دار الهدى، الجزائر، الطبعة الرابعة، 2009 ص123.

[3] عامر رحمون، عقد الإذعان في الفقه الإسلامي والقانون المدني،دراسة مقارنة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر ، 2013، ص 90.

[4] سمير عبد السيد تناغو، مصادر الالتزام، الطبعة الأولى، مكتبة الوفاء القانونية، مصر، 2009، ص 42.

[5] عبد المنعم فرج الصده، عقد الإذعان، المرجع السابق، ص 244.

[6] مصطفى العوجي، القانون المدني، الجزء الأول، العقد مع مقدمة في الموجبات المدنية، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الخامسة، 2011، بيروت، لبنان، ص 764.

كما عرفه الدكتور عبد الحميد بن شنيتي بأنه "ذلك الشرط الذي يضعه المتعاقد في العقد حتى يخدم مصلحته مستغلا في ذلك ضعف المتعاقد الآخر نتيجة جهله أو عدم خبرته مما يؤدي إلى عدم توازن بين حقوق والتزامات طرفي العقد، ويرجع هذا الاختلال إلى عدم التكافؤ في المقدرة العقدية بينهما"[1] .

عرف أيضا على أنه" كل شرط يخل بالتوازن العقدي ويلقي على المذعن التزامات باهظة ومجحفة، وتعود على الموجب محررها بتسهيلات أو أوضاع تحقق منافع"[2].

ورد في نص المادة 03 من القانون رقم 02/04 المحدد للقواعد المطبقة على الممارسات التجارية إيحاء على أن يرد الشرط التعسفي في عقد وأن يكون مكتوبا وذلك عند تحديدها لمفهوم العقد"عقد: **كل اتفاق** أو اتفاقية تهدف إلى بيع سلعة أو تأدية خدمة، **حرر** مسبقا من أحد أطراف الاتفاق مع إذعان الطرف الآخر بحيث لا يمكن هذا الأخير إحداث تغيير حقيق فيه".

ومنه وبمفهوم الأحكام العامة الواردة في القانون المدني الجزائري وبالاستناد إلى الأحكام الخاصة التي تضمنها القانون رقم 02/04 المحدد للقواعد المطبقة على الممارسات التجارية نكون بصدد شرط تعسفي متى ورد في العقد، وكان مكتوبا [3]، ونتج عنه حصول المتعاقد القوي على امتيازات بسبب هذا الشرط التي تضمنه العقد[4].

الفرع الثاني: معيار التعسف:

ليس كون العقد تم بطريق الإذعان فتعتبر جميع الشروط التي تضمنها هي شروطا تعسفية بالضرورة، إذ قد يتم العقد بطريق الإذعان دون أن يتضمن شروطا تعسفية، ذلك أن تقدير الشروط التعسفية يرجع إلى قاضي الموضوع طبقا لمقتضيات المادة 110 من القانون المدني[5].

خاصة أن انعدام المناقشة في العقد لا يشكل تعسفا، إلا أن انعدام المناقشة كان سببا في تقرير الحماية[6].

جدير بالذكر أن المشرع الجزائري لم يحدد معيارا خاصا يرجع إليه القاضي لتحديد إن كان الشرط المدرج في العقد تعسفيا، وعليه لا يمكن للقاضي الوقوف على معايير الاختلال إلا بالرجوع إلى أحكام المادة 124 مكرر من القانون المدني والتي حددت أهم صور التعسف في استعمال الحق.

فيكون الاختلال ظاهرا إذا وضع الشرط بنية الإضرار بالغير من مثل الشرط الذي يقضي بتوقيع غرامات باهظة في حالة الأخطاء البسيطة التي قد يرتكبها العامل أثناء العمل وتؤخذ هذه الغرامات من أجور العمال[7]، أو أن يرمي إلى الحصول على فائدة قليلة بالنسبة إلى الضرر الناشئ للغير من مثل الشرط الذي يوضع غالبا في عقود نقل المسافرين الذي بمقتضاه ينفرد الموجب بتعديل العقد أو إلغائه بإرادة منفردة كأن تلغي الرحلة نتيجة لقلة المسافرين وهذا الشرط يبعث عدم الطمأنينة في نفس المذعن يجعله وهو يبرم العقد في قلق من تراجع الشركة عن التزاماتها، الأمر الذي يبرر تدخل

---

[1] حميد بن شنيتي، نظرية الالتزامات، الجزء الأول، نظرية العقد، مطبعة حسناوي موراد، الجزائر، الطبعة الأولى، 2014، ص 246.

[2] فاطمة نساخ، مفهوم الإذعان، مذكرة ماجيستير، كلية الحقوق جامعة الجزائر، 1998، ص 92.

[3] عرعارة عسالي، التوازن العقدي عند نشأة العقد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2015، ص 173.

[4] عبد الحميد بن شنيتي، نظرية الالتزامات، المرجع السابق، ص 247.

[5] فاطمة نساخ، مفهوم الإذعان، المرجع السابق، ص 84.

[6] فاطمة نساخ، الوظيفة الاجتماعية للعقد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، جامعة الجزائر، 2013، ص 155

[7] فاطمة نساخ، مفهوم الإذعان ،المرجع السابق، ص86.

القاضي للتعديل [1]، أو الغرض منه الحصول على فائدة غير مشروعة فهذا يعتبر خروجا عن وظيفة الحق كأن يتعارض الشرط مع النظام العام والآداب العامة[2].

فالشرط التعسفي إذن هو كل شرط استهدف الموجب في تحريره إلى الإضرار بالغير(المذعن) محققا لذمته منفعة زائدة، وملحقا بالغير في المقابل التزامات إضافية مرهقة، أو بحرمانه من حق من حقوقه، وإذا استهدف الموجب في ممارسة حقه في وضع بنود العقد، بطريق الإذعان، إحدى هذه الصور، اعتبر متعسفا ، ذلك أن الأمر يعتبر خروجا عن الغاية المسطرة للحق المخول له[3].

المبحث الثاني: صور وضوابط تدخل القاضي لمواجهة الشروط التعسفية في عقود الإذعان

طبقا لنص المادة 110 من القانون المدني متى عرض النزاع على القاضي وتوصل إلى أن العقد المطلوب منه التدخل لإعادة التوازن المالي فيه، قد أبرم بطرق الإذعان وكان قد تضمن شروطا تعسفية أصبح القاضي بمراجعة العقد، للحد من هذه الشروط التعسفية مستخدما في ذلك سلطته التقديرية في اختيار صورة التدخل، ملتزما بأن لا يحيد عن مقتضيات العدالة.

المطلب الأول: صور تدخل القاضي لمواجهة الشروط التعسفية في عقد الإذعان

المشرع الجزائري استخدم عبارة "جاز للقاضي" بما يفهم منه أنه ليس ملزما بمراجعة العقد، إلا أن الأمر خلاف ذلك، بحيث يتعارض والغرض الذي أراده المشرع من وراء نص المادة 110 من القانون المدني وأحكام حماية الطرف المذعن، ومنه متى توافرت شرط تدخل القاضي لمراجعة العقد وجب عليه ذلك، إلا أنه تبقى له السلطة التقديرية الكاملة في تحديد كيفية الحد من الشرط التعسفي.

الفرع الأول: سلطة القاضي في تعديل الشروط التعسفية

تعتبر سلطة القاضي في تعديل الشروط التعسفية من الأحكام الجريئة التي جاء بها المشرع الجزائري وخص بها عقود الإذعان[4]، ذلك أن القاضي وهو بصدد نظر النزاع المعروض عليه، يستطيع التدخل لتعديل الشرط متى قدر أنه جاء تعسفيا ولو كانت عبارات الشرط واضحة، فوضوح العبارة لا يسلب القاضي سلطة التعديل[5]، ذلك أنه لم يكن في وسع الطرف المذعن أن يفعل شيئا رغم وضوح الشرط ودقته، بمعنى أن الغموض ليس بشرط حتى يتدخل القاضي لتعديل الشرط التعسفي[6].

و تعديل الشرط التعسفي، يعني الإبقاء عليه مع رفع أوجه التعسف التي يتضمنها بالوسيلة التي يراها القاضي مناسبة [7].

ذلك أن بعض الشروط لا يمكن للقاضي إعفاء الطرف المذعن منها بسبب طبيعتها، فإلغاءها يعني القضاء على العقد برمته[1]، من مثل الشروط المتصلة بالمقابل الذي يفرض على الطرف المذعن نظير الخدمة التي سيؤديها مما يجعله شرطا جوهريا، فالقاضي لا يملك سلطة الإعفاء منه فيتدخل القاضي بالتعديل لرفع الضرر على المتعاقد[2].

---

[1] فاطمة نساخ، مفهوم الإذعان ،المرجع السابق، ص 90.

[2] عرعارة عسالي، المرجع السابق، ص 158.

[3] فاطمة نساخ، مفهوم الإذعان ،المرجع السابق، ص 92.

[4] عرعارة عسالي، المرجع السابق، ص 161.

[5] عرعارة عسالي، المرجع السابق، ص161-162.

[6] أنس محمد عبد الغفار، المرجع السابق، ص 195.

[7] صم بوعافية محمد، مجال تدخل القاضي لإعادة التوازن العقدي، مذكرة ماجيستير، جامعة مستغانم، 2016، ص 164.

الفرع الثاني: سلطة القاضي في إلغاء الشروط التعسفية

تعتبر سلطة القاضي في الإلغاء هي الأكثر خطورة والأشد جرأة من سلطة التعديل ذلك أن القاضي بموجبها يستطيع تجاهل أحكام القوة الملزمة للعقد ويقضي بإلغاء الشرط إذا ما وصفه بالتعسفي[3].

إذا قدر القاضي أن الشرط الوارد في العقد هو شرط تعسفي، وأن مجرد تخفيف الالتزام الذي يفرضه على عاتق الطرف المذعن لا يفي بغرض الحماية المطلوبة له، فإنه يستطيع أن يعدل هذا الشرط بإعفاء الطرف المذعن منه لا من تنفيذه كما لو تعلق الأمر بالإعفاء من المسؤولية [4] .

الفرع الثالث: سلطة القاضي في تفسير عقود الإذعان

يكون الشرط غامضا إذا كان غير متوافق أو مناقض لشروط أخرى، كما ينشأ الغموض عند تعارض نص عام مطبوع مع نص آخر أضيف بخط اليد أو بآلة كاتبة، كذلك ينشأ الغموض عند تضمن النص عبارات تحمل أكثر من معنى أو تأويل لها أو عند استخدام مصطلحات فنية وتقنية جديدة يصعب على الطرف المذعن الإلمام بها نظرا لمركزه ووضعه كشخص غير متمهن[5].

وقف المشرع الجزائري إلى جانب الطرف المذعن عند تفسير عبارات عقد الإذعان الغامضة[6]، ذلك أن الأصل في مسألة تفسير العقد أن يصب التفسير في مصلحة المدين باعتبار أن الأصل هو براءة الذمة وفقا لمقتضيات الفقرة الأولى من المادة 112 من القانون المدني "يؤول الشك في مصلحة المدين"، غير أن المشرع وبغرض حماية الطرف الضعيف في عقد الإذعان ضمن نفس المادة استثناءا[7] مفاده عدم جواز أن يكون تفسير العبارات الغامضة ضارا بمصلحة الطرف المذعن سواء كان دائنا أو مدينا، ذلك أنه في عقد الإذعان ينفرد المتعاقد القوي أو المحترف بوضع شروط العقد وإملاء إرادته على المتعاقد الضعيف، حيث يضع شروط تحتمل أكثر من معنى، وهذا الإبهام لا يكون وليد الصدفة أو رعونة واضعه دائما ، بل يكون متعمدا في أغلب الحالات، فيسمح للمتعاقد القوي بتمرير شروط تعسفية تحت ستار الغموض والإبهام، بحيث لو كانت واضحة لأحجم المتعاقد الآخر على التعاقد[8] ، فيفسر الشرط الغامض لصالح الطرف المذعن، لأن تبعة هذا الغموض تقع على عاتق الموجب الذي انفرد بتحرير العقد[9].

المطلب الثاني: ضوابط تدخل القاضي لمواجهة الشروط التعسفية في عقود الإذعان

وضع المشرع الجزائري ضوابط وأحكام يتعين على أطراف عقد الإذعان وعلى القاضي الالتزام بها ورتب على مخالفتها جزاءات، فأما بالنسبة للأطراف فلا يجوز لهم الاتفاق على سلب القاضي سلطة تعديل أو إلغاء الشروط التعسفية، وأما بالنسبة للقاضي فلا يجوز له أن يحيد عن مبادئ العدالة حال تدخله لحماية الطرف المذعن.

الفرع الأول: عدم جواز الاتفاق على سلب القاضي سلطة تعديل أو إلغاء الشروط التعسفية

---

[1] الشريف بحماوي، سلطة القاضي في تعديل الشروط التعسفية، دراسة مقارنة، مجلة الباحث للدراسات الأكادمية، العدد الثاني، باتنة، الجزائر، جوان 2014، ص 107.

[2] Samir Tanagho : De L'obligation judiciaire, Etude morale et technique de la révision du contrat par le juge , El wafaa bibliothèque juridique Egypte ,2014,P 133-134.

[3] عرعارة عسالي، المرجع السابق، ص162.

[4] بوكماش محمد، سلطة القاضي في تعديل العقد في القانون المدني والفقه الإسلامي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2012 ص 166.

[5] هانية محمد علي فقية، الرقابة القضائية على عقود الإذعان، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2014 ص 214-215.

[6] علي علي سليمان، المرجع السابق، ص39.

[7] المادة 2/112 من القانون المدني " غير أنه لا يجوز أن يكون تأويل العبارات الغامضة في عقود الإذعان ضارا بمصلحة الطرف المذعن".

[8] بودالي محمد، مكافحة الشروط التعسفية في العقود دراسة مقارنة، دار الفجر للنشر والتوزيع الجزائر، 2007، ص 79.

[9] عبد المنعم فرج الصده، عقد الإذعان، المرجع السابق، ص 351.

بالإسناد إلى المادة 110 من القانون المدني تنبه المشرع إلى ما قد يلجا إليه المحترفون من تضمين عقودهم لشرط استبعاد سلطة القاضي في تعديل أو إلغاء بعض شروط العقد التي يراها تعسفية، بحيث رتب جزاء البطلان على أي اتفاق أو شرط بهذا الشأن[1]، ومنه لا يجوز للمتعاقدين أن يتفقا على سلب القاضي هذه السلطة إذ أن مثل هذا الاتفاق يكون باطلا لمخالفته النظام العام ولو جاز لتعطلت الحماية التي قصد إليها الشارع من ذلك الحكم[2].

الفرع الثاني: العدالة كمعيار لتعديل الشروط التعسفية

نص المشرع الجزائري في المادة 110 من القانون المدني على معيار وحيد يسترشد إليه القاضي عند بسط رقابته على الشروط التعسفية في عقود الإذعان وهو استناده إلى قواعد العدالة كأساس لتعديل أو إلغاء الشروط التي يراها تعسفية وفقا لسلطته التقديرية [3].

ذلك أن هدف التدخل هو رد التوازن العقدي إلى ميزان العدالة التعاقدية وإزالة الخلل الكبير في المراكز التعاقدية لطرفي العقد[4].

كذلك أحاط الغموض مفهوم العدالة، ذلك لاختلاف الإحساس به من شخص لآخر، بل أيضا لتغير هذا المبدأ بتغير المكان والزمان.

المقصود بالعدالة هو الإنصاف والعدل كما يتصوره الفرد بغض النظر عن أحكام القانون الوضعي [5].

أيضا عرف بعض الفقه قواعد العدالة بأنها اجتهاد القاضي برأيه للوصول إلى حل يتفق وروح العدل والإنصاف، كما أنها شعور أخلاقي يستلهمه القاضي في أثناء محاولته تخفيف حكم قاعدة قانونية في تطبيقها على حالة معينة حينما يأذن له القانون بنص صريح[6].

قواعد العدالة تعتمد على بشكل أساسي على تقدير القاضي حيث يمكن معالجة كل قضية بشكل منفرد طبقا للظروف المحيطة بحيث يعمل القاضي على تطبيق ما يعتقد أنه يحقق العدالة[7].

جدير بالبيان أن العدالة كمصدر يستند إليه القاضي مثالا حيا على سلطة القاضي التقديرية حيث تعتبر سلطة القاضي مطلقة، غير مقيدة بأي قيد والأمر متروك للقاضي في تحري أوجه العدالة التي تصلح لملأ الفراغ في العقد وتكملة النقص فيه ففيها يجتهد القاضي برأيه والتي يراجع فيها مكامن نفسه وضميره لوضع البند الذي يوحي به العقل السليم والنية الحسنة والضمير الحي المستنير، وأن القاضي وهو يستكمل ما نقص في العقد يعمل على بناء ما وقر في ضمير الجماعة، إلا أنه يلجأ إلى أفكاره ومعتقداته الخاصة وتصوراته[8] ، ومتى خرج القاضي عن مبادئ العدالة كان جزاء حكمه النقض والإبطال.

خاتمة

---

[1] بودالي محمد، الشروط التعسفية في العقود في القانون الجزائري، دار هومة، الجزائر،2007، ص 60.

[2] لعشب محفوظ بن حامد، المرجع السابق، ص 155.

[3] أنس محمد عبد الغفار، المرجع السابق، ص 196.

[4] حدي لالة أحمد، سلطة القاضي في تعديل الالتزام التعاقدي وتطويع العقد، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2013، ص 109.

[5] علي فيلالي، الالتزامات، النظرية العامة للعقد، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2010، 368.

[6] عامر على حسن أبورمان، دور القاضي في استكمال العقد في القانون المدني، دار الحامد للنشر، الأردن، الطبعة الأولى،2015، ص 139.

[7] عامر على حسن أبورمان، المرجع السابق، ص 138.

[8] عامر على حسن أبورمان، المرجع السابق، ص 203-204.

نتوصل في الختام للقول أن القاعدة العامة في العقود هي التفاوض والمساومة والتساوي بين المتعاقدين في بحث شروط العقد الجوهرية منها والثانوية، إلا أنه استثناء من هذا الأصل هناك صنف من العقود تغيب عنها المساومة والتفاوض ويطبعها الرضوخ والإذعان.

كذلك الأصل في العقود طبقا لنص المادة 106 من القانون المدني أنه متى نشأ العقد صحيحا سليما خاليا من العيوب رتب آثاره القانونية وكانت له قوة ملزمة بالنسبة للموضوع والأطراف ولا يمكن لأي منهما تعديل أو نقض العقد إلا بموجب اتفاق آخر بينهما وما يسري على الطرفين يسري كذلك على القاضي إذ أن الأصل أن العقد شريعة المتعاقدين ولا يمكن للقاضي التدخل لتعديل بنود العقد كقاعدة عامة، إلا أنه استثناء من هذا الأصل أيضا أجاز المشرع الجزائري للقاضي وفي حدود ضيقة وبموجب نصوص قانونية صريحة ومحددة وحماية منه للطرف الضعيف التدخل لإعادة التوازن العقدي إلى ميزان العدالة التعاقدية، كما هو الحال في عقود الإذعان.

على الرغم من السلطة الممنوحة للقاضي في مجال تعديل عقد الإذعان حماية للطرف الضعيف فيه، تبقى سلطة استثنائية يمارسها القاضي في حدود ضيقة، إذ لا يمكنه التدخل إلا بتوافر شروط محددة في نص المادة 110 من القانون المدني والمتمثلة في شرط أن يبرم العقد بطريق الإذعان، إلا أنه لم يعتبر إبرام العقد بطريق الإذعان تعسفا، بل هو حق يقتضي عدم التعسف فيه، ولا يكفي بالنتيجة وحده كمبرر لإعمال الاستثناء، مضيفا شرط أن يضمن عقد الإذعان شروطا تعسفية في مواجهة الطرف الضعيف، تاركا للقاضي السلطة التقديرية في تحديد طبيعة العقد والقول إن كان عقد إذعان، وكذلك سلطة تقدير مدى اعتبار الشرط الوارد في العقد تعسفيا ولا يقيده في ذلك إلا الاسترشاد لمبادئ العدالة.

كما حددت المادة 110 من القانون المدني الآليات التي يعيد بموجبها القاضي التوازن للعقد، وذلك بموجب سلطته في تعديل الشروط التعسفية وذلك بالتخفيف منها متى كان من شأن إلغائها إهدار العقد، وكذلك سلطته في إلغاء الشروط التعسفية متى تبين له أن التعديل لا يفي بالحماية اللازمة ولا يؤدي إلى رفع الضرر عن الطرف الضعيف.

كذلك وقف المشرع إلى جانب الطرف الضعيف في عقد الإذعان بموجب نص المادة 2/112 من القانون المدني ذلك أن القاضي وحال تفسيره لبنود العقد الغامضة لا يجوز له بأي حال أن يكون تفسيره للعبارات الغامضة في عقود الإذعان ضارا بمصلحة الطرف المذعن.

حماية منه للطرف الضعيف أيضا أعتبر المشرع الجزائري أحكام المادة 110 من القانون المدني من النظام العام وأنه لا يمكن سلب القاضي سلطته في تعديل أو إلغاء الشروط التعسفية وأن كل اتفاق على خلاف ذلك يكون مصيره البطلان.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

المؤلفات العامة:

1. عبد المنعم فرج الصده، نظرية العقد في قوانين البلاد العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1974.
2. عبد الرزاق أحمد السنهوري، نظرية العقد، الجزء الأول، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان ، 1998.
3. علي علي سليمان، النظرية العامة للالتزام- مصادر الالتزام في القانون المدني الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السادسة، الجزائر، 2005.
4. محمد صبري السعدي، الواضح في شرح القانون المدني الجزائري، النظرية العامة للالتزامات العقد والإرادة المنفردة، دار الهدى، الجزائر، الطبعة الرابعة، 2009 .

5. سمير عبد السيد تناغو، مصادر الالتزام، الطبعة الأولى، مكتبة الوفاء القانونية، مصر، 2009.
6. علي فيلالي، الالتزامات، النظرية العامة للعقد، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2010.
7. مصطفى العوجي، القانون المدني، الجزء الأول، العقد مع مقدمة في الموجبات المدنية، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الخامسة، 2011، بيروت، لبنان.
8. عبد الحميد بن شنيتي، نظرية الالتزامات، الجزء الأول، نظرية العقد، مطبعة حسناوي موراد، الجزائر، الطبعة الأولى، 2014.

المؤلفات المتخصصة:

1. لعشب محفوظ بن حامد، عقد الإذعان في القانون المدني الجزائري والمقارن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
2. بودالي محمد، الشروط التعسفية في العقود في القانون الجزائري، دار هومة، الجزائر،2007.
3. بودالي محمد، مكافحة الشروط التعسفية في العقود، دراسة مقارنة، دار الفجر للنشر والتوزيع الجزائر، 2007.
4. أنس محمد عبد الغفار، آليات مواجهة الشروط التعسفية في عقود الإذعان، دار الكتب القانونية-دار شتات للنشر والبرمجيات، مصر- الامارات، 2013.
5. هانية محمد علي فقية، الرقابة القضائية على عقود الإذعان، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2014.
6. عامر على حسن أبورمان، دور القاضي في استكمال العقد في القانون المدني، دار الحامد للنشر، الأردن، الطبعة الأولى،2015.

الرسائل والمذكرات:

الرسائل:

1. عبد الحميد بن شنيتي، سلطة القاضي في تعديل العقد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1996.
2. بوكماش محمد، سلطة القاضي في تعديل العقد في القانون المدني والفقه الاسلامي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2012.
3. فاطمة نساخ، الوظيفة الاجتماعية للعقد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، جامعة الجزائر، 2013.
4. عرعارة عسالي، التوازن العقدي عند نشأة العقد، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2015.

المذكرات:

1. فاطمة نساخ، مفهوم الإذعان،مذكرة ماجيستير، كلية الحقوق جامعة الجزائر، 1998.
2. عامر رحمون، عقد الإذعان في الفقه الإسلامي والقانون المدني،دراسة مقارنة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر ، 2013.
3. حدي لالة أحمد، سلطة القاضي في تعديل الالتزام التعاقدي وتطويع العقد، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2013.
4. صم بوعافية محمد، مجال تدخل القاضي لإعادة التوازن العقدي، مذكرة ماجيستير، جامعة مستغانم، 2016.

المقالات:

1. عبد المنعم فرج الصده، عقد الإذعان، مجلة الأمن والقانون، كلية شرطة دبي، العدد الأول، 1996.
2. الشريف بحماوي، سلطة القاضي في تعديل الشروط التعسفية، دراسة مقارنة، مجلة الباحث للدراسات الأكادمية، العدد الثاني، باتنة، الجزائر، جوان 2014.

النصوص القانونية:

1. القانون رقم 02/04 المؤرخ في 23 يونيو 2004 المحدد للقواعد المطبقة على الممارسات التجارية، جريدة رسمية عدد41، المعدل والمتمم بالقانون رقم :06/10 المؤرخ في 15 أوت 2010 جريدة رسمية عدد 46.
2. الأمر رقم: 59/75 المؤرخ في 26سبتمبر 1975 المتضمن القانون المدني، جريدة رسمية عدد 78، المعدل والمتمم بالقانون رقم 05/07 المؤرخ في 13ماي 2007، جريدة رسمية عدد 31.

المراجع باللغة الفرنسية:

1. Ali Bencheneb : Le Droit algérien des contrats, Editions AJED , Algérie,2011.
2. Samir Tanagho : De L'obligation judiciaire, Etude morale et technique de la révision du contrat par le juge , El wafaa bibliothèque juridique Egypte, 2014.

تنظيم مهنة التوثيق وتأصيل فكرة المسؤولية

أ.بن ددوش نضرة
جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم

الملخص:
التوثيق مهنة عرفت تطورا علي مدي العصور والأزمنة واهتمت بها اغلب القوانين الوضعية نضرا لأهميتها باعتبارها وسيلة تضفي حماية وضمانات قانونية للمعاملات بين الناس عن طريق الكتابة ونضم المشرع الجزائري هده المهنة ضمن قانون رقم 02/06 والمرسوم التنفيذي 08/242 والذي حدد من خلاله حقوق وواجبات الموثق كما أسست هياكل تنظيمية لمراقبة السير الحسن لهده المهنة وذالك بمراقبة مدي قيام الموثق بالواجبات المفروضة علية بموجب هدا القانون والتي في حالة الإخلال بالتزاماته فانه يرتب عليه جزاء معين وهدا الجزاء هو اثر لمسؤولية معينة للموثق، سواء كانت المسؤولية المدنية او الجزائية او التأديبية ويرجع في تحديد أساس هده المسؤولية للقواعد العامة، سواء في القانون المدني بالنسبة للمسؤولية المدنية للموثق أو في القانون الجنائي بالنسبة للمسؤولية الجزائية للموثق اما المسؤولية التأديبية فيسأل طبقا للقانون المنظم للمهنة.

الكلمات المفتاحية : مهنة التوثيق- قانون التوثيق- المسؤولية.

Abstract:
The profession of Notary is known evolved over the ages and the Times handled by most of the laws is still fresh of its importance as a means to confer legal protection and guarantees of the transactions between the people by writing and join the Algerian legislature fell asleep profession within the Law No. 06/02 and Executive Decree 242/08, which identified through the rights and duties of the notary also established organizational structures to monitor Sir Hassan Murdkhai Elyahu profession altogether 1,926 and monitor the extent to which the Notary of the duties imposed on the attic under eased law, which in the case of a breach of its commitments, it entail certain parts and eased the Hague is the impact of certain responsibility of Notary, whether civil liability or criminal or disciplinary proceedings and due in determining the basis for this responsibility to the general rules, both in civil law in civil liability of Notary or in criminal law for Criminal responsibility of Notary either disciplinary responsibility Feisal according to the law governing the profession.

Keywords: **Notary profession. Documentation Act. Responsibility**.

المقدمة:

تعتبر مهنة التوثيق ذات أهمية بالغة في المجتمع وفي المنظومة القانونية ،وعرفت الدول الإسلامية هذه المهنة مند عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ،عندما خصه الشارع الحكيم بأطول آية في القرءان الكريم في قوله تعالي في سورة البقرة "**يأيها الدين امنوا إذا تدانيتم بدين إلى اجل مسمى فاكتبوه**"[1]

ونضرا لأهمية التوثيق أخضعها المشرع الجزائري لنظام قانوني، يحدد طريقة تنظيم هذه المهنة من تبيان لصلاحيات الموثق باعتباره شخص غير عادي يستمد سلطته من القانون وفي مقابل هذه الحقوق فرض عليه التزامات يترتب على الإخلال بها قيام المسؤولية التي يقابلها مجموعة من الجزاءات وعليه فان الإشكالية التي تثار وهي كيف نظم المشرع الجزائري مهنة التوثيق وعلي أي أساس تقوم مسؤوليته عن أخطائه المهنية ؟

---

[1] -الاية 282 :من سورة البقرة

للإجابة علي هده الإشكالية اتبعنا خطة كلاسيكية مزدوجة متكونة من مبحثين المبحث الأول تعرضنا فيه إلي تنظيم مهنة التوثيق ضمن مطلبين المطلب الأول ماهية التوثيق والمطلب الثاني التنظيم الهيكلي للمهنة أما المبحث الثاني فخصصناه لتأصيل فكرة المسؤولية ضمن مطلبين المطلب الأول الأساس القانوني للمسؤولية المدنية والمطلب الثاني خصصناه للأساس القانوني للمسؤولية التأديبية والجزائية.

المبحث الأول :تنظيم مهنة التوثيق:

إن دراسة التنظيم القانوني لمهنة التوثيق يقتضي منا التعريف بهذه المهنة وإبراز التطور التشريعي للقوانين التي تعاقبت علي تنظيم مهنة التوثيق للوصول الي القانون الحالي المحدد لقواعدها.

المطلب الأول: ماهية التوثيق :

لقد تعددت وتعاقبت النصوص التشريعية التي نظمت مهنة التوثيق منذ الاستقلال عبر عدة مراحل

الفرع الاول: التطور التشريعي لمهنة التوثيق :

لقد تداولت النصوص التشريعية التي تنظم مهنة التوثيق علي اختلاف المراحل التي مرة بها قبل صدور قانون رقم 06/02[1]

أولا- المرحلة الأولي الاستعمارية من 1830 إلى 1962 :

كانت وظيفة التوثيقية في هذه المرحلة خاضعة لقانون قديم يعود إلى تاريخ 25 فانتوز من السنة الحادية عشرة وهو ما يطابق 16 مارس 1803 ،الذي دخل حيز التنفيذ بالجزائر بموجب القرار الصادر بتاريخ 31 ديسمبر 1842، وقد نظم هذا القرار ممارسة مهنة الموثق دون أن يعيد النظر في النظام القائم، مما أوجد ولمدة طويلة نظامين وهما :

-النظام التقليدي المجسد في "المحكمة الشرعية" والذي تمتد اختصاصاته إلى الجزائريين المسلمين دون سواهم[2].

-النظام المسمى بالعصري والذي كان تطبيقه ينحصر تقريبا على الأوروبيين فقط، مع إمكانية تطبيقه على الجزائريين الذي يختارون الخضوع للقانون المدني الفرنسي ، فقد كان هذا النظام إذن انتقائي ولكن بعد إنشاء محاكم الصلح ومحاكم الدرجة الأولى ،أصبحت المحاكم التقليدية عبارة عن "جهات قضائية استثنائية" بالنسبة لاختصاصاتها القضائية وقد أدت هذه الازدواجية في النظام التوثيقي والقضائي إلى جعل القانون الفرنسي هو الشريعة العامة أما الشريعة الإسلامية فهو قانون استثنائي

تانيا – المرحلة الثانية التوثيق في الجزائري منذ الاستقلال وإلى غاية 2006

قد تقرر تمديد العمل بهذا النظام المزدوج بموجب القانون 157/62 عدا بعض التعديلات الطفيفة في الميدان التنظيمي القائم في هذه المرحلة، فقد أبقي النظام التوثيقي على النحو المذكور أعلاه (الازدواجية) وذلك بفعل القانون الصادر في 31 ديسمبر 1962 الذي مدد إلى أجل لاحق العمل بالتشريع الفرنسي باستثناء أحكامه المخالفة للسيادة الوطنية أو ذات طابع استعماري أو تمييزي أو تمس بالحريات الديمقراطية.

لقد أحدث الإصلاح المعتمد في 15 ديسمبر 1970 ثورة في النظام التوثيقي في الجزائر.

فوحد ، قبل كل شيء نظام التوثيق وبسطه بإدماج المحاكم ومكاتب التوثيق في مؤسسة موحدة ومجددة ، وبعدها أسند هذا الإصلاح للوظيفة التوثيقية إلى أعوان الدولة يخضعون للقانون الأساسي العام للوظيف العمومي[3].

غير أن ما هو مؤكد أن هذه التجربة لم تأت بالنتائج المرجوة، فلذلك لجأ المشرع الجزائري إلى سن تشريع جديد أسند ممارسة هذه المهنة للحساب الخاص، وبالنتيجة ملء الفراغ الملاحظ في هذا المجال.

---

[1]- القانون رقم 06/02 المؤرخ في 20فبراير 2006يتضمن تنظيم مهنة التوثيق جريدة رسميةعدد14 الصادرة بتاريخ 8مارس 2006 .

[2]-بلحو نسيم ،المسؤولية القانونية للموثق ،اطروحة دكتورا ،جامعة محمد خضير بسكر ،سنة 2014-2015 ،ص12،13 ،14 .

[3] - بلحو نسيم ،المسؤولية القانونية للموثق ، ،المرجع السابق ص14

هذه المهنة اصبحت ذات طابع حر منذ إصدار القانون رقم 27/88 المؤرخ في 12 جويلية المتعلق بتنظيم التوثيق، الذي أعاد تنظيم مهنة التوثيق وجعلها مهنة حرة يتولى تسييرها ضابط للحساب الخاص منذ الفاتح جانفي 1990، حيث عرفت المادة الخامسة منه الموثق عموميا يتولى تحرير العقود التي يحدد القانون صيغتها الرسمية.

نظرا لدخول الدولة الجزائرية إلى اقتصاد السوق وما تطلب ذلك من توسع في الأنشطة التجارية والاقتصادية كل ذلك استدعى إعادة تنظيم مهنة التوثيق حيث صدر القانون رقم 02/06 المؤرخ في 20 فبراير 2006 (ج ر عدد 2006/15)، كما أن هذا القانون نظم صلاحيات الموثق وسلطته في تحرير العقود، كما نظم أشكال العقود التوثيقية ومضمونها وكل الأمور التي تقتضيها هذه المهنة[1]

الفرع الثاني: مفهوم التوثيق:

أولا- التعريف القانوني للموثق:

عرف المشرع الجزائري الموثق بموجب المادة الثالثة من قانون التوثيق بأنه "الموثق ضابط عمومي مفوض من قبل السلطة العمومية يتولي تحرير العقود التي يشترط فيها القانون الصبغة الرسمية وكدا العقود التي يرغب الأشخاص إعطاءها الصبغة "[2]

لقد ألزم القانون علي الموثق بتحرير العقود الرسمية لإضفاء الصبغة الرسمية علي المعاملات ،سواء التي يشترط فيها القانون فيها الشكلية وهو ما نصت عليه المادة 324 مكرر من القانون المدني الجزائري [3] ،أو المعاملات التي يرغب الأشخاص بمحض إرادتهم إعطاءها الصبغة الرسمية دون ان يلزمهم القانون ذالك

تانيا -خصائص مهنة التوثيق:

تتميز مهنة التوثيق بمجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من المهن الحرة وتتمثل فيما يلي

-إنها مؤسسة تنشأ بموجب قرار من وزير العدل حافظ الأختام [4]بعد النجاح في المسابقة التي يحدد كيفيات تنظيمها وتسيرها وزارة العدل بعد استشارة الغرفة الوطنية للموثقين [5]

عند نجاح الحائزون علي شهادة الكفاءة المهنية للتوثيق يعينون بصفتهم موثقين بعد أداء اليمين القانونية أمام المجلس القضائي بمكان تواجد مكتبه.

التوثيق نظام إجرائي

-ان التوثيق هو نظام إجرائي باعتباره مجموعة من الإجراءات القانونية التي يجب على الموثق إتباعها للقيام بمهامه المحددة بموجب القانون[6].

التوثيق نظام إثباتي للتوثيق أهمية بالغة من حيث القوة الثبوتية، فالعقود المحررة من طرف الموثق هي محررات رسمية لا يمكن الطعن بها إلا عن طريق التزوير.

ثالثا -علاقة التوثيق بباقي الإجراءات القانونية

---

[1]-بلحو نسيم ،المرجع السابق ص 16

[2]-المادة 3 من القانون رقم 06/02 السالف الذكر

[3]-القانون المدني الجزائري المعدل والمتمم

[4]-المادة 2 من القانون رقم 06/02 السالف الذكر

[5]-المادة 5 من نفس القانون

[6]- مهنة التوثيق وفقا لقانون 02/06 مقال للغزالي نصيرة منشور علي الموقع الالكتروني http://www.droitetentreprise.org/web

ان مهنة التوثيق لها علاقة بالمهن الاخرى المرتبطة بها فالمراحل التي يمر بها العقد لترتيب الآثار القانونية هي متكاملة في ما بينها فلا يكفي تحرير العقد في شكل رسمي بل هناك إجراءات تكمله ألا وهي إجراء التسجيل لذي مصلحة الطابع والتسجيل، وكلا منهما يشتركان في تقديم خدمة للمواطن حيث لزوما يقوم الموثق بتسجيل العقود التي يقوم بتحريرها ليقوم مكتب مفتشية التسجيل بمصلحة الضرائب بتسجيلها خلال مدة 48ساعة تحت طائلة عقوبات تأديبية يتعرض لها الموثق.

كما له علاقة وطيدة بالشهر العقاري لأنه بدون هذا الإجراء الذي يكمل إجراء تحرير العقد وتسجيله ليتم شهره بالمحافظة العقارية التي بموجبه تنتقل الملكية ،فالشهر يعطي الحجية المطلقة للتصرفات التي تنصب علي العقار لانه لا بتم الا بعد ان يقوم المحافظ العقاري بتمحيص العقد ومراقبته من حيث الشكل والمضمون[1].

الفرع الثاني: شروط الالتحاق بمهنة الموثق ومهامه

للراغب في الالتحاق بمهنة التوثيق لا بد ان تتوفر فيه مجموعة من الشروط ليباشر مهامه المحددة بموجب القانون

أولا -شروط الالتحاق بمهنة التوثيق:

حدد المشرع الجزائري بموجب المادة 6من قانون التوثيق رقم 06/02

مجموعة من الشروط لممارسة مهنة التوثيق وهي:

-التمتع بالجنسية الجزائرية.

-حيازة شهادة الليسانس.

-بلوغ سن 25 على الاقل.

-التمتع بالحقوق المدنية والسياسية.

-التمتع بشرط الكفاءة البدنية الضرورية لممارسة المهنة[2].

تانيا -مهام الموثق

ان للموثق مهام يجب القيام بها وذالك بموجب ما حده القانون 06/02 المنضم للمهنة هي محددة علي سبيل الحصر إذ لا يمكن للموثق مباشرة مهام أخري دون تلك التي حددها القانون وهي :

-تحرير وحفظ العقود التي يحررها أو يستلمها للإيداع وحفظ الأرشيف التوثيقي

-السهر على تنفيذ إجراءات التسجيل والإعلان والنشر وشهر العقود في الآجال المحددة

-يتوجب عليه تسليم نسخة تنفيذية للعقود والتي تم تحريرها أو نسخ عادية منها أو مستخرجات.

-التأكد من صحة العقود الموثقة وتقديم النصائح الاستشارية الى الأطراف والالتزام بإعلامهم عن التزاماتهم

-لا يحق له إفشاء السر المهني إلا بإذن مكتوب من الأطراف أو بموجب إعفاءات

- عدم الامتناع عن تحرير أي عقد يطلب منه إلا اذا كان العقد مخالف للقوانين والأنظمة ويعاقب كل من يتعرض له خلال تأدية مهامه.

-الموثق ملزم بتحسين مداركه العلمية والمشاركة في أي برنامج تكوني والتحلي بالمواظبة والجدية خلال تكوينهم والمساهمة في تكوين الموثقين ومستخدمي مكاتب التوثيق [3]

---

[1]- وسيلة وزاني ،وضيفة التوثيق في النظام القانوني الجزائري دراسة قانونية وتطبيقية ،الطبعة التانية ،دار الهومة للنشر والتوزيع ،الجزائر 2012 ص17،18،19.

[2]- المادة 06من القانون رقم 06/02 السالف الذكر.

[3]-المادة 15،16،17،18،19 من نفس القانون

ولقد حدد القانون رقم 06/02 في نصوصه القانونية مجموعة من البيانات والشروط التي يجب ان يتضمنها العقد المحرر من طرف الموثق تحت طائلة بطلان هذا العقد.[1]

اما العقود الموثقة من طرف السلطات الأجنبية لا يتم تفنيدها في الجزائر إلا اذا تم المصادقة عليها من طرف رئيس المحكمة مالم تنص علي خلاف ذالك الاتفاقيات الدولية المصادق عليها من طرف الجزائر [2]

تسلم نسخة الممهورة بالصيغة التنفيذية للعقد التوثيقي ويسري عليها ما يسري علي الحكم القضائي تم يأشر على الأصل بتسليم النسخة التنفيذية، ويجب الإشارة على انه لا تسلم إلا نسخة واحدة تحت طائلة العقوبات التأديبية إلا إذا تم الحصول علي أمر من رئيس المحكمة التي يقع في دائرتها مكتبه [3]

كما وضع المشرع الجزائري بدائل في حالة غياب الموثق عن مكتبه او حصل له مانع مؤقت ولتفادي تعطيل مصالح المواطنين، ففي حالة شغور مكتبه بسبب الوفاة او عزله او توقيفه فيعين وزير العدل موثقا بناءا على اقتراح رئيس الغرفة الوطنية للموثقين يسير مهمة المكتب

المطلب الثاني:التنظيم الهيكلي لمهنة التوثيق

لقد نضم المشرع الجزائري مهنة التوثيق عن طريق تأسيس هيئات تسهر على السير الحسن لهذه المهنة وتتمثل هده الهيئات في المجلس الأعلى للتوثيق والغرفة الوطنية والغرفة الجهوية.

الفرع الأول :هيئات مهنة التوثيق

أولا-المجلس الأعلى للتوثيق

نصت المادة 19 من المرسوم التنفيذي رقم 08/242[4] علي تشكيلة المجلس الأعلى للتوثيق، يتشكل من وزير العدل حافظ الأختام الذي يترأسه لدراسة كل المسائل ذات الطابع العام المتعلقة بالمهنة ومدير الشؤون المدنية وختم الدولة بوزارة العدل ومدير الشؤون الجزائية وإجراءات العفو بوزارة العدل ورئيس الغرفة الوطنية للموثقين ورؤساء الغرف الجهوية للموثقين ويمكن للمجلس الأعلى الاستعانة بكل شخص يمكنه بحكم كفاءته من أداء مهامه[5]

أ- مهام المجلس الأعلى للتوثيق: أوكلت للمجلس مهمة أخطار المجلس الأعلى للتوثيق ،لرئيس الغرفة الوطنية ورؤساء الغرف الجهوية في كل مسالة ذات طابع عام تخص مهنة التوثيق ويجتمع المجلس الأعلى للتوثيق بناءا علي استدعاء من رئيسه مرتين وذروة غير عادية ويتولي أمين المجلس الأعلى للتوثيق تحرير المحاضر عن جلسات المجلس ليوقعها الرئيس ويرسلها للغرفة الوطنية والغرف الجهوية للموثقين من اجل تنفيذها[6]

ثانيا -الغرفة الوطنية للموثقين:

تتمتع الغرفة الوطنية للموثقين بالشخصية المعنوية وتسعي لتنفيذ واحترام قواعد المهنة وأعرافها ولقد حددت المادة 31من القانون رقم 06/02تشكيلة هده الغرفة

تجتمع الغرفة مرة كل ثلاث أشهر في دورة عادية ودورات غير عادية [7]

---

[1]- المواد 14،15،16،17،18،19،20،21 من القانون رقم 06/02 التي حددة البيانات والشروط التي يجب ان يراعيها الموتق عند تحرير العقد

[2]-المادة 30من نفس القانون

[3]-المادة 33،34 من القانون رقم 06/02 السالف الدكر

[4]- المادة 19 من المرسوم التنفيذي قم 08/242المؤرخ في 8مارس 2008الدي يحدد شروط الالتحاق بمهنة التوثيق وممارساتها ونضامها التأديبي وقواعد تنظيمها الجريدة الرسمية عدد45الصادرة بتاريخ 6اوت 2006

[5]- المادة 44 من القانون رقم 06/02 المذكور سابق .

[6]-المادة 22،23،24 من المرسوم رقم 08/242 المذكور سابقا

[7]-المادة 29 من نفس المرسوم

مهام الغرفة:

تتمثل مهام الغرفة في مجموعة من الأولويات هي :

-ضمان احترام قواعد المهنة وأعرافها.

-إعداد وثيقة أخلاقيات مهنة الموثق.

-تطبيق قرارات المجلس الأعلى للتوثيق.

-التكوين المستمر للموثقين ومستخدميهم.

-تنظيم الملتقيات والمؤتمرات والأيام الدراسية.

-الوقاية من كل نزاع ذات طابع مهني يقوم مابين الغرف الجهوية واتخاذ القرارات المناسبة [1]

ثالثا-الغرفة الجهوية للموثقين:

تنشأ الغرفة الجهوية للموثقين والتي تتمتع بالشخصية المعنوية لمساعدة الغرفة الوطنية لتأدية مهامها تتشكل من موثقين ذو خبرة سبعة سنوات على الأقل، لقد حددت تشكيلتها المادة 46 من القانون 06/02 المنضم لمهنة التوثيق.

-تختص الغرفة الجهوية للموثقين بمساعد الغرفة الوطنية في أداء مهامها وتمثيل الموثقين فيما يخص حقوقهم ومصالحهم.

-اتقاء كل نزاع ذو طابع مهني بين الموثقين والسعي إلي الصلح والفصل بقرار فوري التنفيذ في حالة عدم التوصل للصلح.

-دراسة كل الشكاوى المرفوعة من طرف الغير ضد الموثقين واتخاذ التدابير الأزمة حيال ذالك

-تقديم الاقتراحات التي من شأنها تحسين العمل ومكاتب التوثيق [2]

الفرع الثاني: الرقابة علي مهنة التوثيق

أولا- إجراءات المراقبة

تخضع مكاتب التوثيق أثناء ممارسة نشاطها للرقابة والتفتيش بموجب القانون من طرف وزير العدل وحافظ الأختام من طرف الغرفة الوطنية بالتنسيق مع الغرفة الجهوية للموثقين -النضر في الشكاوى وتقارير جهات الرقابة مع إلزامية الإرسال الفوري للنسخ من تقارير التفتيش الى وزير العدل ورئيس الغرفة الوطنية ورئيس الغرفة الجهوية [3]

الرقابة في حالة ارتكاب الموثق المخالفة.

في حالة ارتكاب مخالفة للقواعد المنضمة لمهنة التوثيق يتعرض الموثق لعقوبات تأديبية متمثلة في الإنذار والتوبيخ والتوقيف عن المهنة لمدة أقصاها 6 أشهر بالإضافة للعزل

يهدف نضام المراقبة والتفتيش إلى ضمان السير الحسن لمكاتب التوثيق [4] كما يختص بتأديب الموثقين المجلس التأديبي الذي ينشأ علي مستوي كل غرفة جهوية بعد أن يصل الملف الخاص بمرتكبي المخالفة عن طريق وزير العدل أو من طرف الغرفة الوطنية للموثقين ويحال إلي المجلس التأديبي للغرفة الجهوية أما إذا كانت الدعوى التأديبية تخص رئيس الغرفة الوطنية فانه يحال إلى إحدى المجالس التأديبية التي يحددها وزير العدل [5] ويحق الطعن في القرارات الصادرة عن

---

[1]-المادة 22،23،24 من نفس المرسوم

[2]-المادة 33،34 من المرسوم 08/242المذكور سابقا

[3]-المادة 49،50،51،52 من القانون رقم 02/06 المذكور سابق

[4]-المادة 49،50،51،52 من نفس القانون

1-المادة 56من القانون06/ 02 المذكور سابق

المجلس التأديبي أمام اللجنة الوطنية للطعن كما تتقادم الدعوي التأديبية بمرور ثلاث سنوات ابتداء من يوم ارتكاب الأفعال المخالفة [1] .

ثانيا -اللجنة الوطنية للطعن:

تختص اللجنة الوطنية للطعن بالفصل في الطعون المقدمة ضد قرار المجلس التأديبي مشكلة من ثمانية أعضاء أساسين وأربعة قضاة برتبة مستشار بالمحكمة العليا يعينهم وزير العدل من بينهم رئيس اللجنة ومن أربع موثقين، تختص اللجنة الوطنية للطعن بالفصل في الطعون المقدمة ضد قرارات المجلس التأديبي ويجوز الطعن في قراراتها أمام مجلس الدولة [2].

إن لمهنة التوثيق أهمية بالغة بالنسبة للدولة والأفراد، مما يتج عن تحرير العقود من حماية للحقوق المكتسبة ولذا نضم المشرع الجزائري هده المهنة بموجب مجموعة من القواعد ضمن نصوص قانونية يجب علي الموثق احترامها وإلا قامت مسؤوليته عن ارتكاب المخالفة التي ينجر عنها المساءلة بالإضافة إلى عقوبات تأديبية ومدنية وجزائية ولكن ما هو الأساس الذي تقوم عليه فكرة مسؤولية الموثق هذا ما سنتعرض له في المبحث الثاني .

المبحث الثاني : تأصيل فكرة المسؤولية

إن تأصيل فكرة المسؤولية ينحصر في العوامل التي ساهمت في بلورتها سواء كانت المسؤولية الأدبية او المدنية او الجزائية وهذا ما يقتضي منا معرفة الطبيعة القانونية لكل مسؤولية .

المطلب الاول: الأساس القانوني للمسؤولية المدنية

بالرغم من أهمية المسؤولية المدنية للموثق إلا ان المشرع لم يتطرق في القانون المنظم للمهنة وكذا القانون المدني إلى أحكام خاصة بمسؤولية الموثق وإنما أخضعها للقواعد العامة للمسؤولية المدنية.

تثار مسؤولية الموثق في المسؤولية المدنية عندما يرتكب الموثق حال تأدية وضيفته أو بسبها خطأ تسبب ضرر للزبون[3]. وهنا يثار التساؤل ما هو أساس هده المسؤولية هل هي مسؤولية عقدية ام تقصيرية

لقد اختلفت الاتجاهات الفقهية في تحديد طبيعة المسؤولية المدنية للموثق خاصة مع سكوت القانون المهني في تحديد أساس هده المسؤولية مما نتج عنه صعوبة في تكيفها هل هي مسؤولية عقدية ام تقصيرية

الفرع الاول :الاختلاف الفقهي حول تحديد المسؤولية:

أولا -الاتجاه الأول:وهو الاتجاه القائل بأن مسؤولية الموثق المدنية هي مسؤولية عقدية

ذهب بعض رجال الفقه القانوني إلى اعتبار المسؤولية المهنية بصفة عامة والموثق بصفة خاصة هي مسؤولية عقدية يكون أساسها الإخلال بالتزام عقدي[4]. واعتبروا أن الأطراف المتعاقدين اختاروا بمحض إرادتهم التعامل مع هذا الموثق وفق اختيارهم وقبول هذا الأخير المهمة.

ثانيا -الاتجاه الثاني :هو الاتجاه القائل بمسؤولية الموثق هي مسؤولية تقصيرية

أسسوا هذه الفكرة علي أساس انتقاداتهم للاتجاه الأول واعتبر وانه من المستحيل تصور وجود عقد بين أصحاب المهن الحرة وبين المتعاملين معهم واعتبر ان الأعمال الأدبية والفنية والعلمية لا يمكن ان تكون محلا للتعاقد من الناحية المدنية وان مصدر التزامات الموثق ليست العقد بل هو القانون، لذا يتعين عليه عدم الإخلال بهده الالتزامات

ثالثا- الاتجاه الثالث :هو الاتجاه الجامع للمسؤوليتين

---

[1]-المادة 59 ،62 من نفس القانون

[2]-المادة 65،66،67من نفس القانون

[3]-الدكتور عباس محمد الحسيني ،مسؤولية الصيدلي المدنية عن أخطائه المهنية ،عمان ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،1999،

[4]- الدكتور وهبة الخطاب ،المسؤولية المدنية للمحامي ،مكتبة عبد الله وهبة ،الطبعة الثانية ،سنة 1996،ص22

يري أصحاب هذا الرأي إلي اقتراح المبدأ المتناوب او المتعاقب واعتبروا أن أساس كل من المسؤولية التقصيرية والعقدية هو حسب ضرر كل واقعة وبمراعاة الشروط التي يتدخل بها او من خلالها الموثقون [1]فإذا كان هذا موقف الفقه فان القضاء الجزائري لم يهتم بمسألة تحديد الطبيعة القانونية لمسؤولية الموثق المدنية.

ان الموثق رغم انه ضابط عمومي إلا ان لجوء الأطراف إليه غالبا ما يكون بإبرام عقد معه فاذا أخل بواجباته فان الزبون له ان يختار مابين الإخلال بالتزام تعاقدي او المسؤولية التقصيرية عن الاضرار التي لحقت به نتيجة تقاعس او إهمال الموثق.

الفرع الثاني :أركان المسؤولية المدنية للموثق:

لا تقوم المسؤولية المدنية للموثق إلا بتوفر ثلاث عناصر وهي الخطأ والضرر وعلاقة السببية.

أولا-الخطأ: ان تحديد الخطأ التوثيقي اللازم لقيام المسؤولية المدنية يقتضي التعرض لمعاير هذا الخطأ.

إن مسؤولية الموثق المدنية ذات طبيعة قانونية خاصة، وهي في أصلها من طبيعة تقصيرية فيسأل الموثق علي أساس المادة 124 ما يليها من القانون المدني[2]. فالموثق لا يسأل فقط عن أخطاءه العمدية بل يسأل أيضا عن أخطاءه بسب إهماله الذي لا يرتكبه موثق متوسط الحرص واليقظة والدراية القانونية، كما انه ملزم ببذل عناية بخصوص إرشاد زبائنه[3].

ثانيا -الضرر: يمثل الضرر المحور الأساسي للتعويض[4].

والقاعدة انه لا تعويض عن الخطأ ما لم بسبب ضرر فمعناه لا تعويض إذ لم يكن هناك ضرر

ثالثا-علاقة السببية، يشترط في الضرر المطلوب التعويض عنه ان يكون نتيجة مباشرة لخطأ المدعى عليه أي قيام رابطة السببية يقتضي أن يكون الخطأ هو السبب المباشر للضرر ويقع على المضرور عبء إثبات رابطة السببية بين الخطأ والضرر.[5]

وعليه فان الموثق مسئول عن أخطاءه تجاه الزبون ولهذا الأخير حق الرجوع على الموثق شخصيا وإن دعوى رجوع الزبون علي الموثق تخضع في تقادمها للأحكام العامة في القانون المدني، ويشترط لقيام المسؤولية توافر الأركان العامة وهي الخطأ سواء كان جسيما ام بسيطا، عمديا او غير عمدي ويقاس في سلوكه سلوك الموثق المتوسط من حيث الكفاءة واليقظة ثم الضرر والعلاقة السببية ما بين الخطأ والضرر.

المطلب الثاني : أساس المسؤولية الجزائية والتأديبية للموثق

تشترك المسؤولية الجزائية والمسؤولية التأديبية في مجال معاقبة الموثقين فيسأل الموثق تأديبيا بوصفه ضابط عمومي أخل بواجباته المهنية ويسأل جزائيا عن الجرائم الناتجة عن ممارسة وضيفة التوثيق، بصفته ضابط عمومي.

- **الفرع الأول: أساس المسؤولية الجزائية والتأديبية**

ان البحث عن أساس المسؤولية الجزائية هو مرتبط بصفته ضابط عمومي سواء كان الفعل المقترف والمعاقب عليه قد ارتكبه تجاه زبائنه أو مصالح الدولة التي فوضته بجزء من مهامها.

لقد اختلفت الاتجاهات في تحديد أساس المسؤولية الجزائية للمهنيين وفرق بين طائفتين من الجرائم التي يمكن للموثق أن يحاسب عليها[1].

---

[1]-الدكتور محي الدين إبراهيم سالم ،ذاتية مسؤولية الموثق ،2003.

[2]--المادة 124من القانون المدني "كل فعل ايا كان يرتكبه الشخص بخطئه ويسبب ضررا للغير يلزم من كان سببا في حدوته في التعويض

[3]-الدكتور بقني بن عمار ،مهنة التوثق في القانون الجزائري ،دار الجامعة الجديدة سنة2013ص132

[4]-الدكتور مصطفي الجمال ،القانون المدني في ثوبه الاسلامي ،مصادر الالتزام ،ص592

[5]- الدكتور حسام الاهواني ،النظرية العامة للالتزام ،الجزء الأول ،مصادر الالتزام ،الطبعة التانئة سنة 1995،ص56

-النوع الأول: وهي التي لا تتعلق بالتزاماته المهنية وعمله وهي التي تتعلق بالشرف والكرامة وهي جرائم لا صلة لها بنشاطه المهني طالما انها تمس الشرف.

-النوع الثاني: وهي الجرائم المتصلة بالنشاط المهني فهي الجرائم التي تمثل الإخلال بالالتزامات المهنية وهي تنقسم الى جرائم ارتكبها الموثق بوصفه مواطنا عاديا مثل جرائم النصب والاحتيال وخيانة الأمانة والضرب ....

-النوع الثالث: فيشكل انتهاكا بأحد الالتزامات المهنية المحددة في القانون المنظم لمهنة التوثيق مثل إفشاء السر المهني.

الفرع الثاني: أركان المسؤولية الجزائية للموثق:

لا تقوم مسؤولية الموثق إلا بتوافر مجموعة من الأركان وهي

أولا- الخطأ الجزائي للموثق: لا يخرج عن مدلول الخطأ المهني أو عن مسؤولية الموثق عن الخطأ الواقع أثناء مباشرته وضيفته أو بسببها وتدخل في نطاقه المسؤولية المهنية بوجه عام وعليه فان الخطأ الجزائي للموثق هو عدم قيامه بالالتزامات التي فرضتها عليه وضيفته وتميز بعض الاتجاهات بين الخطأ العادي والخطأ المهني فالخطأ المادي العادي هو الذي لا يكون له صلة بالمهنة أي يقع فيه الموثق كما يقع فيه غيره من الناس أما الخطأ المهني فهو الذي يتصل بالقدرات العلمية والفنية للموثق والخطأ المهني لا يرقي إلى درجة المساءلة إلا في حالات الجهل الفاضح[2].

ثانيا -الضرر

لا يشترط تحقق الضرر في المساءلة الجنائية لان القصد الجنائي في هذا النوع من الجرائم هو الركن الأساسي لتوقيع الجزاء أما في الجريمة الغير عمدية التي تقع نتيجة الخطأ المهني فهنا يشترط تحقق الضرر لقيام المسؤولية.

ثالثا-علاقة السببية بين الخطأ والضرر الجزائي للموثق:

ومعنى علاقة السببية هي أن تكون النتيجة الضارة ناتجة عن سلوك أتاه الجاني فركن السببية هو أحد المبادئ الرئيسية في القانون الجنائي وعليه فلقيام مسؤولية الموثق يجب إثبات أن ما لحق الزبون أو الغير كخزينة الدولة بسبب خطأ أتاه الموثق.

الخاتمة:

خلاصة هذه الدراسة أن المشرع الجزائري نظم مهنة التوثيق ضمن القانون رقم02/06 والمراسيم المنظمة له فحدد الالتزامات التي تقع على عاتقة في أداء مهامه والهياكل التنظيمية المنضمة لهذه المهنة إلا انه يحدد ضمن قانون خاص ما هو أساس مسؤولية الموثق خاصة منها المدنية وترك تكيف هده المسؤولية للقواعد العامة ومنها المادة 124 من القانون المدني مما جعل الاختلاف بين القانونين في تكييف هذه المسؤولية وعليه خرجنا ببعض النتائج على النحو التالي:

النتائج:

- الموثق يعتبر شخص يختلف عن الأشخاص العاديين من حيث طبيعة المهنة وهدفها أو أهميتها التي تتطلب منه الحرص والعناية أكثر من مما يتطلبه في الشخص العادي.

- الموثق يسأل عن فعله الشخصي كما يسأل عن خطأ الغير ممن استعان بهم كالمساعدين فهي مسؤولية المتبوع عن أعمال تابعيه.

---

[1]- الدكتور وهبة الخطاب ،المسؤولية المدنية للمحامي ،مكتبة عبد الله وهبة ،الطبعة الثانية ،سنة 1996

[2]- الدكتور حسين الطاهر ،صور ممارسة المهن الحرة وأثرها علي ممارسة المهنة ،دار النهضة القاهرة ،ص15

-إن أساس المسؤولية الجزائية للموثق تختلف باختلاف الجريمة التي ارتكبها واقترفها بصفته مواطنا عاديا شخص عادي فهنا يعامل معاملة سائر الأفراد، أما إذا ارتكبها بصفته ضابط عمومي اي بصفته موثق فهنا نظر المشرع لهده الجريمة نظرة خاصة باعتبارها ناتجة عن جزاء الإخلال بأحد الالتزامات المهنية المنصوص عليها في قانون التوثيق والقوانين الخاصة.

-إن اختلاف مسؤولية الموثق بتعدد أنواعها واتساع نطاقها وخطورة الجزاءات المقررة لها ليست كفيلة بضمان حقوق المواطن من جهة وحماية الموثق من جهة أخرى من التلاعبات القانونية التي يستعملها الأطراف للاحتيال ويسأل عنها الموثق رغم انه لم يكن شريكا فيها بل تقوم مسؤوليته فقط لعدم حرصه ورعونته، ورغم هذا لا يمكن للموثق في غالب الأحيان اكتشاف هذه المخالفات.

التوصيات:

-ضرورة تحديد أساس مسؤولية الموثق وخاصة المدنية ضمن القانون المنظم للمهنة لوضع حد للتضارب الحاصل في تحديد هذه المسؤولية والتي يرجع في تحديديها للقواعد العامة.

- ضرورة مراعاة المشرع في تحديد مسؤولية الموثق، حيث أن الموثق شخص يختلف عن الأشخاص العاديين من حيث طبيعة المهنة وأهدافها وأهميتها فيتطلب منه الحرص والعناية اللازمة أكثر مما يتطلبه الشخص العادي.

-ضرورة إعادة النظر في تحديد الأخطاء المهنية المقابلة للعقوبة المهنية وهو النقص الذي لم يتداركه المشرع في النظام الداخلي لمهنة التوثيق.

المراجع:

المــؤلـفـات

أولا: الكتب:

- الدكتور حسام الاهواني، النظرية العامة للالتزام، الجزء الاول، مصادر الالتزامات، 2002الطبعة الثانية سنة

--وسيلة وزاني، وظيفة التوثيق في النظام القانوني الجزائري دراسة قانونية وتطبيقية، الطبعة الثانية، دار الهومة للنشر والتوزيع، الجزائر 2012

- الدكتور ماهر عبد الهادي، الشريعة الإجرائية في التأديب، دار النهضة العربية الطبعة الثانية 1986.

الدكتور عبد الحكم فودة، البطلان في قانون المدني والقوانين الخاصة، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، سنة1993

-الدكتور عباس محمد الحسيني، مسؤولية الصيدلي المدنية عن اخطاءه المهنية، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،1999

- الدكتور وهبة الخطاب، المسؤولية المدنية للمحامي، مكتبة عبد الله وهبة، الطبعة الثانية، سنة 1996

-الدكتور حسين الطاهر، صور ممارسة المهن الحرة وأثرها على ممارسة المهنة، دار النهضة القاهرة

الكتب المتخصصة:

-الدكتور بقني بن عمار، مهنة التوثيق في القانون الجزائري، دار الجامعة الجديدة سنة2013

--وسيلة وزاني، وظيفة التوثيق في النظام القانوني الجزائري دراسة قانونية وتطبيقية، الطبعة الثانية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر 2012

رسـائل:

بلحو وسيم، المسؤولية القانونية للموثق، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد خضير بسكرة ،سنة 2014-2015
.

مـقـالات:

مهنة التوثيق وفقا لقانون 02/06 مقال للغزالي نصيرة منشور علي الموقع الالكتروني http://www.droitetentreprise.org/web

النـصـوص القـانونيـة

1-القوانين:

- القانون المدني المعدل والمتمم.
- قانون رقم 02/06 المؤرخ في 2006/02/20، المتضمن تنظيم مهنة التوثيق، (جريدة رسمية عدد 18 المؤرخة في 2006/03/08).

02-**المراسيم:**

-المرسوم التنفيذي رقم 08/242 المؤرخ في 08 مارس 2008 الجريدة الرسمية عدد45 الصادرة ب تاريخ 6 اوت 2008 الذي يحدد شروط الالتحاق بمهنة التوثيق وممارساتها

الوساطة الجزائية في الجزائر كبديل للعدالة القمعية

د.راضية مشري
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة 08 ماي 45 قالمة

الملخص:
تعد الوساطة الجزائية أحد أهم البدائل المستحدثة للدعوى العمومية والتي أخذت بها العديد من التشريعات الجنائية بما فيها القانون الجزائري بموجب تعديل قانون الإجراءات الجزائية بموجب الأمر 02/15 وهي وسيلة لحل النزاعات ذات طابع جزائي تقوم على أساس مشاركة الأفراد في العدالة الجنائية عن طريق فكرة التفاوض بين الجاني والمجني عليه على الآثار التي خلفتها الجريمة محاولة إصلاحها للحفاظ على الروابط الاجتماعية، وذلك عن طريق تدخل عضو وسيط، وهذا بعدما أثبت التطبيق العملي عدم صلاحية المتابعة الجزائية في التعامل مع الجرائم البسيطة.
الكلمات المفتاحية: الوساطة الجزائية، العدالة التصالحية، البدائل الحديثة.

-

Abstract :
Penal mediation is one of the most important developed alternatives to public proceedings which has introduced in many criminal legislations, including Algerian law through the amendment of criminal procedure code under the order 15/02. Penal mediation is a form of resolving disputes that has penal nature based on the participation of in individuals in criminal justice through the idea of negotiation between offender and victim attempting to repair crime effects and preserve social connections, and that is through the intervention of a mediator. However, some provisions of this system in Algerian law still require some adjustments in order to achieve desired aims.

مقدمة:

تعد الوسائل البديلة لحل النزاعات من أهم الظواهر القانونية المعاصرة والتي تساعد على تفادي تعقيدات القضاء وكثرة شكلياته والعواقب التي تنجم عنها، لذلك قامت مجموعة النظم القانونية بتبني نظام الوساطة في فروع القانون المختلفة المدنية الإدارية وحتى الجنائية.

ولقد كشف التطور الحاصل في العلوم الجنائية عن عجز النمط التقليدي للعدالة الجنائية في التصدي لظاهرة الإجرام، إذ سجل عجز الجهاز القضائي عن القيام بدوره في تحقيق العدالة الجنائية وأسباب ذلك عديدة منها ظاهرة التضخم التشريعي، وظاهرة الحبس قصيرة المدة وظهور نماذج إجرائية متعددة إلى جانب فشل السجن في دوره الإصلاحي وارتفاع تكلفة الجريمة، ناهيك عن سياسة الإغراق في الشكليات الإجرائية، الأمر الذي أسفر عن نتائج خطيرة على هذه العدالة فكان البطء في الإجراءات الجنائية وحفظ الملفات والإخلال بمبدأ المساواة ... إلخ، مما أدى إلى بروز ما يسمى بأزمة العدالة الجنائية.

أمام هذه الوضع، ولغايات التصدي لهذه الأزمة، بات من الضروري البحث عن خيارات جديدة من شأنها أن تفتح قنوات التواصل بين أطراف الدعوى الجنائية عبر توسيع هامش العدالة التفاوضية، وعليه اتجهت السياسة الجنائية المعاصرة اتجاهين أحدهما موضوعي يتمثل في سياسة الحد من التجريم وسياسة الحد من العقاب والآخر إجرائي يتمثل في بدائل

إجراءات الدعوى الجنائية، فكانت أهم الوسائل التي اعتمدت للخروج من أزمة العدالة الجنائية تكريس العدالة التفاوضية التي تعتمد على آليات جديدة لحل النزاعات خارج الإطار التقليدي[1].

يعد نظام الوساطة الجنائية نظام مستقل قائم بذاته وله مفهوم خاص يختلف به عن باقي أنواع الوساطة وقد تبنتها مختلف التشريعات ضمن منظومتها القانونية ،ومن بينها التشريع الجزائري بموجب تعديل قانون الإجراءات الجزائية في 23 جويلية 2015[2] إذ أن حق الدولة في العقاب لمواجهة الظاهرة الإجرامية أصبح في كثير من الحالات يشكل اعتداء على الحقوق والحريات نظرا لتغليب حماية القيم والمصالح العامة على حساب الحريات مما يجعل السياسة الجنائية الحالية تتعارض بشدة مع مبدأ حماية الحريات والبحث عن طرق بديلة عن لجوء للقضاء أصبحت حتمية في ظل تطور المفاهيم .

أهمية البحث العلمية والعملية

تظهر الأهمية العلمية لموضوع الوساطة الجزائية في كونه إجراء بديل يقوم على التوفيق بين الخصوم وإعطائهم دورا أكبر في إنهاء الخصومة، بما يحقق نوعا من الرضا المتبادل، كما يحقق هذا النظام نتائج إيجابية كتقليل التكلفة المالية للدعوى الجزائية وتخفيف العبء عن كاهل على العدالة مع الاهتمام بشخص الجاني وتعويض المجني عليه .

- أما الأهمية العملية لهذا البحث هو الوقوف على نظام الوساطة الجزائية الذي أتى بها تعديل قانون الإجراءات الجزائية وأهم الإشكالات العملية التي يطرحها هذا النظام بالصياغة الحالية للنصوص.

إشكالية البحث:

هل نظام الوساطة الجنائية بالصياغة الحالية لنصوص قانون الإجراءات الجزائية من شأنها تحقيق الغاية المرجوة منها؟.

المنهج المتبع:

لدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التحليلي فقمنا بتحليل النصوص القانونية التي وردت في الأمر 02/15 والمتعلقة بالوساطة للوقوف على أوجه القصور فيها ومن ثم تقييمها، كما اعتمدنا على المنهج المقارن إذ قارنا الوساطة الجنائية في الجزائر باعتباره نظاما قانونيا حديثا مع القوانين الرائدة في هذا المجال كالقانون الفرنسي والقانون التونسي

وعليه سنحاول التطرق لموضوع الوساطة الجزائية كبديل للعدالة القمعية في ثلاثة مباحث المبحث الأول مفهوم الوساطة وشروطها، أما المبحث الثاني سنتطرق إلى إجراءات الوساطة ،أما المبحث الثالث فستطرق إلى أثار الوساطة الجنائية .

المبحث الأول: مفهوم الوساطة وشروطها:

تعد الوساطة الجزائية آلية جديدة تم استحداثها في التشريع الجزائري بموجب تعديل قانون الإجراءات الجزائية بموجب الأمر 02/15، وقد جاء المشرع الجزائري متأخرا في تبني هذه الآلية الحديثة مقارنة ببعض التشريعات العربية، وقد تم اعتماد هذه آلية لتحقيق هدف مزدوج فمن جهة تسمح للشاكي من الحصول على تعويض لجبر الضرر ،ومن جهة ثانية تجنب المشتكي منه المتابعة الجزائية وبالتالي منحه فرصة للاندماج في المجتمع ،-ولقد اشترط المشرع لتطبيق نظام الوساطة شروط بالجريمة وأخرى بالمشتكي منه ولذا سنتطرق في (**المطلب الأول**)إلى تعريف الوساطة الجزائية أما (المطلب الثاني) إلى شروط الوساطة الجزائية .

---

[1] - فتحي وردية : المرور من العدالة القمعية إلى العدالة التفاوضية، ملتقى الطرق البديلة لتسوية النزاعات: الحقائق التحديات ،يومي 26 و27 أفريل 2016، جامعة ميرة عبد الرحمان، بجاية 2016 ص 01.

[2] - الأمر 02/15 المؤرخ في 23 جويلية 2015 المعدل والمتمم للأمر 155/66 المؤرخ في 08 جويلية 1966 المتضمن قانون الإجراءات الجزائية، جريدة رسمية عدد 40 ،المؤرخة في 23 جويلية 2015، ص08 .

المطلب الأول:مفهوم الوساطة الجزائية

تشهد السياسة الجنائية المعاصرة محاور جديدة للاهتمام بالمجني عليه والأخذ بسياسة الحد من التجريم والحد من العقاب والمعالجة غير القضائية للمنازعات الجنائية – بما تقوم عليه من تعويض المجني عليه وتأهيل الجناة، من أهم بدائل الملاحقة القضائية في التشريعات المقارنة هي نظام الوساطة الجزائية، ولتحديد مفهوم الوساطة الجنائية يقتضي منها تعريفها وتحديد طبيعتها القانونية.

الفرع الأول : تعريف الوساطة الجنائية

يمكن أن نعرف الوساطة الجنائية لغة واصطلاحا في غياب تعريف قانونيا للوساطة الجنائية .

أولا: الوساطة لغة:

الوساطة : مأخوذة من كلمة وسط "بفتح السين" ويقال وسط الشيء أي ما بين طرفيه، كقولك قبضت وسط الحبل أما الوسط (بسكون الشين) فهو ظرف مكان ومن ذلك جلس وسط القوم أي بينهم، وفي الحديث أتى الرسول صلى الله عليه وسلم وسط القوم أي بينهم و وسط الشمس توسطه في السماء والوسط من كل شيء أعدله ومنه قول الله تعالى: "**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**" والوسيط هو المتوسط بين المتخاصمين أي عمل الوساطة وأخذ بين الجيد والرديء أو القوة لصنع القرار وذلك بهدف مساعدتهم على الوصول إلى اتفاقية خاصة بهم ومقبولة منهم[1].

ثانيا :الوساطة في الاصطلاح القانوني :

تعددت تعريفات الفقه لمصطلح الوساطة الجنائية، فقد عرفها جانب من الفقه المصري على انه إجراء يتوصل بمقتضاه شخص محايد (الوسيط) التقريب بين طرفي الخصومة بغية السماح لهم بالتفاوض على الآثار الناشئة عن الجريمة أملا في إنهاء النزاع الواقع بينهما [2].

كما عرفها جانب من الفقه الفرنسي بالنظر إلى غاية الهادفة التي يريد المشرع تطبيقها ويعرف بأنه: " ذلك الإجراء الذي بموجبه يحاول الشخص من الغير بناء على اتفاق الأطراف وضع حد ونهاية للاضطراب التي أحدثها الجريمة عن طريق حصول المجني عليه على تعويض عن الضرر فضلا عن إعادة تأهيل الجاني" [3].

لقد عرفت كذلك بأنها "العمل عن طريق تدخل شخص من الغير يسمى الوسيط على الوصول إلى حل النزاع نشأ عن جريمة يتم التفاوض بشأنه بحرية بين الأطراف المعنية حيث كان من المقرر أن يفصل في هذا النزاع بواسطة المحكمة الجنائية المختصة[4].

يمكن تعريف الوساطة عموما بأنها وسيلة بديلة عن القضاء لحل النزاعات يقوم بها شخص يسمى الوسيط يعمل على تسهيل الحوار بين الأطراف المتنازعة في سبيل التوصل إلى حل النزاع القائم بينهم.

تجدر الإشارة أن الأمر 02/15 لم يعرف لنا الوساطة، بينما اعتبر القانون 12/15 المتعلق بحماية الطفل[5] اعتبر الوساطة آلية تهدف إلى إبرام اتفاق بين الطفل الجانح وممثله الشرعي من جهة أو بين الضحية أو ذوي حقوقها من جهة أخرى . وتهدف إلى إنهاء المتابعات وجبر الضرر الذي تعرضا له الضحية ووضع حد لأثار الجريمة، والمساهمة في إعادة إدماج الطفل وتهذيبه .

---

[1] -معجم العرب لابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري متاح على الموقع الإلكتروني http://lexicoms.sakhr.com

[2] -إبراهيم عيد نايل، الوساطة كوسيلة مستحدثة لحل المنازعات الجنائية، دراسة في القانون الإجرائي الفرنسي، دار النهضة العربية القاهرة ، 2001، 183 .

[3] -Bonafe Schmitt , la médiation en France et états –unis ,LGJ ,1998 , p31 .

[4] -عادل مانع : الوساطة في حل المنازعات الجنائية، العدد الرابع، السنة الثلاثون، الكويت، مجلة الحقوق، 2006، ص 64 .

[5] -القانون 12/15 المتعلق بحماية الطفل المؤرخ في 2015/07/15، جريدة رسمية عدد 39، مؤرخة في 19 جويلية 2015، ص 04 .

الفرع الثاني :الطبيعة القانونية للوساطة الجزائية:

لقد ثار خلاف في الفقه الجنائي حول تحديد مسألة الطبيعة القانونية للوساطة الجنائية فظهرت عدة اتجاهات :

أولا :الوساطة الجنائية صورة من صور الصلح المدني:

ذهب جانب من الفقه إلى أن الوساطة تتماثل مع الصلح المدني الذي يبرم بين المتهم والمجني عليه، ولذا فالوساطة لا تسمح بانقضاء الدعوى العمومية من اجل تسوية مصالح مالية الناجمة عن الجريمة ولا تمنع هذه التسوية من مباشرة الدعوى العمومية، ويؤيد جانب كبير من الفقه هذا الاتجاه التعاقدي إذ تعد الوساطة الجنائية تصرفا قانونيا يتضمن تقابل إرادتي الجاني والمجني عليه من أجل تسوية الأضرار التي خلفتها الجريمة، وتكتسي الوساطة ثوب العقد الحقيقي بين الجاني والمجني عليه بما تشترطه من موافقة الطرفين على هذه التسوية وتوقيعها على الاتفاق [1].

ثانيا -الوساطة الجنائية من صور الصلح الجنائي :

هناك اعتراض على تكييف الوساطة الجنائية بأنها صلح مدني، بحيث يرى البعض[2]. بأن عقد الصلح يفترض توقيع الأطراف، كما أن الوساطة الجنائية تتعلق بخصومة جنائية وليس نزاعا مدنيا، ويرى أنصار هذا الفريق أن الوساطة الجنائية ماهي إلا صورة من صور الصلح الجنائي، فالصلح والوساطة الجنائية من الوسائل غير التقليدية لإنهاء لخصومة الناجمة عن الجرائم قليلة الخطر وترتكز غاية كل منها في حصول الاتفاق أو تسوية ودية، ولقد تبنى الفقه الفرنسي هذا الاتجاه أيضا باعتبار الوساطة الجنائية مركبا قانونيا يعد الصلح أحد مكوناته الأساسية بحيث يقوم الوسيط بتقريب وجهات النظر لأطراف النزاع كما هو في الصلح الجنائي.

ثالثا: الوساطة الجنائية ذات طبيعة اجتماعية

ذهب جانب من الفقه الفرنسي[3] إلى اعتبار الوساطة الجنائية تنظيم اجتماعي تسعى إلى تحقيق السلام الاجتماعي، ومساعدة أطراف النزاع في تسويتها بشكل ودي بعيدا عن التعقيدات الشكلية للتقاضي .فالوساطة تعبر عن نموذج لعدالة غير قسرية وناعمة، وأن نموذج الوساطة الأحياء ومكاتب القانون ليس الغرض منها حل المنازعات التي قد تثار في نطاق الأحياء، وإمكانية خلق أماكن حقيقة للتنشئة الاجتماعية في الأحياء، إذن الوساطة الجنائية تجعل الإجراءات الجنائية أكثر إنسانية عن طريق تدخل وسيط يتمتع بصفات الحياد والاستقلال ولا يفرض رأيه على أطراف النزاع فيكون لهم حرية الاختيار [4]

رابعا :الوساطة الجنائية ذات طبيعة إدارية

ذهب أنصار هذا الرأي للقول أن الوساطة جنائية ذو طبيعة إدارية، انطلاقا من كونها ليست عقدا مدنيا وإنما هو مجرد إجراء إداري تمارسها النيابة العامة في الدعوى الجزائية، فهي لا تتوقف على موافقة المجني و المجني عليه، وإنما تعود المسألة لتقدير النيابة في إطار سلطتها [5].

خامسا :الوساطة الجنائية كأحد بدائل الدعوى الجنائية :

يرى أنصار هذا الرأي أن الوساطة طريقة خاصة لاستعادة الإجراءات الجنائية أو هي بديل الملاحقات القضائية، فالوساطة الجزائية من بدائل الدعوى العمومية التي تهدف إلى تعويض المجني عليه ويستند هذا الرأي إلى اختلاف الوساطة عن

---

[1] - ياسر بن محمد سعيد بابصيل، الوساطة الجنائية في النظم المعاصرة، رسالة ماجستير في العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2011، ص 80 .

[2] - رمضان محت عبد الحليم، الإجراءات الموجزة لإنهاء الدعوى العمومية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000، ص 22 .

[3]-Bonafe Schmitt ,op cit,p54.

[4]- رامي متولي، الوساطة في القانون الجنائي الإجرائي المقارن . الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010، ص 67 .

[5]- نفس المرجع ص9 6.

الصلح الجنائي من حيث التطبيق والأثر، من حيث نطاق تطبيق الوساطة، إذ تطبق قبل تحريك الدعوى العمومية على عكس الصلح يكون في أية مرحلة تكون عليها الدعوى العمومية، كما أن الوساطة لا تنقضي بها الدعوى العمومية إلا إذا نجحت بينما الصلح تنقضي به الدعوى العمومية [1]، وهذا هو الموقف الذي نؤيده إذ تعتبر الوساطة من بدائل الملاحقة القضائية، التي يمكن للنيابة أن ترتكز عليها في المعاملة مع جرائم بسيطة التي تثقل كاهل القضاء بشكل يحقق إدارة أفضل للعدالة الجنائية .

المطلب الثاني: شروط الوساطة الجزائية

هناك عدة شروط يجب توافرها في الوساطة الجنائية ،منها ما يتعلق بالجريمة ومنها ما يتعلق بالمشتكى منه ومنها ما يتعلق بالشاكي.

الفرع الأول: الشروط المتصلة بالجريمة:

يقتصر نطاق الوساطة الجزائية في الجزائر من حيث الموضوع على بعض الجنح المعاقب عليها بالحبس أو الغرامة ومنصوص عليها على سبيل الحضر وفي جميع المخالفات طبقا للمادة 37 مكرر 2 ق.إ.ج على عكس المشرع الفرنسي الذي لم يحدد جرائم محدد بل ترك لتقدير النيابة العامة وربطها بضرورة تحقيقها للأهداف المتوخاة منها والمنصوص عليها في المادة 1/41 ق.إ.ج الفرنسي والمتمثلة في إصلاح الضرر الذي ألحق الضرر وإنهاء الاضطراب الناتج عن الجريمة[1].

يمكن تصنيف الجنح المعنية بالوساطة ضمن أسر على النحو الآتي :

1-ثلاثة منها تندرج ضمن طائفة جرائم الاعتبار التي وردت في قانون العقوبات رغم صلتها بقانون الإعلام الأول الصادر في 1990/04/03 أو الجديد الصادر في 2012/01/12 تحت رقم 12-0527وتضم جرائم السب والقذف والاعتداء على الحياة الخاصة التي تشمل الوشاية الكاذبة، إفشاء الأسرار، إتلاف رسائل ومراسلات، التقاط وتسجيل مكالمات، الأفعال المنصوص والمعاقب عليها بالمواد من 296 إلى 303 مكرر 3 من قانون العقوبات.

2-خمسة منها جرائم ذات صلة بالمنازعات العقارية وتضم جرائم التعدي على الملكية العقارية وفقا للمادة 386 من قانون العقوبات والتخريب أو الإتلاف العمدي لأموال الغير 405 مكرر و406 مكرر و407 و412 و414 من قانون العقوبات و التعدي على المحاصيل الزراعية وفقا للمادة 413 من قانون العقوبات و الرعي في ملك الغير وفقا للمادة 413 مكرر من قانون العقوبات .

3-أربعة منها جرائم أسرية تضم ترك الأسرة وفقا للمادة 330 من قانون العقوبات والامتناع العمدي عن تقديم النفقة وفقا للمادة 331 من قانون العقوبات وعدم تسليم طفل وفقا للمادتين 327 و 328 من قانون العقوبات و الاستيلاء بطريق الغش على أموال الإرث قبل قسمتها أو على أشياء مشتركة أو أموال الشركة وفقا للمادة 363 من قانون العقوبات .

4-اثنان منها متصلة بالسلامة الجسدية وتضم التهديد وفقا للمادتين 284 و287 من قانون العقوبات وجنح الضرب والجروح غير العمدية والعمدية المرتكبة بدون سبق الإصرار والترصد أو استعمال السلاح وفقا للمواد 264 و 268 و 269 من قانون العقوبات .

[1] - محمد حكيم حسين، النظرية العامة للصلح وتطبيقاتها في المواد الجنائية –دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه المحلة الكبرى القاهرة، دار الكتل القانونية، د ط، 2005، ص 42 .

5-جريمة خدماتية تتعلق باستهلاك مأكولات أو مشروبات أو الاستفادة من خدمات أخرى عن طريق التحايل وفقا للمادتين 366 و 367 من قانون العقوبات .

6-جريمة إصدار شيك بدون رصيد باعتبارها الصورة الأكثر انتشارا في أروقة القضاء. .

وما يلاحظ في هذا التعداد لجرائم الوساطة فإن المشرع قام باختيار عشوائي لهذه الجرائم، ولم يضع معيار محدد كما أن هناك بعض الجرائم تكون الوساطة فعالة فيها كجرائم الشكوى ولم يذكرها، بل أن المخالفات هي الجرائم التي تكون الوساطة انجح فيها وكان عليه الأفضل تمديد العمل بها كما جاء في قانون حماية الطفل لتشمل على الأقل كل المخالفات والجنح البسيطة التي تترتب عنها دعوى مدنية تبعية وفق معيار العقوبة المقررة لها، إذ أجاز المشرع الجزائري في قانون حماية الطفل الوساطة في جميع الجرائم باستثناء الجنايات[1] .

الفرع الثاني: الشروط المتعلقة بالأطراف

إن موافقة الأطراف شرط جوهري للسير في عملية الوساطة، فلا نتصور لعملية وساطة ناجحة بدون توافر رضاء أطرافها ،نقصد بالأطراف هم أطراف الوساطة الشاكي الضحية أو المشتكي منه والوسيط .

أولا : المشتكى منه : المتهم

يجب أن يكون المشتكي منه شخصا معينا أي هويته معروفة ويمكن ان يكون طفلا أي أقل من 18سنة هؤلاء يخضعون لأحكام الوساطة المنصوص عنها صلب قانون حماية الطفل.

هنا تطرح مسألة أهلية المشتكي منه للموافقة على عرض الوساطة في المقام الأول ثم إبرام الاتفاق الناتج عن الوساطة، فهي تصرفات دائرة بين النفع والضرر والتي يشترط فيها القانون المدني بلوغ سن الرشد 19سنة ما لم يتحصل القاصر على الترشيد طبقا لأحكام المادة 48 من ق.إ.م.إ،خاصة وأن اتفاق الوساطة ذو طبيعة عقدية مدنية.

المشكل يثور بخصوص المشتكى منه البالغ من العمر 18سنة أين نجد عدم تطابق سن الرشد الجزائي 18سنة مع سن الرشد المدني 19سنة ونرى لحل هذا المشكل أن يبرم الاتفاق مع ولي المشتكي منه نيابة عن هذا الأخير أو سعي المشتكى منه بواسطة وليه إلى الحصول على الترشيد أمام قاضي شؤون الأسرة بهدف التمكن من إبرام اتفاق الوساطة، حتى يكون الاتفاق المبرم بين الطرفين سليما مكتمل الأركان خالي من العيوب، خاصة وأن الاتفاق بعد إبرامه يكون غير قابل لأي طريق من طرق الطعن.

ثانيا: شروط متعلقة بالشاكي أو الضحية:

لا بد من وجود ضرر ناتج عن الجريمة المنسوبة للمشتكي منه، هنا تطبق نفس الشروط العامة المتعلقة بالضرر الموجب للتعويض وهي أن يكون الضرر شخصيا ومحققا ومباشرا.

وكما تشترط الأهلية الكاملة لإبرام العقود في المشتكي منه فإن الشاكي أيضا لابد أن يكون كامل الأهلية لأن الاتفاق المتمخض عن الوساطة يعد من التصرفات الدائرة بين النفع والضرر ،وعليه إذا لم يكن بالغا سن الرشد المدني(19سنة) ولم يتحصل على الترشيد اللازم فإن الاتفاق يبرم مع وليه حتى يكون صحيحا منتجا لكافة آثاره.

ولقد اشترط المشرع الجزائري رضا الطرفين – الشاكي والمشتكى منه في إجراء الوساطة الجزائية عكس المشرع الفرنسي الذي يشترط فقط رضا الضحية لإجرائها[2]، وقد فعل حسنا لأنه لا يمكن إجبار أي شخص ولو كان المشتكى منه على

[1] - المادة 110 /02 من قانون حماية الطفل 12/15.

[2] - راجع نص المادة 41-1 من قانون الإجراءات الجزائية الفرنسي المذكورة سابقا.

القيام بالوساطة، وبهذه المادة يعبد المشرع الأمور إلى نصابها لما يولي الاهتمام اللازم للضحية و المشتكى منه بوضعهما في مركز الوساطة الجزائية.

ثالثا: الوسيط

إن الوسيط طبقا للأمر 02/15 هو وكيل الجمهورية [1]، فيمكنه القيام بإجراء الوساطة الجزائية إما بطلب من الأطراف أو بمبادرة منه، إذ طبقا لمبدأ الملائمة أن يقرر إجراء الوساطة و له السلطة التقديرية في تقرير ذلك طبقا لجدوى الوساطة في إنهاء الجريمة وثبوت مسؤولية المتهم، اذ يجب عليه أن يقر إذ ما كانت تهدف إلى وضع حد للإخلال من الجريمة أي إنهاء الاضطراب الناشئ عن الجريمة، ومن ناحية أخرى تهدف إلى جبر الضرر الذي أحدثته الجريمة [2].

الفرع الثالث : الشروط المتعلقة بأهداف الوساطة :

لقد أجاز المشرع الجزائري لوكيل الجمهورية تقرير إجراء الوساطة طبقا لمبدأ الملائمة، سواء بمبادرة منه أو بناء على طلب الأطراف لكنه ربط إجراء الوساطة بتحقيق هدفين هو إصلاح الضرر المترتب الجريمة والحد من الاضطراب الناتج عنها [3] والملاحظة أن صياغة العربية للمادة 37 مكرر ق إ ج تشترط أحد الشرطين بإستعمال حرف أو "، وبالرجوع إلى النص الفرنسي فقد استعمل المشرع حرف "و"، وهي الصياغة الصحيحة لأنه يشترط أن يكون الهدفين متلازمين طبقا للحكمة من تقرير هذا الإجراء .

المبحث الثاني: إجراءات الوساطة الجزائية في التشريع الجزائري

لم يضع المشرع الفرنسي نصوصا تشريعية لتنظيم إجراءات الوساطة الجنائية، ولم يحدد ضوابط الحوار بين طرفي النزاع، وإنما ترك ذلك للفقه ليحددها تبعا للمبادئ التي تسعى الوساطة إلى تحقيقها [4].

كذلك الشأن بالنسبة للمشرع الجزائري، فلم يتضمن نصوص تفصيلية حول إجراءات الوساطة، وعلى العموم تتم الوساطة بمبادرة من وكيل الجمهورية، أو بناء على طلب الضحية أو المشتكي منه، وفي جرائم الأحداث يكون بطلب من الطفل أو من يمثله الشرعي أو محاميه تلقائيا، وتنتهي الوساطة عادة باتفاق ،وعليه سوف نتطرق إلى مراحل الوساطة في **المطلب الأول**، ثم إلى اتفاق الوساطة في المطلب الثاني

المطلب الأول : مراحل الوساطة الجزائية

لقد نص المشرع في المادة 110 من قانون حماية الطفل نص صراحة على جواز عرض الوساطة في أي مرحلة قبل تحريك الدعوى العمومية، على عكس قانون الإجراءات الجزائية فلم ينص على المرحلة التي يجوز فيها عرض الوساطة، إلا أنه يمكن التوصل لحل لهذه المسألة بالتركيز عما ورود المواد المتعلقة بالوساطة الجزائية (37 مكرر إلى 37 مكرر8) تحت الكتاب الأول المخصص " في مباشرة الدعوى العمومية وإجراء التحقيق الباب الأول في البحث والتحري عن الجرائم، وهذا يعني أن الوساطة تجوز في أي مرحلة من مراحل البحث والتحري عن الجريمة طالما لم يتم تحريك الدعوى العمومية بعد. وعلى العموم

،ويمكن تقسيم مراحل الوساطة إلى مرحلتين :

الفرع الأول: مرحلة استدعاء الأطراف وحضور الطرفين :

---

[1] - وما يعاب على المشرع الجزائري أنه لم يوكل مهمة إجراء الوساطة الجزائية إلى شخص ثالث محايد كما هو شأن لبعض الدول، بما يتفق والمبادئ العمل للوساطة، بل أوكل المهمة إلى وكيل الجمهورية، مما قد لا يحقق الهدف المرجو منه .

[2] - نورة بن بوعبد الله : الوساطة الجنائية في قانون الإجراءات الجزائية، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد العاشر، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة باتنة 1-، جانفي 2017، ص 126

[3] - المادة 37 مكرر ق إ ج .

[4] - عادل علي المانع، المرجع السابق، ص 65 .

سواء كان إجراء الوساطة بناء على طلب الأطراف أو بمبادرة من النيابة، فإن لهذه الأخيرة دور مهم في هذه المرحلة فبعد القبول بإجراء الوساطة، فإن النيابة تقوم على الفور باستدعاء أطراف النزاع عن طريق أية وسيلة من وسائل الاتصال كالهاتف أو البريد للحضور إلى جلسة الوساطة [1].

على عكس بعض التشريعات المقارنة، فإن المشرع الجزائري يشترط الحضور الشخصي للطرفين من أجل قبول عرض الوساطة، وبالتالي لا يمكن أن ينوب عنهما شخص آخر ولو بوكالة خاصة، وهو الأمر الواضح من نص المادة 37 مكرر 1 بنصها على مايلي: "يشترط لإجراء الوساطة قبول الضحية والمشتكي منه ويجوز لكل منهما الاستعانة بمحام"

ولم يكن المشرع الجزائري واضحا بخصوص دور المحامي فهل تعني إمكانية الاستعانة بالمحامي جواز حلول هذا الأخير محل الطرف المعني في قبول عرض الوساطة أم لا ؟ ذلك أنه بالرجوع للقانون التونسي مثلا نجده يشير بصراحة لهاته النقطة بحيث استوجب المادة 335 من قانون الإجراءات التونسي الحضور الشخصي للمشتكي منه وحضور المحامي لا يكفي من أجل تنمية الشعور بالمسؤولية لدى المشتكي منه بينما سمح للمحامي بأن ينوب عن الضحية في مرحلة التفاوض فقط وليس في التوقيع محله سواء تعلق الأمر بقبول أو فرض الوساطة أو قبول الاتفاق الناجم عنها إلا بتوكيل خاص من الضحية.

الفرع الثاني : مرحلة التفاوض

عند حضور طرفي النزاع إلى الجلسة الوساطة والتي عادة تكون في مكتب السيد وكيل الجمهورية [2]، يلعب هذا الأخير دورا توفيقيا، ويحاول شرح قواعد الوساطة ومقومات النجاح، كما يشرح لهما عمله كوسيط، وأن عمله محدد في إطار تحقيق أهداف الوساطة الإنسانية كما يستعرض النيابة فوائد الوساطة المتعلقة بسرعة التوصل إلى حل النزاع والمحافظة على سرية وإصلاح العلاقة الاجتماعية بينهم[3] .

بعد التأكد من قبول الطرفين، وتبدأ مرحلة المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة بين الطرفين تحت إشراف وكيل الجمهورية وبحضور محاميهما يكون دور وكيل الجمهورية حيادي ولكن بمفهوم إيجابي بمراعاة حقوق الطرفين وتذكيرهما بمقتضيات القانون، و لا يتدخل هذا الأخير في موضوع وشروط الاتفاق إلا إذا كان متعارضا مع القانون أو النظام العام .

بعد ذلك يقوم وكيل الجمهورية بإفراغ مضمون الاتفاق الذي توصل إليه الطرفين في محضر يذكرهما بالالتزامات التي التزما بها والنتائج المترتبة عنه والمتمثلة أساسا في أن هذا الاتفاق ينهي النزاع القائم بينهما ولا يجوز لهما الرجوع عنه، كما يتأكد من إمكانية تنفيذها حتى يتحاشى المشاكل التي قد تواجه تنفيذ الاتفاق [4] ويحدد لهما أجلا للتنفيذ، نشير إلى أن التشريعات المقارنة تقيد سلطة وكيل الجمهورية في منح الأجل ولنا على سبيل المثال القانون التونسي الذي ينص على مهمة 06 أشهر كأقصى حد.

ما يعاب على التشريع الجزائري أنه لا ينص على إمكانية تمديد الأجل الممنوح عكس جل التشريعات المقارنة فنجد القانون التونسي مثلا يجيز لوكيل الجمهورية تمديد الآجال الممنوحة مرة واحدة لمدة لا تتعدى 03 أشهر وذلك بقرار معلل بسبب تعذر تنفيذ المشتكي منه لأحد التزاماته بسبب خارج عن إرادته أو حالة طلب التمديد بناء على رغبة الطرفين ورغم

---

[1] - هناك عدة دول على رأسها فرنسا، تحضر أن يكون الوسيط من سلك القضاء . وقد صدر مرسوم في فرنسا بتاريخ 10 أفريل 1996 خاص بتنظيم مهمة الوساطة الجنائية التي يمكن أن توكل إلى شخص طبيعي أو معنوي . لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر ياسر محمد سعيد بن ياصيل، المرجع السابق، ص 95 إلى ص 100 .

[2] - وهناك من يرى أن إجراء الوساطة داخل أروقة العدالة يؤدي إلى المساس بحياد و استقلالية الوسيط ياسر محمد سعيد بن ياصيل، المرجع السابق، ص 129 .

[3] - المرجع السابق، ص 142 .

[4] - رامي متولي القاضي ،المرجع السابق، ص 239.

غياب النص في التشريع الجزائري إلا أننا نرى في سبيل تحقيق الغاية التي جاء بها القانون الجديد أنه يجوز لوكيل الجمهورية تمديد الأجل الممنوح للطرفين متى توفرت الظروف التي تستدعي ذلك.

يقوم وكيل الجمهورية في المرحلة التالية بتلاوة محضر اتفاق الوساطة على الأطراف من أجل التوقيع عليه رفقة وكيل الجمهورية ولأمين الضبط وتمنح نسخة منه لكل طرف.

كذلك أكدت المادة 113 من قانون حماية الطفل على الالتزام بتقديم تعويض للضحية أو ذوي حقوقها كما يمكن أن يتفق على تعهد الطفل تحت ضمان ممثله بتنفيذه أو أكثر الالتزامات التالية:

- إجراء مراقبة طبية أو الخضوع للعلاج.
- متابعة الدراسة أو تكوين متخصص.
- عدم الاتصال بأي شخص قد يسهل جودة الطفل للإجرام[(1)].

المطلب الثاني :مضمون اتفاق الوساطة

بالنسبة لمضمون اتفاق الوساطة فقد نصت المادة 37 مكرر 04 ق إ ج على بعض صور الإتفاق يمكن أن تكون موضوع الوساطة، وهي على سبيل المثال فقط لا على سبيل الحصر، ونرى أنه تزايد من المشرع لا داعي له، ذلك أن مضمون الاتفاق يخضع برمته لمبدأ سلطان الإرادة بقيودها المعروفة في القانون المدني على كل فإن نص المادة المذكورة تضمن مايلي:

"-يتضمن اتفاق الوساطة على الخصوص ما يأتي:

-إعادة الحال إلى ما كان عليه، وكذا التعويض المالي وهو الموضوع الرئيسي للدعوى المدنية ويتمثل في إلزام المتهم ومسؤوله المدني بدفع مبلغ من النقود إلى الشخص المضرور كما يمكن أن يتضمن التعويض عيني عن الضرر، كل اتفاق آخر ويقصد بذلك منح الحرية للأطراف الوساطة باتفاق على صيغ أخرى للتعويض دون أن تكون هذه الاتفاقات مخالفة لقانون[2] .

وبالرجوع إلى أحكام المادة 114 من قانون حماية الطفل فإنها تنص على أن محضر الوساطة يتضمن تعهد الطفل تحت ضمان ممثله الشرعي بتنفيذ واحد أو أكثر من الالتزامات الآتية في الأجل المحدد في الاتفاق وهي إجراء مراقبة طبية أو الخضوع للعلاج، متابعة الدراسة أو تكوين متخصص، عدم الاتصال بأي شخص قد يسهل عودة الطفل للإجرام .مع العلم أن القانون لا يجيز الطعن في اتفاق الوساطة مهما كان طريق الطعن [3].

تجدر الإشارة أن المشرع الفرنسي لم يحدد مضمون الاتفاق الوساطة، وترك الأمر للوسيط الذي يجوز له أن يقترح كافة الحلول والتدابير التي يمكن التوصل عن طريقها إلى التسوية[4].

المبحث الثالث : أثار الوساطة الجنائية في التشريع الجزائري

يترتب على الوساطة الجزائية أثار حسب نتائجها إما نجاحها أو فشلها، وتختلف حسب مراحل الدعوى العمومية إذ نفرق بين مرحلة قبل توقيع الاتفاق (**المطلب الأول**) ومرحلة بعد توقيع الاتفاق (**المطلب الثاني**) وهذا ما سنتطرق إليه كما يلي :

المطلب الأول : أثار الوساطة الجنائية قبل توقيع الاتفاق

---

[1] - راجع المادة 114 من قانون حماية الطفل12/15 .

[2] - العيد هلال، الوساطة في قانون الإجراءات الجزائية، مجلة المحامي، عدد 25، منظمة المحامين لناحية سطيف، 2015، ص 62 .

[3] - المادة 37 مكرر 05 ق إ ج .

[4] - ياسر محمد سعيد بن ياصيل، المرجع السابق، ص 142 .

نفرق بين حالتين، الحالة الأولى هو أثر قبول عرض الوساطة، أما الحالة هو أثر عدم الوصول إلى اتفاق الوساطة .

الفرع الأول: أثر قبول عرض الوساطة

يقوم وكيل الجمهورية بالتوفيق بين الجاني والمجني عليه، ونظرا لكون إجراءات الوساطة من قبول و عرض الوساطة إلى غاية توقيع الاتفاق قد تستغرق مدة زمنية معتبرة، فقد اعتبرتها جميع التشريعات المقارنة مانعا قانونيا لسريان أجال تقادم الدعوى العمومية ، وبمجرد قبول الطرفين لعرض الوساطة يتوقف سريان أجل التقادم طيلة المدة التي تستغرقها إجراءات الوساطة وصولا لإبرام الاتفاق[1].

وهي نفس الفكرة التي تبنها المشرع الفرنسي في نص المادة 41 /01 من ق إ ج، ونقصد بوقف تقادم هو عدم احتساب المدة التي سبقت الوساطة والمدة التي تلي فشل الوساطة [2].

لكن الملاحظ أن الصياغة الحالية لنص المادة السالف الذكر قد يثير إشكال خطير فيما يخص حساب التقادم إذ يستمر أجل التقادم الدعوى العمومية في السريان طيلة فترة التفاوض التي قد تستمر لمدة من الزمن مع الاحتمال إلى عدم توصل إلى اتفاق، ويمكن أن نتصور استغراق الإجراءات لكامل المدة، غير أنه بالرجوع إلى قانون حماية الطفل نص على هذا الأثر الموقف بمجرد قبول عرض الوساطة، مما يؤدي إلى تناقض بين نصين صدرا تقريبا في نفس الشهر، مما يجعلنا نناشد المشرع للتدخل والحد من هذا التناقض بتعديل النص بشكل أكثر دقة.

الفرع الثاني : عدم التوصل إلى اتفاق الوساطة

لم يتطرق المشرع الجزائري إلى أثر الوساطة بالنسبة لحقوق المشتكى منه والمشتكي، رغم أهميتها القصوى بالنسبة للطرفين خاصة المشتكي وما يتعلق بضمان لقرينة البراءة ومنه على قبول أو رفض الوساطة، إذ انه بالرجوع إلى القانون التونسي حدد مثلا أثار عدم الوصل إلى اتفاق الوساطة في الفصل السادس فقرة الأخيرة إذ نص على انه لا يملك الاحتجاج بما تم تحريره على الأطراف لدى وكيل الجمهورية عند إجراء الصلح بالوساطة أو اعتباره اعترافا، وهو الأمر الذي يجعل الوساطة ناجحة مع ضمان حقهم في الدفاع بالتمسك بالبراءة في حالة عدم التوصل إلى الصلح، بل أكثر من ذلك تطبق هذه المادة حتى في حالة نكول المشتكى منه [3].

وعلى العموم فإن عدم قبول الأطراف لمبدأ لوساطة أو عدم الوصول إلى اتفاق بين الأطراف يترتب عنه تحريك الدعوى العمومية طبقا للمادة 37 مكرر 8- ق إ ج إ .

المطلب الثاني : أثار الوساطة بعد توقيع الاتفاق :

قد يتوصل الطرفين إلى اتفاق الوساطة ويوقع الطرفين على المحضر يرتب أثار على عاتق المشتكى منه، غير قد يرفض الطرفين تنفيذ هذا الاتفاق من طرف المشتكي منه أو الضحية وهذا ما سنتطرق له عبر هذين الفرعين .

الفرع الأول: أثار التوقيع على اتفاق الوساطة

يتوج اتفاق الوساطة بمحضر يحرر من الطرفين يتضمن هوية وعنوان الأطراف وعرض موجز للوقائع والأفعال وتاريخ ومكان وقوعها، ومضمون الاتفاق وآجال تنفيذه [4].

وبالرجوع إلى نص المادة 37 مكرر 5 فإنها تؤكد على أن لا يجوز الطعن في اتفاق الوساطة بأي طريق من طرق الطعن، والملاحظ أن المشرع باستعماله "عبارة عدم القابلية للطعن " فتح باب النقاش حول مدى جوزا الطعن بالبطلان، إذ أن إجراءات الوساطة التي يتمخض عنها اتفاق الوساطة شأنها شأن باقي الأعمال القضائية فيها جانب شكلي وجانب موضوعي

---

[1] - المادة 37 مكرر 07 ق إ ج .

[2] - عبد الله أوهايبية، قانون الإجراءات الجزائية الجزائري – التحري والتحقيق – طبعة منقحة ومزيدة -، دار هومة، 2015، ص 149 .

[3]- العيد هلال ، المرجع السابق، ص 64.

[4] - المادة 37 مكرر 3 ق إ ج .

والخطأ وارد من الجانبين ،فهل يعقل أن يحصن هذا العمل حتى في حالة ما إذا كان مخالفا للنظام العام ولم ينتبه إليها وكيل الجمهورية، وكان الأجدر بالمشرع الجزائري أن يقتدي بما ذهبت إليه معظم التشريعات المقارنة وذلك بالتركيز على الحجية النسبية الاتفاق الوساطة بعدم جواز الرجوع فيه من قبل الطرفين أو ذوي حقوقهما ولا الاتفاق على مخالفته .

وبالرجوع إلى نص المادة 37 مكرر -6- ق إ ج اعتبرت محضر اتفاق الوساطة سندا تنفيذيا، بينما لا نجدها مذكور في نص المادة 600 ق إ م إ، فإذا ما تم تنفيذه فإنه سيؤدي إلى انقضاء الدعوى العمومية طبقا للمادة 06 ق إ ج .

الفرع الثاني: أثار تراجع الطرفين عن اتفاق الوساطة

بعد أن يتوصل الطرفين إلى اتفاق الوساطة ويحرر محضر بذلك، قد يتراجع إما المشتكي أنه في حالة عدم تنفيذ التزامات الوساطة في الآجال المحددة في الإتفاق يبادر وكيل الجمهورية إلى متابعة الطفل منه وهو الغالب الأعم أو الضحية وهذا ما سنتطرق إليه كما يلي :

أولا : تراجع المشتكي منه على الإتفاق الوساطة :

بالرجوع إلى أحكام المادة 37 مكرر 08 الفقرة الأولى والثانية فإنها تتكلم على أثرين في حالة نكول المشتكي منه .

الأولى: المتمثل في فتح الباب أمام وكيل الجمهورية لتحريك الدعوى العمومية، أما الأثر الثاني لتراجع المشتكي منه تعرضه إلى العقوبات المقررة للجريمة المنصوص عليها في المادة 145 ق ع وهي جريمة التقليل من شأن الأحكام القضائية، وكذلك الشأن بالنسبة لقانون حماية الطفل [1].

تجدر الإشارة إلى أنه أن اعتبار اتفاق الوساطة سندا تنفيذيا يخلق بعض الصعوبات خاصة في حالة نكول المشتكي منه بالاتفاق رغم فوات الآجال المحددة في الاتفاق، ففي هذه الحالة هل يعد التنفيذ الجبري على المشتكي منه بمثابة تنفيذ تنقضي به الدعوى العمومية ؟.

والإشكال الذي يطرح كذلك في هذا الصدد هل أن الشاكي بمجرد انتهاء المدة المحدد في الاتفاق يتقد إلى السيد وكيل الجمهورية قصد تحريك الدعوى العمومية، أو يجب تبليغه بالسند التنفيذي ومنحه أجل 15 يوم لمدة في قانون الإجراءات المدنية الجزائري، كل هذه الإشكالات لم يتطرق لها المشرع، مما يجعلنا نناشده لتحديد بدقة متى يكون المشكو منه ممتنعا عن التنفيذ .

ثانيا :أثار عدم تنفيذ الاتفاق بسبب الشاكي :

لم ينص المشرع الجزائري على هذا الفرض، غير أن التشريعات المقارنة نصت على انقضاء الدعوى العمومية متى ثبت أن عدم تنفيذ الاتفاق كان بسبب الشاكي .

الخاتمة

لقد نص المشرع الجزائري على إجراء الوساطة متأخرا مقارنة ببعض التشريعات العربية، وبالرغم من هذا التأخر في صدور هذا النظام، فإن الصياغة الحالية للنصوص الناظمة لها تثير عدة إشكالات عملية تمس بالهدف من وجوده، الأمر الذي يستوجب معه إعادة صياغة بعض النصوص بشكل يتماشى والهدف من هذا الإجراء وذلك كما يلي :

- تعديل نصوص الوساطة في قانون حماية الطفل بإيجاد حل بالنسبة لتوقيع الحدث لاتفاق الوساطة بالرغم من انه لا يملك أهليه التعاقد، بإضافة مادة تنص على إمكانية أن يبرم الاتفاق مع ولي المشتكي منه نيابة عن هذا الأخير أو سعي المشتكى منه بواسطة وليه إلى الحصول على الترشيد أمام قاضي شؤون الأسرة بهدف التمكن من إبرام اتفاق الوساطة،

[1] - المادة 115من قانون حماية الطفل 12/15 .

حتى يكون الاتفاق المبرم بين الطرفين سليما مكتمل الأركان خالي من العيوب، خاصة وأن الاتفاق بعد إبرامه يكون غير قابل لأي طريق من طرق الطعن.

- إعادة صياغة النص العربي للمادة 37 مكرر باستبدال حرف "أو" ب" و " على اعتباران أن شرطا جبر الضرر الناتج عن الجريمة، وضع حد للاضطراب التي تحدثه الجريمة هما شرطين متلازمين إجراء الوساطة.
- -إعادة صياغة نص المادة 37 مكرر 7 ق إ ج كما هو الشأن بالنسبة لقانون حماية الطفل حتى لا يكون هناك تناقض بين القانونين و اعتبار إجراء الوساطة له أثر الموقف بمجرد قبول عرض الوساطة .
- إضافة نص يحدد فيه أثار عدم التوصل إلى اتفاق بالنسبة للمشتكى منه تكون صياغته كما يلي : " ..... لا يملك الاحتجاج بما تم تحريره على الأطراف لدى وكيل الجمهورية عند إجراء الصلح بالوساطة أو اعتباره اعترافا " حتى يكون إجراء الوساطة ناجح مع ضمان حقه في الدفاع بالتمسك بالبراءة في حالة عدم التوصل إلى الصلح.
- إضافة مادة تنص على أثار اتفاق الوساطة إذا نكل الشاكي .

وفي الأخير نقترح المشرع أن تكون الوساطة الجزائية -شانها شأن الوساطة المدنية- من طرف محايد خارج سلك القضاء حتى تؤدي دورها كبديل للدعوى العمومية وحتى نضمن الحياد ونزاهة أكثر في القيام بهذا الإجراء .

المراجع :

أولا :الكتب باللغة العربية :

1-إبراهيم عيد نايل، الوساطة كوسيلة مستحدثة لحل المنازعات الجنائية، دراسة في القانون الإجرائي الفرنسي، دار النهضة العربية القاهرة ،2001، 183 .

[2]- رامي متولي وهدان، الوساطة في القانون الجنائي الإجرائي المقارن . الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة .

[3] - رمضان محت عبد الحليم، الإجراءات الموجزة لإنهاء الدعوى العمومية، دار النهضة العربية، القاهرة

4- محمد حكيم حسين، النظرية العامة للصلح وتطبيقاتها في المواد الجنائية –دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه المحلة الكبرى القاهرة، دار الكتل القانونية، 2005 .

[5]- عبد الله أوهايبية، قانون الإجراءات الجزائية الجزائري – التحري والتحقيق – طبعة منقحة ومزيدة -، دار هومة، الجزائر، 2015 .

ثانيا القوانين :

1-القانون 12/15 المتعلق بحماية الطفل المؤرخ في 2015/07/15، جريدة رسمية عدد 39، مؤرخة في 19 جويلية 2015.

[2]- الأمر 02/15 المؤرخ في 23 جويلية 2015 المعدل والمتمم للأمر 155/66 المؤرخ في 08 جويلية 1966 المتضمن قانون الإجراءات الجزائية، جريدة رسمية عدد 40 ،المؤرخة في 23 جويلية 2015 .

ثالثا: الملتقيات ورسائل :

- فتحي وردية : المرور من العدالة القمعية إلى العدالة التفاوضية، ملتقى الطرق البديلة لتسوية النزاعات: الحقائق التحديات ،يومي 26 و27 أفريل 2016، جامعة ميرة عبد الرحمان، بجاية 2016 .

- ياسر بن محمد سعيد بابصيل، الوساطة الجنائية في النظم المعاصرة، رسالة ماجستير في العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2011 .

رابعا : معاجم

--معجم العرب لابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري متاح على الموقع الإلكتروني http://lexicoms.sakhr.com

خامسا : مقالات

1- العيد هلال : الوساطة في قانون الإجراءات الجزائية، مجلة المحامي، عدد 25، منظمة المحامين لناحية سطيف، .2015

2-عادل مانع : الوساطة في حل المنازعات الجنائية، العدد الرابع، السنة الثلاثون، الكويت، مجلة الحقوق، 2006، ص 64 .

[3]- نورة بن بوعبد الله : الوساطة الجنائية في قانون الإجراءات الجزائية، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد العاشر، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة باتنة 1-، جانفي 2017 .

خامسا :كتب باللغة الفرنسية :

[1]-Bonafe Schmitt , la médiation en France et états –unis ,LGJ ,1998 , p31 .

اندماج الأعمال كبديل لتحسين مزيج الهيكل التمويلي

أ. سعاد بوجلال - أ.د لعماري أحمد
الحاج لخضر باتنة - جامعة بيشة السعودية

ملخص:

في الآونة الأخيرة شغل موضوع اندماج الأعمال اهتمام العديد من المختصين ليكون أحد أهم الحلول للابتعاد عن حالة التدهور في ظل المنافسة الشديدة، وإعادة نمو نشاط الأعمال وتطوير أدائها، وفي ظل ظروف بعض الأعمال يكون تحسين الوضعية المالية من الأهداف الأساسية له، وذلك من خلال المزايا المالية التي يمكن أن يوفرها كتحقيق الائتمان والثقة إلى العملاء والبنوك، وتوفير رؤوس الأموال الكافية بأقل التكاليف، مما يتيح لها الانطلاق نحو تحقيق أهدافها.

الكلمات المفتاحية: اندماج الأعمال، المزايا المالية، الهيكل التمويلي.

Abstract:

Lately, many specialists interested in the subject of business combination to be of the most important solutions to move away from the deterioration of the business in light of fierce competition and its regrowth and improve its performance. in a situation of some business one of the basic objective of the its combination is to improve the financial situation, and that is through what can be achieved from the financial advantages, such as to provide sufficient capital at the lowest cost, to achieve credit and confidence to customers and banks, allowing them to move towards achieving its goals.

Key Words : business combination , the financial advantages , financing structure.

مقدمة

في ظل التغيرات السريعة في النظام الاقتصادي العالمي المتمثلة في العولمة وحرية التجارة وإقامة التكتلات الاقتصادية، أصبحت الأعمال في الدول النامية مهددة بالانقضاء لزيادة المشكلات الاقتصادية والمالية والتحديات التي تواجهها في ظل المنافسة الشرسة من قبل الأعمال الأجنبية المنتمي أغلبها للدول المتقدمة.

ومن أبرز ماتعاني منه الأعمال المحلية للدول النامية هو مشكل التمويل وتدهور وضعيتها المالية فهي تتسم بضعف مراكزها المالية، خاصة الأعمال المتوسطة والصغيرة، مما بات يستلزم حلول عملية عاجلة وقد رجحت الكثير من هذه الدول مثل السعودية، مصر، الأردن خيار اندماج الأعمال وأولت له الاهتمام وتشجعه باعتباره حل عملي لخلق شركات قوية تتمتع بملاءة مالية عالية قادرة على الصمود والتطور.

وقد أشار العديد من الباحثين والمستشارين في هذه الدول إلى أهمية أن يتم الاندماج بناء على دراسات مستفيضة يقوم بها مستشارون ماليون لديهم خبرات جيدة وأن لايكون بطريقة عشوائية بعيدة كل البعد عن الجدوى الاقتصادية، كما اعتبروا المحاسبة على الاندماج قد تكون من أبرز الصعوبات التي تواجه عمليات الاندماج في الدول النامية حيث أن الأعمال فيها تعاني من ضعف العمليات المحاسبية، مما يتطلب ضرورة تبنيها لمعايير المحاسبة الدولية ومعايير التقارير المالية الدولية لما تتمتع به من تقديم الوضعية المالية الحقيقية للأعمال.

وانطلاقا مما سبق نطرح الإشكالية التالية: كيف يساهم اندماج الأعمال في تحسين مزيج الهيكل التمويلي؟ وكيف يمكن تعزيز تلك المساهمة؟

للإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية تستوقفنا الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

- ما المقصود باندماج الأعمال؟ وما هي أنواع الاندماج؟
- ماهي مزايا الاندماج التي يمكن أن تساهم في توفير التمويل ؟

- ماهي أهمية مراحل الاندماج المتضمنة الجوانب المالية في دعم مزاياه المالية؟
- ماهي أهمية المحاسبة على الاندماج وفق Ifrs3 في دعم مزاياه المالية؟

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله والمتمثلة في:

- حداثة موضوع الاندماج في الدول النامية ومن بينهم الجزائر، مما يتطلب دراسة الموضوع وتوضيح أبعاده وآثاره.
- ندرة الدراسات التي تناولت عملية الاندماج من الناحية المحاسبية والمالية برغم من أهمية ذلك.

أهداف الدراسة:

إن الهدف الأساسي لهذه الدراسة يتمثل في تسليط الضوء على مساهمة الاندماج في تحسين مزيج الهيكل التمويلي وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على ماهية عملية الاندماج محل الدراسة.
- التعرف على مساهمة الاندماج في توفير الموارد الداخلية والخارجية.
- التعرف على أهمية المحاسبة عن الاندماج وفق Ifrs3.
- التعرف على أهمية مراحل الاندماج المتضمنة الجوانب المالية.

منهج الدراسة:

حتى نتمكن من الإجابة على الإشكالية وتحليلها فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لتغطية كل جوانب الموضوع.

أولا: الاطار المفاهيمي لاندماج الأعمال

1) تعريف اندماج الأعمال:

من أجل تعريف اندماج الأعمال نشير أولا إلى المقصود بالأعمال، وهي عبارة عن مجموعة متكاملة من الأنشطة والأصول التي يمكن إجراؤها وإدارتها بغية توفير عائد على شكل أرباح أو منافع مباشرة للمستثمرين أو المالكين الآخرين[1]، أي أنها كيان اقتصادي يمكن أن يكون مؤسسة أو شركة.

أما مصطلح الاندماج فقد استخدم بصفة عامة ليشير إلى اتحاد مصالح بين كيانين أو أكثر، ويكون ذلك من خلال سيطرة كيان على آخر وأكثر، أوالمزج الكامل بين كيانين أو أكثر لظهور كيان جديد، أو قيام كيان أو أكثر بالانضمام إلى كيان آخر، أو جميعها معا.[2]

وقد استخدم بصفة خاصة أين عرفه بعض الفقه بأنه: "اجتماع شركتين أو أكثر في شركة واحدة، سواء بانضمام شركة إلى أخرى حيث تفقد الشركة المندمجة شخصيتها القانونية لصالح الشركة المندمجة فيها أو الدامجة، وهو ما يسمى الاندماج بطريق الضم أو بانحلال شركتين لتكوين شركة جديدة غلى أنقاضهما، وهو ما يسمى بالاندماج بطريق المزج."[3]

وبما أننا سنتناول في بحثنا هذا حالة المزج الكامل بين كيانين أو أكثر لظهور كيان جديد، وحالة قيام كيان أو أكثر بالانضمام إلى كيان آخر فقط، فسنعتمد على التعريف الأخير (تعريف الفقه) والذي تضمن:[4]

---

[1] Business Combinations IFRS 3. (on line). Retrived 0ctober 29, 2016, form: http://www.iasplus.com

[2] حماد، طارق عبد العال. (1999). **اندماج وخصخصة البنوك**. ط1. الإسكندرية: الدار الجامعية للنشر والتوزيع، ص5.

3 المساعدة، أحمد المحمود. (2014). العلاقة القانونية للشركة القابضة مع الشركات التابعة لها (دراسة مقارنة)، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة شلف. ع 12، ص ص.109-122.

[4] المساعدة، أحمد المحمود. (2014). **العلاقة القانونية للشركة القابضة مع الشركات التابعة لها (دراسة مقارنة)**، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة شلف. ع 12، ص ص.109-122.

حالة الضم: وتتحقق باندماج شركة أو أكثر بشركة أخرى قائمة تسمى الشركة الدامجة، حيث تنقضي الشخصية المعنوية للشركة المندمجة مع انتقال موجوداتها والتزاماتها انتقالا كاملا إلى الشركة الدامجة، التي تحتفظ بشخصيتها المعنوية.

حالة المزج: وتتحقق بامتزاج شركتين أو أكثر امتزاجا يؤدي إلى زوال الشخصية المعنوية لكل منهما، وانتقال أصولهما وخصومهما لتأسيس شركة جديدة.

2) أنواع عمليات الاندماج

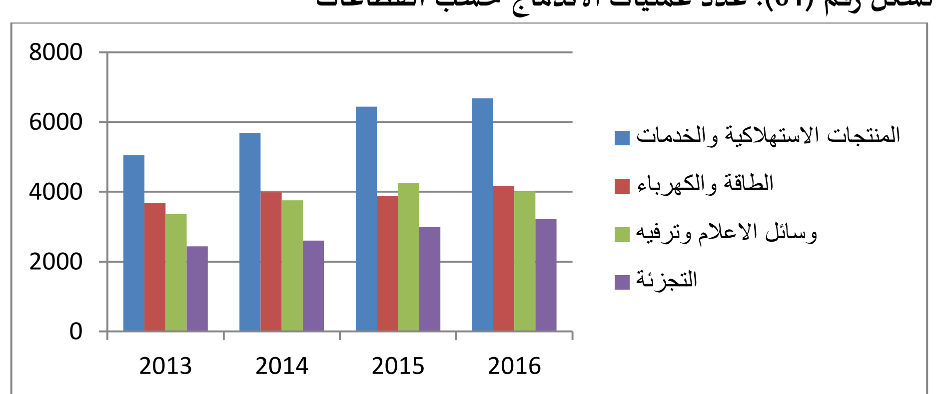
صنفت عمليات الاندماج إلى ثلاثة أنواع رئيسية كما يلي:

- ✓ **الاندماج الأفقي:** ويكون باندماج كيانات تعمل في نفس نوع النشاط، وذلك بغرض الحصول على حجم أكبر، وتعزيز القدرة التنافسية، والنمو وزيادة قيمة الكيان، ويتحقق ذلك من خلال استغلال التعاون (synergy) بين الكيانات المندمجة، وخفض التكاليف، والقدرة على المفاوضة مع الموردين والعملاء.[1]
- ✓ **الاندماج العمودي:** والذي هو اندماج كيانات مصنعة مع موردين أو تجار تجزئة، أي يمكن أن يكون بغرض الامتداد نحو قاعدة العملاء، أو التكامل إلى الخلف نحو قاعدة الموردين، وله العديد من المزايا كالحصول على موردين أو عملاء من أجل تخفيض الصفقات المعقدة والتنافسية، تكوين نظام إنتاج متكامل نوعا ما يتيح الفرصة لنظام إدارة الجودة على نطاق واسع بالاندماج مع المورد.[2]
- ✓ **الاندماج المتنوع:** ويقصد به الاندماج بين كيانات لها نشاطات مختلفة وغير مرتبطة ببعضها البعض، وذلك بغرض تقليل مخاطر الاستثمارات من خلال مشاريع متنوعة عبر أسواق مختلفة وقطاعات إقتصادية متعددة، فإذا وقعت خسارة في أحد النشاطات قد يتم تعويضها من أرباح النشاط الآخر.[3]

ثالثا: القطاعات الأكثر اندماجا في العالم

إن هذه الإحصاءات لا تتعلق فقط بحالتي الاندماج محل الدراسة، وإنما تتضمن كذلك عمليات السيطرة المالية والإدارية لشركة على أخرى، فغالبا لا يتم التميز بينهم خاصة من ناحية النتيجة النهائية الاقتصادية، وهي تتعلق بالقطاعات الأكثر شهرة بحدوث عمليات الاندماج فيها، وسنوضح ذلك فيمايلي:

الشكل رقم (01): عدد عمليات الاندماج حسب القطاعات



المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على إحصاءات طومسون فينانشيال، معهد الاندماجات والاستحواذات والاتحادات (https//imaa-institute.org)

---

[1] Gouli, Mohamed. (2009). **Fusion- Acquisitions(les 3 régles du succés)**, 1ére ed, Paris: Groupe Eyrolles, p.72-73.

[2] Roberts, Alexander, et al. (2012). **Mergers and Acquisitions**. Course of Edinburgh Business School, United Kingdom : Heriot-Watt University. P.7.

[3] محمود، إبراهيم عبد السلام. (1998). **المحاسبة المالية المتقدمة**. ط1. إسكندرية: مطبعة الإشعاع الفنية للنشر والتوزيع، ص3.

من خلال الشكل رقم (1) تبين أنه خلال الفترة الأخيرة (2013-2016) احتل الصدارة في عدد عمليات الاندماج قطاع المنتجات الاستهلاكية ثم تلاه قطاع الطاقة والكهرباء لسنوات 2013، 2014، 2016، أما سنة2015 فقد تلاه قطاع الاعلام والترفيه، ثم كان في المركز الثالث قطاع وسائل الاعلام والترفيه ماعدا سنة 2015 فقد كان قطاع الطاقة والكهرباء، ثم كان في الأخير قطاع التجزئة خلال كل السنوات.

ثالثا: مزايا عمليات الاندماج ومساهمتها في تحسين مزيج الهيكل التمويلي

لعمليات الاندماج مزايا عديدة إذا توفرت تنعكس في الأخير بشكل أوبآخر على مديونية الكيان الناتج عن الاندماج وهيكله التمويلي، ومن أجل توضيح ذلك يجب التطرق إلى مفهوم الهيكل التمويلي أولا:

الهيكل التمويلي: تقوم الإدارة بصياغة الهيكل التمويلي تلك الصياغة التي تحدد المزج الخاص بين حقوق المالكين والمصادر الخارجية في تمويل استثمارات الكيان، ومن المعروف لدى إدارة الكيانات أنه يجب أن يحتوي الهيكل التمويلي على التمويل الخارجي لأنه يساهم في رفع ربحية الأموال الخاصة ولكن في حدود معينة يجب عدم تجاوزها، فتجاوزها يعرض الكيان للكثير من المخاطر المالية كفقدان الاستقلال المالي، العجز عن سداد الأموال المقترضة...الخ، لذلك يجب أن يكون الهيكل المالي للكيان متوازن الوجهتين بين مصادر داخلية ومصادر خارجية تتناسق معه القرارات المالية.[1]

إن الاندماج يمكن أن يساهم في تحسين مزيج الهيكل التمويلي من خلال المزايا التي يوفرها مثل:

- تحقق عمليات الاندماج إتحاد رؤوس أموال الكيانات المندمجة مما يوفر كفاية ومتانة المركز المالي لمواجهة الهزات المالية.[2]
- كما أن اتحاد رؤوس أموال الكيانات المندمجة وموجوداتها يخلق كيان كبير برأس مال أكبر وموجودات أكثر يسمح بالحصول على موارد مالية تزيد من استثماراته عن طريق القروض وفتح الاعتمادات لدى البنوك، وذلك لأن رأس المال والموجودات تمثل ضمانا للمقرضين.[3]
- يوفر الاندماج تمويل منخفض التكلفة دون الرجوع إلى سوق المال الذي قد يتطلب تكاليف أكثر.[4]

رابعا: دعم وتعزيز مزايا الاندماج

إن مزايا الاندماج المالية لاتتوفر في أي عملية اندماج وإنما يتوقف ذلك على عوامل من أهمها:

1) مراحل الاندماج

إن عملية الاندماج تمر بمراحل مهمة جدا في تحقيق نجاحها، ولايسعنا هنا ذكرها بالتفصيل لذلك سنذكر المراحل المهمة في تعزيز مزايا الاندماج المالية.

✓ **فريق الاندماج:** يتم تشكيل فريق يتكون من أعضاء متخصصين في جوانب عدة، ومن ضروري أن يضم خبراء محاسبين، واستشاريين ماليين، أصحاب بنوك استثمارية..الخ.[1]

---

[1] الزبيدي، حمزة محمود. (2004). **التحليل المالي (تقييم الأداء والتنبؤ بالفشل).** ط1. الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ص ص.167-168.

[2] مطاي، عبد القادر. (2010). **"الاندماج المصرفي كتوجه حديث لتطوير وعصرنة النظام المصرفي".** مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، جامعة بسكرة: كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير. ع7، ص ص .103-130.

[3] الأرياني، محمود صالح قائد. (2013). **اندماج الشركات كظاهرة مستحدثة (دراسة مقارنة).** ط1. الاسكندرية: دار الفكر الجامعي للنشر والتوزيع، ص ص.57-58.

[4] الشماع، سمير منير عبد الملك. (2012). **"تحديد الأثر التجميعي لعملية الاندماج ودوره في ترشيد قرار الاندماج".** مجلة الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد: كلية الإدارة والاقتصاد.ع91، ص ص.94-102.

✓ **خطة الاندماج:** تتمثل في جدول أعمال يقدم إطارا للمراحل المتبقية من العملية، ويشمل توقيت كل نشاط، الاعداد للاندماج، الشكل المطلوب للصفقة، الاعدادات المالية والضريبية.[2]

✓ **اختيار وتقييم المرشحين المحتملين:** يجب تحديد معايير اختيار الكيانات المرشحة للاندماج، حيث تكون غير غامضة وكافية، وهذه المعايير يمكن تصنيفها في ثلاث فئات، فئة التطابق بين خصائص اكيان المرشح ودوافع الكيان المبادر مثل فرص التآزر التشغيلي،القوة المالية، الربحية المالية، فئة درجة جاذبية الكيان المرشح مثل تقييم الكيان، سمعة الكيان، قدرات السيولة على المدى القصير، الحجم النسبي للكيان، فئة معايير الرفض وتعتبر أول خطوة لإدارة المخاطر كأن يكون الكيان المرشح في ضائقة مالية خطيرة.[3]

✓ **تحليل المرشح:** ويتم فيها التحقق من خصائص الكيانات المرشحة في توفير ظروف جيدة، وفي وجود علاقة ودية، وأن يكون للكيانات المرشحة صورة واقعية تعكس وضعيتها بما فيها الوضعية المالية وتقيم الكيانات ماليا تحت نفس الشروط وظروف المحلل المالي الخارجي.[4]

✓ **خطاب النوايا:** وهو اتفاق مؤقت ينص على شروط ومسؤوليات كلا الطرفين، ويحدد تاريخ انتهاء معقول، وكيفية دفع الرسوم الصفقة، والشروط والأحكام الرئيسية التي يذكرها خطاب النوايا تشمل لمحة موجزة عن هيكل هذه الصفقة بما فيه الجانب المالي، وقد يحوي شروط أخرى معينة.[5]

✓ **العناية الواجبة:** وهي تتمثل في إجراء مراجعة شاملة للسجلات والمرافق وكل ما يخص الكيان الهدف، فهي يمكن أن تكشف مالم يكن في الحسبان، حيث تهدف لتحقق من صحة التقييم الأولي وتحديد وتأكيد مصادر قيمة التآزر، وهي تتكون من ثلاث مراجعات غالبا ما تحدث في وقت واحد، مراجعة الجانب التشغيلي والاستراتيجي، المراجعة المالية، المراجعة القانونية.[6]

✓ **الاتفاق النهائي:** وهو عبارة عن مستند قانوني تحدد فيه شروط الصفقة بما فيها الشروط المالية ويكون بشكل مفصل.[7]

✓ **المراجعة النهائية:** إن عمليات الاندماج معقدة جدا، تستغرق وقت طويل ففي الخطوات الأخيرة من المراجعات وجميع الموافقات قد تزيد على ستة أشهر، مما يتطلب إجراء مراجعة لكل الكيانات الداخلة في عملية الاندماج لضمان عدم وجود أي تغيرات مادية خلال ستة أشهر.[8]

تكمن أهمية اتباع هذه الخطوات في تأكد من صحة قرار الاندماج مما يضمن تحقق مزايا الاندماج المرجوة ويعززها وذلك من خلال ماتحققه هذه الخطوات من دقة دراسة الكيانات المرشحة للاندماج والتي يجب توفرها على ماهو مطلوب،

[1] Olivier, Meier, et Guillaume, shier. (2009). **Fusion Acquisitions :Stratégie.finance. management**, 3éme ed, Paris: Dunod, p.114- 115.

[2] حماد، طارق عبد العال. (2000). **التقييم (تقدير قيمة البنك لأغراض الاندماج أوالخصخصة)** ط1. مصر: الدار الجامعية للنشر والتوزيع، ص.351-352.

[3] Olivier, Meier, et Guillaume, shier. (2009). P118-120.

[4] Olivier, Meier, et Guillaume, shier. (2009). P120-121.

[5] Depamphillis, Donald. (2011). **Mergers and acquisition basics**: All you need to know.1st ed, United states: Elsevier, P.164.

[6] Depamphillis, Donald. (2011). P.176-177

[7] حماد، طارق عبد العال. (2000). مرجع سابق، ص ص.357-361.

[8] حماد، طارق عبد العال. (2000). المرجع نفسه، ص ص.357-361.

بالاضافة إلى تقدير حجم المخاطر التي قد تنجم عن الاندماج معها، أوالانسحاب مبكرا بتكاليف أقل في حالة ظهور ما لم يكن في الحسبان.

2) **المحاسبة على الإندماج وفق معيار الابلاغ المالي الثالث (3) IFRS**

✓ **متطلبات المحاسبة على الاندماج وفق(3) IFRS**

إنه عندما يكون جوهر العملية الواقعة بين الكيانات متفقا مع تعريف اندماج الأعمال في هذا المعيار، فإن متطلبات المحاسبة تعد مناسبة بغض النظر عن هيكلة الانضمام المتبعة، حيث تضمن نطاق تطبيق معيار الإبلاغ المالي رقم(3) حالة المزج الكامل بين كيانين أوأكثر لظهور كيان جديد، أوقيام كيان أوأكثر بالانضمام إلى شركة أخرى بشكل كلي.[1]

وأهم مايتطلبه هذا المعيار هو اعتماد طريقة الشراء للمحاسبة عن كل الاندماجات، ويمكن تلخيص طريقة الشراء في المحاسبة عن الاندماج كمايلي:[2]

- تحديد الكيان المشتري.
- تحديد تاريخ الاندماج.
- اعتراف الكيان المشتري بالأصول والالتزامات والالتزامات المحتملة للكيان المندمج بقيمها العادلة بتاريخ الاندماج.
- تحديد تكلفة الاندماج والتي تساوي إجمالي القيم العادلة للمقابل المعطى بواسطة المشتري.
- تحديد القيمة العادلة لصافي أصول الكيان المشترا.
- حساب الشهرة: الشهرة = (القيمة العادلة للمقابل المقدم في تاريخ الاندماج + قيمة الحصص غير المسيطرة)- القيمة العادلة لصافي أصول الكيان المشترا.
- والشهرة كأصل لا يتم إطفاؤه على عدد معين من السنين بل يخضع لإعادة التقييم سنويا، وإذا كانت نتيجة حسابه سالبة فإن هناك شهرة سالبة والتي سميت حديثا بـ " الشراء بأسعار منخفضة" يجب أن تعالج كدخل مباشرة في قائمة الدخل، وذلك بعد التحقق من القيم العادلة للأصول والالتزامات المستملكة وللمقابل المقدم لمالكي الشركة المشتراة وللحصص غير المسيطرة.

✓ **مساهمة المحاسبة وفقIfrs3 في دعم مزايا الاندماج**

إن مزايا الاندماج من بينها ما يكون له علاقة بما تعرضه التقارير المالية، حيث تكون هذه المزايا مباشرة تظهر في الميزانية الافتتاحية والتقارير المالية للكيان الناتج عن عملية الاندماج، وهي تمثل موارد متاحة لها، أوتكون غير مباشرة يتطلب الوصول إليها اتخاذ قرارات رشيدة في ظل الموارد المتاحة، وهي تظهر في التقارير المالية الختامية.

وهنا يتبين الدور الأساسي للوساطة المحاسبية حيث أن المحاسبة وفق Ifrs3 قائمة على إحكام عملية الاعتراف وتصنيف والقياس الخاصة بعملية الاندماج، فIfrs3 يهتم خصوصا بالاعتراف وتقييم الأصول والالتزامات وآثار العمليات القابلة لتغيير الموارد والالتزامات، كما يهتم بالايرادات والمصاريف الناتجة عن الاندماج وتصنيفها، وذلك كله لتحقيق التمثيل الصادق والعادل للتقارير المالية المتعلقة بالاندماج، وهو ما ينعكس على مزايا الاندماج المباشرة من جهة، ومن جهة أخرى يعزز ملاءمة وموثوقية المعلومات التي يقدمها الكيان في بياناته المالية عن الاندماج وآثاره المالية،[3] إذ يعتمد متخذوا القرار

---

[1] Business Combinations IFRS 3. (on line). Retrived 0ctober 29, 2016, form: http://www.iasplus.com

[2] حميدات، جمعة، خداش، حسام. (2013). **منهاج محاسب عربي قانوني معتمد. تم تصفحه يوم** 14ديسمبر من عام 2015 على الموقع: www.ascasociety.org

[3] حميدات، جمعة، خداش، حسام. (2013). **منهاج محاسب عربي قانوني معتمد. تم تصفحه يوم** 14ديسمبر من عام 2015 على الموقع: www.ascasociety.org

بشكل أساسي على المعلومات التي توفرها التقارير المالية في تحليلهم للفرص والبدائل المتاحة فإذا كانت تلك المعلومات موثوقة وملائمة فإن ذلك يزيد من قدرة الكيان على اتخاذ القرار السليم والأمثل،[1] والذي حتما سيؤدي للوصول إلى المزايا غير مباشرة للاندماج أويزيد من جودتها.

خامسا: سيناريو لعملية اندماج افتراضية:

نظرا لندرة حالات الاندماج محل الدراسة في الجزائر إذا لم تنعدم، وانطلاقا من اطلاع الباحثين على الجانب النظري لعمليات الاندماج ومن الاطلاع على واقع بعض الشركات الجزائرية في مجال الطحن أعد الباحثين عملية اندماج افتراضية لكيانين في مجال الطحن كمايلي:

اتفق الكيان A مع الكيان B بعد دراسات مستفيضة ولدوافع تجارية(التسويق) وتكنولوجيا، وتنافسية، وموارد بشرية، ودوافع مالية، على الاندماج وذلك بتكوين كيان جديدC برأس مال قدره 1345640000دج ممثل في 134560 سهم بقيمة اسمية 1000دج مقسمة إلى 770010 سهم للكيانA، و575630 سهم للكيانB، ودفعت 300000دج مصاريف طباعة وحقوق التسجيل و65000دج كأتعاب للمدققين والمحامين...الخ، وكانت ميزانية الكيانين كمايلي:

الجدول رقم (01): ميزانية الكيانين قبل الاندماج

البيان	الكيان A	A بالقيمةالعادلة	الكيان B	B بالقيمةالعادلة
أصول ثابتة	754140000	782140000	698340000	710000000
مخزونات	19740000	19960000	38050000	38250000
ذمم مدينة	153370000	153300000	80160000	80080000
نقديات	41330000		64340000	
مجموع الأصول	968580000		880980000	
رأس المال	741910000		563940000	
الديون طويلة الأجل	62140000		300000000	
الديون قصيرة الأجل	164530000	164980000	17040000	
مجموع الخصوم	968580000		880980000	

المصدر: من إعداد الباحثه مع الاستعانة بميزانيات لشركات في مجال الطحن.

1) المحاسبة على اندماج الشركتين وفق:

تتم المحاسبة على عملية الاندماج هذه وفق طريقة الشراء كمايلي:

تكلفة شراء الكيان A =

القيمة الاسمية للأسهم المصدرة من قبل الكيانC = 770010 x 1000	770010000

الشهرة الناتجة عن الاندماج =

تكلفة الشراء	770010000
– صافي القيمة العادلة لأصول الكيان A= 769610000	769610000
الفرق(الشهرة)	400000

[1] لعماري، أحمد. (2010). **المعلومات المحاسبية وترشيد القرار في ظل تطبيق النظام المالي والمحاسبي بالجزائر.** ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الأول حول: النظام المحاسبي المالي الجديد NSCF في ظل معايير المحاسبة الدولية تجارب: تطبيقات وآفاق (17- 18 جانفي)، المركز الجامعي الوادي: معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسير.

تكلفة شراء الكيان B =

القيمة الاسمية للأسهم المصدرة من قبل الكيان C= 1000 x 57563	57563000

الشهرة الناتجة عن الاندماج =

تكلفة الشراء	575630000
– صافي القيمة العادلة لأصول الكيان B= 575630000	575630000
الفرق(الشهرة)	0

أما بالنسبة لمصاريف الطباعة وحقوق التسجيل فهي تخصم من علاوة الإصدار وفقIfRS3، ولكن في هذه الحالة لاتوجد علاوة، كما قد تم الاتفاق بين BوA على اعتبارها مصاريف إيرادية.

ومنه تظهر الميزانية بعد الاندماج كما يلي:

الجدول رقم (02): ميزانية الكيان C الناتجة عن الاندماج

البيان	المبالغ
الشهرة (400000)	400000
أصول ثابتة مادية (710000000 +782140000)	1492140000
مخزونات (38250000 +19960000)	58210000
ذمم مدينة (80080000 +153300000)	233380000
نقدية (64340000 +4133000)	105670000
مجموع الأصول	1889800000
رأس المال (440430000 +7700110000)	1345640000
ديون طويلة الأجل (300000000 +62140000)	3645640000
ديون قصيرة الأجل (17040000 +164980000)	182020000
مجموع الخصوم	1889800000

المصدر: من إعداد الباحثه بالاعتماد على الجدول رقم(1).

مما سبق نلاحظ أنه نتج عن المحاسبة على اندماج الكيانين A وB وفق متطلباتIfrs3 فروقات مثل:

- بعد التقييم بالقيمة العادلة زادت في الكيانA الأصول الثابتة ب28000000 دينار والمخزونات ب220000 دينار ونقصت الذمم المدينة ب70000 دينار، وفي الكيانB زادت الأصول الثابتة ب 11660000، والمخزونات ب 200000 دينار، ونقصت الذمم المدينة ب80000 دينار.
- الاعتراف بشهرة المحل وإدراجها في ميزانية الكيان الناتج عن الاندماج.

إن المحاسبة وفقIfrs3 أحدثت فروقات سواء من ناحية القياس، أومن ناحية العناصر التي تكونت منها ميزانية الكيان بعد الاندماج مباشرة مثل الاعتراف بشهرة المحل.

2) انعكاس اندماج الشركتين على مزيج الهيكل التمويلي

لقياس الأثر على الموارد الخارجية والداخلية للكيانات المندمجة استخدمنا نسب السيولة ونسب الهيكل التمويلي كمايلي:

- ✓ **السيولة قبل الاندماج وبعده**
- ➢ **سيولة الكيان A:**

الجدول رقم (03): نسب السيولة للكيانA

النسبة المالية	قبل الاندماج (الكيان A)	بعد الاندماج (الكيان C)	نسبة التغير
التداول	1,3	2,18	0,88
السيولة السريعة	1,18	1,86	0,68
السيولة النقدية	0,25	0,80	0,55

المصدر: من إعداد الباحثه بالاعتماد على الجدولين رقم(1) ورقم (2).

يظهر من خلال الجدول أن كل نسب السيولة للكيان زادت بعد عملية الاندماج زيادة معتبرة وذلك نتيجة لما يتوفر عليه الكيان المندمج معه من مخزون بالإضافة إلى الذمم المدينة ونقدية معتبرة مقابل اعتماده البسيط على الديون قصيرة الأجل، وهو ماكان يهدف إليه الكيانA حيث أنه كانت له مديونية قصيرة الأجل عالية وبرغم من الاحتمالية الكبيرة لقدرته على تغطيتها إلى أنه يهدف من زيادة سيولته بالاندماج أساسا لزيادة قدرته على الحصول على قروض جديدة، وإيجاد فائض من السيولة يوجه إلى احتياجات الاستغلال لأنها تسعى لزيادة الانتاج، بالاضافة إلى الاستفادة من زيادة القدرة على تسديد الديون قصيرة الأجل في آجالها في حالة ظهور أي طارئ يؤخر نوعا ما تحصيله من عملائه.

➢ **الشركة B**

الجدول رقم (04): نسب السيولة للكيانB

النسبة المالية	قبل الاندماج (الكيان B)	قبل الاندماج (الكيان C)	نسبة التغير
التداول	10,71	2,18	8,53
السيولة السريعة	8,47	1,86	6,84
السيولة النقدية	3,77	0,80	2,97

المصدر: من إعداد الباحثه بالاعتماد على الجدولين رقم(1) ورقم (2).

يظهر من خلال الجدول أن كل نسب السيولة للكيان **B** عالية جدا ويعود السبب المباشر لذلك إلى عدم استخدام الكيان للديون قصيرة الأجل إلا بقدر بسيط جدا، وبعد الاندماج انخفضت كل النسب بشكل معتبر بمقدار8,53، 6,84، 2,97 على التوالي، وذلك نتيجة لارتفاع الديون قصيرة الأجل للكيان المندمج معه.

إن الكيان B لم يكن يهدف إلى زيادة قدرته على التسديد حيث أنه لم يكن عليه ذمم قصيرة الأجل إلا بشكل يكاد لايذكر، إنما كان يهدف أساسا إلى زيادة كفاءة إدارته في استخدام مزايا القروض قصيرة الأجل من خلال خبرة إدارة الكيان A في ذلك، وكذلك الاستفادة من سمعة الكيان A مع مختلف الجهات التمويلية، بالاضافة إلى استرجاع فرصة الاستفادة من مزايا الديون قصيرة الأجل في ظل الموجودات الحالية، على أن يكون كل ذلك بحذر تفاديا للمخاطر التي يمكن أن تنجم.

ومن أجل ذلك تم مقارنة نسب السيولة بعد الاندماج 2,18، 1,86، 0,80 على التوالي بالنسب المعيارية التي وضعها المحللون اجتهدا منهم وبناءا على ممارساتهم، كحد أدنى تفاديا للمخاطر، حيث كانت هذه النسب على التوالي1، من0,75 إلى1، من 0,3 إلى0,5، بالاضافة إلى نسب بعض الشركات الجيدة في مجال الطحن، وتوصل الكيان B أن كل مؤشرات السيولة بعد الاندماج جيدة جدا.

✓ **الهيكل التمويلي قبل الاندماج وبعده**

➢ **الهيكل التمويلي للكيان A:**

الجدول رقم (05): نسب الهيكل التمويلي للكيان A

النسبة المالية	قبل الاندماج	بعد الاندماج	نسبة التغير
التمويل الخارجي للأصول	0,23	0,28	0,05
المديونية قصيرة الأجل	0,22	0,13	0,09
المديونة الطويلة الأجل	0,084	0,27	0,19
التمويل الدائم	1,066	1,14	0,07
التمويل الخاص	0,98	0,90	0,08
الاستقلالية	0,76	0,71	0,05

المصدر: من إعداد الباحثه بالاعتماد على الجدولين رقم(1) و رقم (2).

- **نسبة التمويل الخارجي للأصول:**

تترجم هذه النسبة مساهمة إجمالي الديون في تمويل إجمالي الأصول، ويستحسن أن لاتتجاوز0.5 حفاظا على الاستقلالية المالية، وقد زادت بعد الاندماج بمقدار0,05 فقط وبقيت قريبة جدا من النسبة قبل الاندماج، وتعتبر قيمتها جيدة في كلا الحالتين.

- **نسبة المديونية قصيرة الأجل:**

وهي تمثل نسبة الديون قصيرة الأجل إلى الأموال الخاصة، وقد انخفضت بعد الاندماج بمقدار0,09، ويرجع ذلك لانخفاض مديونية الكيان B المندمج معه.

- **نسبة المديونة طويلة الأجل:**

وهي تمثل نسبة الديون طويلة الأجل إلى الأموال الخاصة، ويستحسن أن لا تتجاوز الواحد الصحيح، وقد زادت هذه النسبة بشكل معتبر بعد الاندماج حيث بلغت نسبة الزيادة 0,19 لتبلغ 0,27 وذلك نتيجة لديون طويلة الأجل للشركة المندمج معها.

- **التمويل الدائم:**

تجاوزت هذه النسبة الواحد الصحيح قبل الاندماج وبعده مما يعني وجود فائض في كلتا الحالتين لكن هذا الفائض زاد بعد عملية الاندماج بمقدار0,07 مما يعني زيادة في هامش الأمان، حيث أن هذه النسبة تعتبر صياغة أخرى لرأس المال العامل الذي يستعمل من قبل الدائنين كأمان ومقياس للقدرة على الوفاء بالالتزامات.

- **التمويل الخاص:**

- انخفضت هذه النسبة بعد الاندماج بمقدار 0,08 وذلك بسبب الديون طويلة الأجل للكيان المندمج معه، ولكنها ظلت مرتفعة حيث بلغت 0,90 وهي نسبة جيدة من ناحية قدرة الكيان على الاقتراض.

- **نسبة الاستقلالية المالية:**

انخفضت هذه النسبة بعد الاندماج بمقدار 0,04 فقط وظلت قريبة من النسبة قبل الاندماج، وهي على العموم تعتبر نسبة جيدة قبل الاندماج أوبعده من ناحية زيادة مرونة الكيان في التعامل مع الدائنين في شكل الاقتراض وتسديد للديون.

من خلال هذه النسب تبين أن الكيان A لم تكن لها ديون طويلة الأجل إلا بمقداربسيط حيث بلغت نسبة المديونية طويلة الأجل0,089، ولكن بعد الاندماج ارتفعت إلى0,27 وهذا لم يكن ليتوافق مع أهداف الكيان A، وحتى الكيان B كان يسعى جاهدا للتخفيض من ديونه، لكنه تم الاتفاق مسبقا على أنه سيتم التنازل عن تجهيزات إنتاج تخص الكيانB قريبا جدا

وذلك لاعتبارات عديدة مهمة جدا تتعلق بالطاقة الانتاجية والتكنولوجيا المستخدمة والتكاليف...الخ، ومن بينها تسديد الديون طويلة الأجل والباقي يوجه لتمويل دورة الاستغلال، ولكن ذلك مزال يتطلب دراسات مهمة لذلك لم يتم استوفاء شروط تسجيلها كأصول غير متداولة محتفظ بها بغرض البيع وفق متطلبات IFRS 3.

أما بالنسبة للديون قصيرة الأجل فنلاحظ أن نسبها انخفضت بعد الاندماج وكلما انخفضت كان ذلك مؤشر إيجابي يدعم قدرة الكيان على الاقتراض قصير الأجل، وذلك ماكان يهدف إليه الكيان A.

أما فيما يخص التمويل الخاص فقد انخفضت النسب بعد الاندماج نوعا ما لكنها بقيت كلها نسب جيدة جدا تخدم أهداف الكيان A.

- **الهيكل التمويلي للكيان B:**

الجدول رقم (06): نسب الهيكل التمويلي للكيان B

النسبة المالية	قبل الاندماج	بعد الاندماج	نسبة التغير
التمويل الخارجي للأصول	0,35	0,28	0,07
المديونية قصيرة الأجل	0,03	0,13	0,10
المديونة الطويلة الأجل	0,53	0,27	0,26
التمويل الدائم	1,24	1,14	0,10
التمويل الخاص	0,80	0,90	0,10
الاستقلالية	0,64	0,71	0,07

المصدر: من إعداد الباحثه بالاعتماد على الجدولين رقم(1) ورقم (2).

- **نسبة التمويل الخارجي للأصول:**

انخفضت هذه النسبة بعد الاندماج بمقدار0,07، ويعود ذلك لارتفاع التمويل الداخلي للكيان المندمج معه، وكلما انخفضت هذه النسبة كان ذلك مؤشر إيجابي يدعم القدرة على الاقتراض.

- **المديونية قصيرة الأجل:**

زادت هذه النسبة بعد الاندماج بمقدار0,10 لتبلغ 0,13 وتعود هذه الزيادة لارتفاع الديون قصيرة الأجل لكيان المندمج معه.

- **المديونة الطويلة الأجل:**

انخفضت هذه النسبة بشكل معتبر بعد الاندماج حيث بلغت نسبة الانخفاض 0,26 ويعود ذلك لانخفاض نسبة الديون طويلة الأجل من الأموال الدائمة لكيان المندمج معها، وانخفاضها مؤشر ايجابي يوافق أهداف الكيان B.

- **التمويل الدائم:**

تجاوزت هذه النسبة الواحد الصحيح قبل الاندماج وبعده مما يعني أنه تم تغطيت جميع الأصول الثابتة بالأموال الدائمة بالاضافة إلى وجود فائض.

- **التمويل الخاص:**

زادت هذه النسبة بعد الاندماج بمقدار 0,10 لتبلغ 0,90 وذلك بسبب ارتفاع التمويل الذاتي للكيان المندمج معه، وزيادة هذه النسبة تزيد من القدرة على الاقتراض.

- **نسبة الاستقلالية المالية:**

زادت هذه النسبة بعد الاندماج بمقدار0,07، وذلك بسبب ارتفاع الأموال الخاصة للكيان المندمج معه مقارنة بخصومه، وارتفاع هذه النسبة يزيد من مرونة الكيان في التعامل مع الدائنين في شكل الاقتراض وتسديد للديون.

من خلال هذه النسب تبين أنه كان للكيان B نسبة عالية من المديونية طويلة الأجل، وبعد الاندماج مباشرة انخفضت هذه النسبة بمقدار0,19، وهذا ماكان تهدف له الكيان B مبدئيا من جهة، ومن جهة أخرى تم الاتفاق أنه سيتم التنازل عن تجهيزات إنتاج تخص الكيانB قريبا لتسديد الديون طويلة الأجل كما ذكرنا ذلك سابقا، مما يزيد من انخفاض هذه النسبة.

أما بالنسبة للديون قصيرة الأجل فقد زادت بعد الاندماج، ولكن تلك الزيادة تتوافق مع أهداف الكيان B التي تم ذكرها سابقا عند دراسة مؤشرات السيولة.

أما فيما يخص نسب التمويل الخاص فقد زادت كلها بعد الاندماج مما يعني انخفاض في التمويل الخارجي وهو ماكان يهدف إليه الكيانB، وكانت كل النسب جيدة جدا تخدم أهداف الكيان B.

خاتمة

نستخلص مما سبق أن لعملية الاندماج مزايا مالية إذا توفرت فهي تحسن من وضعية السيولة ومزيج الهيكل المالي وفقا لأهداف الكيانات المندمجة، ويعتمد توفر هذه المزايا بدرجة كبيرة على دقة دراسة الشركات الداخلة في العملية لتأكد من صحة قرار الاندماج معها، وكذلك بما أنها مزايا مالية لها علاقة وثيقة بالتقارير المالية فإن المحاسبة على هذه العملية وفق Ifrs3 تخلق فروقات في الاعتراف والتصنيف والقياس تؤثر على المزايا المباشرة، وعلى الوصول إلى المزايا غير مباشرة من خلال اتخاذ القرار الرشيد.

والهدف من ذلك كله ليس إيجاد كيان ذو ثقل إقتصادي ناتج عن مجموع حسابي للثقل الاقتصادي للكيانات المندمجة، وإنما هو تشكيل مادة قوية للإنطلاق نحو تفاعل إقتصادي يؤدي إلى قوة تفوق المجموع.

وفي ضوء النتائج المتحصل عليها يمكن تقديم التوصيات التالية:

- توعية المستثمرين بأهمية عمليات الاندماج وتقديم دراسات علمية وأمثلة واقعية تبين مزاياه وكيفية تحقيقها.
- قد يمثل الاندماج حل عملي للشركات الجزائرية التي تعاني من مشكل التمويل خاصة في ظل ظروف الأزمة البترولية الحالية التي ستحد من المساعدات المالية المقدمة من قبل الدولة.
- الاهتمام من قبل الدولة الجزائرية بتشجيع عمليات الاندماج وذلك بتقديم تحفيزات مثل الاعفاء من الضرائب لمدة معينة للشركة الناتجة عن الاندماج.
- ضرورة التزام الجزائر بمعايير الإبلاغ المالي الدولية حيث يتطلب ذلك توفرالبيئة الملائمة مثل وجود الأسواق الجاهزة لمختلف الأصول، والأسواق المالية الفعالة مما يمكن من القياس بالقيمة العادلة بكل كفاءة وفعالية، وتوفير الإطارات المؤهلة للتعامل مع القيم العادلة.

المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية

➢ الكتب

1- الأرياني، محمود صالح قائد. (2013). **اندماج الشركات كظاهرة مستحدثة (دراسة مقارنة).** ط1. الاسكندرية: دار الفكر الجامعي للنشر والتوزيع.

2- حماد، طارق عبد العال. (1999). **إندماج وخصخصة البنوك.** ط1. الاسكندرية: الدار الجامعية للنشر والتوزيع.

3- حماد، طارق عبد العال. (2000). **التقييم (تقدير قيمة البنك لأغراض الاندماج أوالخصخصة)**. ط1. مصر: الدار الجامعية للنشر والتوزيع.

4- الزبيدي، حمزة محمود. (2004). **التحليل المالي (تقييم الأداء والتنبؤ بالفشل).** ط1. الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

5- محمود، إبراهيم عبد السلام. (1998). **المحاسبة المالية المتقدمة**. ط1. إسكندرية: مطبعة الإشعاع الفنية للنشر والتوزيع.

➢ **المقالات**

1- الشماع، سمير منير عبد الملك. (2012). **"تحديد الأثر التجميعي لعملية الاندماج ودوره في ترشيد قرار الاندماج".** مجلة الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد: كلية الإدارة والاقتصاد. ع91.

2- المساعدة، أحمد المحمود. (2014). العلاقة القانونية للشركة القابضة مع الشركات التابعة لها (دراسة مقارنة)، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة شلف. ع 12.

3- مطاي، عبد القادر. (2010). **"الاندماج المصرفي كتوجه حديث لتطوير وعصرنة النظام المصرفي".** مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، جامعة بسكرة: كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير. ع7.

➢ **المداخلات**

لعماري، أحمد. (2010). **المعلومات المحاسبية وترشيد القرار في ظل تطبيق النظام المالي والمحاسبي بالجزائر.** ورقة مقدمة إلى الملتقى الدولي الأول حول: النظام المحاسبي المالي الجديد NSCF في ظل معايير المحاسبة الدولية تجارب: تطبيقات وآفاق (17- 18 جانفي)، المركز الجامعي الوادي: معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسير.

ثانيا:المراجع باللغة الفرنسية

1- Gouli, Mohamed. (2009). **Fusion- Acquisitions(les 3 régles du succcés)**, 1ére ed, Paris: Groupe Eyrolles.

2- Olivier, Meier, et Guillaume, shier. (2009). **Fusion Acquisitions :Stratégie.finance. management**, 3éme ed, Paris: Dunod.

ثالثا:مراجع باللغة الانجليزية

1- Depamphillis, Donald. (2011). **Mergers and acquisition basics**: All you need to know.1st ed, United states: Elsevier.

2- Roberts, Alexander, et al. (2012). **Mergers and Acquisitions**. Course of Edinburgh Business School, United Kingdom : Heriot-Watt University. P.7.

رابعا:مواقع الأنترنت

1- http://www.ascasociety.org
2- http://www.iasplus.com
3- http://www.ptra.gov.jo

أثر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية

دراسة عينة من البنوك التجارية بولاية قسنطينة

د. دباش أميرة
جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أثر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية. ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام أداة الاستمارة حيث تم توزيعها على مديرين ماليين ومسيرين في البنوك التجارية بقسنطينة، وقد تم استخدام برنامج التحليل الإحصائي spss.

وتوصلت الدراسة إلى أنه يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية بين الخصائص النوعية واتخاذ القرارات الائتمانية، حيث تعد الخصائص النوعية من مصادر المعلومات المهمة التي تعتمد عليها البنوك التجارية في اتخاذ القرارات الائتمانية.

الكلمات المفتاحية: الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية، القرارات الائتمانية، البنوك التجارية

Abstract:

This study aims at identify the impact of the qualitative characteristics of accounting information to make credit decisions in commercial banks. To achieve the objectives of the study was used the questionnaire it was distributed to managers and financial managers in commercial banks at Constantine, its analysis by the statistical program spss This study has resealed a positive impact statistically significant between the qualitative characteristics and make credit decisions, Where is the qualitative characteristics of the important sources of information upon which commercial banks in making credit decisions.

Key words: qualitative characteristics of accounting information, credit decisions, commercial banks

مقدمة

في ظل المتغيرات الاقتصادية التي تتسم بظروف عدم التأكد والمخاطرة التي يعيشها العالم اليوم، ونتيجة تزايد استخدام المعلومات في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية، إذ تعد المعلومات المحاسبية حجر الأساس في ترشيد عملية اتخاذ القرارات، ومما لاشك فيه أن هذه المعلومات لا تحقق الغاية المنشودة منها إلا إذا كانت تتسم بمجموعة من الخصائص التي تجعلها مفيدة لمستخدمها.

وبما أن البنوك التجارية تلعب دورا رئيسيا في الاقتصاد بشكل عام وتعد المكون الأساسي للسوق، حيث أنها تعتمد على اتخاذ قراراتها في جميع معاملاتها التجارية وغير التجارية على مصداقية المعلومات المحاسبية، إذ أن توفرها بشكل صحيح وتمتعها بالجودة المتمثلة في ملائمة المعلومات وموثوقيتها يساعد على اتخاذ القرارات الصائبة والابتعاد عن الارتجالية والعشوائية.

لذا لجأت الهيئات المحاسبية إلى وضع صفات وسمات خاصة بالمعلومات المحاسبية، حيث تعرف بالخصائص النوعية الواجب توفرها في المعلومات المحاسبية لتكون مفيدة وتختص بتقديم معلومات تفيد في ترشيد القرارات الائتمانية المتعلقة بالمؤسسة والتي تهم المقرضين وكذا الدائنين.

مشكلة الدراسة: وتأسيسا لما سبق فإن مشكلة الدراسة تظهر من خلال طرح السؤال الرئيسي التالي:

ما مدى تأثير الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

- ما مدى تأثير الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية؟
- ما مدى تأثير الخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية؟

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في أنها موردا جوهريا وهاما تعتمد عليها البنوك للتعامل مع ظروف السوق، وتعد من أهم عوامل النجاح في اتخاذ القرارات الائتمانية، إذ يتوجب على البنوك أن تقف على عمليات الائتمان التي تم منحها للزبائن، وذلك قبل اتخاذ قرار منح جديد بغية الوقوف على حقيقة وضعها الائتماني.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- إبراز الخصائص النوعية التي يجب أن تتوفر في المعلومات المحاسبية حتى تكون مفيدة؛
- معرفة كيفية اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية والعوامل المؤثرة عليها؛
- قياس أثر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية بولاية قسنطينة.

فرضيات الدراسة: من أجل الإجابة على مشكلة الدراسة سوف يتم طرح الفرضية الرئيسية التالية:

- **يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0.05 بين الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية واتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية.**

وسوف يتم تجزئتها إلى الفرضيات الفرعية التالية:

- يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0.05 بين الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية وبين اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية.
- يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0.05 بين الخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية وبين اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية.

نموذج الدراسة: لتحقيق غرض الدراسة والوصول إلى أهدافها اعتمد الباحثان على نموذج الدراسة التالي:

شكل رقم 1: نموذج الدراسة

المتغير المستقل

الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية

الخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية



منهج الدراسة:

للإجابة على الإشكالية السابقة تم استخدام المنهج الوصفي في تحديد الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية وإبراز أثرها في اتخاذ القرارات الائتمانية، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي من خلال تحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية .

الدراسات السابقة ومقارنة نتائجها مع نتائج الدراسة الحالية:

من أجل دراسة هذه الإشكالية واختبار الفرضيات سوف يتم الاستعانة ببعض الدراسات السابقة، حيث سنرى ما توصلت إليه هذه الدراسات ومن ثم الإضافة التي تصبوا إليها دراستنا، ومن أهم الدراسات التي نراها مناسبة ما يلي:

- **دراسة (أسامة محمود موسى، 2010) بعنوان دور المعلومات المحاسبية في ترشيد القرارات الائتمانية دراسة تطبيقية على البنوك التجارية العاملة في قطاع غزة:** وهدفت الدراسة إلى التعرف على السياسة الائتمانية في البنوك التجارية العاملة في فلسطين ومدى اعتمادها على المعلومات المحاسبية.

وقد توصلت الدراسة إلى أنه يمكن الاعتماد على قائمة التدفقات النقدية في قياس أداء الزبون عن فترات مالية سابقة، ووجود بعض البنوك التي لا تطلب معلومات محاسبية في بعض الأحيان وذلك لعدم وثوقها في القوائم المقدمة، أو أن المعلومات المحاسبية غير متاحة، أو غير كافية.

أما التوصيات التي تم التوصل إليها ضرورة إلزام البنوك للمؤسسات بتقديم معلومات مدققة يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها، وضرورة التحول من فلسفة السياسات الائتمانية القائمة على الشخصية إلى الاعتماد على المعلومات المحاسبية كأساس لترشيد السياسات الائتمانية.

- **دراسة (رامي محمد الزبدية، علي عبد القادر الذنيبات، 2012)، بعنوان أثر تقرير المدقق الخارجي في اتخاذ القرار في البنوك التجارية الأردنية:** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى اعتماد ضباط الائتمان في البنوك التجارية الأردنية على تقرير المدقق خلال عملية اتخاذ القرار الائتماني ومعرفة تأثير تقرير المدقق المتحفظ حول استمرارية المؤسسة في القرار الائتماني.

وقد توصل الباحثان إلى جملة من النتائج مفادها أن تقرير مدقق الحسابات يعد من مصادر المعلومات المهمة التي يعتمد عليها ضابط الائتمان في اتخاذ القرارات الائتمانية، حيث أشارت النتائج إلى وجود فروقات ذات دلالة إحصائية بين التقرير النظيف والتقرير المتحفظ في التأثير في قرار ضابط الائتمان.

وانتهت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات أهمها ضرورة قيام البنوك على حث ضباط الائتمان على زيادة الاهتمام بجميع أنواع التحفظات.

- **دراسة (محمد الهادي أحمد محمد، 2013) بعنوان اختبار الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في القوائم المالية المنشورة:** تهدف هذه الدراسة إلى قياس مدى توفر الخصائص النوعية في المعلومات المحاسبية في القوائم المالية المنشورة للمصارف التجارية المدرجة في سوق المال الليبي.

وقد توصلت الدراسة إلى أنه لا تتوفر خاصية القابلية للفهم والقابلية للمقارنة و خاصية الموثوقية بمستوى مقبول في المعلومات المحاسبية الواردة في القوائم المالية المنشورة للمصارف التجارية المدرجة في السوق الليبي للأوراق المالية.

أما التوصيات فكانت عبارة عن تقديم تقارير سنوية بشكل منظم ومدروس ودقيق، والابتعاد عن استخدام المصطلحات المعقدة وأن يقوم البنك بمناقشة نتائجه السنوية بحيث يوازن بين الأحداث الايجابية والسلبية للبنك.

موقع هذه الدراسة من الدراسات السابقة: ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في كونها تناولت الموضوع من منظور مخالف، حيث ركزت على القطاع المصرفي وذلك من خلال دراسة الحالة، خاصة أنها كانت في بنوك تجارية جزائرية وهذا ما سيساهم في تقديم إضافة أكاديمية، عكس الدراسات السابقة التي كانت بنوك تجارية غير جزائرية.

تقسيمات الدراسة: تم تقسيم الدراسة إلى ما يلي:

- الإطار النظري للدراسة؛
- الإطار العملي للدراسة

الإطار النظري للدراسة

أولا: الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية

توفر القوائم المالية معلومات محاسبية، وحتى تكون مفيدة لمتخذي القرار فلا بد أن تتوفر على جملة من المواصفات تسمى بخصائص المعلومات المحاسبية.

1- تعريف الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية: تعرف على أنها "صفات تجعل المعلومات الواردة في القوائم المالية مفيدة للمستخدمين، كما توصف القوائم المالية غالبا بأنها تظهر بصورة صادقة أو تمثل بعدالة المركز المالي والأداء والتغيرات في المركز المالي للمؤسسة، ومع أن هذا الإطار لا يتعامل مباشرة مع هذه المفاهيم إلا أن تطبيق الخصائص النوعية ومعايير المحاسبة المناسبة يترتب عليه عادة قوائم تظهر بصورة صادقة وعادلة".[1]

ومن خلال ما سبق يمكن تعريفها بأنها " مجموعة الخصائص والمميزات التي تختص بها المعلومات المحاسبية، والتي تعمل على جعلها مفيدة يمكن استخدامها في اختيار القرارات الرشيدة.

2- **أنواع الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية:** حتى تستطيع المعلومات المحاسبية أن تحقق الأهداف التي تعمل على تحقيقها ينبغي أن تتوفر مجموعة من الخصائص النوعية الضرورية:

1-2 الخصائص النوعية الأساسية

1-1-2 الملائمة: يقصد بهذه الخاصية أن تكون المعلومات المحاسبية ملائمة لحاجات مستخدمي القرارات، فتساعدهم بذلك على تقييم الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلية كما تعزز من تقييماتهم الماضية، وحتى تكون المعلومات كذلك يجب توفر الخصائص التالية فيها:[2]

- **توقيت المعلومات:** يجب أن يتحصل متخذ القرار على المعلومة في الوقت المناسب وهو الوقت الذي يجب أن يتخذ فيه القرار، لأن بعد هذا الوقت تفقد المعلومة قدرتها ولا حاجة لاستعمالها في اتخاذ القرار وهذا ما يتطلب الإعداد الجيد للمعلومة والانتهاء منها في الوقت المناسب وجعلها متاحة عند الطلب.
- **التغذية العكسية:** المعلومة المناسبة هي تلك المعلومة التي تكون صالحة للاستعمال في مختلف الظروف والحالات مهما تعددت، لأن هناك معلومات تجعلها صالحة الاستعمال وتستخدم في تقييم الأعمال الماضية وتصحيح التوقعات السابقة للأعمال.
- **القدرة على التنبؤ:** من شروط خاصية الملائمة أن تكون للمعلومة قدرة على التنبؤ بالمستقبل بحيث تكون صالحة الاستخدام في تصميم نماذج التنبؤ بالأحداث الاقتصادية قصيرة الأجل، وهذا ما يساعد متخذي القرارات باتخاذ القرارات المناسبة لتنبؤهم بالمستقبل.

2-1-2 الموثوقية: لكي تكون المعلومة المحاسبية ذات موثوقية لابد أن تتميز بالصدق والتحقق والحياد، وأن تكون خالية من الأخطاء والتحيز ويمكن الاعتماد عليها[3]، وتتكون هذه الخاصية من المكونات التالية:

---

[1]/ بدر الدين فاروق أحمد سالم، نصر الدين حامد أحمد، دور الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في رفع كفاءة التخطيط والرقابة في المؤسسات المالية السودانية، مجلة العلوم الاقتصادية، عدد 14، السودان، 2013، ص 92.

[2]/ خليل عواد أبو حشيش، المحاسبة الإدارية لترشيد القرارات التخطيطية، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، الأردن، 2005، ص34.

[3] /Ferdy van Beest, Geert braam, Convergence through divergence An analysis of relationships between qualitative characteristics of the conceptual frameworks of the FASB and IASB, NiCE Working Paper 06-102 Radboud University Nijmegen, p7.

• **التمثيل الصادق:** يجب أن تمثل وتحدد المعلومة الحدث أو العملية وتقنيات القياس المتعلقة بهما، وفي حالة عدم التأكد ببعض الأحداث فإنه من الممكن عدم الاعتراف بها.

• **الجوهر فوق الشكل:** يجب القيام بمحاسبة العمليات طبقا لجوهرها وحقيقتها الاقتصادية وليس لشكلها القانوني فالعبرة بالجوهر والحقيقة فقط التي تؤدي إلى اتخاذ القرارات الصحيحة.[1]

• **الحذر:** يجب الحذر في ظروف عدم التأكد من خلال عدم تسجيل الأصول والدخل بأكثر من اللازم وعدم تسجيل الالتزامات والمصاريف بأقل من اللازم.

• **الاكتمال:** لا يعتد إلا بالمعلومات الكاملة ضمن حدود الأهمية النسبية والتكلفة فأي نقص منها سيجعلها خاطئة أو مضللة وتصبح بذلك غير موثوقة وغير ملائمة[2] ولا يمكن الاعتماد عليها في اتخاذ القرارات.

• **الحياد:** المعلومات المناسبة هي المعلومات البعيدة عن التحيز أي تكون محايدة لا تغلب فيها مصلحة فئة عن فئة أخرى مثلا إذا غلبنا مصلحة مجلس الإدارة عن مصلحة المساهمين فان المعلومة غير حيادية[3].

2-2 الخصائص النوعية الثانوية: وتتمثل فيما يلي:

2-2-1 القابلية للمقارنة: تتمثل هذه الخاصية في قدرة المستخدمين من مقارنة القوائم المالية للمؤسسات المختلفة حتى يتمكنوا من تقييم مراكزها المالية وأدائها ومعرفة التغيرات التي حدثت في مركزها المالي، ويجب القيام بإعلام المستخدمين بالسياسات المحاسبية المتبعة في إعداد القوائم المالية ومختلف التغيرات التي تحدث فيها من أجل تمكينهم من عملية المقارنة بالشكل الصحيح، وما يسهل هذه العملية هي قدرة المستخدمين على اكتشاف الاختلافات في السياسات المحاسبية للعمليات المالية المتشابهة والأحداث الأخرى من فترة لأخرى ومدى تطبيق المعايير المحاسبية الدولية وخاصة الإفصاح عن السياسات المحاسبية[4].

ويتطلب تحقيق تلك الخاصية ضرورة توافر خاصيتين فرعيتين هما:[5]

• **التجانس:** يجب أن تمتد مقارنة النتائج الخاصة بمؤسسة معينة عبر فترات متعددة، فلا يجب أن تكون خلال لحظة فقط وهذا يتطلب استمرار العمل بنفس الإجراءات من فترة لأخرى.

• **توحيد أو تماثل الممارسة:** لا بد من توحيد الممارسة المحاسبية بين المشروعات المختلفة حتى نستطيع التمكن من إجراء مقارنات صحيحة بين مختلف معلومات المشروعات في نقطة زمنية معينة.

2- 2-2 الثبات: يجب الثبات والاستمرار بنفس الطريقة المحاسبية التي تم البداية بها، من أجل تحقيق إمكانية المقارنة وتقديم المعلومات المفيدة إلا في حالة تغير الظروف، فانه يمكن التغيير في الطرق المحاسبية المستخدمة[6].

ثانيا: القرارات الائتمانية في البنوك التجارية

---

[1]/ حسين يوسف، سمير معذي الريشاني، موسوعة المعايير المحاسبية الدولية إعداد التقارير المالية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، عمان، 2012، ص 78، 79.

[2]/ يوسف محمود جربوع، سالم عبد الله حلس، المحاسبة الدولية مع التطبيق العلمي لمعايير المحاسبة الدولية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص 80.

[3]/ رضوان حلوة حنان، مبادئ المحاسبة المالية القياس والإفصاح في القوائم المالية، إثراء للنشر والتوزيع، مكتبة الجامعية، الشارقة، الطبعة الأولى، الأردن، 2009، ص 24،25.

[4] / أمين السيد أحمد لطفي، إعداد وعرض القوائم المالية في ضوء معايير المحاسبة الدولية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 55،56.

[5]/ أحمد محمد نور، مبادئ المحاسبة المالية (المبادئ والمفاهيم والإجراءات المحاسبية طبقا لمعايير المحاسبية الدولية والعربية والمصرية)، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 55.

[6]/ كمال الدين الدهراوي، تحليل القوائم المالية لأغراض الاستثمار، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006، ص42.

تعد البنوك التجارية كركيزة أساسية للسوق النقدي في الدولة والذي تمثل بالغالب ركيزة أساسية لباقي الأسواق في الاقتصاد المحلي، ومن أهم ما يجب أن تركز عليه البنوك التجارية من أجل تحقيق أهدافها هو ترشيد قراراتها الائتمانية.

1- تعريف القرارات الائتمانية:

تعرف القرارات الائتمانية بأنها: " مجموعة من الإجراءات المنسقة والمتتابعة التي ينبغي إتباعها من أجل ضبط القرض، وذلك لتلبية جميع المعايير المنصوص عليها في منح الائتمان".[1]

2- **مراحل صناعة القرار الائتماني:** من أجل صناعة القرار الائتماني يجب المرور بثلاثة مراحل التالية:[2]

1-2 مرحلة ما قبل اتخاذ القرار: تعتبر كمرحلة أولية أو تمهيدية في عملية صناعة القرار الائتماني ويتم فيها القيام بالإجراءات التالية :

- الترويج الفعال للخدمات المقدمة من قبل البنك من أجل جذب العملاء؛
- الاستعلامات التي توفر معلومات حول طالبي الائتمان؛
- إجراء تفاوض مع طالب الائتمان على الشروط الأولية.

2-2 مرحلة اتخاذ القرار الائتماني: وهي المرحلة الأساسية حيث يتم فيها تخليق القرار الائتماني ويتخللها ما يلي :

- تحديد أهم المخاطر الائتمانية لطلب الائتمان والتي من شأنها أن تؤثر على القرار الائتماني؛
  - قياس كل المخاطر التي تم تحديدها؛
  - صياغة القرار الائتماني ؛
  - اعتماد السلطة المختصة بالقرار الائتماني.

3-2 مرحلة ما بعد اتخاذ القرار الائتماني: يتم فيها ترجمة القرار عمليا والانتقال به على أرض الواقع وفيها يتم القيام بالإجراءات التالية :

- السيطرة على الضمانات؛
- تقديم التسهيلات الائتمانية؛
- تسديد التسهيلات التي تم منحها.

3- العوامل المؤثرة على اتخاذ القرار الائتماني: يوجد عدة عوامل مترابطة ومتكاملة تؤثر في اتخاذ القرار الائتماني وتتمثل في:[3]

1-3 العوامل الخاصة بالزبون: هي عوامل متعلقة بالزبون في حد ذاته مثل: شخصية الزبون، رأس ماله، مدى قدرة الزبون على نشاطه وتسديد التزاماته، والضمانات التي يقدمها كضمان للائتمان والظروف العامة والخاصة التي تحيط بالنشاط الذي يمارسه الزبون.

2-3 العوامل الخاصة بالبنك: تتمثل هذه العوامل فيما يلي :

- درجة السيولة التي يتمتع بها البنك حاليا وقدرة البنك على التوظيف الفعال للسيولة؛

1/ Ilmars Puriņs and all, Decision Making in Credit Granting Process , EWG-DSS Liverpool-2012 Workshop: Decision Support Systems & Operations Management Trends and Solutions in Industries, p05.

2/ خالد محمود الكحلوت، مدى اعتماد المصارف التجارية على التحليل المالي في ترشيد القرار الائتماني، رسالة ماجستير في المحاسبة والتمويل، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005 ،ص 74، 75.

3/ تانيا قادر عبد الرحمن دور التحليل المالي في تشخيص عوامل القوة والضعف في القوائم المالية للشركات المقترضة عند اتخاذ القرار الائتماني المصرفي دراسة تطبيقية في مجموعة من المصارف المختارة في مدينة كركوك، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد 8، العدد 26، جامعة تكريت، العراق، 2012، ص72،73.

- الإستراتيجية المعتمدة من طرف البنك في اتخاذ القرارات الائتمانية؛
- مدى توفر البنك على الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة على القيام بوظيفة الائتمان المصرفي؛
- هدف البنك في المرحلة القادمة والعوامل الخاصة بالتسهيلات الائتمانية.

وهناك من يصنف مجموعة أخرى من العوامل المؤثرة على قدرة البنك على الإقراض :

- معدل أسعار الفائدة على القروض وعلى الودائع ومدى ثبات الودائع ؛
- النسب والمعدلات التي يقررها البنك المركزي؛
- مستوى الطلب على القروض؛
- طبيعة الإدارة وأوجه التوظيف الأخرى.

ثالثا: أثر المعلومات المحاسبية على اتخاذ القرار الائتماني

لم يعد هناك مشكل يواجه متخذ القرار في عدم وجود أو توفر المعلومات، بل المشكل الحقيقي يتمثل في وفرة هائلة وكم كبير من المعلومات التي تتطلب تصنيفها وتبويبها لاختيار المعلومات الملائمة والمناسبة لمتخذ القرار، ويتوقف ذلك على جودة اختيار المعلومات المحاسبية للمفاضلة بين البدائل المتاحة لاتخاذ قرارات الائتمان والتنبؤ بدرجة المخاطرة. إذ نجد أن متخذ القرار يحتاج إلى مجموعة من المعلومات مثل:[1]

- **معلومات حول المقدرة على السداد:** وهي معرفة إن طالب الائتمان القدرة على التسديد من خلال التعاملات السابقة، ودراسة أداءه الإدارية والفنية حسب ظروف القطاع الذي يعمل فيه، ومعرفة مختلف مصادر الدخل وهل يمكن أن تستخدم هذه المصادر في تسديد الديون.
- **معلومات عن ربحية التسهيلات:** والتي تتمثل في دراسة مدى كفاية التدفقات النقدية ومصادرها وهامش الربح الذي سيحققه المشروع بعد المصاريف.
- **غرض التسهيلات:** هل يحقق الغرض جدوى مالية، ومشروعية الغرض من الناحية القانونية والأخلاقية.
- **المبلغ المطلوب:** تحديد نسبة التمويل المطلوبة مقارنة بكلفة المشروع، وتحديد إذا كان الزبون بحاجة فعلية للتسهيلات المطلوبة وهل التسهيلات المطلوبة تكفي لتمويل نشاطه.
- **معلومات عن الضمانة:** وهي التعرف على الضمانات التي يقدمها طالب الائتمان، خاصة إذا كانت من أصول المؤسسة ودراستها من كافة النواحي مثل: استقرار القيمة، سهولة بيعها عند الحاجة، سهولة تقديرها، إمكانية توثيقها والكثير من هذه المعلومات لا يمكن الحصول عليها إلا من القوائم المالية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وبخاصة تلك المعلومات التي تتعلق بقدرة المؤسسة على الوفاء بالتزاماتها تجاه دائنيها كذلك تقييم ربحية المؤسسة، ونسبة السيولة والتدفقات النقدية لديها.

إذ أن المعلومات المحاسبية الجيدة التي تعكس الحقيقة الاقتصادية للمؤسسات سوف تقود إلى تقييم جيد لقدرة المؤسسة على السداد والوفاء بالتزاماتها، وبالتالي تكون عملا أساسيا يعتمد عليها متخذ القرار بالقبول أو الرفض.

الإطار العملي

---

[1]/ عصام محمد البحيصي، دور المعلومات المحاسبية في ترشيد السياسة الائتمانية دراسة تطبيقية على البنوك التجارية العاملة في فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، غزة، 2011، ص 1356، 1357.

تم تقسيم هذه الدراسة التطبيقية إلى جزأين، الأول دراسة إحصائية لعينة من رؤساء مصالح والمديرين الماليين والمسيرين للبنوك التجارية وتم اختبار فروض الدراسة بشأن الخصائص النوعية وأثرها على القرارات الائتمانية في البنوك التجارية، أما الجزء الثاني دراسة حالة اتخاذ قرار ائتماني (منح قرض).

الجزء الأول: دراسة إحصائية لآراء عينة الدراسة

1- عينة الدراسة:

حيث وقع الاختيار على أربعة بنوك تجارية بقسنطينة والذي تتمثل في البنك الوطني الجزائريBNA ، البنك الخارجي الجزائري BEA، القرض الشعبي الوطني CPA، سوسيتي جنرال، ولتحقيق أهداف الدراسة تم توزيع 40 استمارة لمن لهم علاقة باتخاذ القرارات الائتمانية، وبلغ عدد الاستمارات المستردة 32 استمارة، أي بنسبة 80% استخدمت في التحليل الإحصائي والجدول الموالي يبين ذلك:

جدول رقم1: توزيع الاستمارات على عينة البنوك التجارية

اسم البنك	عدد الاستمارات الموزعة	عدد الاستمارات المسترجعة	نسبة عينة كل بنك من إجمالي العينة
البنك الوطني الجزائري	10	9	%28.12
البنك الخارجي الجزائري	12	10	%31.25
القرض الشعبي الوطني	9	7	%21.88
سوسيتي جنرال	9	6	%18.75
المجموع	40	32	%100

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الاستمارات

2- تقديم استبيان الدراسة: من أجل تحقيق هدف الدراسة تم تصميم استمارة وقد تقسيمها إلى جزأين:

الجزء الأول: وهو مكون من عدة أسئلة تتعلق بالمعلومات الشخصية لأفراد عينة الدراسة؛

الجزء الثاني: خاص بمتغيرات الدراسة والذي قسم إلى محورين:

المحور الأول: والذي خصص للخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية ويشمل مجالين؛

المحور الثاني: وضعت له عدة فقرات خاصة باتخاذ القرارات الائتمانية.

وقد تم اعتماد مقياس ليكارت الخماسي، وتم تحديد مقياس الإجابة عن فقرات الدراسة كما هو مبين بالجدول التالي:

جدول رقم 2 :مقياس ليكارت الخماسي

الإجابة	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
الدرجة	1	2	3	4	5

3 - أدوات البحث الميداني: تم استخدام برنامج $spss_{v20}$ لاستخراج النتائج الإحصائية، واستخدام الأساليب الإحصائية لتفسيرها:

- معامل ألفا كرونباخ لقياس مدى ثبات الاستمارة؛
- اختبار(klomogrov- smirnov)ks للتأكد من اعتيادية البيانات أي ما إذا كانت البيانات تتبع التوزيع الطبيعي؛
- التكرارات والنسب المئوية لوصف مفردات الدراسة وتحديد نسب إجاباتهم بغرض وصف خصائص عينة الدراسة؛

- المتوسط الحسابي لترتيب إجابات مفردات الدراسة لعبارات الاستبيان حسب درجة الموافقة؛
- اختبار كاي مربع لمعرفة الاستقلالية والارتباط بين المتغيرات؛
- معامل الارتباط سيبرمان لبيان علاقة الارتباط بين المتغير المستقل والمتغير التابع؛

4- **ثبات أداة الدراسة:** لأجل اختبار ثبات أداة الدراسة وإمكانية الاعتماد عليها في اختبار الفرضيات وتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام معامل ألفا كرونباخ، والجدول الموالي يبين ذلك:

جدول رقم3: مدى ثبات محاور الدراسة

الرقم	العنوان	قيمة ألفا كرونباخ
1	المحور الأول: الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية	0,67
2	المجال الأول: الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية	0,66
3	المجال الثاني: الخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية	0,81
4	المحور الثاني : اتخاذ القرارات الائتمانية	0,79
5	الاستمارة ككل	0,73

المصدر: مخرجات SPSS.

من الجدول السابق تبين أن معامل الثبات بلغ 0,73، أي نسبة 73 % ويعد مقبول لأغراض الدراسة وهذا ما يدل على ثبات محاور الدراسة ويمكن الاعتماد على أداة الدراسة لاختبار الفرضيات.

5- اختبار التوزيع الطبيعي: إذا كانت البيانات تتبع التوزيع الطبيعي فإن قيمة (sig) والتي تعني أن مستوى الدلالة أكبر من 0,05 أما إذا كان مستوى الدلالة أقل من 0,05 ففي هذه الحالة تعتبر البيانات لا تتبع التوزيع الطبيعي، وللتأكد من ذلك سوف نستخدم اختبار **Kolmogorov – Smirnov** والجدول التالي يبين:

جدول رقم4: مدى ملائمة البيانات للتحليل الإحصائي (اختبارKolmogorov – Smirnov)

الرقم	العنوان	Kolmogorov – Smirnov	مستوى المعنوية
1	المحور الأول: الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية	0,139	0,012
2	المجال الأول: الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية	0,152	0,057
3	المجال الثاني: الخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية	0,239	0,000
4	المحور الثاني : اتخاذ القرارات الائتمانية	0,121	0,020
5	الاستمارة ككل	0,081	0,020

المصدر: مخرجات SPSS.

من خلال مستوى المعنوية نلاحظ أن كلها أقل من 0,05 مما يدعونا إلى رفض الفرضية الصفرية وبالتالي عدم إتباع البيانات للتوزيع الطبيعي ومن ثمة إجراء الاختبارات اللامعلمية.

6- تحليل النتائج: سنحاول تحليل البيانات أو المعلومات الشخصية المكونة للاستمارة والمتحصل عليها من إجابات أفراد العينة إضافة إلى تحليل نتائج أسئلة المحورين واختبار الفرضيات.

1-6 تحليل خصائص عينة الدراسة: الجدول الموالي يبين ذلك:

جدول رقم5: خصائص عينة الدراسة

الخاصية		التكرار	النسبة%
حسب الجنس	ذكر	15	46.90
	أنثى	17	53.10
حسب السن	أقل من 25	/	/
	25-30	1	03.10
	45-30	20	62.50
	أكثر من45	11	34.40
حسب المستوى الدراسي	متوسط	/	/
	ثانوي	5	15.60
	ليسانس	16	50.00
	شهادة الدراسات العليا المصرفية	11	34.40
	ماجيستر	/	/
حسب سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	7	/
	5-10 سنوات	7	21.90
	10-15 سنة	10	31.30
	أكثر من15 سنة	15	46.90
اسم البنك	البنك الوطني الجزائري	9	28.10
	البنك الخارجي الجزائري	10	31.30
	القرض الشعبي الوطني	7	21.90
	سوسيتي جنرال	6	18.80

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على إجابات أفراد العينة ومخرجات SPSS.

تشير نتائج التحليل الوصفي للخصائص الديمغرافية إلى ما يلي:

- أن عدد الذكور أقل من عدد الإناث وهذا ما يدل سيطرة الإناث على الذكور في البنوك بقسنطينة؛
- أن المؤسسة لديها فئة كبيرة ذات السن الكبير وهذا ما يساعدها في الخبرة على اتخاذ القرارات الائتمانية المناسبة
- أن متوسط المستوى التعليمي لأفراد العينة جيد، مما يعني قدرتهم على فهم فقرات الاستمارة والإجابة عنها بدرجة عالية من الكفاءة وهذا بدوره يعزز من صحة النتائج التي يتم التوصل إليها ودقتها؛
- أما غالبية عينة الدراسة فتقع خبرتهم من ذوي الخبرات وهذا ما يعتبر من المؤشرات الجيدة وسيساهم في فهم أسئلة الدراسة؛

- نلاحظ أن هناك تقارب من حيث الاستمارات المسترجعة من البنوك مما سيسهل عملية الدراسة.

2-6 تحليل اتجاهات أفراد العينة اتجاه متغيرات الدراسة: سنحاول عرض إجابات أفراد عينة الدراسة وتحليلها باعتماد المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية من خلال الجداول التالية:

1-2-6 تحليل إجابات أفراد العينة نحو محور الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية: بما أن المحور الأول قسم إلى مجالين وعليه كانت اتجاهات أفراد العينة حسب هذه المجالات كما يلي:

- **تحليل إجابات أفراد العينة نحو مجال الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية:**

جدول رقم6: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجال الأول

الرقم	الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
1	أثناء القيام باتخاذ القرارات الائتمانية فإنه يجب أن تكون المعلومات ملائمة	4.53	0.50	1
2	يؤدي إعداد المعلومات المحاسبية وفق خاصية الموثوقية إلى زيادة القدرة على التأثير في اتخاذ القرارات الائتمانية	4.41	0.61	3
3	تتميز المعلومات المحاسبية المقدمة للبنك بالمصداقية	3.19	1.03	5
4	إن إعداد المعلومات المحاسبية وفق خاصية التوقيت المناسب يعزز من ميزة القدرة التنبؤية للمعلومات وبالتالي اتخاذ القرار الائتماني المناسب	4.50	0.50	2
5	هناك توفيق في اتخاذ القرارات الائتمانية من قبل البنك ويرجع ذلك لكون المعلومات مفيدة	3.31	1.35	4
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام.		3.98	0.47	

المصدر: مخرجات SPSS.

من خلال الجدول يمكن استنتاج ما يلي:

أفراد عينة الدراسة موافقون بشدة على:

- أثناء القيام باتخاذ القرارات الائتمانية فإنه يجب أن تكون المعلومات ملائمة؛
- إن إعداد المعلومات المحاسبية وفق خاصية التوقيت المناسب يعزز من ميزة القدرة التنبؤية للمعلومات وبالتالي اتخاذ القرار الائتماني المناسب؛
- يؤدي إعداد المعلومات المحاسبية وفق خاصية الموثوقية إلى زيادة القدرة على التأثير في اتخاذ القرارات الائتمانية.

أفراد العينة موافقون على:

- هناك توفيق في اتخاذ القرارات الائتمانية من قبل البنك ويرجع ذلك لكون المعلومات مفيدة .

أفراد العينة محايدين على:

- تتميز المعلومات المحاسبية المقدمة للبنك بالمصداقية.

ما يلاحظ أن أغلب الإجابات كانت موافقة وبشدة على أهمية الخصائص النوعية الرئيسية في التأثير على اتخاذ القرارات الائتمانية وهذا ما يدل على اهتمام بالخصائص النوعية والاعتماد عليها في اتخاذ القرارات إلا أن المعلومات المقدمة للبنك قد لا تكون دائما تتميز بالمصداقية والشفافية فلا بد على البنك التحقق من تلك المعلومات المقدمة قبل اتخاذ القرار المناسب.

- **تحليل إجابات أفراد العينة نحو مجال الخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية:**

جدول رقم7: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجال الثاني

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
1	تساعد المعلومات المحاسبية التي تتميز بالقابلية للمقارنة بزيادة القدرة التنبؤية لمستخدم القرارات الائتمانية	4.34	0.54	2
2	تتميز المعلومات المحاسبية المقدمة للبنك بتقليل حالات عدم التأكد لدى متخذي القرار وزيادة درجة الثقة لديهم	3.66	0.48	4
3	توفر القوائم المالية معلومات محاسبية تتميز بقابليتها للمقارنة بين فترة وأخرى	4.16	0.95	3
4	يؤدي الالتزام بمبدأ الثبات عند إعداد القوائم المالية إلى جعل المعلومات المحاسبية أكثر فائدة وموثوقية وبالتالي تسهيل عملية اتخاذ القرار الائتماني	4.38	0.49	1
	المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام.	4.13	0.27	

المصدر: مخرجات SPSS.

من خلال الجدول يمكن استنتاج ما يلي:

أفراد عينة الدراسة موافقون بشدة على:

- يؤدي الالتزام بمبدأ الثبات عند إعداد القوائم المالية إلى جعل المعلومات المحاسبية أكثر فائدة وموثوقية وبالتالي تسهيل عملية اتخاذ القرار الائتماني ؛
- تساعد المعلومات المحاسبية التي تتميز بالقابلية للمقارنة بزيادة القدرة التنبؤية لمستخدم القرارات الائتمانية.

أفراد العينة موافقون على:

- توفر القوائم المالية معلومات محاسبية تتميز بقابليتها للمقارنة بين فترة وأخرى ؛
- تتميز المعلومات المحاسبية المقدمة للبنك بتقليل حالات عدم التأكد لدى متخذي القرار وزيادة درجة الثقة لديهم.

2-2-6 تحليل إجابات أفراد العينة نحو محور اتخاذ القرارات الائتمانية:

جدول رقم8: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمحور الثاني

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
1	يعتمد البنك عند اتخاذ القرارات الائتمانية على الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية أثناء القيام بأنشطتها وأعمالها	3.00	1.24	3
2	إن توفير المعلومات المحاسبية واستخدامها في اتخاذ القرارات الائتمانية يعد من الأمور الضرورية والمهمة لدى البنك	4.50	0.50	1
3	تساهم الخصائص النوعية في القوائم والتقارير المالية على اتخاذ القرار الائتماني الرشيد	3.13	0.90	2
4	في حالة عدم توفر الخصائص النوعية للمعلومات الكافية فإن متخذ	2.55	1.27	4

	القرار يميل إلى حكمه الشخصي في اتخاذ القرار الائتماني			
5	إن الاعتماد على الحكم الشخصي يؤدي إلى اتخاذ القرار الائتماني المناسب	2.09	0.96	5
	المتوسط الحسابي والانحراف المعياري العام.	3.09	0.66	

المصدر: مخرجات SPSS.

من خلال الجدول يمكن استنتاج ما يلي:

أفراد عينة الدراسة موافقون بشدة على:

- إن توفير المعلومات المحاسبية واستخدامها في اتخاذ القرارات الائتمانية يعد من الأمور الضرورية والمهمة لدى البنك .

أفراد العينة محايدين على:

- تساهم الخصائص النوعية في القوائم والتقارير المالية على اتخاذ القرار الائتماني الرشيد ؛
- يعتمد البنك عند اتخاذ القرارات الائتمانية على الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية أثناء القيام بأنشطتها وأعمالها.

أفراد العينة غير موافقين على:

- في حالة عدم توفر الخصائص النوعية للمعلومات الكافية فان متخذ القرار يميل إلى حكمه الشخصي في اتخاذ القرار الائتماني؛
- إن الاعتماد على الحكم الشخصي يؤدي إلى اتخاذ القرار الائتماني المناسب.

يلاحظ من الجداول السابقة أن عينة الدراسة موافقة على أن الخصائص النوعية من أهم الأمور المهمة الذي يجب توفرها في المعلومة المحاسبية لكي يتخذ على أساساها القرار الائتماني، أما في دور هذه الأخير فهي ليست فقط من العوامل التي تأثر على هذه القرارات بل يلعب شخصية الزبون والضمانات المقدمة للبنك من العوامل أيضا التي تؤدي إلى القرار الائتماني الرشيد، أما في حالة عدم توفر الخصائص النوعية في المعلومات المحاسبية فإن البنك لا يميل إلى حكمه الشخصي بل لابد من دراسة مالية معمقة قبل اتخاذ القرار الائتماني.

7- اختبار فرضيات الدراسة:

7-1 اختبار الفرضية الفرعية الأولى: يبين الجدول التالي نتائج اختبار كاي مربع من أجل معرفة هل أن المتغيرين مستقلين أو غير مستقلين:

جدول رقم 9: اختبار كاي مربع للفرضية الأولى

الاختبار	مجال 1	محور 2
كاي مربع	6,250	10,250
مستوى المعنوية	0,006	0,006

المصدر: مخرجات SPSS.

يختبر الجدول السابق الفرضية الصفرية القائلة بأن المتغيرين مستقلين والفرضية البديلة التي مفادها أن هناك ارتباط بين المتغيرين، ومن خلال نتائج الاختبار يتبين أن مستوى الدلالة أقل من 0,05 مما يدعونا إلى قبول الفرضية البديلة أي أن هناك علاقة ارتباط بين المتغيرين.

ولأجل معرفة اتجاه العلاقة فإننا سوف نعتمد على معامل ارتباط سيبرمان كما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم 10 : معامل ارتباط سيبرمان للفرضية الفرعية الأولى

الاختبار		مجال 1	محور2
معامل الارتباط	اختبار سيبرمان	1,000	0,578
مستوى المعنوية	مجال1		0,033
عدد العينة		32	32
معامل الارتباط	اختبار سيبرمان	0,578	1,000
مستوى المعنوية	محور2	0,033	
عدد العينة		32	32

المصدر: مخرجات SPSS.

من خلال ما سبق يتبين أن هناك علاقة ارتباط بين الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية واتخاذ القرارات الائتمانية إذا بلغ معامل الارتباط سيبرمان 57,8 % وهو يشير إلى أن الأثر موجب ومتوسط كما أن مستوى المعنوية أقل من 0,05 مما يدعونا إلى قبول الفرضية الفرعية الأولى أي أن هناك أثر ايجابي للخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات في البنوك التجارية ولكن هذا الأثر هو متوسط.

2-7 اختبار الفرضية الفرعية الثانية: مفاد الفرضية الفرعية الثانية هو أن هناك أثر ايجابي للخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية. وفي البداية سوف نستخدم اختبار كاي مربع من أجل معرفة هل هناك ارتباط بين المتغيرين أم لا ثم نستخدم اختبار سيبرمان لمعرفة اتجاه وقوة العلاقة.

جدول رقم 11: اختبار كاي مربع للفرضية الفرعية الثانية

الاختبار	مجال 2	محور 2
كاي مربع	23,563	10,250
مستوى المعنوية	0,019	0,006

المصدر: مخرجات SPSS.

ومن خلال الجدول السابق لاختبار كاي مربع يمكن القول أن الخصائص الثانوية للمعلومات المحاسبية واتخاذ القرارات الائتمانية مرتبطين لأن مستوى الدالة أقل من 0,05.

جدول رقم 12 : معامل ارتباط سيبرمان للفرضية الفرعية الثانية

الاختبار		مجال 2	محور2
معامل الارتباط	اختبار سيبرمان	1,000	0,448
مستوى المعنوية	مجال2		0,036
عدد العينة		32	32
معامل الارتباط	اختبار سيبرمان	0,448	1,000
مستوى المعنوية	مجال2	0,036	
عدد العينة		32	32

المصدر: مخرجات SPSS.

ومما سبق يمكن استنتاج:

- هناك علاقة معنوية لأن مستوى الدلالة أقل من 0,05؛
- هناك علاقة ارتباط موجبة ومتوسطة حيث بلغ معامل ارتبط سيبرمان 44,8 %.

وهذا ما يدعونا بقبول الفرضية الفرعية الثانية أي أن هناك أثر ايجابي للخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية.

3-7 اختبار الفرضية الرئيسية للدراسة: سوف يتم اختبار الفرضية الرئيسية والتي مفادها أنه يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0,05 بين الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية واتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية. ويمكن بيان وجود العلاقة من عدمها باستخدام اختبار كاي مربع.

جدول رقم 13: اختبار كاي مربع للفرضية الرئيسية

الاختبار	محور 1	محور 2
كاي مربع	12,250	10,250
مستوى المعنوية	0,035	0,006

المصدر: مخرجات SPSS.

وما يمكن قوله أن هناك علاقة بين الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية واتخاذ القرارات ولأجل معرفة اتجاه العلاقة وقوتها نستخدم معامل ارتباط سيبرمان كما يلي:

جدول رقم 14: معامل ارتباط سيبرمان للفرضية الرئيسية

الاختبار			محور1	محور2
اختبار سيبرمان	محور 1	معامل الارتباط	1,000	0,431
		مستوى المعنوية		0,008
		عدد العينة	32	32
	محور 2	معامل الارتباط	0,431	1,000
		مستوى المعنوية	0,008	
		عدد العينة	32	32

المصدر: مخرجات SPSS.

بما أن مستوى المعنوية أقل من 0,05 ومعامل الارتباط سيبرمان بلغ 43,10 % هذا ما يجعلنا نقول أن هناك أثر موجب ومتوسط للخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية على اتخاذ القرارات الائتمانية أي قبول الفرضية الرئيسية للدراسة.

الجزء الثاني: دراسة حالة اتخاذ قرار ائتماني (منح قرض)

بعد تقديم طلب من قبل زبون لأجل الحصول على قرض مالي من أحد البنوك التجارية، حيث قام البنك بطلب تقديم وثائق قانونية (إدارية) وبالإضافة إلى هذه الوثائق توجد وثائق إلزامية أخرى وهي الوثائق المحاسبية حيث تتمثل في قائمة الميزانية وجدول حسابات النتائج لثلاث سنوات مالية .

وفيما يلي نتائج قائمة الميزانية وجدول حسابات النتائج من سنة 2012 إلى غاية 2014 علما أن طالب الائتمان يملك مؤسسة ذات المسؤولية المحدودة في مجال الأغذية.

جدول رقم15: أصول مؤسسة

الأصول	2012	2013	2014
التثبيتات العينية	3655023.00	1852217.00	1382986.00
مجموع الأصول غير الجارية	**3655023.00**	**1852217.00**	**1382986.00**
حسابات دائنة أخرى واستخدامات مماثلة	268077.00	-	-
الزبائن	-	2188940.00	1814281.00
الخزينة	189648.00	2364065.00	2338303.00
مجموع الأصول الجارية	**457725.00**	**4553005.00**	**4152584.00**
مجموع الأصول	**4112748.00**	**6405222.00**	**5535570.00**

المصدر: الوثائق الداخلية للبنك

يتضح من الجدول السابق أن مجموع الأصول الجارية للمؤسسة أكثر من الأصول غير الجارية، أما مجموع الأصول فقد شهد تزايد من سنة 2012 إلى سنة 2013 إذ بلغ سنة 2013 6405222.00 دج أما في سنة 2014 فقد تراجع إلى 5535570.00 دج.

جدول رقم16: خصوم المؤسسة

الخصوم	2012	2013	2014
رأس المال الصادر	2500000.00	2500000.00	2500000.00
النتيجة الصافية	-	581032.00	620672.00
رؤوس أموال خاصة أخرى	279173.00	279173.00	831105.00
مجموع رؤوس الأموال	**2779173.00**	**3360205.00**	**3951777.00**
قروض وديون مالية	-	1154262.00	-
مجموع الخصوم غير الجارية	-	**1154262.00**	-
موردون وحسابات ملحقة	-	1624755.00	1132148.00
الضرائب	-	266000.00	451645.00
مجموع الخصوم الجارية	-	**1890755.00**	**1583793.00**
مجموع الخصوم	**2779173.00**	**6405222.00**	**5535570.00**

المصدر: الوثائق الداخلية للبنك

يتضح من الجدول السابق أن مجموع الخصوم زاد من سنة 2012 إلى سنة 2013 إذ بلغ سنة 2012 2779173.00 دج أما في سنة 2013 بلغ 6405222.00 دج أما سنة 2014 فقد تراجع إلى أن أصبح 5535570.00 دج.

جدول رقم 17: حسابات النتائج للمؤسسة

جدول حسابات النتائج	2012	2013	2014
مبيعات من البضائع	-	8121145.00	13273904.00

رقم أعمال	-	8121145.00	13273904.00
إنتاج السنة المالية	-	8121145.00	13273904.00
مشتريات البضائع المباعة	-	(6712037.00)	(10892282.00)
إيجارات	-	-	(608325.00)
خدمات أخرى	-	(15137.00)	(26802.00)
استهلاك السنة المالية	-	(6727174.00)	(11527409.00)
القيمة المضافة للاستغلال	-	1393971.00	1746495.00
أعباء المستخدمين	-	-	(111649.00)
الضرائب والرسوم والمدفوعات المشابهة	-	(180408.00)	(364656.00)
الفائض الإجمالي عن الاستغلال	-	1213563.00	1270190.00
المخصصات للاهتلاكات والمؤونات	-	(469231.00)	(469231.00)
النتيجة العملياتية	-	744332.00	800959.00
النتيجة العادية	-	744332.00	800959.00
الضرائب الواجب دفعها عن النتائج العادية	-	(163300.00)	(180287.00)
النتيجة الصافية للسنة المالية	-	581032.00	620672.00

المصدر: الوثائق الداخلية للبنك

من خلال الجدول السابق والذي كان عبارة عن جدول حسابات النتائج إذ تبين أن سنة 2012 لا تحتوي على جدول حسابات النتائج وهو أن المؤسسة لم تقم بأي نشاط ، أما سنة 2013 فقد بلغت النتيجة الصافية للمؤسسة 581032.00 دج وقد ارتفعت هذه النسبة إلى 620672.00 دج مما يدل أن المؤسسة تحقق في أرباح متتالية، خاصة أن رقم الأعمال شهد هو الأخير ارتفاع ما بين سنة 2013 و2014.

1- إعادة تقييم أصول وخصوم المؤسسة:

بعد تقديم البنك مختلف الوثائق المحاسبية فإن البنك يقوم بإعادة تقييم هذه الأصول من خلال إعادة جدولتها وتصنيفها، خاصة إذا كانت هناك شكوك حول مصداقية وشفافية إعدادها ومن خلال هذا الجدول سوف نبين كيف قام البنك بإعادة جدولة وتقييم أصول وخصوم المؤسسة.

جدول 18: إعادة تقييم أصول المؤسسة

الأصول	2012	2013	2014
معدات نقل	3655023.00	3655023.00	3655023.00
مجموع تثبتات خام	3655023.00	3655023.00	3655023.00
مجموع الاهتلاكات	(1333575.00)	(1802806.00)	(2272037.00)
التثبيتات الصافية (1)	2321448.00	1852217.00	1382986.00
مجموع أصول التثبيتات (1+2)	2321448.00	1852217.00	1382986.00
مجموع قيم الاستغلال (3)	0	0	0
زبائن	-	2188940.00	1814281.00
حسابات دائنة أخرى واستخدامات مماثلة	268077.00	-	-

مجموع الحسابات الدائنة (4)	268077.00	2188940.00	1814281.00
أصول المالية (3+4)	268077.00	2188940.00	1814281.00
B.F.R سالبة	0	0	0
النقدية (5)	189648.00	2364065.00	2338303.00
أصول + النقدية (3+4+5)	457725.00	4553005.00	4152584.00
خزينة موجبة	**189648.00**	**2364065.00**	**2338303.00**
مجموع أصول	**2779173.00**	**6405222.00**	**5535570.00**
الخصوم	**2012**	**2013**	**2014**
أموال اجتماعية أو شخصية	2500000.00	2500000.00	2500000.00
نتيجة	-	581032.00	620672.00
أموال أخرى	279173.00	279173.00	831105.00
إجمالي حقوق المساهمين	2779173.00	3360205.00	3951777.00
الوضعية الصافية (6)	2779173.00	3360205.00	3951777.00
قروض مصرفية	-	1154262.00	-
مجموع أموال (7)	0	1154262.00	0
أموال (6+7)	2779173.00	4514467.00	3951777.00
رأس المال العامل	457725.00	2662250.00	2568791.00
موردون وحسابات ملحقة	-	1624755.00	1132148.00
مجموع ديون التجارية	-	1624755.00	1132148.00
ضرائب استغلال	-	266000.00	451645.00
ديون استغلال أخرى	0	266000.00	451645.00
خصوم مالية (8)	0	1890755.00	1583793.00
ديون مالية (9)	-	-	-
9+8	1890755.00	1583793.00	1890755.00
خزينة سالبة	0	0	0
مجموع خصوم	**2779173.00**	**6405222.00**	**5535570.00**

المصدر: الوثائق الداخلية للبنك

2- التحليل الائتماني للقرض:

بعد قيام البنك بدراسة طلب الزبون من حيث غرض القرض وأجل الاستحقاق وأسلوب السداد، حيث من خلال الميزانية المالية لطالب الائتمان تبين على البنك أن الوثائق المحاسبية المقدمة تعبر عن الوضعية الحقيقية للمؤسسة أي قدرة المؤسسة على مواجهة ديونها قصيرة الأجل وذلك من خلال أصولها الجارية، أما جدول حسابات النتائج فهو مكمل للميزانية، فهو يبين نشاط المؤسسة خلال سنة معينة.

جدول رقم19: التحليل المالي للبنك

مؤشرات	المعايير	المالية	قيم	المؤسسة	الأداء / 10	

<u>هيكل المالي</u>			**معدل n-2 n-1 n**	**أخر سنة**	**معدل n-2 n-1 n**	**أخر سنة**
الاستقلالية المالية	**50%**	10%	91.48 %	100.00%	9.15	10.00
نسب الملاءة	**100%**	20%		249.43%		10.00
صافي قيمة الأصول	**10%**	2%	74.62%	71.38%	10.00	10.00
المعدل العام						**10.00**
<u>السيولة</u>						
السيولة العامة	**50%**	10%	251.46%	262.12%	10.00	10.00
السيولة السريعة	**50%**	10%	136.31 %	147.60 %	10.00	10.00
نسبة رأس مال العامل	**50%**	10%	726.67 %	1116.52 %	10.00	10.00
المعدل العام					**10.00**	**10.00**
<u>النشاط</u>						
معدل هامش المبيعات	**20%**	4%	15.16%	13.16%	3.79	3.29
إنتاجية العمل	**25%**	5%	3.18%	6.35%	9.36	8.73
إنتاجية المالية	**5%**	1%	0.00%	0.00%	10.00	10.00
المعدل العام					**7.72**	**7.34**
<u>الربحية</u>						
ربحية الاستغلال	**30%**	6%		72.81%		10.00
ربحية المالية	**10%**	2%	11.03%	15.77%	5.51	7.88
هامش الصافي	**5%**	1%		4.69%		4.69
المعدل العام						**7.53**
			المعدل	**العام**		**8.72**
نسبة الخطر % 0.000						

المصدر: الوثائق الداخلية للبنك

وبعد تحليل الوضعية المالية للمؤسسة والاعتماد على مجموعة من النسب المالية ومؤشرات التوازن المالي التي يعتمدها البنك لكي يتخذ قرار منح ائتمان أو عدمه، إذ يقوم بإعادة تقييم تلك الميزانيات للثلاث سنوات، وبعد دراسة التوازن المالي من خلال نسب الهيكل المالي، نسب السيولة، نسب المردودية، ونسب النشاط، تبين نتائج التحليل الذي قام به البنك أن يقوم بمنح الزبون القرض كون أن نسبة الخطر % 00.00 أي أن القرض لا يوجد فيه خطر وهو مقبول بدون ضمانات.

من خلال ما سبق تبين أن المعلومات المحاسبية المقدمة من قبل الزبون ذات جودة عالية، وذلك من خلال إعادة تقييم هذه المعلومات تبين أنها تتميز بمصداقية وشفافية ومجموعة أخرى من الخصائص هذا ما أدى إلى إجراء تحليلها من خلال استخدام مؤشرات مالية وبالتالي اتخاذ قرار منح الائتمان للعميل، حيث تعد المعلومات المحاسبية التي تتميز بجملة من الخصائص دورا هاما في ترشيد قرار البنك لأن هذا يسهل من عمل متخذ القرار كون أن الوضعية المالية للزبون جيدة وهذا ما سيزداد من درجة استرجاع القرض.

النتائج والاقتراحات:

النتائج: توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- هناك أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0.05 بين الخصائص النوعية الأساسية للمعلومات المحاسبية واتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية بولاية قسنطينة.
- هناك أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0.05 بين الخصائص النوعية الثانوية للمعلومات المحاسبية واتخاذ القرارات الائتمانية في البنوك التجارية بولاية قسنطينة.
- تلبي الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية كل من احتياجات البنوك التجارية وذلك من خلال اتخاذ القرار الائتماني.
- هناك عوامل أخرى تكمل عملية اتخاذ القرار الائتماني من بينها قدرة الزبون على الوفاء بالتزاماته وسمعته والضمانات المقدمة من طرفه.

الاقتراحات: في ضوء النتائج السابقة التي توصلت إليها الدراسة يمكن تقديم بعض الاقتراحات التالية:

- الحرص أكثر على أن تكون المعلومات المحاسبية تتميز بخصائص نوعية هذا ما سيساهم في تسهيل عملية اتخاذ القرار الائتماني من قبل البنك.
- تأهيل العنصر البشري للبنك لكي تزيد قدرته على تحليل المعلومات المحاسبية وبالتالي ترشيد القرار الائتماني، حيث أن قلة الخبرة سيؤدي إلى بعض الغموض.
- إلزام البنوك التجارية على المؤسسات بتقديم معلومات مدققة تكون مصادق عليها من طرف جهات رسمية لكي تستطيع اتخاذ القرار الائتماني الرشيد.
- ضرور
ة توصيل المعلومات المحاسبية في الوقت المناسب هذا ما سيزيد من اتخاذ القرار المناسب.

استراتيجيات ا

التمثيل السّردي للتّاريخ
في رواية كريماتوريوم –سوناتا لأشباح
القدس–لواسيني الأعرج.

د. أوريدة عبود
جامعة تيزي وزو

الملخص

يعد اشتغال الكتاب الجزائريين على التاريخ بمختلف مصادره رؤية حداثية وهاجسا تجريبيا على المستوى الخطابي والدلالي، بغية تأسيس مشروع الانزياح عند المتداول نحو إنشاد خصوصية سردية متميّزة، من هنا استدعى الأمر إبداع نصوص لها خصوصيتها التاريخية، يتماهى فيها السرد الروائي مع السرد التاريخي كاستراتيجيه حداثية تبناها الروائي في استدعاء التاريخ.

تعتبر رواية "كريماتوريوم –سوناتا لأشباح القدس" للكاتب "واسيني الأعرج" من الروايات الجزائرية، الّتي استلهمت التاريخ بأحداثه عبر تلاق انزياحي تراجع فيه تسلسل الأحداث وحلّ محلّها سرد تخييلي وإعادة استدعاء التاريخ عن طريق توظيف استراتيجيات سردية مختلفة لتمثيله.

الكلمات المفتاحية : التاريخ ،التخييل، السرد الروائي، الانزياح، الراهن الفلسطيني، الوطن، الهوية، الماضي ، الألم ،التحرر، الكتابة الحلم، الهجرة ،الحنين .

Abstract

The work of the Algerian writers on history, with its various sources, is a modernist vision and empirical inspiration at the rhetorical and semantic level, in order to establish the project of displacement in the process of moving towards the creation of distinct narrative uniqueness. Hence, it requires the creation of texts with its historical specificity. The narrative narrates with the historical narratives as a novelist strategy adopted by the novelist In the date call.

The novel "Crematorium-Sonata of the Ghosts of Jerusalem" by the writer Wassini Al-A'arj is one of the Algerian novels, inspired by history by a convergence of events, in which the sequence of events was replaced by a narrative and a re-recall of history by employing different narrative strategies to represent it.

Keywords (history, fiction, narration, displacement, Palestinian current, homeland, identity, past, pain, liberation, dream writing, migration, nostalgia)

مقدمة

يتموقع التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة ضمن السياقات المعرفية المتميّزة؛ بحيث استطاع أن يشكل في الخطابات الأدبية مرجعية لها حضورها وآلياتها. تعاملت الرواية مع التاريخ بشكل مكثّف حاولت من خلاله قراءة الراهن الجزائري والعربي قراءة تاريخية حاولت فهم الحاضر ضمن أحداث الماضي مما جعلها تستحضر استراتيجيات إنتاج النّص الرّوائي ضمن خطاب التاريخ الموظف عبر تشكيلات سردية مختلفة.

وبناء على ذلك كان لزاما علينا أن نفهم حقيقة الرواية التاريخية كنمط وتشكيل روائي له خصوصيته ومرجعيته الخاصة، وهذا ما ذهب إليه جورج لوكاتش حين أقرّ في أبحاثه أنّ المعرفة التاريخية ضرورية في حياة الكاتب، والروائي لا بدّ أن يرسم الأبعاد التاريخية لعمله الإبداعي حتّى يتسنى له وضع رؤية مستقبلية لخطابه الروائي.

تزاوج الكتابة الروائية بين سلطة التاريخ كخطاب مهيمن عايشته الجماعة البشرية، وبين متطلبات سردية تعيد تشكيل الواقع تشكيلا رمزيا له فضاءاته الانزياحية من خلال إعادة تمثيل الحياة بالبحث عن الحقيقة وعن مجموع القيم والمعارف المندسة في أعماق النّاس، مما يفرض على الكاتب مناخا تخييليّا تتحول فيه المادة التاريخية إلى محكي له طابعه الجمالي، تقوم فيها الأحداث والشخصيات بربط التمثيل التخييلي بالواقع والحياة، وإعادة دمج الماضي مع لحظة الكتابة؛ فيتحوّل الماضي التاريخي إلى إبداع وإلى وقفة جمالية تجعل التاريخ ديمومة حضارية وسيرورة معرفية في كيان البشر.

تعدّ رواية "كريماتوريوم –سوناتا لأشباح القدس" للكاتب "واسيني الأعرج" من الروايات الجزائرية، الّتي استلهمت التاريخ بأحداثه عبر تلاق انزياحي تراجع فيه تسلسل الأحداث وحلّ محلّها سرد تخييلي وإعادة استدعاء التاريخ عن طريق توظيف استراتيجيات سردية مختلفة لتمثيله.

1-الوثائق والرسائل والنصوص التاريخية: *

تحاور رواية كريماتوريوم التاريخ وتسائل إشكالاته في مواجهة راهنه، واستشراف مقبل أيامه للوصول إلى ما وراء الأحداث، وما خلف الوقائع. ينطلق الروائي مما كان إلى ما هو كائن إلى ما يكون في برامج سردية تغوص في الأعماق وتعانق التاريخ بأمكنته ووثائقه وأرقامه.

اعتمد واسيني الأعرج في هذه الرواية على مجموعة من الوثائق والرسائل والنصوص التاريخية وهي نصوص لها حقيقتها وأصحابها الّتي تحيل إلى تاريخ فلسطين من خلال قتل أعيانها وشعبها الثائر.

فقد انتقلت المادة التاريخية الّتي استعملها الكاتب في هذه الرواية من إطار الوثيقة بالمعنى التاريخي إلى إطار السرد الروائي، وذلك بخلق تصورات جمالية يفهم من خلالها المتلقي الواقع المعقد بكلّ تمظهراته، لهذا فإنّ السرد الروائي عندما يستغل الكتابة التاريخية: "لا يختزل التاريخ ولكنه يجعله مرجعيته لفضائه المتخيل لغرض الكشف عن مهملاته، ومنسياته، وأحيانا لتبديد شكوكه، وأحيانا السقوط في المحظور التاريخي، وهكذا يخرج التخييل من معقوليته الّتي تحرق الواقع والأحداث التاريخية"[1].(دراج فيصل،1999،ص 83)

تكتسي الوثيقة الّتي اعتمدها الروائي في هذه الرواية صيغة نصية بحكم تسريدها، وهي ماثلة في مختلف مراحل الرواية، ويظهر ذلك خاصة عندما تنفتح على الذاكرة لتستعرض مختلف المواقف، وقد ظهر ذلك من خلال وصايا الفنانة "مي" لابنها "يوبا" بعد أن أخرجت كتابها وكتبت مذكراتها عن حياتها الماضية والحاضرة وأمنياتها المستقبلية، بدفن رمادها في أرض القدس، وكذا مذكراتها حول حياتها مع الفنانين الأمريكيين وعشقها للألوان والرسم.

تتوسل رواية "سوناتا لأشباح القدس" في استعادتها للتاريخ أسلوب المذكرات والرسائل، كما تتحول فيها بعض الأشياء كالصور إلى محفزات تذكر الشخصية بتاريخها. تعتبر هذه الرواية رواية ذاكرة من الدرجة الأولى، لأنّها تستند إلى الماضي في بناء متنها الروائي، فالحاضر في هذا النّص لا يشغل فيه إلاّ لحظات، فهو عبارة عن استرجاعات لأزمنة قريبة من الحاضر كاستعادة يوبا للرحلة الّتي قادته إلى مدينة ميلانو للمشاركة في مهرجان تكريم الفنانة الراحلة "ماريا كلاس" واسترجاعه لجانب من سيرة والدته الذّاتية "مي" الّتي توفيت بعد صراع مع مرض السرطان.

إنّ الفصل الأخير من الرواية كله عبارة عن مذكرات "مي" الّتي دونتها قبل وفاتها، عثر عليها ابنها "يوبا": "هذه إذن مدونة الحداد، كراسة أمّي السحرية؟ لم يكن أمر البحث عن الكراسة النيلية صعبا فقد وجدتها في عمق الصندوق الخشبي الصغير الّذي انبعثت منه رائحة خشب الزيتون العتيق"[2](الأعرج واسيني ،2008،ص48.)

---

* الوثيقة التاريخية هي المعاهدات، العقود العدلية، القرارات الادارية، الرسائل الدبلوماسية.

1-فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1999م، ص 83.

2-واسيني الأعرج، رواية كريماتوريوم –سوناتا لأشباح القدس-منشورات الفضاء الحر، ط1، 2008م، ص48.

شرعت "مي" في كتابة مذكراتها عندما أحست بقرب أجلها وفقدت كلّ أمالها في أن تدفن في موطنها الأصلي فلسطين: "الشروع في كتابة مذكراتي الموسومة بالرماد والألوان، والكثير من الخوف. بكل الصدق الّذي يملأني ربّما استطعت أن أتخلّص من بعض أنيني العميق إن أسعفني الموت الّذي يترصدني"[1].(الأعرج واسيني ص101)

لا تقف الرواية عند استرجاع سيرة الساردة، إنها تتعدى ذلك إلى استرجاع تاريخ وطنها؛ فهذه الرواية لا تستمر الأحداث التاريخية فحسب؛ بل تسهم في البنية الفنيّة والدلالية لها. فالرواية: "تاريخ متخيل خاص داخل التاريخ الموضوعي، وقد يكون التاريخ المتخيل تاريخا لشخص، أو لحدث أو لموقف أو لجماعة، أو للحظة تحوّل اجتماعي"[2](الفيومي إبراهيم،2001ص19). ولأنّ التاريخ معرفة والرواية تخييل؛ فإنّ الروائي يقوم بامتلاك هذه المعرفة كمادة قص، ثمّ يعيد صياغتها بلغة خاصة وفق منظورات تجمع بين الواقعي والتاريخي والرمزي والإيديولوجي فتصبح الرواية بذلك كتابة مميزة للتاريخ.

لقد ورد في هذه الرواية الكثير من المؤثرات التاريخية المرتبطة بفلسطين وأهمها ما جاء على لسان "مي": "منذ نصف قرن استيقظت مدينة الله على جرح الموت، أتذكر جيّدا يوم الثلاثاء 29 أكتوبر 1947م"[3].(الأعرج واسيني ص104)

يعتبر هذا التاريخ من القرارات الصادرة لتقسيم فلسطين، كما صرحت الساردة بمؤشر زمني الّذي يمثّل انتهاء الانتداب الإنجليزي وتسليم فلسطين لليهود. تقول: "جاءت فجيعة أخرى صباح 15 مارس 1948م، لتختم الكل عندما أعلن الإنجليز انتهاء الانتداب بعد أن سلّموا كلّ شيء لجنود الهجاناة"[4].(الأعرج واسيني ،ص106)

وظفت الرواية الوثيقة التاريخية كإستراتيجية جديدة تبحث بصدق ومسؤولية عن الهوية الفلسطينية والمصير الفلسطيني. تتحرك بثقة فوق تراكمات ضياع الإنسان العربي، تناجي الحقيقة والعدالة: "10 أفريل 1948م –القدس حارة المغاربة، البارحة ليلا وكعادتها هاجمت مجموعات فرق الهجاناة بيت عائلة الحسيني العريقة بحثا عن أحد الأفراد المقاومين، وعندما تدخلت الأم أطلق عليها أحد عساكر الهجاناة النار"[5].(الأعرج واسيني ص129_130)

لقد وقف الروائي عبر هذه الوثائق التاريخية على رقعة التاريخ وسافر من خلال هذه الإستراتيجية إلى أماكن بعيدة من ذاكرة الإنسان الفلسطيني، وصنع حياة جديدة تتحرك فيها الشخصيات والمشاهد وتتحاور فيها الأزمنة، فتبرز صورة التاريخ بكل أبعاده ودلالته عبر الكتابة والتصورات والأفكار.

تروي مي الأحداث الّتي وقعت في الفترة فتقول: "عندما أعلن الانجليز انتهاء الانتداب بعد أن سلموا كلّ شيء لجنود الهجاناة والأرجون والشتيرن فرح الأهل وظنّوا أنّ الانجليز صمّموا أخيرا على مغادرة البلاد"[6](الأعرج واسيني،ص126). لكن الاحتلال الاستيطاني استهدف الأرض والهوية الوطنية الفلسطينية وحاول بكل الطرق أن يقضي على الثوابت الوطنية وأن يقطع كل صلة تربط الفلسطيني بأرضه ووطنه: "بهيك بساطة قرروا تقسيم فلسطين"[7].(الأعرج واسيني ص124)

عندما تكاثفت قوى الاستعمار الغربي على الصعيد المادي والمعنوي، وعندما فقد الإنسان العربي الكثير من القيم التاريخية والتراثية جاءت الرواية لتحتضن التاريخ وتسجل كل مظاهر القهر، وتساير كتلة التغيرات ذات الصلة بهذا الواقع

---

[1]-الرواية، ص101.

[2]-إبراهيم الفيومي، الرواية العربية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، 2001م، ص 19.

[3]-الرواية، ص104.

[4]-الرواية، ص106.

[5]-الرواية، ص229-230.

[6]-الرواية،126.

[7]-الرواية، ص124.

المرير، وبهموم الانسان، وتكشف مدى اختلاط الماضي بالحاضر والمستقبل في بوتقة رؤيوية غائمة[1](شكري غالي 1980 ص40).

إنّ الرواية والتاريخ: "مصطلحان تاريخيان لغويان رضعا من ثدي واحد هو الخبر، وهما قائمان على التأثير والتأثّر ببعضهما البعض"[2].(دراج فيصل ص82)

حملت رواية "كريماتوريوم" على عاتقها مجموعة من الأسئلة عن الزمن، والانتفاضة والسلام والفن، أسئلة تنصب كلها في محور فلسطين والبحث في تاريخ هذا الوطن العريق.

2-الذاكرة كرؤية وجودية وتكسير لخطية السرد:

تسعى الرواية أن تصنع تاريخيتها الخاصة وذلك عن طريق التحرر الكامل من شروط الزمان والمكان، وهذا ما يجعل المجتمع يعيش مرّة أخرى ضمن سياقات تخييلية تمكنه من معرفة ذاته معرفة يقينية، ولهذا السبب: "لم يعد الروائي يعتني بالحدث التاريخي لما يحمله من دلالات في الواقع السياسي فقط، بل كرؤية وجودية للكاتب وحمولة نفسية تلف هذا الحدث، وتجعله يبرز منارة من بين ملايين الأحداث الّتي تختزلها الذاكرة، ويكتب لبعضها البروز والآخر يبقى دفينا مطمورا"[3].(أشهون عبد المالك ،2010 ص199)

تتغذى رواية "كريماتوريوم" من مخزون الذاكرة الّتي: "تعدّ من التقنيات المستحدثة في الرواية، والاعتماد عليها يضع الاسترجاع في نطاق منظور الشخصية ويصبغه بصبغة خاصة تعطيه مذاقا عاطفيا"[4](قاسم سيزا 1984ص 43). تستدعي الرواية إذن الماضي: "لتوظيفه بنائيا عن طريق استعمال الاستذكارات، الّتي تأتي دائما لتلبية بواعث جمالية وفنيّة خاصة في النّص الرّوائي"[5].(بحراوي حسن 1990 ص121)

تعود بنا رواية "كريماتوريام" إلى مطلع القرن الخامس عشر لتذكرنا بتاريخ الأندلس، وزمن سقوطها وما كان من مذابح وتهجير العرب والمسلمين واليهود، حينذاك وجد الموريسكيون[**]أنفسهم يطاردون خارج مدنهم وخارج تاريخهم. تعيش فلسطين التاريخ نفسه، فنفس الملامح والضياع والمآسي الّتي عاشها الموريسكيون تتكرر مع الفلسطينيين وكأن تاريخ الإنسان هو تاريخ الحروب الّتي لا تنتهي؛ فما يحدث اليوم هو حتما امتداد لمجموعة من العوامل السابقة. والروائي يسافر من الحاضر إلى الماضي من أجل أن يفهم الحاضر وأن يحمل بعض قضايا العصر ليعلق عليها ويجيب عن ما بقي غامضا فترة من الزمن[6].(الشمالي 2006 نضال ص134)

تأسست مدينة الأندلس على احترام الأدب وقبول اختلافات الآخرين واتسعت أرجاؤها لتحتضن النّاس دون تمييز. يقول الروائي: "هل تصدق هذا؟ خط عربي، زخرفة إسلامية أنيقة داخل كنيس يهودي. أي زمن نعيش؟ صحيح أنّ الحياة لم تكن سهلة وربّما يتخاصمون أحيانا ويصطدمون حسب الاختلافات في التصور لكنهم كانوا يحبون بعضهم بعضا"[7].(الأعرج

---

[1]-ينظر غالي شكري، معنى المأساة في الرواية العربية، دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1980م، ص 40.

[2]-فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، ص 82.

[3]-عبد المالك أشهون، الحساسية الجديدة في الرواية العربية، روايات أدوارد الخراط أنموذجا، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر، 2010م، ص ص 199.

[4]-سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص43.

[5]-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990م، ص 121.

[**]الموريسكيون هم آخر سكان الأندلس الّذين تنصروا حفاظا على حياتهم أو أجبروا على التنصير، إلا أنّهم لم يستطيعوا الاندماج في المجتمع الاسباني، لذا تعرضوا للطرد فكانت شواطئ المغرب والجزائر ملاذا لهم.

[6]-ينظر نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديثة، عمان الأردن، 2006م، 2006م، ص 134.

[7]-الرواية، ص 351.

واسيني ص351) فالأندلس كانت أرض الميعاد و: "مدينة غرناطة ما تزال تنعم بقدر كبير من الحرية"[1].(الأعرج واسيني ص342)

هكذا كانت الأندلس، كانت تتسع للجميع، وكانت تعانق كل الحضارات وترحب بكل التطورات إلاّ أن: "تناسل الحقد وحفر مسالك الموت لأنّ المسلمين طردوا من ممتلكاتهم شر طردة، بل لأنّ الزمن الّذي كان يزحف بثقة في الأفق زمنا حقودا، زمنا لا يؤمن إلاّ بسيادة دين على آخر، هذا ما يسمّى بالحروب المقدسة باسم آلهة لا تعرف غير الحقد"[2].(سليمان نبيل ص35) يشغل الروائي المادة التاريخية ليعيد بواسطة الخيال بناء المرحلة التاريخية الّتي يتخذها موضوعا ليقدم تركيبا جديدا للوقائع والأحداث والظروف التاريخية والشخصيات المذكورة في تلك الفترة مع إضافة شخصيات متخيلة. هذا النوع من الرواية تتجه نحو القارئ الواعي الّذي يدرك الحيثيات التاريخية ليقبل بذلك على: "مراقبة آلية لتنفيذ الحدث التاريخي وبلورته، وسيكون متابعا لإضافات الروائي الّتي يجب ألا تكون على حساب المدّ التاريخي ومصداقيته"[3](الشمالي نضال ص 2011). فالخيال هو "القادر على إتمام التاريخ بناء على معطيات التاريخ نفسه"[4].(الشمالي نضال ص 138)

تتكرر أحداث وقائع الأندلس اليوم في فلسطين؛ حيث إنّ استلهام التاريخ في رواية "كريماتوريوم" جاء تعبيرا صادقا على ما أكّده السرد الروائي من استمرار الماضي في الحاضر. وعندما ينتقل الروائي من الحاضر إلى الماضي يهدف إلى استعادة الذات الضائعة باكتشاف معنى الاستمرار في شيء ما أو الانتماء إلى شيء ما يبدو قد ضاع إلى الأبد، ذلك أن الأزمات الّتي عاشتها الأمّة العربية جعلت الروائي يذوق خيبة ألم كبرى انعكست على تفكيره الّذي عاد إلى الماضي وتلهف إليه للتذكير به.

3-الكتابة والبحث عن الهوية:

الكتابة تولد الحياة من ظلمة القهر والغياب، وتصنع الوجود وتحقق للذات كينونتها: "الكتابة وحدها تستطيع أن تردم الهوة، وأن تسد الفراغ"[5](المودن حسن 2009 ص 144). إنّها دافع لمغادرة الأسر والقهر إلى حياة أكثر جدّة وتجديدا.

تكتب "مي" حكايتها ومأساتها وتاريخها، تنطلق من ذاتها الّتي تقتات من الشعور الملامس للفقدان والغياب في متاهات الوجود لتنقب على جذر التكوّن، فتبعث روحه من الرّماد تغيثه من غمام الاحتراق، وتخلصه من السواد فتصبه على جسد البياض[6].(نجمي حسن 1999 ص 21) حينما رأت "مي" الواقع يتنكر لها بدأت تكتب لتعبر عن واقعها، فالكتابة ولادة جديدة، وهي ذاكرة للماضي، وإدراك للحاضر وتفكير في المستقبل، تفكير في ذاتها ووطنها الّذي مجدته وكتبت عنه لتعوض ما غاب عنها أو سرق منها منذ سنوات فهي تقول: "أشعر أحيانا بأنّني مطالبة باسترجاع أرض سرق منها ... وطن اسمه فلسطين"[7].(الأعرج واسيني ص 153)

لا يمكن فصل الكتابة عن الوضع الثقافي والاجتماعي للوطن؛ فالكاتب يمارس وجوده بوعي، لأنّه يدرك أن الكتابة هي أداة للتعبير نحو الأفضل تصل الماضي بالحاضر والمستقبل شأن ذلك شخصية مي في هذه الرواية الّتي استطاعت بفعل الكتابة مقاومة كل ما يحيط بها من ضغوطات واحباطات، وأعادت لذاتها حضورها وسعيها لتثبت هويتها الحقيقية. فقد

---

[1]-الرواية، ص342.

[2]-نبيل سليمان، من الجذر اليهودي إلى الجذر الصهيوني في الرواية العربية، مجلة عمان، ع121، ص 35.

[3]- نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص 211.

[4]-نضال الشمالي، ص 138.

[5]-حسن المودن، الرواية والتحليل النّصي، قراءات من منظور التحليل النفسي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2009م، ص 144.

[6]-ينظر حسن نجمي، الشاعر والتجربة، الدار البيضاء، ط1، 1999م، ص 21.

[7]-الرواية، ص153.

استطاعت أن تفهم العلاقات والصراعات الّتي يعيشها وطنها "فلسطين" فأخذت تكتب عن مجتمعها وتغوص في أعماقه، وتعايش انشغالاته وتسلك طريقها نحو كتابة تاريخ وطنها لتبحث بذلك عن هويتها وتجسدها على أرض الحقيقة.

يمثل التاريخ بالنسبة "لمي" الهوية الّتي تسعى للبحث عنها لتحقق حريتها، فهي تنطلق من التاريخ لتصل إلى الحرية، وقد صدق الحبيب السائح حين قال: "للكتابة بداية هي التاريخ نفسه وهوية هي الحرف، ووجود هو النّص"[1](السائح الحبيب ص 19). لهذا فإنّ "مي" حين تكتب فهي تعبّر عن تاريخ وطنها وعن الضياع والإحباط والألم. تقول: "أشعر أحيان بأنّ الألم هو الّذي يجعلني أتكلم وأصرخ بصوت مكتوم، وكلما تعلق الأمر بالكتابة انتابني السؤال الخفي الّذي لا سلطان لدي عليه: ماذا سأكتب، من أين سأبدأ"[2].الأعرج واسيني ص 146)

عندما تتحرك "مي" تجاه تاريخها تتحرك معه طواحن الزمن وترحل نحوها أتعاب الكتابة الّتي: "هي تحويل لوجهة الملل من مدار الرغبة في الانتحار إلى وعي الموت الّذي يقضي الاستمرار في الحياة بمكابرة من يرفض التسليم بالأمر الواقع وينتصر لثقافة المخاطرة على الاستسلام"[3].(الكيلاني مصطفى ،2009ص 98)

اشتغلت الكتابة في رواية "كريماتوريوم" على تاريخ الوطن (فلسطين) الّذي عرف كل أنواع التدمير والتخريب والتمزيق و التشظي فأصبحت "مي" جرّاء ذلك غير قادرة على تحمل ما يحدث في القدس خاصة أن السلطات الإسرائيلية منعت أن تدفن في بلدها الأصلي قالت: " أفضل أن أتحوّل إلى رماد لأسهل نقلي إلى أرضي البعيدة الّتي لم أصلها وأنا حيّة"[4](الأعرج واسيني ص139). فالكتابة بالنسبة "لمي" تعتبر حنينا للوطن وإحياء للذاكرة ووهجا للتاريخ.

4-الرسم كاستراتيجية للتحرر:

يمثل الرسم من أهم الوسائل الّتي يستطيع الفنان إبراز طاقته الكامنة، والتعبير عن مشاعره. يرسم الفنان عالمه الفسيح فينطلق فيه دون قيود، وعندما يمسك الفرشاة فكأنّه يمتلك العالم ويمسك بزمام الكون. فالألوان هي ألوان الذات والأشكال هي تموجات الروح. ومثلما يعبّر الرسم عن الذات يعبر كذلك عن هموم المجتمع، عن قضاياه، عن واقعه وتاريخه.

استلهمت الفنانة التشكيلية "مي" من تراثها الداخلي وخبايا اللاشعور مادة لأعمالها الفنيّة وصارت الريشة والألوان بشتى تدرجاتها الملاذ الآمن لها، وأداة لحفظ ذاكراتها وتحقيق ذاتها، لهذا قضت حياتها بين الريشة والألوان، ولم تغادرها حتّى وهي على وشك الموت، حتّى تستطيع أن تعيش في المكان الّذي أجبرت على تمضية بقية حياتها. تقول وهي تعبر عن شعورها بالغربة: "نحن نصنع ألوانا جميلة للأمكنة الّتي تشبه الموت لكي نتحملها"[5].(الأعرج واسيني ص 78) فالفن بالنسبة لها: " جرح تخرج منه شلالات النور والآلام اللذيذة ولهذا نهب نحوه بسعادة غريبة مثل نور الأركيدا الّذي يركض نحو حتفه في الساحة وهو لا يدري ذلك أو يدريه"[6].الأعرج واسيني ص 31)

تختزل رواية "كريماتوريوم" رحلة عائلة فلسطينية أجبرت على ترك وطنها الضائع، بفعل الاحتلال الصهيوني. إنّها رحلة "مي" الفنانة التشكيلية الّتي غادرت مدينتها القدس، مدينة طفولتها غادرتها وهي بنت الثماني سنوات إلى أمريكا. هذا الوطن البديل الّذي أعطاها حرية شخصية وسرق منها وطنها. لم تجد "مي" وهي تعاني من مرض السرطان سوى رسم لوحات زيتية لحفظ ذاكرتها من النسيان ومدينتها من الضياع، لتبقى القدس أمامها ولو على لوحة معلقة كما بقيت

---

[1]-الحبيب السائح، الكتابة وتجربة الكتابة، مجلة عمان، ع 105، ص 19.

[2]-الرواية، ص 146.

[3]-مصطفى الكيلاني، الرواية والتأويل، سردية المعنى في الرواية العربية، ط1، عمان، 2009م، ص 98.

[4]-الرواية، ص139.

[5]-الرواية، ص78.

[6]-الرواية، ص31.

فراشات حاراتها في ذاكراتها، هذه الفراشات الّذي تبلل أجنحتها بنداها، انسحبت هي الأخرى أسعدني ألوان فراشات القدس"[1].(الأعرج واسيني ص359)

لجأت "مي" إلى الرسم للتخلص من الألم وتفعيل ذاكرتها: " لم يكن لديّ حل آخر لكي لا أموت إلاّ ألواني الّتي ظلت تؤثث ذاكرتي"[2]. (الأعرج واسيني ص 344) .تروي لوحات "مي" حكاية وطن ذاق فجائع وهزائم موجعة وجسدت فيها حياتها وألفتها بعيدا عن وحشة المنفى وقسوة الواقع وقمعه.

تظل الرواية تاريخا آخر يطل من خلالها الإنسان على عوالم خفية تجعله يمارس وعيه وحضوره كذات مدركة لوعيها التاريخي.فالتاريخ في هذه الحالة هو تاريخ الامتلاء ،تاريخ الكتابة التي تؤسس للنسيان و تؤرخ للهامش، فيصعد الروائي بذلك إلى أحوال فنية تجعله يعانق نبض الإنسان الذي كثيرا ما أهمله التاريخ.

خاتمة

حاولت رواية كريماتوريوم استجلاء جمالية التشكيل التجريبي الروائي الّذي تجاوز المعقولية لخلق صورة خطابية مغايرة. جعلت من المتخيل واقعا ومن الواقع متخيلا كاستدعاء التاريخ من خلال فعل التخييل. فالرواية لا تقول التاريخ لأنّه ليس هاجسا ولا تتقصى الأحداث والوقائع لاختبارها، فليس ذلك من مهامها الأساسية، تستند فقط إلى المادة التاريخية وتدفع بها إلى قول مالا يستطيع التاريخ قوله.

استدعت رواية "كريماتوريوم " التاريخ في تركيب فني حامل لشحنات أيديولوجية، تهدف وراء ذلك إلى النقد الواقعي من خلال التاريخ المنسي في تماهيه مع التاريخ الراهن. ليس بتأويله إنّما بإنطاق المسكوت عنه في الماضي والحاضر. فالخطاب الروائي يستدعي التاريخ كتعبير مخلص لتحولات الحاضر على ضوء ماض يصعب تحديد ماهيته. لقد استثمرت الرواية المكنونات الثمينة الّتي يتمتع بها التاريخ بتحويل معانيه إلى معطيات جمالية دلالية تبرز بشكل جديد في النص الروائي. من هنا فإنّ التاريخ يواجه الواقع الّذي مضى بواقع الحاضر مغذيا تطور حديثيته انطلاقا من إعادة تكوين الواقع بمادة رمزية كتابية. حيث تتواجه المعرفة التاريخية والمعرفة الروائية.

يتشكل التاريخ في رواية "كريماتوريوم" كمعرفة أنتجها المتخيل السردي ضمن سياقات جمالية ركزت على مقولة الهدم والبناء ونفي السائد وتثبيته خياليا لأنّ الرواية هي كتابة عن الإنسان [3]المختفي خلف الوقائع .

- للتاريخ في رواية "كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس" استراتيجيته وحكايته، أرقام وتواريخ ومواثيق، وسرد حكاية. حكاية "مي" المهجّرة تقاوم وحدها لعبة التاريخ، تكتب وطنها، وتحلم به ترسمه وتحكي عنه وتشكل ملامحه، وتترك ابنها "يوبا" يحقق حلمها بنثر رمادها على تربة مدينتها لترتاح روحها المعذّبة، ويهديها مقطوعة السيمفونية، يلحن خلودها وانتصار روحها على حكاية التاريخ التراجيدية .

-رواية "كريماتوريوم" هي حكاية وطن يسمى فلسطين، هي مرثية الإنسان وصرخة سردية لأوجاع مزمنة .

المراجع المستعملة

1 _الأعرج واسيني،رواية كريماتوريوم_سوناتا لأشباح القدس، منشورات الفضاء ط1 الجزائر 2008 .
2_ أشهبون عبد المال،الحساسية الجديدة في الرواية العربية،روايات ادوارد الخراط أنموذجا ،منشورات الاختلاف ط1 الجزائر .2010.

[1]-الرواية، ص 359.
[2]-الرواية، ص 344.

3 _بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي، ،المركز الثقافي العربي ط1، المغرب .1990
4 _الدراج فيصل، نظرية الرواية و الرواية العربية ،المركز الثقافي العربي ط1 بيروت .1999
5_السائح الحبيب الكتابة وتجربة الكتابة ، مقال في مجلة عمان. ع 105 الأردن
6_ سليمان نبيل، ،من الجذر اليهودي إلى الجذر الصهيوني في الرواية العربية، مقال في مجلة عمان ع 121،الأردن.
7_الشكري غالي، معنى المأساة في الرواية العربية ،دار الآفاق الجديدة ط2 بيروت 1980.
8__الشمالي نضال، الرواية و التاريخ، بحث في مستويات الخطاب (في الرواية التاريخية العربية) ، عالم الكتب الحديثة الأردن 2006 .
9____الفيومي ،إبراهيم، الرواية العربية،،حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع الأردن 2001.
10__قاسم سيزا،، بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،الهيئة المصرية للكتاب مصر .1984
11_ الكيلاني مصطفى ، الرواية و التأويل،سردية المعنى في الرواية العربية،ط1،عمان ، الأردن 2009 .
12_المودن حسن ، الرواية و التحليل النصي،قراءات من منظور التحليل النفسي، الجزائر،منشورات الاختلاف ط1 الجزائر .2009
13_نجمي حسن، الشاعر و التجربة،،الدار البيضاء ط1 المغرب 1999 .

القيم بين الحتمية الاجتماعية لدوركايم والحرية الفردية لفيبر

أ. أوشان جميلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة غرداية

الملخص

يزداد الاهتمام بالقيم كموضوع للدراسات السوسيولوجية في الغرب ، وفي مجالات أخرى كالسياسة، والاقتصاد، والاعلام...، وأصبحت القيم ماثلة كدراسات بحثية في أخلاقيات العمل، والبحث العلمي، والإدارة، والأعمال،والمؤسسات، وسياسات الدول والمجتمعات، والتجارة، والرياضة... ، ثمّ عندما نتحاور مع بعض المستعربين لسانا عن القيم كموضوع سوسيولوجي ملح، يجابهوننا بالسخرية والاستهزاء، وكأننا أبدعنا هرطقة، أو أنتجنا شعوذة.

ولأننا نعرف مدى تأثير "دوركايم" و "فيبر" على الفكر السوسيولوجي العربي وغير السوسيولوجي من جهة، ولأن مساحة المقال لا تسمح إلاّ بما تسمح به من جهة ثانية ، ركّزنا على القيم عند هاذين السوسيولوجيين المتجاورين موطنا وفكرا، المعاصران لبعضهما ، واللذان فتحا الباب على مصراعيه للقيم كموضوع دراسة سوسيولوجية، وكلاهما تناولا الخاصية التوليدية للدين كأساس منتج للقيم لكن من مدخلان منهجيان مختلفان، فالبنسبة لدوركايم لا وجود للقيم خارج الوعي الجمعي، أمّا عند فيبر فهي نتاج التجربة الفردية المعاشة في علاقتها مع الآخر.

الكلمات المفتاحية : القيم، اللامعيارية، الفعل العقلاني، الحياد القيمي، القيم الرأسمالية، الحتمية الاجتماعية، الخاصية التوليدية للدين

Abstract:

In sociological studies, there is a growing interest in the values as a sociological studies in the west; and in other areas of Politics ,Economics and Media…Values have represented as research studies in Work Ethics ,Scientific Research, and Business Administration and Enterprises …Policies of Countries and Societies ;Trade and Sport. Then when we speak to other about values as one of the most interesting sociological topics, they confront us with mock and sarcasm; like if we created heretical.

Because we know the extent to which Durkheim and Weber influence on non-sociological and sociological thought in the Arab region, we have focused on the values according to Durkheim and Weber which are both from neighboring countries and thoughtful, contemporary to each other; which they opened the door wide to values as the topic in sociological study, and they both discussed the property of religion as a productive basis of values ;but from two different methodological approaches

For Durkheim , values do not exist outside the collective consciousness, whereas for Weber ,values are produced by individual experience in relation to the other.

تمهيد

لعل المفهوم الأكثر مطّاطية في عالم المفاهيم هو مفهوم القيمة، لكثرة الاختلافات حوله والتباين في تحديده ، ولعل ذلك يعود إلى كون القيمة موضوع كثير من العلوم كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والاقتصاد السياسي، والفلسفة ،والتربية، والأنثروبولوجيا ...بل حتى داخل العلم الواحد هناك اختلافات .

لقد ولد المفهوم في حضن الفلسفة ونمى على أفكارها ، لكن مع ذلك نجد الفيلسوف "لالاند" يرى أنه من الصعب جدا تحديد معنى حقيقي للقيمة ،لأنها تدل على تصور ديناميكي يمر من الواقع إلى الحق، ومن المرغوب فيه إلى القابل للرغبة فيه (1) .

على مستوى العلوم الاجتماعية كان ومازال هناك تحفّظ كبير في التعاطي مع القيم، خوفا من الخوض في مجال يشار إليه بأنه مجال الذاتية ،كما فعل "ليفي شتراوس" عندما قال أن القيم لم تكن يوما من اهتمامات العلوم الاجتماعية التي بدأت طامحة إلى المنطقية ،في حين أن القيم هي مجال الانفعالات والعواطف والظواهر غير المنطقية، فالخوف من التناول العلمي للقيم قد يفضي إلى التناقض الذي من شأنه أن يشوه طبيعة القيم (2). ويقصد " ليفي شتراوس" بالمنطقية قدرة موضوع القيمة أن يدخل مجال التجريب والبيانات الإحصائية ويخرج قادرا على إعطاء تحليلات علمية قابلة للتفسير المنطقي، أوكما أيضا فعل "مورنغ فون" MERING VON عندما قال أن مجال دراسات القيم فيه جدب في النظريات المتناسقة وخصب في النظريات المتباينة (3).

وهذا توجه فكري غير مؤسّس ، فعلى مستوى العلوم الفزيائية التي لطالما وصفت بالعلوم التجريبية البحتة ، مازال العلم عاجزا عن التفسير المنطقي لجميع الظواهر، إذ يكتفي بتوصيفها فقط كتوصيف حالة تشرد الذرات مثلا، كما أن القول بأنه لا مجال لأحكام القيمة في علم الاجتماع هو نفسه حكم قيمة كما يقول "هوارد بيكر" تلميذ "زنانيكي" ، إذ من غير المنطقي دراسة الانسان ككائن اجتماعي ثقافي بعيدا عن قيمه (4)

القيم عند إميل دوركايم (1858-1917)

فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ، يعتبره ريمون بودون من الكانطيين الجدد ، ويعتبره الكثيرون امتدادا وضعيا لأغوست كونت، ينحدر من أسرة حاخامات للطائفة اليهودية لذا بدأ دوركايم بدايات تعليمة دينية على أمل والديه أن يصبح حاخاما هو الآخر ، لكنه تخرّج من دار المعلمين في الفلسفة ، سافر إلى ألمانيا حيث درس علم الاجتماع مدة سنة ، أصبح أستاذا في جامعة بوردو سنة 1887 مدرسا للبيداغوجيا، ثمّ السربون كأستاذ للتربية وعلم الاجتماع، ساهم في إصلاح التعليم الفرنسي بأرائه وتحليلاته ، أسس حولية علم الاجتماع سنة 1898 ، وهي أول مجلة في علم الاجتماع بفرنسا جمعت حولها ما عرف فيما بعد بمدرسة الحوليات، مات مفجوعا بموت إبنه اللامع في دراسته إذ لحقه بعد حوالي سنة فقط وكان ذلك عام 1917، يعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث وعلم اجتماع التربية، إهتمّ قبيل وفاته بدراسة الأخلاق والقيم وسوسيولوجيا التربية والتعليم .

(سيبدو هذا الجزء المتعلق بالقيم عند دوركايم وكأنه تفسيرات لنصوص محورية من كتابه " علم اجتماع وفلسفة **الذي** ترجمه "حسن أنيس"، لكن المطّلع على كتب دوركايم يعرف تماما أن أهمّ ما كتبه عن القيم جاء في ذلك الكتاب أكثر من كتبه الأخرى ، هذا ما دفعنا إلى التركيز أكثر على الكتاب السالف الذكر).

إجتماعية القيم

قبل أن يبسط دوركايم أفكاره في مسألة القيم يوضّح موقفه مسبقا بمقولته الشهيرة "إن التساؤل ما إذا كانت القيم والأخلاق تشكل موضوع دراسة سوسيولوجية سؤال خاطئ من أساسه" وهو نفس الموقف الذي نجده عند فيبر، فالقيم عند دوركايم لا تحتاج للفلاسفة والمفكرين العباقرة لإثبات وجودها فهي تظهر كأفعال قابلة للملاحظة أمبريقيا ،إنها تشكّل البيئة الفيزيقية والأخلاقية مثلها مثل الأشياء ليست ذات طبيعة داخلية خاصة بها.

---

(1) LALANDE,A, Vocabulaire Technique et Critique de la Langue Philosophique ,Paris, P.U.F, 1968, p1148

(2) عبد السلام السعدي،تدريس مفاهيم قيم حقوق الانسان ضمن المناهج التعليمية،الدار البيضاء،دار الثقافة ،2001، ص130

(3) فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، د ط، القاهرة ، مكتبة الأسرة، 2003، ص 20

(4) صلاح قنصوة ، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، د ط، القاهرة ، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1986 ، ص90

فالقيم ليس لها معنى ولا وجود ولا قوّة خارج الوجود الاجتماعي فدون مجتمع لا وجود للقيم، فالعلاقة مع الآخر، هذا التذاوت الذي يضعنا أمام مسائل التفضيل والاختيار بين الأفعال المشروعة أو غير المشروعة ، الفاضلة أو غير الفاضلة، الصائبة أو الخاطئة... هو الذي يعطيها الوجود والمعنى ، فالقيم عند دوركايم هي أساسا ذات منشأ اجتماعي حتى وإن كانت قيم دينية ، فهي ليست موضوع أفراد ، على نقيض فيبر في تحليله للفعل العقلاني والانسان العقلاني كتجسيد للغاية الذاتية ، عند دوركايم المجتمع منطلق الأشياء ومحصّلها، لذا المجتمع هو أساس القيم وغايتها في نفس الوقت، فمن خلال القيم يحافظ المجتمع على وجوده واستمراره، ويعيد إنتاج نفسه، فالقيم عامل قوة وتماسك ، أن تتصرف وفق قيم يعني أنك تتصرف وفق المصلحة الاجتماعية مادامت القيم وليدة ذلك المجتمع أصلا.

هذا يعني أن القيم محايثة لا متعالية، نتاج الواقع المعاش لا قبلية، محاطة بالزمان والمكان، منتوج اجتماعي بناء ووظيفة، وذلك ما يصنع موضوعيتها، فكل مجتمع له قيّمه التي تحافظ على استمراريته وتصنع بقاءه ، إنها بالتعبير الدوركايمي إلزام اجتماعي قاهر للأفراد، لذا عندما نكون أمام دراسات قيمية فنحن إذن نبحث فيما هو متمايز بين المجتمعات والجماعات والفترات التاريخية المتعاقبة ، ونبحث في نفس الوقت عمّا يوحّدها ويجعلها تستمر، وهذا يعني أن القيم ذات صيرورة تاريخية تستدعي دراستها ضمن التغيرات الحاصلة ، وذات طبيعة ثقافية تستدعي دراستها ضمن مجالها الثقافي الذي صنع وجودها، لكن على مستوى الأفراد فإن اتجاهاتهم نحو القيم مختلفة باختلاف تصوراتهم لها، وقد يكون ذلك الاختلاف كبيرا كلّما كانت التنشئة التي يتلقاها الأفراد مختلفة [(1)] .

كل القيم والمثل العليا يحيلها دوركايم إلى المجتمع الذي أحلّه محل الله << **فإني لا أرى في الألوهية غير المجتمع وقد استحال إلى صورة وتفكير على نحو رمزي** >> [(2)] ، الحرية الفردية بالنسبة لدوركايم وَهْم ، إنها لا تتمّ إلاّ داخل حدود المجتمع- بقيمه وثقافته وعاداته وتقاليده- وعن طريقه ، كيف يكون الأمر إذن بالنسبة للأفراد الذين يختارون لأي سبب من الأسباب وطنا ومجتمعا آخر، بالنسبة لدوركايم القضية الأصلية لا تتعلق بالعيش خارج نطاق مجتمع المنشأ، وإنّما باختيار المجتمع الذي يريد الأفراد العيش فيه إختيارا حرّا ،شرط أن يفصل ذلك الفرد رابطه بمجتمع المنشأ من الواجبات والالتزامات ، لكن لا يمكن لأي إنسان أن يعيش خارج نطاق مجتمع [(3)] ، إستغراق دوركايم في فكرة المنشأ الجمعي لكل حياتنا ، واستغراقه الأكبر في تفسير تلك الحياة من زاوية التماسك والتوازن ، وقف حائلا دون تفطنه أو دون رغبته ربّما في معالجة عميقة لظاهرة تغيير الأفراد لمجتمعات منشئهم وأسبابها وأشكالها، والتي نراها نحن قد تكون شكل من أشكال صراع الفرد مع مجتمع المنشأ.

تفسير دوركايم للتغير القيمي

يربط دوركايم حدوث تغيّرات قيمية في المجتمع بالتغيّرات الحاصلة على مستوى شرط الوجود الجمعي، ويجعل هذه المعرفة من اختصاص علم العادات الأخلاقية، فالقيم تبقى على ما هي عليه ما دامت من مقتضيات الحالة الاجتماعية ، فلا تتغير أو تزول أو تولد قيم جديدة إلاّ بوعي جمعي، لكنه لايفسر لنا كيف تتحول القيم أو تتغير أو تزول وتحل محلها قيم حداثية جديدة ، ونعيب عليه ذلك الطرح المثالي الذي يجعل من العقل الإنساني الجمعي، اللاشخصي ،الذي لا يتحقق إلاّ في العلم بالوقائع القيمية الأخلاقية كممارسة اجتماعية ، هو الحل السحري الذي يسمح لنا انطلاقا من تلك المعرفة بالتهذيب والتوجيه والتغيير، فلا يمكن أن ينصلح حال المجتمع أخلاقيا في نظر دوركايم ما لم يتقدم علم الأخلاق تقدما كافيا[(4)].

([1]) إميل دوركايم، علم اجتماع وفلسفة، تر: حسن أنيس، ط1 ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966 ،ص.ص 74.73

([2]) نفس المرجع، ص 91

([3]) نفس المرجع، ص96

([4]) نفس المرجع، ص.ص 117.115

فالعلم عند دوركايم إصلاحي يهدف إلى الهداية لأحسن الأخلاق وأفضل القيم، وإن هذه الرؤية لعمري يكذبها الواقع ما بعد الحداثي الذي تطور فيه علم الأخلاق ونظرية القيم لكن الاختلالات القيمية والأخلاقية أصبحت أكثر بروزا ، كما أنه لو كان تطور علم الأخلاق يفضي إلى أخلاقية أكثر لكان كل عصر راهن أكثر أخلاقية من العصر السابق وهذا ما لم يسجله الواقع، كما لو قلنا أن القضاء على الأمراض لا يكون إلاّ بتطور علم الطب، لكن الواقع يكشف لنا أن الطب سيظل يصارع أمراضا راهنة أكثر فتكا لم تعرفها العصور السابقة.

القيم والدين

نقطة جوهرية أخرى في تنظير دوركايم للقيم تتقاطع مع فيبر على اختلاف مدخلهم المنهجي ، فكلا الرجلين تناولا بإسهاب الخاصية التوليدية للدين، الأول في كتابه Les Formes Élémentaires de la Vie Religieuse والثاني في كتابه المترجم إلى العربية الأخلاق البروتيستانتية وروح الرأسمالية ، فالدين عند دوركايم كما عند فيبر عامل ضبط اجتماعي باعتباره منبع القيم والمعايير والقواعد الاجتماعية، فالقيم الأخلاقية عند دوركايم جوهرها ديني، فإذا فقدت هذا الجوهر زالت عنها صفتها الأخلاقية، ولا ننسى كما سبق القول أن الدين عند دوركايم محايث من صنع المجتمع بوعيه الجمعي ، وأن الألوهية تتجسد في هذا المجتمع وليس في كائن سام متعال "**فلا ينتظرنّ أحد أني سأجاري النفعيين مثلا في رفض وإنكار ما للأخلاق من مظهر ديني، أو أن أصطنع من الجهة الأخرى ما يصطنعه اللاهوتيون الغيبيون من إلصاق الطابع الديني بكائن سام متعال"** [(1)] ، فهو يفسر المنشأ الديني للقيم من منظور علماني بحت ، في علاقة تبدو غريبة وتستحق النقد في كتابه – الضخم حجما المليء بالإطناب الإستشهادي - الأشكال الأولية للحياة الدينية ، لكن ليس هذا موضوع بحثنا .

قلنا سابقا أن الطابع الديني صفة جوهرية للقيم الأخلاقية عند دوركايم، والدين صناعة مجتمع بشكل ما ، لذا مفتاح التفريق بين الفعل الأخلاقي وغير الأخلاقي يظهر من خلال توجهات الفعل، فإذا كان موجه لتحقيق مصالح فردية فهو غير أخلاقي، وإذا كان موجه لتحقيق مصالح جماعية فهو فعل أخلاقي ، فالسعي لتحقيق الذات والنجاح والتفوق من أجل منافع شخصية لا غير ، أو من أجل حفظ الوجود الشخصي وليس لتحقيق الصالح العام، لا يمكن أن يكون فعلا أخلاقيا بأي شكل، إنما هو فعل محايد قيميا ، لكن إن كانت تلك الأفعال الشخصية موجهة من أجل مصلحة الآخرين كمصلحة العائلة أو الجماعة الاجتماعية مثلا، لأننا مهمين لاستمرارها وبحفظ وجودنا نحفظ وجودها ،عندها تكون أفعالا أخلاقية [(2)] ، فالتصرف بأخلاقية هو التصرف وفق مصالح المجتمع، عند فيبر الفعل القيمي هو الذي يكون موجه بمقاصد الفاعلين نحو غايات قيمية حتى وإن كانت فردية ، كما أننا نلحظ اختلاف واضح للقراءات الدينية بين الرجلين، ففيبر يشرح مستشهدا هو الآخر بإطناب من التاريخ الديني للمسيحية الكالفينية كيف وجّه الدين الأفراد نحو النجاحات الفردية، ثمّ إنّ واقع الكثير من الديانات حسب علمنا بما فيها الديانة الإسلامية، واليهودية، والمسيحية، لم تنف القيمة عن الفعل الموجه لتحقيق مصالح فردية طالما كانت مشروعة، فإن حفظ النفس في الإسلام قيمة مقدسة، والعمل من أجل حفظ الكرامة الشخصية قيمة واجبة

الأنوميا الاجتماعية مقابل التغير الاجتماعي

دوركايم الذي لا يرى المجتمع إلاّ كلا عضويا لا يملك إنطلاقا من تلك الرؤية تفسيرا للتغير الاجتماعي، إلاّ من خلال عمل ترميمي بمفهوم اللامعيارية كما توصّفه "جينيفر ليمان" ، فاللاّمعيارية أو الأنوميا الاجتماعية هي حالة غياب مرجعية قيمية وليس كما يعتقد البعض في تفسير خاطئ لدوركايم غياب للقيم ، أو كما تعتقد "جينيفر ليمان" أنها حالة انفكاك

([1]) نفس المرجع، ص 123

([2]) EMILLE DURKHEIM, L'Éducation Morale ,Bibliothèque de Philosophie Contemporaine, Paris, Librairie Félix Alcan,1925,p.p 64.65

الأفراد من المجتمع، حتى أننا نشعر أمام هذا التعبير وكأن المجتمع عقد تنفك حباته في حالة الأنوميا، معتقدة على نقيض دوركايم أن الأفراد غير اجتماعيين بالطبع ، يميلون بطبيعتهم إلى التمرد على القواعد الاجتماعية [1] ، في حين دوركايم يتحدث عن ضعف الروابط الاجتماعية التي قد تؤدي إلى تفكك الجماعة الاجتماعية عندما تضعف سلطة الضبط التي يتمتع بها المجتمع كقوة معنوية، فتطفو الفردانية على سطح الحياة الاجتماعية ، لكن حالة الضياع تحدث عندما لا يكون للأفراد من غايات إلاّ الغايات الذاتية المحضة، فالذات الاجتماعية هي التي تشكل قيمة الوجود داخل الوجود الفردي فإذا ضعفت تلك الذات تولّد الشعور بالحيرة والضياع [2] ، ففي عصر الحداثة الوجدان الجمعي المشترك ينمو بأقل من نمو الوجدان الفردي ، وحتى الوجدان الجمعي المشترك يتجه نحو تقديس التمايز والاختلاف والتفرّد، لذا نشهد تراجع المشاعر الجمعية على حساب المشاعر الفردية [3].

إننا نعتقد مع "أنتوني غيدنز" أن اللاّمعيارية عند دوركايم هي شكل من التخبط المرجعي للقيم بسبب التغيرات الحداثية ، إذ تحدث حركة غير متناسبة بين قوة التغيّر وسرعته من جهة ، وبطء في تطور القيم التقليدوية أو زوالها من جهة أخرى، فيتولد لدى الأفراد شعور بالضياع على حد تعبير "روبرت ميرتون" ، بسبب عدم القدرة على تحديد أهداف توجه آمال وطموحات الأفراد [4]، فاللاّمعيارية تتعلق بتعارض القيم مع الواقع المعاش ، أو بتعايش قيم حداثية منبثقة وقيم تقليدوية لم تتطور أو تزول تماما ،مما يجعل بدائل الإختيارات أمام الأفراد متعددة ومتناقضة أحيانا ، فنكون أمام مرجعيات قيمية وليس مرجعية واحدة ، فالإختيارات المتعددة والمتناقضة أحيانا تخلق ذلك الإضطراب لدى الأفراد وغياب الوضوح ، كأن يتخبط الطلبة بين قيمة التعليم كهدف في حد ذاته وهذه قيمة تقليدوية ، وقيمته كوسيلة لغايات أخرى كالحصول على وظيفة تحضى بالإعتبار الاجتماعي وهذه قيمة حداثية.

أسباب ذلك الإضطراب القيمي مسألة في غاية التعقيد يوجزها دوركايم في ما سماه بتغير شروط الحياة ،هذا التغيّر يخلق دائما أزمة بشكل من الأشكال بسبب مقاومة التغيير الذي تبديه العادات والتقاليد، ويصبح الإنتقال إلى مرحلة جديدة قضية جيل بأكمله [5]، شروط الحياة هذه مسألة مشروطة هي الأخرى بالزمان والمكان، أي بالصيرورة التاريخية للمجتمعات ، بثقافة الجماعات والفئات الاجتماعية ، فكلما ارتقينا في السلم الاجتماعي تغيرت شروط الحياة، فشروط الحياة لدى فلاح يعيش في الريف ليست هي شروط الحياة لإنسان متعلم يعيش في المدينة، لهذا عندما يتحدث دوركايم عن علاج الأنوميا الاجتماعية كمشروع واع وهادف ومدروس وممنهج ، يفاجئنا إذ يجعل الحل الأكثر فعالية في جماعات العمل باعتبارها مجموعة أفراد متعاضدة المصالح والأفكار والمشاعر الاجتماعية ، فمجال العمل في نظر دوركايم ثري لحياة مشتركة [6] ، لانريد أن نطيل في هذه النقطة فدوركايم نفسه يعلم الصعوبات الإبستمولوجية والمنهجية التي تطرحها، إضافة إلى أن هذا الطرح لا يتكافأ إطلاقا مع عمق مشكلة الهشاشة القيمية أو الاضطراب القيمي.

القيم عند ماكس فيبر(1864-1920)

([1]) جينيفر م. ليمان ، تفكيك دوركايم (نقد ما بعد بعد بنيوي)، تر: محمود أحمد عبد الله، مر: محمود الكردي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2013، ص.ص 171.170

([2]) أميل دوركايم ، الإنتحار، تر: حسن عودة، وزارة الثقافة، سوريا، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011، ص.ص 260.254

([3]) إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، تر: حافظ الجمالي، الأونسكو، مجموعة الروائع الإنسانية، لبنان، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، 1982، ص.ص 199.196

([4]) أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، ط1، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص283

([5]) إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، مرجع سابق ، ص273

([6]) إميل دوركايم، الإنتحار ، مرجع سابق ، ص493

معاصر لدوركايم ، وهو الآخر يعتبره البعض من الكانطيين الجدد، من عائلة بروتيستانتية ثرية ، عالم في الاقتصاد السياسي درس الحقوق والاقتصاد لذا غلب على محاضراته في علم الاجتماع البعد الاقتصادي، بدأ أستاذا في الاقتصاد السياسي وانتهى كمحاضر في علم الاجتماع ، أنشأ مجلة أرشيفات العلوم الاجتماعية سنة 1904 وأسس الرابطة الألمانية لعلم الاجتماع سنة 1910، لكنه لم يحض بكرسي دائم في علم الاجتماع إلاّ سنة 1918 بجامعة ميونيخ حيث توفي بعدها سنة 1920 ، بعض مؤلفاته نشرت بعد وفاته مثل كتابه الضخم الاقتصاد والمجتمع.

موقع القيمة في الفعل العقلاني

تناول فيبر في كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية بشكل مسهب القيم الدينية – كالمبادرة، وقيمة العمل العالية الإيجابية، والسعي إلى الربح وامتلاك الثروة والقوة(إظهار مجد الله في الأرض) -كعامل مهم في ظهور الرأسمالية الحديثة ، فإذا كان منظرو الحتمية الاقتصادية يرون أن القيم الرأسمالية الحديثة وليدة ضعف تأثير المؤسسات التقليدية في المجتمع، ويرى منظرو الماركسية أن القيم ما هي إلاّ الوجه الإيديولوجي للوضع الاقتصادي ، فإن فيبر يرى أن القيم الدينية كانت محرر قوي للعقلانية في صورتها الرأسمالية ، لكنه لا يلغي كما يعتقد البعض ضرورة توفر الشروط المادية الضرورية لتفعيل القيم كمحرك اجتماعي قوي ، فالفعل العقلاني عملة ذات وجهين القيم من جهة والشرط المادي من الجهة الثانية [(1)] .

فالقيم عند فيبر كما عند دوركايم هي منتج ديني يؤثر على سلوكات الأفراد في توجهاتهم نحو الحياة وطرائق العيش بما في ذلك العمل أو المهنة، فهو يجد في البروتستانتية منظومة القيم التي صنعت الإنسان العامل والمهني في الحضارة الرأسمالية الغربية، لكن علينا أن لا نتجاوز فيبر بفهم مجزوء، ففيبر يرى أن تصورات الأفراد واتجاهاتهم نحو الحياة والكون هي نتاج قيم دينية تتحرك في إطار المصالح ، في تفاعل ديناميكي مع الشروط المادية الاجتماعية التي يعيشها الأفراد، تتضافر مجتمعة في التحكم في الفعل الإنساني، يظهر فيبر واقف على النقيض من الفكر الماركسي الذي يرى أن القيم ما هي إلاّ النتاج الطبيعي للوضع الاجتماعي الطبقي.

نمط التربية التي يفرضها المناخ الديني لدى الطائفة البروتستانتية وبالضبط الكالفينية منها بمنظومة قيم سبق ذكرها، هي التي ساهمت في ظهور الرأسمالية ودمغت جيل كامل بعقلانية صارمة ، واستمرت العقْلَنة والعلْمَنة والدنْيَوَه حتى نزعت السحر عن العالم [(2)] ، ولم يبق من القيم الدينية إلاّ ضلال باهتة ، حتى عندما يتحدث فيبر عن الفعل العقلاني القيمي الذي ينطلق من توجهات قيمية محايثة غير مشروطة ، فإننا نجدها لم تعد توجهات قيم دينية بحتة كما كان الحال في بداية نشوء الرأسمالية، وإنما أصبحت قيم رأسمالية مُعَلْمنة معقلنة مشدودة إلى الأرض مفصولة عن السماء.

فالقيم عند فيبر هي نتاج التجربة الفردية المعاشة في علاقتها مع الآخر ، فقيم أستاذ جامعي في علاقة تفاعلية ليست هي قيم رجل دين أو رجل دولة أو فلاح بسيط ، إنها قيم إرادوية غير متطابقة مع بعضها ، لذا يجد الأفراد أنفسهم دائما في حالة مفاضلة واختيار قيمي، فلا يوجد نظام شامل للقيم ملزم لجميع أفراد المجتمع الواحد ، إنما هي قيم متباينة ومختلفة دون أن تصنع اختلالات دوركايمية للمجتمع ، فالفرد عند فيبر ليس موضع إشكال للمجتمع كما هو الحال عند دوركايم ، بل إن فيبر يرى أن النظام الاجتماعي الملائم هو الذي يدعّم ذلك التباين ، فالقيم ليست قبلية ولا متعالية ولا شمولية ، فمنظومة القيم عند فيبر ضرورية لقيام المجتمع ، لكن يجب أن تحوز على المشروعية الاجتماعية وذلك من خلال الاتفاق Accord (والذي سيصبح عند هابرماس إيقا المناقشة) والإملاءات أو الفرض Imposition أو الإلزام لتنفيذ

([1]) لوران فلوري، ماكس فيبر، تر: محمد علي مقلّد، ط1، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2008، ص.ص 58.56

([2]) ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، تر: محمد علي مقلّد، د ط، لبنان، مركز الإنماء القومي، د ت، ص.ص 77.71

متضمنات الاتفاق[1]، ولعل هذه من مآخذ الفردانية التي عيبت على فيبر بإعطائه الأولوية للفرد على الجماعة، على النقيض من مأخذ دوركايم الذي يجعل الفرد يذوب في الجماعة.

يتحدث فيبر عن وجود انتظامات كثيرة تحكم مسار الفعل الاجتماعي ، تخضع هذه الانتظامات لمصالح الأفراد بوصفها غاية الفعل آخذة في الاعتبار دائما التوقّعات النمطية للآخر، مما يدمغ الفعل العقلاني الغائي بالانتظام والاستمرارية ونوع من الثبات، وهذا ما لا نجده في الفعل العقلاني القيمي حيث تكون إرادة الفرد في الفعل محكومة بقيم معيارية ملزمة بصورة فعلية [2].

هذه الصعوبة التي يخلقها لنا فيبر كبيرة جدا، فالفاعل قد يكون له مصالح متصارعة من جهة كما أن مصالحه قد تتغير تبعا لمنظومة القيم التي يتمثّلها ، الالتباس الآخر هو في إمكانية وجود كل الأنماط في الفعل الواحد، فنصبح أمام البحث عن العناصر الأساسية المشكلة للفعل من أجل تصنيفه ، إضافة إلى ذلك الفرد عند فيبر في الثقافة الرأسمالية الحديثة حر الإرادة في الاختيار المبني على أسس عقلانية، متحررا من العادات والتقاليد والقيم المطلقية(القبلية) ، لكن في نفس الوقت إرادة الفاعل خاضعة للقيم المتمثلة لديه من خلال نمط التربية والتنشئة الدينية . لكن يبق فيبر كما يركل من "دوران" و"فايل" المحارب الشرس من أجل التأسيس العلمي للأحكام القيمية في مجال السوسيولوجيا كمقاربة لفهم الواقع ، إذ يكتسب دلالة عند فيبر كل ما يتناسب مع الواقع الراهن بعمقه الثقافي القيمي [3] .

الفرق بين التأويل القيمي وإصدار أحكام القيمة

نعلم جميعا من كتاب قواعد المنهج لدوركايم ، ومن خلال جميع كتاباته التي بقيت وفية لتلك القواعد ،أن الظاهرة الاجتماعية عنده هي شيئ قائم خارج الذات العارفة، فالعلوم الاجتماعية علوم وضعية عند دوركايم، تعالج الظواهر من خلال المنهج التجريبي مثلها مثل العلوم الطبيعية ، وهذا ما يعطيها طابعها الموضوعي في نظره، في حين فيبر هو صاحب منهج الفهم الذاتي، فالعلوم الاجتماعية هي علوم تأويلية فهمية، فالفعل الاجتماعي عند فيبر هو الذي يحمل معنى ذاتي في علاقته مع الآخر، وهذا ما أصبح يعرف بسوسيولوجيا الفهم، التي تهدف إلى تأويل الفعل الاجتماعي وشرح وتفسير نتائج آثاره << **علم الاجتماع {...} يهدف إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر بذلك أسبابه في تتابعه وتأثيراته**>> [4].

وحتى يوضح فيبر الجانب الموضوعي من الطرح التأويلي يفرق بين إصدار أحكام القيمة الوجه المناقض للموضوعية، وبين التأويل القيمي للظاهرة أو الفعل الاجتماعي والذي لا علاقة له بحكم القيمة، وإنّما هو قدرة التأويل على الاهتمام بمختلف المواقف الدّالة الممكنة بما في ذلك الموقف القيمي للفاعل، المُتّخذ تجاه وضع ما ، فالقيم عند فيبر عامل من عوامل التغيير الاجتماعي (كما رأينا سابقا في تفسيره لنشوء الرأسمالية الحديثة) وموجه للفعل ، فاتجاهات الأفراد لا يمكن فهمها بمعزل عن تصوراتهم في فهم العالم المعيش والتي تشكل القيم العمود الأساسي في هذا الفهم [5] .

الانسان عند فيبر جسد وروح لا يمكن فصلهما عن بعض وهذا ما لانجده في الأشياء المادية ، فعندما نكون أمام دراسات إنسانية فنحن أمام ذات عارفة (الذاتية)، وهي في نفس الوقت موضوع معرفة (الموضوعية)، لذا في المنهج الفيبيري

([1]) علي ليلة، ماكس فيبر والبحث المضاد في أصل الرأسمالية، الكتاب التاسع، سلسلة النظريات الاجتماعية، د ط ،مصر، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، 2004 ، ص.ص 39.36

([2]) ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، تر: صلاح هلال، مر: محمد الجوهري، ط1 ، مصر، المركز القومي للترجمة، 2011،ص 61

([3]) جان بيار دوران و روبير فايل ، علم الاجتماع المعاصر، تر: ميلود طواهري، ط1 ، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان، دار روافد الثقافية ناشرون، ، 2012 ، ص 98

([4]) ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 28

([5]) يمكن العودة إلى ماكس فيبر، العلم والسياسة بوصفهما حرفة، تر: جورج كتورة، ط1 ، لبنان، المنظمة العربية للترجمة ، 2011

لابدّ من التفريق بين علوم الفهم التفسيري (العلوم الإنسانية)، وعلوم التفسير البحت(العلوم الطبيعية)، وبما أن القيم متنوعة ومتباينة ومتصارعة أحيانا إذ لا يوجد قيم عامة كما هو الشأن عند دوركايم ، تصبح معرفة معنى الفعل الاجتماعي من تحليله أمرا غير ممكن، فلا سبيل للمعرفة في هذه الحالة إلاّ بفهم المعنى الذاتي الذي يضفيه الأفراد على سلوكهم ،أي فهم الفعل فيما يتعلق بالدافع "**فهم سياق المعنى الذي ينتمي إليه فعل يمكن فهمه فهما راهنا تبعا للمعنى الذي قصده القائم بالفعل**" [1] .

كيف يمكن لهذا الفهم أن يكون موضوعيا وهو متعلق بذات عارفة من نفس طبيعة موضوع معرفتها، وكلاهما حاملي قيم ، بالنسبة لفيبر القيم مجال دراسة سوسيولوجية كما سبق الذكر لا شكّ فيها ، لكن المعرفة السوسيولوجية هدفها البحث عن الحقيقة فقط وليس إقحام الأحكام القيمية الشخصية في تفسير الظواهر [2] ، إن الباحث يكشف اختلاف القيم و تباينها، ومدى ملاءمة وسائل محددة لبلوغ غايات قيمية محددة ، لكن ليس عليه أبدا أن يظهر المفاضلة "**يسمح لنا التحليل العلمي مدى أهلية سلسلة معينة من الوسائل لبلوغ غاية معيّنة. لكن لا تستطيع أية كميّة من المعرفة العلمية أن تبرهن بصورة منطقية أن من واجب المرء أن يقبل غاية معيّنة كقيمة**" [3] .

لأجل ذلك كان على فيبر أن يطرح الحل المنهجي للمسألة من خلال الأنماط المثالية التي تعتبر الركيزة الأساسية في المنهج الفيبيري، فالأنماط المثالية هي مفاهيم فكرية مجردة ، ليست الواقع أمبريقيا لكنها تعبر عنه بشكل من الأشكال لأنها مستوحاة منه، فهي كما يقول "فليب راينو" تهدف إلى البحث عن "**تشابه الظواهر الملاحظة في مجتمع معطى أوّلا مع نمط خالص كما هو مكون {...} وبأن الدلالة التي يسمح بإرجاعها إلى الوقائع الاجتماعية غير منفصلة عن "الارتباط بالقيم""**[4]، هذا البناء للمفاهيم يرتكز على افتراضات قيمية مسبقة لفهم الواقع وتأويله وليس للحكم عليه، فالعلوم الاجتماعية ليست علوم دوغماتية، إننا أمام عملية بناء فعل عقلاني بحت خال من جميع التأثيرات العاطفية وغير العقلانية ، وفقا لخبرات الباحث من أجل فهم الفعل الحقيقي من خلال معرفة الانحرافات عن النمط المثالي [5] .

سوسيولوجيان تشكيلة قيمهم

دوركايم يقف إلى جانب المجتمع بقوّة، حتى جعل منه كيانا عضويا قائما بذاته، يشعر ويعي، له ضمير ،ووجود، ووجدان، فالمجتمعات التقليدية تمتص الأفراد فينحلّوا في الجماعة الاجتماعية ، بحيث لا يمكن الحديث إلاّ عن وعي جمعي ، وشخصية جمعية، وقيم مشتركة ، وثقافة متجانسة ، إنها مجتمعات الإمتثال، فالهوية الفردية أو الذاتية ما هي إلاّ انعكاس للهوية الجماعية ، وكأننا أمام مجتمع يتكون من مستنسخات ، فلا مجال للذاتية ولا للفرادة، ولا للإختلاف ولا للصراع ، الجميع يسير نحو اتجاه واحد مصلحة المجتمع التي هي نفسها مصلحة الأنا ، إنه المجتمع الآلي بتضامن آلي.

المجتمعات الحديثة مجتمعات مركّبة ومعقّدة، يختفي فيها التجانس والتماثل الذي كان سيمة المجتمعات التقليدية، إنها مجتمعات عضوية ، بتضامن عضوي، فقد تغيرت المجتمعات منذ أن ظهر التخصص في العمل والوظائف والعلوم ، فلم يعد الحديث عن التماثل وإنّما عن الإختلاف ، ولم يعد الحديث عن التشابه وإنما عن التمايز، ولم يعد الحديث عن الانحلال في الجماعة وإنّما عن الاستقلال ، وأصبح الحديث عن الهوية الشّخصية ممكنا.

([1]) ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ، مرجع سابق، ص34

([2]) ماكس فيبر، العلم والسياسة بوصفهما حرفة، مرجع سابق، ص 187

([3]) أنتوني جيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تر: أديب يوسف شيش، د ط ، سوريا، الهيئة العامة السورية للكتاب ، د ت، ص314

([4]) فيليب راينو ، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، تر: محمد جديدي، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، الامارات، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث كلمة، 2009، ص 93

([5]) ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ، مرجع سابق، ص.ص 31.29

سواء مع الصورة الأولى أو الثانية ،الحتمية الاجتماعية أهم دعائم الفكر الدوركايمي ، يبقى المجتمع قاهر للأفراد ضمن صيرورة اجتماعية تاريخية تستوعب الاختلالات والاختلافات ، فالمجتمع خير مطلق، ومثل عليا، وقيم سامية، لكن مع ذلك فهو عرضة للتغير، وقابل للإعتلال ، وهو يتغير بأفراده ويعتل بانحرافهم عن تطلعاته للتماسك والاستقرار ، لكن لنكن منصفين دوركايم يعي كل تلك المسائل العالقة والعصيّة عن الحل ، ويعلم جيدا أن الحياة الإنسانية لا تستوعبها نظرية أو مجموعة نظريات .

بالنسبة لفيبر الفرد هو الوحدة الأساسية للفهم السوسيولوجي، لكن ليس كما ينظر البعض إليها على أنها تذرير للمجتمع، هؤلاء لم يفهموا فيبر إطلاقا ، بمماثلة عضوية لست من أنصارها تماما إلاّ في حدود ما تعين على التوضيح، يمكننا أن نفهم الكثير عن جسم الانسان من خلال معرفتنا عن الجينات التي تبيّن أنها تصنع الكل الجسدي ، ووظائف الجسدي في علاقته مع الروحي ، علينا أن لا ننسى أنّ فيبر ميّز الفعل بصفته إجتماعيا بشرطية علاقته مع الآخر ، لسنا أمام روبنسون كروزو إطلاقا، فإذا كان دوركايم لا يفسر النشاط الفردي إلاّ من خلال المجتمع ، فإن فيبر لا يفسر المجتمع إلاّ من خلال النشاط الفردي ، إنها مسألة توجه منهجي آمن به فيبر الذي آمن بالاختلاف والتغير أكثر مما آمن به دوركايم الذي آمن بالوحدة والثبات.

لم أبدأ بتعريف الرجلين لأملأ الصفحات بل لأظهر التكوين الديني لكليهما ، لا يهمنا الالتزام بالمفهوم الديني أو الفلسفي أو النظري عموما ، ما يهمّنا هو البيئة الفكرية والاجتماعية والنفسية والدينية التي نشأ فيها كل منهما ، هذا هو مجال قيم كل منهما ، وبعد أن قمنا ببحث في الدين المسيحي واليهودي لا ندّعي عمقه، وجدنا أن الدين اليهودي عمل على مر الزمن على تعظيم الجماعة على حساب الفرد، ونظر إلى القيم الفاضلة تلك التي تخدم مصلحة المجتمع ، إنها قيم تقدّس المجتمع اليهودي كمجتمع مختار ، وبالتالي فهي تُخضع جميع القيم لخدمة بقاء واستمرار المجتمع اليهودي، في حين نجد في الديانة المسيحية الفرد يحضى باعتبار كبير ، فالتعاليم المسيحية منفتحة على القيم التي تبني شخصية الفرد وخلاصه الذاتي الفردي، وتؤمن بالآخر وتقبل الإختلاف معه، هذا ما وجدناه من فرق بين الرجلين خلال تحليل القيم عند كليهما أليس ذلك انعكاس لقيم كل منهما، فماذا تعني الموضوعية إذن ذلك حديث آخر في مقال آخر إن شاء الله .

علي أن أشير إلى إحجامي الواعي عن تناول نظرة فيبر للقيم الإسلامية ، إعتقادا مني أنها تستحق اهتماما خاصا جدا، ومقالا مطولا جدا ، يوضح -من منطلق المعرفة والمعايشة- القيم الإسلامية كما نراها نحن ونعيشها ،لا كما صورها المستشرقون الذين نهل منهم فيبر تحليلاته الغريبة ،عن قيم إسلامية شهوانية خالصة، محورها الجنس والمال والاستبداد ، في تناقض أغرب لمنهجه الذي رسمه لنفسه في دراسته للبروتيستانتية، فهو الذي يرى أنه كثيرا ما نجد صعوبة في فهم الأفعال التي غايتها القيم في حالة ما إذا كانت بعيدة تماما عن قيمنا نحن ، إذ يمكننا أن نفهمها ذهنيا فقط ، وأحيانا يتعذر ذلك أيضا فنعمل على تفسيرها من خلال أهداف الفعل تفسيرا ذهنيا[1] ، لكن فيبر فسر القيم الإسلامية من مكان بعيد جدا وأنّى له التناوش من مكان بعيد لا يتيح رؤية واضحة بما فيه الكفاية، وإن كان "براين تيرنر" قدم نقدا أصيلا لفيبر فيما يخص هذه المسألة في كتابه " علم الاجتماع والإسلام" ، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر.

المراجع

- اميل دوركايم، علم اجتماع وفلسفة، تر: حسن أنيس، ط1 ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966
- اميل دوركايم ، الإنتحار، تر: حسن عودة، سوريا، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011

([1]) ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ، مرجع سابق، ص30

- إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، تر: حافظ الجمالي، الأونسكو، مجموعة الروائع الإنسانية، لبنان، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، 1982

- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، ط1، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، 2005

- أنتوني غيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تر:أديب يوسف شيش، د ط ،سوريا،الهيئة العامة السورية للكتاب ، د ت

- جان بيار دوران و روبير فايل ، علم الاجتماع المعاصر، تر: ميلود طواهري، ط1 ، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان، دار روافد الثقافية ناشرون، ، 2012

- جينيفر م. ليمان ، تفكيك دوركايم (نقد ما بعد بعد بنيوي)، تر: محمود أحمد عبد الله، مر: محمود الكردي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2013

- صلاح قنصوة . نظرية القيمة في الفكر المعاصر، القاهرة ، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1986

- عبد السلام السعدي . تدريس مفاهيم قيم حقوق الانسان ضمن المناهج التعليمية ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ،2001

- علي ليلة، ماكس فيبر والبحث المضاد في أصل الرأسمالية، الكتاب التاسع، سلسلة النظريات الاجتماعية، د ط ،مصر، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، 2004

- فوزية دياب. القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة الأسرة، 2003

- فيليب راينو ، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، تر: محمد جديدي، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، الامارات، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث كلمة، 2009

- لوران فلوري، ماكس فيبر، تر: محمد علي مقلّد، ط1، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2008

- ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، تر: محمد علي مقلّد، د ط، لبنان، مركز الإنماء القومي، د ت

- ماكس فيبر، العلم والسياسة بوصفهما حرفة، تر: جورج كتورة، ط1 ، لبنان، المنظمة العربية للترجمة ، 2011

- ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، تر: صلاح هلال، مر: محمد الجوهري، ط1 ، مصر، المركز القومي للترجمة، 2011

-Emille DURKHEIM,L'Éducation Morale,Bibliothèque de Philosophie Contemporaine, Paris, Librairie Félix Alcan,1925

-LALANDE,A, Vocabulaire Technique et Critique de la Langue Philosophique ,Paris, P.U.F, 1968

Réactions de deuil suite au suicide d'un proche

M.Kaour Fatma Imene .Pr .kerbouche Hamid
Département de psychologie
Université Constantine 2

ملخص:
الانتحار الصدمة النفسية هي نتاج وضعية عنيفة و فجائية بحيث تحدث فزعا و خوفا شديدا عند الضحية. و يعتبر ظاهرة قديمة اهتم بها الباحثون في مختلف التخصصات حيث صنف اغلب الباحثين الانتحار على أنه حدث صدمي لما يتميز به من فجائية و عنف . و في هذا المقال سنتطرق لردود الفعل الحدية للأشخاص اثر انتحار شخص عزيز.
الكلمات المفتاحيّة: حداد – انتحار – صدمة نفسية

Summary:
The traumatic disorder results from suddenly and violent situation which engender an intense fear to the victim.
Suicide is an anciant phenomenon which arouses the interest of researchers in different disciplines. That's why most authors consider suicide as a traumatic event because of its suddenness and brutality. i will address in this article the psychological experience of bereaved by suicide of a beloved one .
Keywords: Grief – Suicide – psychological traumatisme

Résumé :
Le traumatisme psychique est le résultat d'une situation caractérisé par sa soudaineté et sa violence qui engendre un effroi intense chez la victime.
Le suicide est un phénomène ancien qui suscite l'intérêt des chercheurs dans diverses disciplines, c'est pourquoi la plupart des auteurs considèrent le suicide comme un événement traumatisant du fait de sa soudaineté et sa brutalité. Dans cet article j'aborderai les réactions de deuil chez l'endeuillé par suicide.
Mots clés : Deuil – Suicide – Traumatisme psychique

Introduction:

Le suicide fait plus de morts que les accidents de la route. Outre la perte d'un être cher , le suicide a des effets dévastateurs sur les gens qui sont proches du patient . il reste souvent une complication tragique de nombreuses maladies mentales.
Or, le suicide est un sujet complexe et l'ancienneté de la problématique suicidaire se superpose à l'histoire de l'humanité[1].
On se sera concerné par la problématique suicidaire qu'à partir du 18 éme siècle ou le suicide s'inscrit progressivement dans le cadre de l'aliénation puis de la maladie mentale. Le suicide est progressivement devenu objet d'études

---

[1] - Minois ,G. (1995). Histoire de Suicide. La société occidentale face à la mort volontaire .Paris : Fayard. P 33

scientifiques et non plus de réprobation ou de répercussion (avec sanctions judiciaires et religieuses).
Deux types de conception et d'interprétation se sont opposés. Les théories sociologiques qui culminent avec Durkheim et les théories psychopathologiques ou elles remontent à la naissance de la psychiatrie avec Esquirol .
Cependant , l'algérie connait une flambée suicidaire , chaque jour des personnes passent à l'acte , un acte antisocial par excellence , puisqu'il vise à supprimer la vie . le suicide est souvent commis par désespoir , un trouble mentale tel que la dépression , le trouble bipolaire , la schizophrénie , l'alcoolisme , des facteurs de stress tels que les problèmes financières ou des problèmes dans les relations humaines .
Ce travail exige une approche clinique pratique sur le terrain et c'est ce qui nous a conduit à sélectionner les personnes endeuillés qui ont perdu un proche par suicide , auxquels une étude de cas avec passation du test de Rorschach à été pratiquée . pour déterminer l'impact de cette perte inopiné , une perte que beaucoup de spécialistes qualifient de traumatique .

Problématique :

Le suicide d'un proche représente probablement l'expérience la plus douloureuse que nous pouvons connaitre. l'impression de perte et la douleur frappent si fort que certains d'entre nous se sentent coupés en deux , comme s'ils avaient perdu une partie d'eux-mêmes .
c'est pour ça la plupart des auteurs considèrent le suicide comme un événement traumatisant du fait de sa soudaineté et de sa brutalité ainsi que des perturbations durables sur le plan physique et psychique qu'il peut engendrer chez les endeuillés.
En effet, face a un événement ayant un tel potentiel traumatogène puisque ce dernier ravive des angoisses de morts liées au questionnement sur le sens de l'acte suicidaire. Cet acte provoque une blessure qui requiert une période de réparation dont la durée varie d'un individu à l'autre.
Cette période d'adaptation appelée « deuil » est nécessaire pour accepter la séparation , donc l'individu va faire un travail psychique , un travail de deuil qui vient après la perte , processus psychologique lent et douloureux dont le but final est de surmonter la perte[1] . a ce propos on dira que toutes perte d'un proche est considérer comme traumatisante , et pour faire face à ce traumatisme le moi met en place un processus de réparation .
chaque personne vit son deuil à sa manière puisque chaque relation à l'être suicidé est unique , le dépassement d'un deuil passe par trois étapes : l'état de choc (phase de détresse) , la phase dépressive et la période de rétablissement .avec le temps le deuil peut arriver à son terme , comme toutes

[1] - Bon Alice. (2006) deuil traumatique et trauma chez les rescapés du tsunami de Décembre 2004. Thèse pour le Doctorat en Médecine. Université Pierre et Marie Curie, Paris 2006. PP. 144-150.

blessure physique qui, après un long et douloureux processus de cicatrisation , laisse des traces .
Cependant certaines blessures cicatrisent mal ou ne cicatrisent jamais. Dans le deuil après suicide il s'agit de l'intensité du vécu traumatisant de la perte puisque voir le corps sur la scène du décès par suicide est le facteur de risque le plus élevé d'un haut niveau de stress[1]. donc on peut imaginer le caractère traumatique qui peut résulter de cette découverte et qui peut être à l'origine d'un syndrome de stress post traumatique PTSD pouvant entraver le processus du deuil.
La notion ESPT ou PTSD selon Freud cité par Lebigot et De Clerq 2001 ; il s'agit d'un choc violent , surprenant le sujet ne s'y attendait pas et qui s'accompagne d'effroi « horreur , angoisse et du stress qui traduit la rencontre avec le réel de la mort » , aussi. « définit le traumatisme comme événement traumatisant survenant de façon inattendue. » , et selon Crocq le traumatisme psychique est occasionné par un événement soudain et violent menaçant un sujet qui ne s'y attendait pas et c'est une rencontre tragique avec la mort qui agresse son intégrité physique et mentale[2]. Débouchant immédiatement sur une réaction d'alarme pour faire face à cette agression.
Cependant, la séparation est un traumatisme difficilement intégrable pour le psychisme, qui bouleverse différentes sphères de la dynamique psychologique, comportementale, émotionnelle et sociale de l'être humain .
L'étude que nous avons entreprise a eu pour objectifs d'identifier et de recenser les différentes réactions observés chez les endeuillées qui ont perdu un proche par suicide.
Rappelons cependant que le deuil est un processus naturel de réparation qui va permettre à l'endeuillé de se détacher, de surmonter et de s'adapter à la perte du proche . le deuil est donc la seule issue qui permettra de cicatriser et d'apaiser la souffrance et la douleur qu'a engendrée la perte d'une personne proche.
Chez les adultes endeuillés , le deuil suit son cours de lui-même avec le temps.
Cependant , la séparation est un traumatisme difficilement intégrable pour le psychisme , qui bouleverse différents sphères . toutes ces considérations sur le vécu psychique des endeuillés suite au suicide d'un proche nous ont amené à nous poser les questions suivantes :
Quelles sont les réactions de deuil suite au suicide d'un proche et est ce que le suicide d'un proche peut produire chez l'endeuillé un état dépressif majeur qui peut s'apparenter à un état de stress post traumatique ?
Pour répondre à ces questions, nous avons introduit les hypothèses suivantes :

Hypothèses de Travail :

Hypothèse Générale :

[1] - Mitchell. A et al. (2004). Complicated grief in survivors of suicide crisis. The journal of crisis intervention and suicide prevention; Hogrefe Publishing. P 132

[2] - Louis. Jehel, Gérard Lopez et Al. (2006). Psychotraumatologie. Paris ; Dunod. P 93.

Le suicide d'un proche peut produire chez l'endeuillé un état dépressif s'apparentant à un état de stress post traumatique.

Hypothèses Partielles :

Les personnes ayant vécu un suicide d'un proche présentent un état dépressif.

Les personnes ayant vécu un suicide d'un proche présentent un état de stress post traumatique.

L'objectif de la recherche :

La problématique du suicide mérite d'être étudiée de prés et ce dans le but de mieux le définir, d'étudier son impact et le vécu psychique des endeuillés à court et à long terme.

1- Le suicide :

Le sens courant du mot suicide nous est donné par le dictionnaire Larousse qui le définit comme « meurtre de soi ». La première définition de Durkheim E date de 1897 [5] « tout cas de mort qui résulte directement ou indirectement d'un acte positif ou négatif accompli par la victime elle –même et qu'elle savait devoir produire ce résultat, est un suicide.

Baechler. J en 1975 définit le suicide comme « tout comportement qui cherche et trouve la solution d'un problème existentiel dans le fait d'attenter à la vie du sujet »[1].

L'Organisation Mondiale de la Santé 2001 p 26 le suicide est « un acte ayant une issue fatale, entrepris et exécute délibérément par l'individu décédé celui-ci connaissant ou recherchant cette issue fatale, en visant cet acte à causer des changements désirés »[2].

Les définitions de Durkheim E et l'O.M.S introduisent la notion d'intentionnalité : le sujet est conscient et mesure les conséquences de ses actes .

2- Le deuil en générale :

le deuil se caractérise par l'ensemble des réactions psychologiques et physiques ressenties à la mort d'une personne significative , ainsi que le travail de détachement et d'adaptation qui suit , les auteurs précisent que ces réactions psychologiques et physiques , de même qu'il consiste en travail de détachement qui suit le décès d'une personne qui a de l'importance pour l'individu et qui lui permet d'accepter cette situation et de s'y adapter .

De Broca s'appuie sur la douleur pour définir le deuil. Pour lui le terme Deuil fait référence à tout sentiment de douleur ou de souffrance psychologique, psychanalytique et médicale[3].

Donc le sens du deuil est centré sur le travail intérieur suite à la perte (suicide).

3- Particularités des deuils après suicide :

---

[1] - Bachler.J (1975). Les suicides .Paris. Édition Calamann Lévy. P28.

[2] - Organisation Mondiale de la Santé. (2001). Suicide .in chapitre 2 :impact des troubles mentaux et du comportement . rapport sur la santé dans le monde(référence PDF)

[3] - De Broca. (2001). Deuils et endeuillés. 2eme édition. Paris. Masson. P 64

Hanus en 2007 « les deuils après suicide sont avant tout des deuils et à ce titre, tout ce qui existe dans tous les deuils va se retrouver chez eux »[1].

En réalité, ce qui nuance les deuils après suicide des autres deuils relève plus de l'intensité des manifestations et processus inhérents à tous les deuils que de l'existence de manifestations spécifiques aux deuils après suicide.

Par ailleurs, si la mort d'un proche, qu'elles qu'en soient les causes , nous ramène toujours à notre propre fintitude , la mort par suicide a cela de particulier qu'en plus de nous rappeler violemment que nous allons mourir.

Cependant , le deuil après un suicide est particulier, car il impose une réflexion philosophique sur la valeur de sa propre vie, au risque de l'identification mortifiére avec le défunt.

les endeuillés par suicide éprouvent plus de sentiments de culpabilité , de honte et de stigmatisation que les endeuillés par mort naturelle. Les sentiments intenses entraînent un vécu d'autant plus difficile, agrégeant les vécus traumatique, dépressifs et d'angoisse.

En 2004 et 2009, Mitchell et al[2] ont attiré l'attention sur l'importance à accorder au degré de relation entre le suicidé et l'endeuillé. Plus leur relation avant le décès était fort, plus le deuil serait à risque traumatique.

4- Le traumatisme psychique :

L.Crocq définit le Traumatisme Psychique comme un phénomène psychologique d'effraction dans les défenses psychiques du sujet, d'incompréhension face au réel de la mort ou du néant et de débordement de ses capacités d'assimilation de l'événement. Autrement dit, le traumatisme psychique est un bouleversement profond de la personne, perturbe ses mécanismes de défense et ébranle l'idée de l'immortalité et sape ses croyances et sa confiance en soi.

Le traumatisme psychique est lié étroitement à l'événement traumatique qui se décrit comme « événement hors du commun dépassant le domaine des expériences habituelles (deuil, maladies, etc) vécu avec terreur et qui prend le sens d'une rencontre manquée avec la mort »[3]

1- Méthodologie :

Nous avons opté la méthode clinique qui est la méthode la plus appropriée pour approcher le vécu psychique des endeuillés.

De plus, elle se base essentiellement sur l'étude de cas, qui nous amène à des techniques de recueil des informations : entretiens, tests, analyse de contenu.

---

[1] - Hanus. M. (2007). Les deuils dans la vie ; deuils et séparations chez l'adulte et chez l'enfant. Paris .Maloine . P 98

[2] - Mitchell. A et al (OP.CIT. PP 101-102).

[3] - Crocq .L.(2000) . Critique du concept d'état de stress post traumatique. Dans les troubles post traumatiques. Sous la direction de F. Kacha. Algérie : Ministère de la santé. P 17

Pour trouver des sujets répondants aux critères demandés , nous nous sommes rapprochés du centre hospitalo- universitaire de Annaba (CHU) et du centre Médico-psychologique (caroubier) .du septembre 2015 au novembre 2016 .
Afin d'entrer en contact avec les endeuillés après suicide d'un proche.

La population :

S'agissant d'une étude clinique, une seule condition a guidé notre démarche : les personnes dont un proche d'eux a suicidé.
En ce qui concerne les critères de diagnostic du PTSD (critère de diagnostic sur lesquels s'appuie notre deuxième hypothèse). Il est mentionné que pour porter un diagnostic d'un PTSD, les symptômes cités doivent subsister au delà d'un mois.
Enfin, nous n'avons retenu que les personnes dont le suicide d'un proche a eu lieu il y'a moins de trois mois. Donc nous n'avons pu garder que trois cas qui répondaient aux critères définis.

Nom	Sexe	Age	Profession	Type de lien avec le suicidé	L'âge du suicidé	La cause du suicide
Mounira	F	28 ans	Enseignante	Le père	61 ans	Problèmes familiales
Radia	F	27 ans	T.S en Radiothérapie	Le père	53 ans	Problèmes familiales et financières
Amir	F	23 ans	Entrepreneur	Le père	49 ans	Addiction

Les outils d'investigation :

L'observation :

S'est faite lors des entretiens.

L'entretien :

Ce genre d'entretien n'a ni visée diagnostique ni visée thérapeutique mais il n'est par pour autant dénue de but. Il correspond à un plan de travail du chercheur.
On a précis ce qui nous concerne, nous avons choisi l'entretien car :
- L'entretien nous permet de suivre l'individu durant son et de comprendre son expérience.
- L'entretien nous permet de récolter le maximum d'informations grâce au questions ouverte et semi ouverte.
- Les changements dans la vie des sujets après le suicide de son proche.

Ce type d'entretien semble le mieux indiqué pour notre travail parce qu'il laisse une marge de liberté et d'expression au sujet sans qu'il nous éloigne autant des hypothèses de notre recherche par lequel nous avons tenté d'explorer les thématiques suivantes :

La famille, sa composition et son fonctionnement, l'histoire personnelle du sujet, son quotidien et les événements marquants, les relations des sujets au sein de leur famille et à leur entourage, le jour du suicide, les changements dans la vie du sujet après le suicide, après l'analyse de ses informations, elles seront considérable pour étayer nos hypothèses.

- Les critères de diagnostic du Manuel Diagnostique et statistique des troubles Mentaux DSM-IV-TR(2005) :

Critères du DSM-IV-TR concernant l'épisode dépressif et les critères de diagnostique de l'état de stress post traumatique :

Le DSM IV-TR est un manuel de diagnostique de la psychiatrie Américaine pratique et utile en portant notre attention sur l'établissement de critères diagnostiques qui a été établi pour l'usage clinique , aussi il facilite la recherche et améliore la communication entre chercheurs et cliniciens ou il regroupe les troubles mentaux. Le DSM-IV-TR établi un diagnostique à partir d'un tableau clinique.

Nous avons utilisé les critères du DSM-IV-TR pour vérifier nos hypothèses qui sont l'apparition de l'état dépressif majeur et l'apparition du PTSD.

L'analyse de contenu :

Tout entretien fourni des informations qui ne peuvent être décodés automatiquement et qui ne peuvent être lues qu'à travers une analyse approfondie.

Nous procéderons l'analyse catégorielle qui consiste à calculer et à comparer les fréquences de certains éléments. (le plus souvent les thèmes évoqués). Et à les regrouper en catégories significatives.

Cette méthode comporte les opérations suivantes :

1- La définition des catégories
2- Découpage , reformulation et distribution des unités d'information
3- La quantification

Le test du Rorschach :

Nous avons choisi le Rorschach car ce test projectif se justifie par le fait qu'il permet de diagnostiquer quelques tableaux cliniques (l'état dépressif) et aussi nous permet de donner des indications précises concernant le fonctionnement psychique d'une personne à un moment précis. Sur les figures des dix planches, le sujet projette sa réalité intérieure, en revenant aux mécanismes caractéristiques de sa personnalité et de ses conflits.

Le Traumaq :

Questionnaire d'évaluation du traumatisme psychique, il s'agit d'un questionnaire qui permet d'évaluer la fréquence et l'intensité des manifestations du traumatisme psychique pendant et après l'événement.

Il se compose de 65 items répartis sur 10 échelles.

Le Traumaq évalue le syndrome post traumatique, suite à l'exposition à un événement comportant une menace de mort qui soi ou pour les autres.

Présentation cas De Mounira 28 ans :
Il s'agit du suicide de son père, Mounira habitait à l'Orangerie Annaba. Elle est licencier en anglais, elle est l'ainée d'une fratrie composée de 4 enfants. Elle ne présente aucun antécédent pathologique mental ou organique.

Le contexte familial :
La Maman de Mounira à décédée il ya 20 ans , quand nous l'avons vu pour la première fois au bureau de la psychologue du Centre Médico-Psychologique , elle venait de perdre son père qui à suicidé depuis trois mois et demi .
Mounira était en pleurs, en plein choc, anxieuse, elle ne savait pas ou mettre la tète. Elle se sent seule dans ce monde ces deux frères travaille à l'armée et sa jumelles est un officier de police. La cause de suicide est jusqu'à maintenant inconnue, en interrogeant Mounira celle-ci ne semblait être au courant de rien.

Histoire Personnelle :
Mounira a eu une enfance normale sans problème, plutôt heureuse jusqu'à l'âge de 8 ans. Elle a vécu avec ses frères et son père la mort de sa mère par un arrêt cardiaque. Les souvenirs de Mounira a propos du jour du décès de sa mère sont encore frais.
Elle n'a jamais posé de problème dans son développement et dans ses relations avec son entourage. Elle n'a jamais présenté un trouble de comportement.
Son père a été suivi par un psychologue et un neurologue durant plusieurs mois Tégrétol et Dépritine ont été préscrit par son Neurologue. Ce traitement a diminué quelques troubles et a augmenté d'autres telles que le comportement d'isolement.

Les relations avec l'entourage :
Mounira parlait avec émotion de son père, qui été le seul ami, père, frère, mère.
Il était tout pour elle, il l'encourageait pour être mieux et pour travailler.
Mounira a une seule amie qui réside dans le même quartier elle est enseignante avec elle dans le même établissement.

Le suicide du père :
L'attitude de Mounira changea complètement lorsque nous avons voulu son vécu lors du jour du suicide de son père, elle nous raconta les faits en larmes.
Le suicide de son père est survenu lors d'une overdose (surdosage) de Dépritine.
Ca s'est passé vers 12 h du matin ou il été seul, j'étais à l'école, mes deux frères l'un est à Illizi et l'autre et l'autre à Batna et ma jumelles été au travail. A mon retour à la maison il était environs 12 :20 , j'ai trouvé mon père endormi j'ai essayé lui réveillé j'ai lui trouvé glaçant et les médicaments jeté par terre , j'été choquée et j'ai pas pleurée , j'ai appelé une voisine , ma sœur et ma tante et puis je ne souviens pas de ce qui se passé .

Après le suicide :
En essayant de savoir quels étaient les changements dans la vie de Mounira depuis le jour du suicide de son père, elle nous disait que cet événement à perturbé sa vie, qu'elle est en conflit avec elle-même, elle a devenue une autre

personne « je ne travaille plus, j'ai pas d'appétit, je passe des nuits blanches, j'ai des maux de tête » ses relations au sein de sa famille n'a rapporté aucun changement par contre avec son amie. Elle trouve que sa copine ne l'a comprend pas et maintenant elle passe moins de temps avec elle.
Une analyse de l'entretien que nous avons eu avec Mounira permettra de mieux cerner les éventuelles réactions dues au suicide de son père.

Analyse des entretiens :

Inventaire et décompte des catégories :

Tableau 1 : les conséquences symptomatiques liées à l'état dépressif (catégorie A) :

Catégorie A	Sous catégories	Fréquences	pourcentages
Conséquences symptomatiques Liées à l'état dépressif	Humeur dépressive	4	18.18%
	Diminution de l'intérêt ou du plaisir pour toute activité	7	31.81%
	Perte ou gain de poids diminue	3	13.63%
	Trouble de sommeil	1	04.54%
	Agitation ou ralentissement psychomoteur	2	09.09%
	Fatigue ou perte d'énergie	1	04.54%
	Sentiment de dévalorisation ou de culpabilité	1	04.54%
	Diminution de l'aptitude à penser à prendre des décisions ou à se concentrer	2	09.09%
	Pensées de mort, idées suicidaires ou tentatives de suicide	1	04.54%
TOTAL		22	100%

En ce qui concerne le tableau n 1 des conséquences symptomatiques liés à l'état dépressif (catégorie A) , nous constatons la forte présence de la sous catégorie « Diminution de l'intérêt ou du plaisir pour toute activité » avec 7 fréquences et un pourcentage de 31.81%. Suivie de la sous catégorie de « humeur dépressive » avec 4 fréquences et un pourcentage de 18.18%. La troisième position est occupée par la sous catégorie de « perte ou gain de poids, diminue » avec 3 fréquences et 13.63%. Quant la 4 éme position et à parts égales par les sous catégories « agitation ou ralentissement psychomoteur » et la sous catégorie « diminution de l'aptitude à penser à prendre des décisions ou à se concentrer » avec 2 fréquences et un pourcentage de 09.09%. Et enfin, suivies à part égales par les sous catégories « trouble de sommeil », « Fatigue ou perte d'énergie », « sentiment de dévalorisation ou de culpabilité » , « pensées de mort , idées suicidaires ou tentatives de suicide » avec 1 fréquence pour chaque sous catégorie et un Faible pourcentage de 04.54% .

Tableau 2 : les conséquences symptomatiques liées à l'état de stress post traumatique (catégorie B) :

Catégorie B	Sous catégorie	Fréquences	Pourcentages :
	-Souvenir répétitifs et anxiogène -Difficulté à accepter le suicide -Rêves répétitifs et anxiogènes de	Néant	0%

	l'événement	4	11.76%
	-Soudain vécu ou agissements		
	-Détresse si exposé à stimulus	3	08.82%
Conséquences	évoquant le trauma		
symptomatiques	-Eviter pensées ou sentiments	1	02.94%
Liées à l'état de	associés au trauma		
stress post	-Eviter activités ou situation	Néant	0%
traumatique :	associés au trauma		
	-Amnésie psychogène de certains	Néant	0%
	aspects du trauma		
	-Réduction de l'intérêt pour		
	activités significatives	3	08.82%
	-Sentiment d'avenir bouché		
	-Restriction des affects, incapacité	2	05.88%
	à aimer		
	-Sentiment de détachement des	6	17.64%
	autres		
	-Réaction physiologique si exposé	2	05.88%
	à stimulus évoquant le trauma	1	02.94%
	-Difficulté de concentration		
	-Difficulté d'endormissement	1	02.94%
	-Hypervigilence		
	-Handicaps et dysfonctionnement	4	11.76%
	-Difficulté à s'investir dans		
	des nouvelles relations	Néant	0%
		1	02.94%
		1	02.94%
		4	11.76%
		1	02.94%
Total		34	100%

Dans le tableau n 2 de (la catégorie B) , les conséquences symptomatiques liées à l'état de stress post traumatique , nous constatons une dominance de la sous catégorie de la « réduction de l'intérêt pour activités significatives » avec 6 fréquences et un pourcentage de 17.64% . suivies à part égales par les sous catégories « difficulté à accepter le suicide », « réaction physiologique si exposé à stimulus évoquant le trauma » et « handicaps et dysfonctionnement » avec 4 fréquences pour chaque sous catégories et un pourcentage de 11.76% , la 3 éme position est à part égales entre la sous catégorie « rêves répétitifs et anxiogène de l'événement » et « éviter activités ou situation associés au trauma » avec 3 fréquences pour chaque catégorie et un pourcentage de 08.82% . La 4 éme position est à part égales entre « amnésie psychogène de certains aspects du trauma » et « sentiment d'avenir bouché » avec 2 fréquences et un pourcentage

de 05.88%. Puis la 5éme position est à part égales entre les sous catégories « soudain vécu ou agissements » , « restriction des affects , incapacité à aimer » , « sentiment de détachement des autres » , « difficulté d'endormissement , Hypervigilence et difficulté à s'investir dans les nouvelles relations » avec 1 fréquence pour chaque sous catégorie et avec un faible pourcentage de 02.94% , quant la dernière position est occupé par les sous catégories suivantes à part égales « souvenirs répétitifs et anxiogène », « détresse si exposé à stimulus évoquant le trauma » , « éviter pensées ou sentiments associés au trauma » et « difficulté de concentration » avec 0 fréquence (Néant) pour chaque sous catégorie et un pourcentage de 0% .

Tableau 3 :

Catégories	Fréquences	Pourcentages
Catégorie A	22	39.28%
Catégorie B	34	60.71%
Total	56	100%

D'après le nombre des fréquences du discours dans le tableau n 3, nous observons la dominance de la catégorie B qui présente les conséquences symptomatiques liées à l'état de stress post-traumatique avec 34 fréquences et un pourcentage de 60.71% suivies par la catégorie A qui présente les conséquences symptomatiques liées à l'état dépressif avec 22 fréquences et un pourcentage de 39.28%.

Interprétations des résultats :

A- Les conséquences symptomatiques liées à l'état dépressif :

Le suicide de son père a plongée Mounira, dans un tourbillon de douleur et de tourment, le suicide révèle l'échec dans l'ossature psychosociologique du groupe d'appartenance. La solidarité familiale fantasmée ou réelle se trouve prise en défaut, l'incompréhension est au premier plan « pourquoi ! » , « J'ai rien vu », perplexe, la famille est prise dans des interrogations très complexes et bien difficiles à élucider.

Il s'agit d'un véritable état dépressif sur le plan clinique que psychologique , ou on observe l'humeur dépressive avec une douleur intérieure intense , qui ressort tout au long de son discours voir une fréquence de 4 « j'ai un effondrement émotionnel » Mounira a perdu toute intérêt pour les activités , le travail d'après elle plus rien ne l'intéresse tout est disparu lorsque son père à suicidé , ceux –ci se justifie par leur fréquence voir 7 en ce qui concerne la sous catégorie « Diminution de l'intérêt ou du plaisir pour toute activité » , Mounira n'avoir rien pu faire pour évité ce qui s'est passer , elle présente un véritable sentiment de culpabilité envers elle-même , mais aussi de colères et vis-à-vis de son époux « si je savais j'aurai passé plus de temps avec lui »

Cependant, Freud précise que la douleur morale, suite au sentiment de culpabilité est aussi présentée dans le deuil que dans l'état dépressif majeur.

Mounira à des troubles de sommeil elle ne dort plus depuis le suicide de son père, elle se sent épuisé, elle n'arrive pas a reprendre une vie normale et c'est ce qu'il se répercute sur sa santé tant psychologique que physique, voir des manifestations psychosomatique tel que l'absence d'appétit …

Mounira nous a déjà révèle qu'elle est fatiguée tout le temps, bien qu'elle ait été active « je me sens tout le temps fatiguée », D'après Beck dans la dépression, la fatigue est due à l'interminable attente du sujet des résultats de tout ce qu'il entreprend. Toutes ses perturbations psychiques sont présentes dans chaque processus de deuil, elles sont la cause de la perte d'appétit de Mounira.

L'évolution de cette dépression se manifeste chez Mounira par un jugement négatif porté sur les événements ; elle est confrontée à l'incapacité de changer cette situation ce qui renforce sa vision négative d'elle-même.

L'activation du schéma dépressif dont Mounira provoque un enchainement des pensées de mort, idées suicidaires ou tentatives de suicide mais elle à dit « que je ne passerai à l'acte » parce que ca vie a devenu difficile et pleine de frustrations et de perte d'intérêt. D'après Freud la dépression consécutive au deuil est le résultat du désinvestissement libidinal.

En effet, la prérogative de l'endeuillé est de se détacher progressivement du suicidé c'est pourquoi elle doit se libérer de toute activité.

Dans le DSM-IV-TR version Juillet 2005 il est mentionné que la présence d'une réaction de deuil normal doit faire porter la diagnostic d'un état dépressif majeur malgré l'existence d'un deuil, mais c'est l'intensité des symptômes qu'il faut prendre en compte.

Les symptômes dépressifs recueillis auprès de Mounira témoignent la présence d'un état dépressif car dans le DSM IV-TR 2005 soutient : que les symptômes dépressifs durent au-delà de deux mois après le suicide.

B-Les conséquences symptomatiques liées à l'état de stress post traumatique :

En 1915, Freud à écrit :« tous les décès sont des événements traumatisants »

Hanus à écrit : « la mort par suicide est une mort particulière, qui doit se refléter dans le deuil »

Toute au long de son discours, Mounira refuse complètement le suicide de son père, cette mort traumatique.

Cependant, le suicide partage avec le trauma la violence de l'expérience traversée. Donc Chaque suicide est un acte violent doublement infligé à soi et aux autres.

D'autre part, c'est une violence subie par l'entourage, imposée du dehors par le geste même du suicide. Comme pour tout trauma, c'est un événement soudain et brutal, provoquant un effet de surprise, un choc qui n'a souvent pas permis l'anticipation de la mort. La radicalité de son acte imprime toujours une onde de choc.

De plus, l'incompréhension totale du suicide devient pour les proches un véritable non-sens, renforçant de surcroit le caractère traumatique.
Mounira à dit « je n'ai pas pu absorber ce qui m'arrivait », « je n'arriverai pas a accepter qu'il à suicidé ».
Ce traumatisme de la perte brutale se vit à plusieurs niveaux. D'une part, comme blessure narcissique et comme une perte objectale sur le plan imaginaire et fantasmatique.
Anna Freud affirmait qu'il faut frapper deux fois pour un traumatisme : une fois dans le réel (c'est la perte) et une fois dans la représentation du réel et le discours des autres sur la personne après l'événement.
Mounira a également rapporté qu'elle « ne souviens pas de ce que j'ai fait « l'émotion engendrée par l'événement était si violente qu'elle a bloqué ses fonctions perceptives c'est pourquoi Mounira était inconsciente, les souvenirs de ce jour restent flous.
Hanus a montré clairement dans ses publications que le travail d'intériorisation psychique de la perte peut être gelé par le déni et le clivage psychique.
Le clivage apparait être un procédé définitif tenace dans la clinique du deuil après suicide.
Le clivage psychique, mécanisme de protection inévitable à la découverte de cet événement qu'on été témoin qu'on ait été témoin ou qu'on ait reçu le récit des circonstances. S'il n'a pu être désamorcé en raison de moments d'abattement et d'anesthésie affective, peut persister durablement.
Durant les deux mois derniers, Mounira a été sujette à des reviviscences et a des rêves répétitifs.
Il faut mentionner qu'en terme de clinique psychotraumatique, la reviviscences porte sur l'un des aspects de l'événement traumatisant alors qu'en ce qui concerne le deuil, les souvenirs sont relatifs aux défunt .
Les rêves répétitifs sont l'une des manifestations du syndrome de répétition .cette répétition est le résultat de la non intégration de l'information dans les schémas cognitifs construits au préalable, cette information qui ne cesse pas de rebondir dans le psychisme.
Mounira évite d'aborder le thème de suicide de son père avec sa copine « des fois je change de sujet, des fois je fais semblant de ne pas entendre ».
D'après le modèle de Barlow, le suicide du père de Mounira représente une vraie alarme. C'est un événement frustrant conduisant une grande charge d'anxiété et peine.
A chaque fois que l'amie de Mounira lui parlant de son père (alarme apprise) elle sait que ceci va éveiller en elle de douloureux souvenirs accompagnés de la même charge émotionnelle. C'est pourquoi elle va trouver des subterfuges, à sa manière, afin d'éviter ce genre de situations déplaisantes, soit en changement de discussion, soit en faisant semblant de ne rien entendre.

La plupart des auteurs s'accordent à dire que le deuil après un suicide se signale par l'inflation des sentiments de culpabilité ou dit d'une autre manière par la férocité de leur surmoi. La culpabilité par l'endeuillé est particulièrement renforcé dans le deuil après suicide en raison de l'impuissance ou le sujet s'est finalement trouvé à pouvoir aider efficacement l'être aimé qui s'est finalement tué.
« si je savais j'aurai passé plus de temps avec lui » Scheidemann écrivait que le suicidé imprime « un squelette psychologique » dans le cœur de la personne en deuil.
Certes , tout deuil important laisse une marque , une cicatrice mais le suicide en rajoute , il laisse une brulure qui s'apaisera sans jamais disparaitre ; la cicatrisation reste douloureuse car elle porte une inscription « tu n'as rien pu pour moi »
Ainsi leurs propos concernant leur culpabilité, à certains moments, se teintent de honte et de et de confondent avec elle. Elle représente une attaque de l'estime de soi, une blessure narcissique de n'avoir pas tenu le coup, d'avoir laissé faire. La honte ressentie est liée à la confrontation avec l'idéal du moi , à l'échec de la confirmation narcissique et bouleverse les rapports que le sujet entretenait avec lui-même.
Les sentiments inconscients de culpabilité sont directement liés à l'ambivalence des liens qui unissaient le défunt et le survivant. cette ambivalence des liens est difficile à reconnaitre, à mobiliser (et ne sera rendue possible que par la présence d'un tiers) car elle attaque l'autre dans sa propre image.
la notion de Pardon qui a retenu l'attention pour la compréhension psychodynamique du deuil par suicide. Elle rappelait que « le Pardon n'est pas un effacement , il opère une coupure de la chaine persécutrice des ca uses et des effets , une suspension du temps à partir de laquelle il est possible de commencer une autre histoire » Mounira à dit : « je lui pardonne , mais il était très aimable , il étais bien avec les gens » ici dans son discours Mounira essaye de pardonner son père pour ouvrir la possibilité de renouvellement , ou les voies offertes par le pardon au cours de son deuil y accède.
Par le PARDON, la violence persécutrice du suicide se transforme en recommencement.
Un tableau symptomatologique comportant la présence des manifestations de reviviscences (flashback), évitement, hyperactivité neurovégétatives et de dysfonctionnement (plaintes somatiques) et des arrêts de travail successive ce qui affirme la présence d'un état de stress post traumatique.

Présentation du test de rorschach:

Le protocole :

Choix positif : aucune.
Choix négatif : je n'ai rien compris, tout est noir.

Le psychogramme :

R = 11 T.Total : 5’13’’ T /R = 28	G= 4 G%=36.36 D=6 D%=54.54	F+=6 F+%=54.54 F-=1 F%=63.63 FC=1 CF=1 ΣC=3 K=1	A = 4 Ad = 1 A% = 36.36 Anat = 2 Anat% = 18.18 H = 2 Hd = 0 H% = 18.18 Géo =1 Géo% = 09.09	Ban=6 Ban%=54.54

Résultat global du Rorschach:

Les résultats du Rorschach nous montrent que :

Mounira est préoccupée par sa santé physique et aurait tendance à la somatisation.

Le test démontre que le sujet a une bonne relation maternelle (malgré que sa maman est morte) ce qui n’était peut être pas le cas en ce qui concerne sa relation avec son père suicidé , elle lui culpabilise .

Les résultats du test nous permettent également de relever la présence d’un état dépressif qui s’est manifesté à travers :

1- l’augmentation des réponses déterminées par la forme (F+% =54.54%)
2- l’augmentation du pourcentage des réponses des déterminants animal (A% =36.36%)
3- une absence d’originalité (O%= 0)
4- la réduction du nombre de réponses (R=11).

Le résultat du Traumaq :

Etude du cas :

Mounira avait 28 ans lorsque son père à suicidé.

Quand elle a essayée de réveiller son père il était froid. Elle s’était retrouvée toute seule avec le corps de son père suicidé, son profil au questionnaire TRAUMAQ met en évidence un syndrome psychotraumatique intense (profil A).

Face a cet événement, Mounira a eu extrêmement peur (item A1) paralysée partiellement , la première réaction physique été l’accélération des battements de cœur (item A4) . Mounira a subit un fort traumatisme. Cela évoque chez elle une angoisse intense (la note brute de l’échelle A est 24 sur 24, soit une note étalonné de 5).

Depuis l’événement, Mounira est envahie par des reviviscences anxieuses (item B2). Et s’imposent à elle pendant la nuit à travers des cauchemars (item B1), elle essaye d’éviter de parler de cet événement, car elle est traversée par l’angoisse

(items B 3- B4). (La note brute est 12, soit une note étalonnée de 5), ce qui est très élevée.
La nuit, elle a des difficultés d'endormissement et des réveils nocturnes qui la fatiguent (items C1, C3, C4, C5), ce qui la rend de plus en plus anxieuse.
Tandis que après le suicide de son père elle est angoissé, et elle évite les spectacles évoquent l'événement traumatique du suicide (items D2, D3, D5). Aussi elle est devenue vigilante (item D2). Elle est envahie par des battements de cœur, des maux de tête, des nausées, respiration difficile (item F1). Aussi elle a des problèmes de santé dont la cause est difficile à identifier (item F4).
Elle présente aussi des troubles dépressifs (échelle H), (note brute de 19 quand la note brute maximale est de 24, soit une note étalonnée de 5). Elle a perdu l'intérêt pour des choses qui étaient importantes pour elle avant.
Elle se sent fatiguée, épuisée, elle a une humeur triste , voire même des crises de larmes, elle a l'impression que sa vie est finie .
Elle s'isole en évitant le contact avec autrui (item H1 à H8).
Elle a ressentie de la de la honte vers l'acte du suicide et de la culpabilité envers ses comportement avec son père avant (échelle I). Elle se sent humiliée depuis le suicide (I3).
Cet événement traumatisant a changé fondamentalement sa façon de voir la vie, elle pense qu'elle ne sera jamais plus comme avant (I6- I7).
Mounira ne trouve aucun plaisir, elle se sent incomprise par les autres (J1- J11).
Mounira s'est sent nettement mieux après les entretiens psychologiques.

1- Profil de Mounira :

Voir les Annexes

2- Evolution clinique de Mounira réalisée à partir de l'analyse de la partie 2 du TRAUMAQ :

Mounira souffre de répétitions et reviviscences (flashback, les cauchemars ….etc), elle repense souvent à la scène traumatique avec des images torturantes visuelles des images encore insupportable avec angoisse et des manifestations physiologiques. Les troubles de sommeil ont durée jusqu'à aujourd'hui.
Et même des problèmes alimentaires assez importants, des difficultés de concentration qui sont apparues tardivement et qui durent encore aujourd'hui. Avec un désintérêt général et des idées suicidaires.
Un sentiment de honte et de culpabilité présent à nos jours, ce qui explique bien la chronicité des troubles psychotraumatiques chez Mounira.

Synthèse des résultats (Analyse de Contenu, Rorschach et le TRAUMAQ):

Tout au long des entretiens Mounira répondait d'une manière automatique, elle éprouve des difficultés à verbaliser ses affects.
Mounira présente des symptômes dépressifs ce qui à été confirmé par l'analyse de contenus et le résultat du test de Rorschach. La dépression de Mounira est assez prononcée, sans doute en raison de ses sentiments de culpabilité envers

son père suicidé appuyés par le nombre élevé des phrases dans ce sens et par les résultats du Rorschach. Donc, Mounira souffre d'un état dépressif.
En ce qui concerne notre sujet sur le plan symptomatique, les symptômes du traumatisme sont surtout apparus à travers le questionnaire du Traumaq :
En effet, Mounira souffre d'un état de stress post traumatique intense : elle souffre d'une reviviscence anxieuse tel que les images visuelles torturantes car c'est elle qui à trouvé le corps après le geste fatal, des cauchemars. Cependant, il ya évitement de tout stimulus qui réactivent les mêmes sensations ressenties.
Sur le plan psychologique, Mounira éprouve des sentiments de culpabilité et de honte puisque elle se considère comme la seule responsable de ce suicide . Ces sentiments sont bien manifestés à travers les entretiens, et ont été confirmé par le Traumaq.
Tous les critères sont présents pour porter le diagnostic de l'état de stress post traumatique ; reviviscences, comportement d'évitement, émoussement de la réactivité générale et hyperactivité neurovégétative.

2- Synthèse des résultats :

Dans cette étude nous avons opté l'approche descriptive de trois personnes exposés à un événement potentiellement traumatique qui est le suicide d'un proche.
Nous avons formulé l'hypothèse que les personnes ayant perdu un proche par suicide sont sujets à un état dépressif ou un état de stress post traumatique.
Les trois personnes présentent une douleur morale profonde et des sauts d'humeur quand la façon durable de tristesse devient un désespoir profond.
Donc la diminution de l'intérêt que nous avons observé chez les trois sujets, s'achant que les sujets se sentent impuissants et réponds moins ce qui est un ralentissement psychomoteur.
Quant les trois sujets présentent des troubles de sommeil qui engendrent un dysfonctionnement cognitif (tels que des difficultés de concentration, des trous de mémoire) d'après Freud « l'endeuillé doit se détacher progressivement du défunt et pour ce faire il doit se libérer de toute autre activité » .Aussi nos trois sujet souffrent des troubles alimentaires qui est présente dans les tableaux dépressifs.
Les résultats du test du Rorschach et les entretiens confirment la présence d'un état dépressif pour les trois sujets. Les symptômes recueillis auprès de nos cas répondent positivement aux critères du tableau dépressif.
Dés la découverte du suicide, cet événement traumatisant crée chez les proches un état de stress aigu : ils sont plaqués au sol, sous le choc, incapable de donner le moindre sens à l'événement . les conséquences de ce stress aigu peuvent être préoccupantes sur le long terme. Il est , en effet essentiel de comprendre que ce n'est pas seulement un processus de deuil qui s'installe avec la perte brutale de la personne aimée ; une autre dynamique psychique se met en route « processus traumatique » .

Le syndrome psychotraumatique est caractérisé par la répétition, celle-ci peut se manifester à travers les rêves, les flashes back ….etc

Cependant, il faut dire que dans le deuil , les souvenirs du défunt envahissent l’endeuillé par contre dans la symptomatologie traumatique la reviviscence porte sur l’événement traumatique sur la totalité de la scène. On observe que les trois cas répondent à ce critère.

Puisqu’ils ont souvent été sujets à des rêves répétitifs, des flashs back avec des réactions physiologiques tel que (crise de larmes , tremblements , peur , battements de cœur …etc) . aussi on observe l’évitement des stimulus (aller au cimetière) cette évitement est un moyen d’échapper au souvenirs douloureux et d’éviter les réactions accompagnées. qui est d’après le modèle de Barlow (1992) « l’évitement traumatique est étroitement lié à la reviviscence puisque le sujet cherche d’éviter l’effroi ressenti lors de la reviviscence » donc s’il n’ya pas de reviviscence il n’ya pas d’évitement traumatique. Pour Amir le cimetière et la chambre de ses parents.

Nous avons observé une diminution des intérêts chez les trois cas. les entretiens témoignent une hyperactivité neurovégétative visible à travers la colère, trouble de sommeil et des plaintes somatiques, des difficultés de concentration ou ils ont du mal à suivre leurs travail pour (Amir et Mounira) .

Nous avons remarqué l’existence d’un état de stress post traumatique observés dans les trois cas notamment le syndrome de répétition, l’évitement traumatique, l’hyperactivité neurovégétative. Le suicide d’un proche est donc une situation hautement traumatique.

Pour ce qui concerne notre travail, ces symptômes nous ont apparus surtout à travers le questionnaire du TRAUMAQ qui est lui-même inspiré du DSM-IV-TR. Les résultats que nous avons obtenues par l’analyse des entretiens, le Rorschach, le Traumaq nous ont permis de conclure que les sujets endeuillés suite au suicide d’un proche souffrent tous les trois d’un état dépressif et d’un état de stress post traumatique.

Discussion des Résultats et des Hypothèses de la Recherche :

Le travail de deuil est la séparation psychique avec l’objet perdu (qui est la personne suicidé) donc le sujet passe de l’attachement de l’objet perdu vers l’acceptation de la perte (qui est le suicide de cette personne).

A partir des résultats obtenus par l’analyse de contenu, le Rorschach et le Traumaq nous pouvons dire que les trois cas études présentent effectivement un état dépressif et un état de stress post traumatique.

Dans notre travail nous nous sommes intéressés aux personnes qui ont subi un deuil suite au suicide d’un proche.

Nous voudrions mentionner que nous avons rencontré des difficultés à réunir un plus grand nombre de sujets.

Compte tenu des réactions dépressives qui découlent de chaque deuil, nous avons formulé l'hypothèse que les personnes ayant vécu un suicide d'un proche présentent un état dépressif.
Les résultats de nos études de cas confirment notre première hypothèse, d'après l'analyse des entretiens et des protocoles du test de Rorschach nous pouvons dire que nos trois cas présentent un état dépressif.
Le DSM IV-TR (2005) soutient que le diagnostique d'un état dépressif doit être envisagé si les symptômes dépressifs durent au-delà de deux mois après la perte. Et nos trois cas sont entre 3 mois et demi et 1 an. Notamment (tristesse, désintérêt, troubles psychosomatiques, changement des habitudes alimentaires, difficulté de travail, crises de colère, des pensées de mort). Rappelons que Freud en 1988 dit que, dans tous les deuils nous avons envie de mourir durant les premiers temps[1]. Heureusement dit-il que les forces de la vie finissent par l'emporter. Par contre chez nos 3 sujets malgré le temps passé mais ces symptômes sont toujours présent.
En effet, nous avons tenté d'évaluer la présence d'un état de stress post traumatique chez les trois sujets. Cependant, Hanus et al en 1991 considère le suicide comme un événement potentiellement traumatisant.
Par ailleurs, ce qui définit ce que doit être ou non un événement traumatique c'est la manière dont le sujet vit l'événement.
Nous observons que nos trois cas présentent divers troubles et avec degrés différents pour chaque cas.

Donc, Le suicide entraine des symptômes post traumatiques reviviscences, comportement d'évitement , sentiment de culpabilité , impuissance et abandon , désespoir , pleurs , épuisement , fatigue , dépression , angoisse. Nous avons relevé que les trois cas présentent des troubles de la conduite agressif ainsi que des troubles psychosomatiques (mal de dos , maux de tête ….etc) et des conflits relationnels.
Nous avons supposé que perdre un proche suite au suicide produit une symptomatologie traumatique alliant syndrome de répétition (Crocq 1994)[2].
En effet, les résultats obtenus avec les entretiens indiquent que nos trois sujets sont des victimes de rêves répétitifs apparentés à l'événement. Aussi, ils développent des conduites d'évitement ainsi que Nos trois cas en souffrent depuis 3 mois et demi à 1an.
Les résultats de nos études de cas et le Traumaq confirment notre deuxième hypothèse. Donc , nous pouvons dire que nos trois cas présentent un état de stress post traumatique .

---

[1] - Freud.S. (1988). Deuils et Mélancolie. In métapsychologie. Dans œuvres complètes. Tome XIII. Paris. P.U.F. P 56.
[2] - Crocq . L (1994) . les victimes psychiques . dans ; in dossier documentaire du séminaire de formation des formateurs , sous la direction de L.Crocq et M. Vitry ,Algérie : UNICEF. P 87

« la douleur du deuil est aussi une douleur de liaison ». penser que ce qui fait mal, ce n'est pas de se séparer mais de s'attacher plus fort que jamais à l'objet perdu …..il ajoute : « si avec cette thèse à l'esprit vous écoutez un sujet endeuillé qui vous parle de la douleur qui l'étreint depuis la perte d'un être cher, vous serez sans doute étonné .
étonné de sentir que sa douleur n'est pas tant de ne plus avoir prés de soi l'être aimé , mais de l'avoir présent , plus présent que jamais »

Conclusion Générale :

Pour conclure notre recherche, il nous a apparu nécessaire de souligner le fait que le deuil est une réaction normale après le suicide d'un proche qui va permettre à l'endeuillé de surmonter et s'adapter à la perte.
Hanus en 1995 à écrit que : « le deuil est la situation dans laquelle nous met la perte d'un être cher, d'une personne aimée » le deuil est la situation de perte[1].
Dans notre étude nous avons supposé que le processus de deuil peut être perturbé par le suicide qui est comme étant un événement traumatisant.
Donc, on a essayé de comprendre l'impact psychologique du suicide d'un proche, et eceque les personnes qui ont vécu ce type de deuil présente un état dépressif et un état de stress post traumatique.
Notre travail a été réalisé à partir d'une démarche clinique alliant les données des entretiens, les symptômes relatifs aux critères du DSM IV-TR (2005), le Test du Rorschach et le Traumaq.
En outre, comme souligne De Groot en 2006 à écrit : « la dépression lors du deuil après un suicide est marquée par un risque suicidaire majore en comparaison avec d'autres situation de deuil »[2].
ce risque est lié à la profondeur du syndrome dépressif et à l'identification massive au suicide qui est spécifique au deuil après un suicide . Ce qui nous avons observé chez nos trois cas étudié. (le syndrome dépressif et les pensées suicidaires).
En effet, Mitchell[3] a attiré l'attention entre le degré de relation entre le suicidé et l'endeuillé. Plus leur relation était forte, plus le risque de l'état post traumatique.
Enfin, ces cas que nous avons étudiés, nous ont permis de confirmer notre deuxième hypothèse. Ce qui nous a permis de comprendre que les personnes qui ont subi un deuil suite au suicide d'un proche présentent un état dépressif et un état de stress post traumatique.

---

[1] - Hanus, M. (1995). Histoire de suicide. La société occidentale face à la mort volontaire .Paris .Fayard . P25.

[2] - De Groot et Al. (2006). Grief shortly after suicide and Natural death : a comparative study among spouses and first degree relatives, official journal of the American Association of Suicidology, volume 36. PP.31 -36.

[3] - Mitchell et Al.(2004) .OP,cit.p.25.

Bibliographie :

1- Baechler,J .(1975) . les suicides . Paris. Edition Calmann lévy .
2- Bon Alice. (2006). Deuil traumatique et trauma chez les rescapés du tsunami de décembre 2004. Thèse pour le doctorat en Médecine. Université Pierre et Marie Curie. Paris 6.
3- Crocq .L. (1994) . les victimes psychiques . dans dossier documentaire du séminaire de formation des formateurs , sous la direction de L. Crocq et M. Vitry . Algérie . UNICEF.
4- Crocq .L. (2000) . Critique du concept d'état de stress post traumatique ; dans les troubles post traumatiques . sous la direction de F.Kacha . Algérie : Ministère de la Santé .
5- De Broca . (2001) . deuils et endeuillés . 2éme édition . Paris . Masson .
6- De Groot et al . (2006) . grief shortly after suicide and mental death : a comparative study among spouses and first degree relatives , official journal of the American Association of Suicidology , volume 36.
7- Dictionnaire le Petit Larousse .(1991) .Paris . Larousse.
8- Freud.S . (1988). Deuils et Mélancolie . in métapsychologie. Dans œuvres complètes . Tome XIII . Paris . P.U.F.
9- Hanus,M .(1995) . Histoire de suicide . la société occidentale face à la mort volontaire . Paris . Fayard .
10- Hanus,M. (2007) . les deuils dans la vie ; deuils et séparations chez l'adulte et chez l'enfant. Paris . Maloine.
11- Louis . Jehel , Gérard Lopez et al .(2006) . psychotraumatologie . Paris. Dunod.
12- Minois, G. (1995). Histoire de suicide. La société occidentale face à la mort volontaire .Paris. Fayard.
13- Mitchell et Al. (2004). Complicated grief in survivors of suicide crisis , the journal of crisis intervention and suicide prevention , Hogrefe publishing.
14- Organisation Mondiale de la Santé . (2001) . Suicide . in chapitre 2 : impact des troubles mentaux et du comportement . rapport sur la santé dans le monde (référence PDF).

Rôle de la gouvernance locale dans l'organisation industrielle et l'émergence de technopôle : Cas du technopôle électronique-électroménager à Bordj Bou Arreridj (Algérie)

M.AMGHAR Malek- P.BOUKRIF Moussa
Université de bejaia,

ملخص :

البناء الإقليمي كنتيجة للديناميكيات الداخلية للإقليم، هو نتاج مباشر لسلوك الفاعلين المحليين. يتعلق الأمر بالمنطق الصناعي المشترك للمؤسسات وأنماط الحوكمة الإقليمية. الأشكال الجديدة للهيكلة الإقليمي مثل الأقطاب التكنولوجية، الأقطاب التنافسية والتجمعات، تشير إلى أشكال مختلفة من تنظيمات العديد من الفاعلين المحليين. والهدف من هذا المقال هو قياس دور الحوكمة المحلية، مع تحديد سلوك الفاعلين المؤسسيين والاقتصاديين في التنظيم الصناعي وظهور قطب تكنولوجي للصناعات الإلكترونية في ولاية برج بوعريريج (الجزائر).

الكلمات المفتاحية: الفاعلين المحليين، الحوكمة الإقليمية، المؤسسات، التجاور، القطب التكنولوجي.

Résumé

La construction territoriale en tant que résultat des dynamiques internes au territoire, est le produit direct du comportement des acteurs locaux. Il s'agit d'une articulation des logiques industrielles des entreprises et les modes de gouvernance territoriale. Les nouvelles formes de structuration des territoires tels que les technopôles, pôles de compétitivité et les clusters, renvoient aux différentes formes d'organisation de plusieurs acteurs colocalisés.

L'objectif de cet article est de mesurer le rôle de la gouvernance locale, avec la mise en évidence du comportement des acteurs institutionnels et économiques, dans l'organisation industrielle et l'émergence d'un technopôle électronique et électroménager à Bordj Bou Arreridj (Algérie).

Mots clés : Acteurs locaux, gouvernance territoriale, entreprises, proximité, technopôle.

Abstract

Territorial construction as a result of intern territorial dynamics. is the direct product of the behavior of local actors. It is an articulation of the industrial logics of companies and the modes of territorial governance. New forms of territorial structuring, such as technopoles, competitive poles and clusters, refer to the different forms of organization of several collocated actors. The objective of this article is to measure the role of local governance, with the identification of the behavior of institutional and economic actors, in industrial organization and the emergence of an electronic technopole in Bordj Bou Arreridj (Algeria).

Key words: Local actors, territorial governance, companies, proximity, networks, technopole

Introduction

Dans un contexte marqué, d'une part, par l'ouverture des marchés et la concurrence entre les entreprises et les territoires, et d'autre part, compte tenu de l'économie de la connaissance qui constitue actuellement la base canonique de tout processus d'organisation et de développement territorial, force est de constater que les avantages compétitifs ne peuvent se construire que sur la recherche et développement et sur la capacité d'innovation des acteurs locaux.

Cet avantage compétitif construit par les capacités d'innovation des entreprises doit être incontestablement le fruit de projets collectifs, de synergies créatrices de dynamiques internes et externes aussi bien aux acteurs locaux qu'au territoire qui les abritent. Ainsi, en termes de politique d'organisation industrielle et de développement technologique, plusieurs modèles ont vu le jour ; technopôle, pôle de compétitivité, clusters, district technologique, etc. Dans le cadre de ces modèles, il ne s'agit pas d'une simple présence d'entreprises colocalisées, mais de dispositifs impliquant aussi bien les acteurs économiques avec les acteurs institutionnels publics et les acteurs de la recherche-développement et formation.

En effet, le territoire est un construit socio-économique impulsé par le jeu d'acteurs en son sein par l'articulation des logiques de firmes et des logiques industrielles. Pour mieux comprendre ce processus de construction, il est important non seulement de se baser sur l'analyse des comportements et les logiques d'actions de ces acteurs, mais aussi sur les modes de gouvernance territoriale ou de régulation en présence (Zimmerman, 2005).

Dans cette perspective, nous mobiliserons l'approche par les proximités pour mettre en évidence l'importance du rôle qu'elles jouent entre les acteurs locaux en matière de création de synergies et de coordination.

L'Algérie, qui n'est pas en reste, dans le cadre de sa nouvelle stratégie industrielle et le schéma national d'aménagement du territoire 2025, a pris une nouvelle tendance vers la création de pôles de compétitivité et technopôle que ce soit à partir d'agglomération industrielle spontanément émergentes ou des créations ex-nihilo. C'est dans cette perspective que nous nous inscrivons en étudiant l'émergence spontanée de l'agglomération industrielle de Bordj Bou Arreridj et la perspective d'en faire un technopôle.

L'objectif de cet article est de mesurer le rôle de la gouvernance locale, avec la mise en évidence du comportement des acteurs institutionnels et

économiques, dans l'organisation industrielle et l'émergence d'un technopôle électronique et électroménager à Bordj Bou Arreridj (Algérie). Pour ce faire, il y a lieu de faire un diagnostic des relations transversales existantes entre les différents acteurs locaux ainsi que la nature et contenu de leur mobilisation dans une approche technopolitaine.

Il s'agit d'étudier la dynamique industrielle observée si elle est soutenue par une dynamique territoriale construite et soutenue par les acteurs locaux ? Quels sont les réseaux en présence et l'importance de la logique réticulaire inter-acteurs dans cet « espace industriel » ?

Après avoir présenté la revue de la littérature dans laquelle s'inscrit notre sujet, nous présenterons les principaux constats et résultats d'une enquête par questionnaire et entretiens menés auprès des différents acteurs locaux de BBA (entreprises, institutions de R&D et de formation, acteurs institutionnels…) tout en mettant en évidence les différents rapports existant entre eux ainsi que leur comportement organisationnel.

1. La gouvernance locale : une mise au point conceptuelle

La gouvernance est un concept pluridisciplinaire qui demeure encore flou, polysémique et multiforme (Allemand, 2000, Rhodes, 1997).

Dans l'optique de la régulation et pilotage des politiques publiques, certains auteurs définissent la gouvernance comme étant « *un ensemble de mécanismes de gestion des interactions entre une diversité d'acteurs publics et privés intervenants dans l'élaboration et la mise en œuvre des politiques publiques afin d'atteindre des objectifs communs liés à la réalisation de l'intérêt général* » (Le Galès, 1998 : p64 ; Bertrand, 2005 ; Enjolras, 2008 : p23-38).

S'intéressant au mode de coordination d'une multitude d'acteurs qui s'organisent dans le cadre de structure générant une dynamique collective au sein d'un territoire, Gilly et Pecqueur (1995 : p305), quant à eux, entendent par gouvernance territoriale « *une structure composée par différents acteurs et institutions permettant d'apprécier les règles et routines qui donnent sa spécificité à un lieu vis-à-vis d'autres lieux et vis-à-vis du système productif qui l'englobe* ».

En effet, plusieurs constats et expériences de par le monde témoignent de la diversité des configurations organisationnelles des territoires. L'analyse de ces dynamiques économiques locales a mis l'accent sur les mécanismes de coordination qui se construisent entre acteurs du territoire.

Dans le cadre de notre recherche, nous nous inscrivons au croisement des deux conceptions précédentes en mettant en évidence la présence de structures

permettant de définir et de mettre en place des interactions entre les acteurs ainsi que les mécanismes de leur pilotage.

1.1. La gouvernance locale comme système de régulation et de coordination

Si les travaux de Kooiman et van Vliet (1993) ayant étudiés le concept de la gouvernance pour le considérer comme la création d'une structure résultant des interactions constantes entre acteurs locaux, Jessop (1998), quant à lui, il met plutôt en évidence la notion de coordination d'activités (d'entreprises) interdépendantes au centre de la gouvernance.

Dans ce sens, Rallet et Torre (1995) considèrent la dimension spatiale de la gouvernance comme un facteur à part entière dans les modes d'organisation industrielles croisant ainsi les stratégies de localisation des firmes et des problèmes d'organisation industrielle.

Par ailleurs, dans une suite des travaux de l'école des proximités (Gilly et Torre, 1999 ; Pecqueur et Zimmermann, 2004 ; Torre et Rallet, 2005 ; Rallet et Torre, 2007 ; Carrincazeaux *et al.*, 2008), la gouvernance territoriale comme pratique, se trouve au centre de la coordination et la régulation institutionnelle. Les partisans de cette école l'aperçoivent comme un processus à la fois organisationnel de coordination d'acteurs géographiquement proches et aussi comme un processus institutionnel de construction de valeurs, de normes et de règles régissant les relations entre ces acteurs.

Il est important, selon cette école de mettre l'accent sur le rôle de chaque forme de proximité dans la construction d'une gouvernance territoriale. Ainsi, si la proximité géographique constitue la condition sine quoi non pour faciliter les rencontres de face à face et l'incitation d'aller vers d'autres formes de proximités. La proximité organisationnelle, par les échanges et l'apprentissage, facilite le développement de l'innovation au sein des clusters et par la même, la compétitivité des entreprises et du territoire. Quant à la proximité institutionnelle, elle offre des conditions stables facilitant l'apprentissage interactif et le transfert de connaissances.

En effet, l'existence d'institutions et de structures actives joue un rôle fondamental dans la construction d'un cadre géographique local favorable au développement d'interactions économiques et le transfert de connaissances. Dans le cadre de cluster ou technopôle, au-delà de leur rôle de coordination, ils permettent de réduire aussi les incertitudes en facilitant la circulation des flux d'informations et de connaissances entre les acteurs locaux, de régler les conflits et réguler les relations entre acteurs hétérogènes, de fournir des incitations et de faciliter les relations de confiance (Bachmann et Inkpen, 2011 ; Coriat et Weinstein, 2002 ; Edquist, 2005, cités par Berthinier-Poncet, 2012).

Dans cet ordre d'idée, Bocquet, Brion et Mothe, (2013), en étudiant en France le cas de Savoie Technolac, ils ont mis l'accent sur le rôle que peut jouer la structure de gouvernance d'un cluster pour améliorer les performances d'innovation des acteurs impliqués à travers les différentes pratiques. Cette structure de gouvernance a un impact positif sur les capacités d'innovation du technopôle et des membres engagés dans des partenariats de recherche et développement.

1.2. La gouvernance territoriale et l'organisation industrielle

Les politiques publiques d'aides aux entreprises ainsi que la coopération entre les différentes institutions publiques s'avèrent parfois très déterminantes dans la promotion de l'offre de meilleures conditions d'accueil susceptibles de répondre aux besoins des entreprises et leur organisation industrielle.

Nous constatons à travers la revue de littérature que le terme de gouvernance abrite de multiples significations et utilisations. Entre autres nous retenons ici le point de vue qui considère la gouvernance territoriale comme étant une combinaison d'actions effectuées localement par les acteurs institutionnels et les acteurs privés. En effet, c'est avec leur mise en synergie par la coopération et la coordination de leurs actions que les territoires peuvent être compétitifs.

En termes d'organisation industrielle, la gouvernance vise plusieurs objectifs (Coase, 1937), entre autres pour obtenir des coordinations efficaces en externe par des contrats, des alliances, des partenariats, des normes dans les relations avec les sous-traitants, voire même par la mutualisation, la confiance et la solidarité dans le cas des districts industriels.

1.2.1. Du rôle de la coordination des acteurs dans la construction territoriale

Il existe un consensus pour mettre en évidence que tout processus de construction territoriale est liée fortement au degré de coordination de ses acteurs. D'ailleurs, Leloup, Moyart et Pecqueur (2004) notent que l'absence de coordination, pour ainsi dire de gouvernance locale, le territoire demeure un espace passif qui subit les évolutions et les contraintes de son environnement extérieur.

La gouvernance locale est née de la remise en cause de la planification centralisée ayant négligée les spécificités du contexte local comme terrain d'action des plans centraux. Dès lors, la gouvernance a pris une autre dimension en la considérant comme un processus de régulation qui émane des initiatives

locales par la coordination des acteurs privés et publics par leur implication dans des projets d'intérêt commun.

Ainsi, plusieurs auteurs qui se sont intéressés parallèlement à l'approche par les districts industriels italiens, affirment que leur émergence est liée à une innovation organisationnelle majeure à travers la division horizontale du travail portée par le territoire (Longhi et Spindler, 2000).

Si la proximité géographique, par les rencontres de face à face, facilite l'émergence d'une proximité organisationnelle, elle n'en demeure pas moins, qu'elle est considérée comme condition insuffisante pour impulser la coopération et l'interdépendance des acteurs.

Pratiquement toutes les formes d'organisation territoriales ayant marquées les années 70 (District, SPL, cluster, etc) trouvent leur origine notamment dans le croisement de plusieurs types de proximités ; géographique, organisationnelle et institutionnelle. Certains auteurs soulignent en effet, qu'il s'agit d'un processus de construction territoriale qui trouve toute une explication dans l'activation et l'intensité des relations de proximité et d'interdépendance entre les acteurs locaux et ce, par l'instauration de règles de conduites, de normes et partage de valeurs, et d'objectifs (Gilly et Torre, 2000).

1.2.2. Du rôle des acteurs institutionnels dans la coordination territoriale des acteurs

Il s'agit de se placer ici dans un autre point de vue pour considérer le rôle ou l'importance des acteurs institutionnels en matière de coordination avec d'autres acteurs locaux.

En effet, la gouvernance territoriale se base aussi bien sur le réseau d'acteurs que sur l'intensité des flux d'informations et d'échanges entre eux.

Compte tenu de la diversité des acteurs et des contextes d'action complexes (leurs spécificités territoriales, économiques, sociales, etc) et vu le nombre important de paramètres susceptibles d'influencer la construction territoriale, chaque territoire construit se distingue des autres et nécessite un mode de gouvernance spécifique.

Dans la réalité, on retrouve rarement la gouvernance privée ou publique, mais le plus souvent, il s'agit d'une association de plusieurs modes pour parler d'une gouvernance mixte, associative ou partenariale. La gouvernance pour Gilly et Perrat (2003), n'est donc pas une configuration de coordination strictement économique ou strictement socio-institutionnelle ; c'est une combinaison de toutes les dimensions caractérisée par une densité variable des interactions entre les trois catégories d'acteurs. Mais, quel que soit le mode adopté, l'acteur institutionnel doit être l'interlocuteur principale dans la mesure

où il est le seul acteur capable d'assurer le rôle de régulateur et le garant des intérêts des uns et des autres.
Il convient de souligner cependant, que le rôle des acteurs institutionnels doit répondre à un certain nombre de conditions pour promouvoir les externalités développées par le territoire construit. En effet, l'existence d'un système d'acteurs est liée à la présence de structures de partenariat efficaces, ayant pour rôles ; l'orientation, l'animation et la régulation, pour fédérer les acteurs locaux autour de projets de développement territorial.

2. Typologie des modes de gouvernance territoriales

Il n'existe pas de consensus sur la typologie des modes de gouvernance. Plusieurs auteurs ont, en effet, élaboré des typologies basées sur des critères très hétérogènes (Alberti, 2001 ; Colletis, et *al*., 2001 ; Ehlinger et *al*., 2007; Provan et Kenis, 2008 cités par Chabault, 2010).

Leurs travaux empiriques sur les réseaux ont mis en évidence une typologie fondée selon la nature des acteurs clés qui dominent le processus de coordination et régulation territorial. Il s'agit ; soit d'une gouvernance privée où le pilotage est assuré par un acteur privé (une firme pivot, un centre de recherche ou formation, une association d'entreprises) qui occupe une position centrale au sein du réseau. La gouvernance institutionnelle (publique) où le processus de coordination est assuré par l'Etat ou les acteurs institutionnels. Une gouvernance mixte ou hybride impliquant un ensemble d'acteurs qui interagissent informellement et se répartissent les pouvoirs de décision en favorisant la coopération et l'innovation (Assens, 2003 ; Gilly et Perrat, 2003). Ce dernier mode peut prendre en compte, le caractère dynamique du réseau ainsi que l'hétérogénéité et l'instabilité des rapports entre les différents acteurs impliqués en son sein.

Cependant, dans une suite des travaux de Chabault (2009) sur la gouvernance des pôles de compétitivité en France, ce dernier constate, malgré l'existence d'une firme pivot, les évolutions de l'environnement interne et externe du pôle peuvent conditionner son ouverture vers une forme de gouvernance plus associative. Cette dernière repose sur le principe de partage des pouvoirs et des représentations où les décisions sont davantage négociées entre les différents acteurs (publics et privés), rendant ainsi les modes de gouvernance théoriques de plus en plus ambigües et ne reflètent pas la réalité empirique.

3. Rôles des proximités dans la construction des réseaux et l'organisation industrielle des acteurs

La gouvernance locale repose sur l'activation et la mise en évidence de relations de proximités. Cette dernière notion permet donc de replacer la gouvernance dans un nouveau contexte d'analyse et de définition. En effet, compte tenu des débats sur la nature polysémique de la proximité qui intègre des dimensions aussi bien sociales qu'économiques, ils posent la question des formes de relations entre acteurs et de l'activation de ces relations permettant d'aborder la problématique de la coordination (Gilly et Torre, 2000).

3.1.La gouvernance locale comme système d'action multi-acteurs hétérogène

L'analyse des mécanismes de coordination met l'accent sur le caractère complexe et hétérogène du système d'action qui mène à l'élaboration de projets locaux de développement du territoire. Ces projets de construction territoriale sont souvent régit par des contrats donnant naissance à des relations de coordination partenariales entre divers acteurs du territoire.

Bien que l'acteur institutionnel assure un rôle d'orientation, d'encadrement et de pilotage, ce dernier doit aussi coordonner avec d'autres acteurs institutionnels qu'ils soient publics ou privés, partageant les mêmes objectifs. Gilly et Leroux (1999) parlent ainsi de compromis institutionnels composites qui orientent la coordination des acteurs au sein de leur territoire suivant des règles économiques ou sociales établies.

3.2.La gouvernance locale ; une articulation de relations entre acteurs économiques et acteurs publics

La gouvernance locale met en évidence les relations qui lient les acteurs institutionnels publics et les acteurs économiques (entreprises). Par les relations de proximités, plusieurs travaux confirment son rôle dans l'émergence d'agglomération géographique et de réseaux sous forme de contrats ou de conventions entre divers acteurs.

Certains auteurs soulignent que les acteurs économiques jouent un rôle essentiel dans la mise en place de nouvelles institutions capables de créer des relations d'interdépendance et une interaction avec divers acteurs au sein du territoire (Jouve, 1999).

Considérant l'organisation industrielle comme mode de développement local qui se déploie à travers notamment des relations de synergies, de flux d'informations et de connaissances. Certains auteurs, (Leloup, Moyart et Pecqueur, 2005), mettent en avant que le processus de développement local suppose l'existence d'une gouvernance locale qui doit répondre à un certain nombre de conditions :

- Le territoire en tant que système d'acteurs exige la mise en place de structures de partenariat complexe entre les différents acteurs qu'il faut fédérer autour d'un projet de développement territorial ;
- La transformation de la perception et des pratiques de la concurrence vers des situations créatrices de solidarité, d'échanges, d'ententes, de mise en œuvre de projets communs dans un cadre de proximité, non seulement géographique, mais aussi organisationnelle et institutionnelle où s'inscrit le partenariat territoriale.

Il est admis que l'existence des formes de proximités est une condition dans la construction d'une gouvernance locale, mais elle ne saurait en être un facteur suffisant (Bertrand et Moquay, 2004). L'existence de projet commun comme aboutissement de l'activation des différentes formes de proximités pourraient être associé aussi à l'existence d'une forme de gouvernance locale. Force est de constater ici qu'une relation de cause à effet existe entre les différentes formes de proximités et la gouvernance locale dans la mesure où l'une peut créer l'autre.

4. Emergence du technopôle électronique à BBA : Analyse de l'enquête de terrain

4.1.Enquête auprès des entreprises et acteurs locaux

Comme l'indique toute organisation technopolitaine, les acteurs locaux ayant fait l'objet de notre étude de terrain sont de quatre types :

- Les acteurs institutionnels : ils sont représentés par la direction de l'industrie et des mines, la chambre de commerce et d'industrie, la société de gestion immobilière de BBA ;
- Les acteurs de la recherche et formation : ils sont représentés par l'université de BBA avec ses structures de recherche et formation, le centre de formation professionnel de BBA.
- Les structures d'organisation professionnelle : elles sont représentées par le Forum des Chefs d'entreprises (FCE – Bureau de BBA) et l'association des investisseurs privés de BBA
- Les acteurs économiques : il s'agit d'entreprises locales appartenant à l'industrie électronique / électroménagère et autres activités industrielles complémentaires (emballage papier et plastique, transport et maintenance).

Nous avons opté pour une enquête par questionnaire auprès d'un échantillon d'entreprises localisées à Bordj Bou Arreridj. Il s'agit d'un échantillon constitué de 25 entreprises industrielles privées qui couvrent diverses activités industrielles complémentaires susceptibles d'enclencher une

dynamique technopolitaine. Le traitement des données a nécessité l’utilisation du logiciel SPSS permettant de faire un croisement de variables.

4.2.Etat des lieux des relations inter-acteurs locaux : entre divergence d’intérêts et coopération insignifiante

L’enquête de terrain montre qu’il y a une certaine relation de coopération entre les différents organismes institutionnels. Ces institutions d'une façon générale assurent l’exécution de la politique de l'Etat au niveau local, en jouant l'intermédiaire entre les ministères concernés et les différentes entreprises par diffusion de l’information et de vulgarisation des lois, la préparation d’études techniques concernant l’aménagement de nouvelles zones. Toutefois, on a remarqué à travers nos entretiens avec les responsables des organismes publics qu’ils jouent très rarement un rôle dans la sensibilisation et l’encadrement de la population d’entreprises locales pour les orienter vers une logique technopolitaine, comme le stipule la conception de la gouvernance de LeGales, (1998), Bertrand (2005), Enjolras, (2008), et la première condition mise en évidence relative à l’existence d’une gouvernance locale dans le processus de développement local porté par les acteurs (Leloup, Moyart, Pecqueur, 2005).

4.2.1. Le développement de la recherche scientifique : un potentiel mal exploité

La région de BBA abrite un pôle universitaire dont les origines est l’annexe universitaire de Bordj-Bou-Arreridj qui fût construite à partir de l’an 2000. Initialement composée de deux instituts ; électronique et informatique avant qu’elle porte le statut d’université pour se diversifier ensuite à plusieurs domaines de formation.

L’Université de Bordj Bou Arreridj assure les trois cycles de formation du système LMD avec 40 formations de Licence, 33 formations de Master et 8 formations de Doctorat 3^{e} cycle réparties sur 9 domaines de spécialités. En 2017, le nombre total des étudiants inscrits est de 17000.

La wilaya de Bordj Bou Arreridj compte une trentaine de structures de formation professionnelle. A ces différentes structures, vient s’ajouter en 2016 la création d’un institut national d’électronique qui aura pour mission d’appuyer l’orientation et la spécialisation de la région dans cette industrie.

On relève l’existence d’un potentiel de recherche avec 06 laboratoires de recherche et un centre national d'études et de recherches dans le domaine des technologies de l'information et de la communication (CERTIC). Ces laboratoires ont lancé plusieurs projets dans différents domaines mais qui reste à l’état fondamental. Ils se trouvent inexploités par le tissu économique dans le développement de nouveaux produits ou procédés. Cet état de fait se justifie, d’une part par le manque de confiance de la part les acteurs économiques,

déclare un responsable de l'université et d'autre part, par la faiblesse des conventions de coopération entre les deux acteurs.

4.2.2. Manque d'adéquation formations et emplois

Malgré l'existence dans la région de BBA d'une université et de plusieurs centres de formation professionnelle avec la diversité des offres de formations qu'ils dispensent, ces dernières demeurent non planifiées et sont loin de répondre immédiatement à tous les besoins du tissu socioéconomiques en matière de compétences et de profils. Car d'après certains responsables d'entreprises enquêtées, *«…le recrutement de nouveaux diplômés notamment universitaires nécessite une période d'apprentissage allant jusqu'à un an, (…) lorsqu'on cherche un profil qui n'est pas disponible au sein de l'université on est obligé de faire appel aux écoles de formations spécialisées notamment à Alger ou ailleurs,… ».*

Ainsi, Ghouati A (2016), dans son article, relève l'absence ou la faiblesse des relations université-entreprise dans le système universitaire algérien notamment dans le cadre de l'habilitation des formation/diplômes ainsi que leur adéquation à l'environnement socio-économique. L'université de BBA n'est pas en reste, elle n'offre pas des formations adaptées aux besoins spécifiques des entreprises. Cette situation les oblige à recruter au niveau national voire même international. Certaines entreprises enquêtées déclarent qu'elles font beaucoup plus appel aux écoles privées spécialisées en ramenant parfois même leurs formateurs sur place au lieu de demander le service à l'université (pour raison de manque de profil professionnel recherché ou pour des raisons du caractère purement académique de la plupart des formateurs et formations proposées à l'université.

4.2.3. Les relations université-entreprises : entre cloisonnement et manque de confiance

Sur le plan relationnel, des conventions ont été signées avec plusieurs entreprises de la région, même si les accords se sont limités, la plupart du temps, à l'accueil des étudiants dans le cadre des visites pédagogiques en sein des usines, de stages pratiques, ou encore à des participations dans des séminaires et salons. L'importance de l'accueil des étudiants stagiaires dépend largement de la mentalité de l'entrepreneur et des responsables de l'entreprise. Leur placement, affirme un responsable de l'université, se fait dans la plupart du temps par les réseaux de relations amicales entre personnes (ex-étudiants occupant des postes en entreprises).

On note un nombre très limité de conventions signées avec les entreprises de l'industrie électronique et électroménagère (soit 02 sur 12). Cependant, le recteur de l'université déclare *« optimiste en allant plus loin en matière d'ouverture de l'université vers le monde productif. Il s'agit de créer des rapports de partenariat gagnant-gagnant pour les deux parties ».* A cet effet,

des pourparlers ont déjà été engagés avec le Forum des chefs d'entreprises pour signer une convention globale permettant la concrétisation des objectifs des uns et des autres. De là, on constate la prise de conscience de la part les responsables concernés de l'importance d'une gouvernance partenariale pour concrétiser leurs objectifs.

Cependant, le déroulement des stages et visites au sein des entreprises de l'industrie électronique et électroménagère qui investissent largement dans l'innovation et le lancement de nouveau produits, demeure caractérisé par un manque flagrant d'accès à l'informations et d'encadrement au sein de l'entreprise. Cette état de fait s'explique par la méfiance quant à la divulgation de l'information qui pourrait faire profiter les autres entreprises locales concurrentes, déclare un responsable de formation à l'université et confirmé par quelques responsables d'entreprises enquêtées.

Avec les centres de formation professionnelle, les entreprises enquêtées semblent être plus ouvertes et plus coopératives en accueillant les apprentis pendant tout leur cycle de formation, voire même leur recrutement dans le cadre du dispositif d'insertion professionnel (DIP). Les responsables personnels de certaines entreprises enquêtées déclarent que ; *« ...les sortants de ces centres deviennent opérationnels dès leur premier jour sur le marché du travail, ce qui nous a motivé à les recruter et avoir des conventions concluantes avec ces centres de formation notamment en matière de stage pour leur apprentis et leur recrutement ».*

Les relations entreprises-institutions de recherche/formation même si elles existent informellement, ces dernières fonctionnent dans un seul sens, dans la mesure où seul le chercheur universitaire qui manifeste le besoin de collecter l'information sur l'entreprise et de chercher à comprendre son fonctionnement afin de pouvoir répondre à sa problématique de recherche. Par contre, l'entreprise ne manifestant aucun intérêt aux résultats des recherches universitaires. On peut associer cette inadéquation dans la plupart des cas au fait que les sujets (problématiques) de recherche traités sont proposés par les étudiants avec leurs encadreurs à l'université pour l'entreprise d'accueil qui parfois ne répondent à aucun de ses besoins.

Notre enquête a révélé que le manque de confiance et de considération pour les travaux de recherche universitaires de la part les entreprises locales se justifie dans la plupart des cas par la dépendance auprès des entreprises étrangères en matière de besoins techniques, de recherche et d'innovation de produits voire même la fourniture de composants semi-assemblés. Cette dépendance a mis aussi les entreprises locales dans une situation de non besoin pour la coopération avec les universités et structures de recherche locales.

Un autre motif semble expliquer la méfiance et le manque de coopération et d'ouverture des entreprises sur leur milieu local d'insertion. Il s'agit des exigences qu'elles posent sur la jouissance de l'exclusivité sur les résultats de la

recherche. Or, les structures de recherche publiques ne peuvent leur garantir cette exclusivité des droits de propriété s'ils doivent coopérer en même temps avec plusieurs entreprises locales et faire travailler plusieurs équipes de recherche et stagiaires. Cependant, dans cette logique une nouvelle loi d'orientation de la recherche et les thèses en entreprises est venue pour assurer cette transférabilité des produits de la recherche et orienter les travaux de recherche en fonction des besoins du monde des entreprises (JORA N°71).

Malgré l'existence d'une proximité géographique et d'une possibilité d'aller vers une proximité organisationnelle et institutionnelle (conventions et contrats, création d'espaces d'échange et de représentation), le manque d'engagement concret de la part ces deux types d'acteurs dans une logique de construction de coordinations est l'une des causes de l'absence des échanges de connaissances et le développement de l'apprentissage, le manque de la fertilisation croisée des idées et de l'innovation. Dans ce cadre, même si sur le plan de la recherche scientifique, l'université de BBA, compte 25 projets de recherche CNEPRU qui ont été agréés entre 2009/2016 et 05 projets dans le cadre du PNR. Ces projets demeurent unilatéraux, on a constaté lors de nos entretiens avec les responsables des structures de recherche qu'il n'y a aucune action de valorisation ou d'application au sein du tissu d'entreprises existant.

Certes, même si l'université de par la diversité des offres de formations qu'elle propose et sa contribution dans la structuration d'un bassin d'emploi qualifié pour le tissu économique, elle n'en demeure pas moins que l'absence de formation à la carte susceptibles de répondre aux besoins des entreprises, cers dernières se retrouvent dans l'obligation de tourner le dos à l'université en allant chercher ailleurs comment satisfaire leurs besoins.

4.2.4. Les structures de coordination professionnelle et la dynamique industrielle

Notre objectif était d'examiner l'existence ou non d'espaces de représentation, d'interfaces ou associations au sein du milieu local ainsi que le degré d'adhésion des entreprises locales à ces structures qui favorise ainsi la construction d'une proximité institutionnelle. En effet, notre enquête de terrain a révélé l'existence de plusieurs types de structures professionnelles dont l'association des investisseurs privés de BBA à dimension locale et deux autres ont une dimension nationale (FCE avec une représentation locale à BBA et l'association des industriels du matériel électronique « AIMEL »).

L'analyse des données de l'enquête fait montrer que dans la population d'entreprises de l'industrie électronique / électroménagère composée de 12 unités, 05 d'entre elles déclarent être membre de l'association des Industriels du Matériel Electronique (AIMEL), 03 entreprises membre de l'association des

investisseurs privés de la région de BBA et 08 entreprises affirment leur adhésion au FCE.

Les motifs d'adhésion de ces entrepreneurs convergent vers les avantages qu'ils attendent de ces associations tels que ; la protection de leurs droits et intérêts auprès des organismes institutionnels, possibilité de nouer des contacts avec des entreprises au niveau national et international, l'obtention d'informations sur les diverses manifestations auxquelles peuvent y participer (salons, séminaires, etc). En tant que force de proposition, elles jouent l'intermédiaire entre les entrepreneurs membre et les organismes administratifs dans la résolution de leurs problèmes et doléances.

La vocation d'une association ou autre structure professionnelle est de procurer aux différents membres des avantages et facilités, mais il n'en demeure pas moins que la plupart des entrepreneurs enquêtés déclarent que « *...certaines structures associatives ne respectent pas leurs missions et objectifs...* ». « *...Cet état de fait est l'une des raisons qui ont fait perdre leur crédibilité auprès des adhérents ou les non adhérents* ». Certains enquêtés expliquent leur désengagement de ces structures par l'inutilité d'être membre. Certains déclarent qu'ils préfèrent régler leurs problèmes seul sans intervention de la part ces associations et ce, en faisant appel aux réseaux de relations personnelles. D'une manière générale, on note une culture associative, un esprit de partage ou de représentation relativement faible auprès des entrepreneurs de la région.

La dispersion des entrepreneurs sur plusieurs structures de représentations (associations) pourrait être aussi à l'origine de l'inefficacité de la proximité institutionnelle qui peine à prendre forme dans la réalité (existence de plusieurs types d'associations autonomes), auquel se rajoute le manque de confiance des adhérents en ces structures, l'adhésion et implication non significative des membres par un repli sur soi.

4.2.5. Choix de localisation et logiques de proximités dans les relations interentreprises

Il s'agit de mesurer le degré d'obéissance des entrepreneurs locaux aux logiques de proximités dans leurs choix en matière de localisation et la nature des relations inter-entreprises locales à BBA.

- **Les facteurs ayant présidé au choix du secteur et la localisation des entreprises dans la région de BBA**

Tableau N°1 : Facteurs à l'origine du lancement du projet d'entreprise (secteur/région)

Origine ([1]) / Entreprises	Facteur 1		Facteur 2		Facteur 3		Facteur 4		Facteur 5		Facteur 6		Facteur 7	
	-	+	-	+	-	+	-	+	-	+	-	+	-	+
Total	**10**	**15**	**17**	**08**	**12**	**13**	**25**	**00**	**09**	**16**	**00**	**25**	**00**	**25**
Total	**25**		**25**		**25**		**25**		**25**		**25**		**25**	

Source : Notre enquête de terrain à Bordj Bou Arreridj 2016/2017

L'analyse des données du tableau N°1 permet de constater que les entreprises enquêtées à BBA, dans leurs choix du secteur d'activité et /ou région, accordent une grande importance (soit 60%) au facteur lié à l'existence d'entreprises appartenant au même secteur ou dont le secteur est complémentaire (soit des activités liées à l'emballage papier, industrie plastique), d'où l'importance accordée à la proximité géographique et industrielle.

L'importance liée au motif d'existence d'un marché amont (facteur 2) est relativement moyenne avec 32% des entreprises exprimées. La recherche de complémentarités en amont ne constitue pas véritablement un facteur de localisation pour les autres entreprises par le fait que pour leur approvisionnement, ces entreprises locales se sont déjà engagées avec des entreprises extérieures même au territoire national (importations).

Par contre le motif lié à l'existence d'un marché aval (facteur 3) est représenté par plus de la moitié des entreprises enquêtées (soit 52%). Ceci vient consolider le constat relatif à l'importance de la proximité géographique dans le choix de l'activité et son implantation.

On note l'absence d'entreprises ayant données une importance à l'existence d'un réseau de coopération local (facteur4). Ce motif dénote dors est déjà l'absence d'un quelconque réseau au sein du territoire de BBA.

L'importance du facteur lié à l'existence d'un savoir-faire local est exprimée par la plupart des entreprises enquêtées (soit 64%). Ce motif est lié notamment à

[1] **Origine : Facteur 1** : proximité d'un nombre d'entreprises du même secteur ou don l'activité est complémentaire / **Facteur 2** : proximité d'un nombre d'entreprises fournisseurs / **Facteur 3 :** proximité d'un nombre d'entreprises clientes / **Facteur 4 :** existence d'un réseau de coopération centré sur des projets communs / **Facteur 5** : existence d'un savoir-faire local (disponibilité de la main d'œuvre) / **Facteur 6 :** le secteur choisi est vierge (opportunité d'affaire) / **Facteur 7** : Disponibilité du foncier industriel.

l'expérience acquise par les entrepreneurs ou leurs parents en matière d'activité commerciale ou industrielle dans la région.

Le motif lié à l'existence d'opportunités d'affaire (marché est vierge) est exprimé par la totalité des entreprises. Cette importance donnée à leur secteur d'activité s'explique essentiellement par la naissance récente de cette industrie locale et la très forte demande à ces produits.

Enfin, la totalité des entreprises enquêtées s'ils s'expriment aussi sur la disponibilité du foncier industriel et les meilleures conditions d'accueils, elles s'inscrivent dans une logique de localisation et d'attractivité du territoire de BBA.

- **Nature et densité des relations inter-entreprises dans le territoire de BBA**

Tableau N°02 : Répartition des entreprises enquêtées par un croisement entre le facteur à l'origine de la création ou localisation du projet avec l'origine des facteurs de production (inputs)

		- **Origine des matières premières, main d'œuvre** - **Ou destination de leurs produits**			**Origine des produits semi-finis / composants**		
Facteurs de localisation [1]		**De la même région**			**De la même région**		
		-	**+**	**Total**	**-**	**+**	**Total**
Facteur 1	-	08	02	10	13	00	13
	+	13	02	15	03	00	03
	Total	**21**	**04**	**25**	**16**	**00**	**16**
Facteur 2	-	17	00	17	23	00	23
	+	07	01	08	02	00	02
	Total	**24**	**01**	**25**	**25**	**00**	**25**
Facteur 3	-	11	00	12	23	00	23
	+	10	03	13	02	00	02
	Total	**21**	**04**	**25**	**25**	**00**	**25**
Facteur 4	-	/	/	/	/	/	/
	+	/	/	/	/	/	/

[1] **Facteur 1** : proximité d'un nombre d'entreprises du même secteur ou don l'activité est complémentaire / **Facteur 2** : proximité d'un nombre d'entreprises fournisseurs / **Facteur 3 :** proximité d'un nombre d'entreprises clientes / **Facteur 4 :** existence d'un réseau de coopération centré sur des projets communs / **Facteur 5** : existence d'un savoir-faire local (disponibilité de la main d'œuvre) / **Facteur 6 :** le secteur choisi est vierge (opportunité d'affaire) / **Facteur 7** : Disponibilité du foncier industriel.

	Total	/	/	/	/	/	/
Facteur 5	-	00	00	00	00	00	00
	+	00	25	25	00	00	00
	Total	**00**	**25**	**25**	00	00	00

Source : Notre enquête de terrain à Bordj Bou Arreridj 2016/2017

Le tableau N°02 présente, avec une lecture croisée, les facteurs à l'origine du choix du site d'implantation dans la première colonne et dans la première ligne la source effective des matières premières ou la destination de leurs produits ainsi que les produits semi-finis.

Il s'agit ici de voir si la proximité géographique des entreprises enquêtées est utilisée dans l'activation d'une proximité organisationnelle et industrielle ou non dans la région d'étude ?

Les données contenues dans le tableau N°02 permettent de dégager les constats suivants :

La forte proportion des entreprises ayant choisi de se localiser dans la région de BBA en raison de l'existence d'une proximité (même activité ou activité complémentaire, existence d'entreprises clientes ou fournisseurs, se rajoute à cela la disponibilité du foncier et de la main d'œuvre) mais qui recourent faiblement aux entreprises de la région dans leurs approvisionnements (lire point d'intersection de la réponse par « Oui » en verticale et la réponse « Oui » en horizontal). Cet état de fait est justifié par les faibles fréquences des entreprises ayant des relations de types clients-fournisseurs au sein du territoire local. Le peu de relations qui existent se limite aux relations d'achat et vente de produits d'emballage (papier et plastique) ou de services de maintenance. Toutefois, pour le peu de relations qui existent, elles sont liées à une logique de réseau qui parait se dessiner au sein d'un groupe industriel privé avec ses différentes filiales (montage, fabrication, injection plastique, insertion de carte électronique, emballage et logistique).

- L'absence d'entreprises ayant comme fournisseurs en produits semi-finis (composants) les entreprises de la même région (zone) et dont le choix initial de localisation a été motivé par l'existence d'une quelconque proximité (facteur 1 et 2). Aussi, ce constat est révélateur de la faible présence de relations de sous-traitance industrielle dans le territoire en question.
- On note, néanmoins que le recrutement de la main d'œuvre local, vu sa disponibilité au niveau local, constitue un facteur de choix auprès de toutes les entreprises enquêtées.

La plupart des entreprises enquêtées se déclarent dans une large mesure indépendantes des autres entreprises locales vu le faible niveau (voire même l'absence) des relations de types sous-traitance ou clients/fournisseurs au niveau local. La proximité géographique n'était donc qu'un critère de choix pour

d'autres considérations, à savoir : *veille technologique, avoir la maitrise de l'information, bénéficier de meilleurs conditions d'accueil en étant dans la même zone, etc*. Le motif d'exploitation de la proximité liée à *la même appartenance communautaire, la proximité technologique et industrielle* facilitées par une *proximité géographique* ne *sont que très faiblement apparentes*. En effet, les raisons liées à l'échange d'information, de partenariat, et d'entraide ne sont que très rarement évoquées par les entrepreneurs enquêtés.

4.2.6. Le CERTIC et l'université de BBA ; un nouveau rôle en matière d'innovation et de transfert des technologies dans l'émergence de technopôle en électronique / électroménager

Le nouveau rôle de l'université est de s'ouvrir en permanence pour produire de nouvelles connaissances accessibles et transférables vers le monde socio-économique afin de les exploiter dans les innovations technologiques. Cette production de nouvelles connaissances est incontestablement le résultat de la recherche scientifique et l'implication des acteurs économiques dans la définition de nouvelles pistes de recherche.

Le territoire de BBA est doté d'un centre d'appui à la technologie et à l'innovation (CATI), par une convention de partenariat signée entre l'INAPI et le groupe industriel Condor. Ce centre était créé en mars 2012 et ce, en application d'un accord entre l'institut national algérien de la propriété industrielle (INAPI) et l'organisation mondiale de la propriété intellectuelle (OMPI).

Le manque de coordination et de partenariat entre l'université et les entreprises de l'industrie électronique / électroménagère de BBA, a fait que plusieurs recherches et innovation existent au sein des laboratoires universitaires (plus de 25 projets de recherche liés à l'industrie électronique) mais qui ne sont pas exploitées et valorisées. Dans ce contexte, l'objectif visé par ce centre est de soutenir les activités liées au transfert technologique et à la formation, de promouvoir l'innovation et la protection des droits de propriété et de lutter contre la contrefaçon. Par le biais de ce centre qui se veut une interface entre le monde de la recherche/formation et le monde socioéconomique, les entreprises auront d'une part la possibilité de mieux exploiter toutes les recherches et inventions des laboratoires universitaires et d'autre part de faciliter l'échange d'idées et d'informations entre eux.

Par ailleurs, en Janvier 2016 il y a eu le transfert du Centre d'Études et de Recherche en Télécommunications et en Technologies de l'Information et de la Communication (CERTIC) du cyberparc de Sidi Abdellah (Alger) vers la région de BBA (décret exécutif n° 16-57). Ce dernier domicilié à l'université de BBA, s'inscrit bien dans ce nouveau rôle de l'université qui a pour objectif de promouvoir le transfert et la valorisation des résultats de la recherche

scientifique. Dans une perspective de lancement effectif du technopôle dans la dite région, ce centre aura pour missions, la formation, le développement des solutions informatiques et des produits à haute intensité technologique ainsi que la création de petites et moyennes entreprises (startups) dans le domaine des TIC capables de compléter et de servir le tissu d'entreprises existant.

C'est un outil de développement technologique, par l'expertise et l'information, le CERTIC va constituer une interface physique, destinée à fédérer les compétences, à promouvoir les activités liées aux technologies de l'information et de la communication, à stimuler l'innovation au sein des acteurs institutionnels et économiques et servir de support technique pour les nouvelles startups.

La délocalisation du CERTIC, initialement hébergé à Sidi Abdellah, est intervenue dès lors où on a constaté qu'il ne peut y avoir de synergies entre les startups localisées au cyberparc et l'éloignement du tissu d'entreprises avec lequel ces startups peuvent se compléter dans leurs activités. C'est ainsi qu'un besoin s'est fait sentir en le rapprochant du tissu d'entreprises électronique / électroménager de BBA susceptibles de demander le service de ces startups opérant dans les TIC.

4.2.7. Quels types de gouvernance territoriale à BBA ?

À l'égard des résultats de l'enquête, et compte tenu des divergences de comportement et de logique de fonctionnement des acteurs locaux (plusieurs structures professionnelles, acteurs économiques, groupe industriel privé, acteur de recherche /formation), le mode de gestion, pour ne pas dire de gouvernance, apparent est public mais reste très limité dans l'action locale. Loin de toute activité de régulation et d'encadrement du tissu industriel, son rôle se limite à la gestion des espaces industriels, la diffusion de l'information qui vient d'en haut (ministères), préparation d'études et de fiches techniques sur les nouvelles zones. Cependant, compte tenu du faible niveau d'ouverture des entreprises sur leur milieu local, il y a lieu de noter que le mode de gouvernance présent a tendance à prendre la forme mixte entre acteurs institutionnels, direction de l'industrie, l'université de BBA et le groupe industriel privé « Condor » disposant plusieurs filiales dont l'activité est complémentaire. Ce mode de gouvernance commence à prendre forme notamment par la création d'une interface de coordination (le CERTIC) au sein de l'université de BBA en partenariat avec le groupe « Condor » et le ministère de l'industrie.

Conclusion

L'objectif de cette étude est de contribuer à la compréhension du rôle de la gouvernance locale dans l'organisation industrielle et l'émergence du technopôle électronique / électroménager à Bordj Bou Arreridj (Algérie) tout en

mettant en évidence le comportement et la nature des relations entre les différents acteurs locaux dans une approche par les proximités.

En termes de résultats, l'étude a permis de constater que les choix de localisation de la majorité des entreprises locales s'appuient plus à une logique d'occupation de l'espace qu'à une logique de construction territoriale (réseaux, technopôle). Ce qui infirme l'hypothèse selon laquelle la dynamique industrielle et territoriale observée à BBA est le fait de relations de synergie entre divers acteurs locaux. Dans ce cadre, plusieurs constats se dégagent :

• Un niveau très faible (voire même l'absence) de réseautage des entreprises co-localisées à BBA, et le faible niveau d'interaction et de collaboration des entreprises avec les autres acteurs du territoire, (les institutions de recherche et formation de la région).

• Dans une large mesure, les entreprises locales, vu leur dépendance accrue de l'étranger en matière d'approvisionnement, elles ne manifestent aucun besoin de s'ouvrir sur le milieu local d'insertion ou encore d'investir dans la recherche et développement et encore moins dans la recherche de partenariat stratégique avec les laboratoires de recherche de l'université. Cette faiblesse de collaboration entre les acteurs locaux constitue un handicap majeur à l'émergence et au développement du technopôle à BBA.

• L'intensité concurrentielle sur le territoire de BBA a bloqué toute initiative de partenariat local. Dans le cas de notre étude, un travail de sensibilisation est nécessaire pour impulser des relations de synergies entre les acteurs locaux favorisant l'émergence du technopôle. Il s'agit de commencer d'abord par des entreprises capables de valoriser le produit de la recherche scientifique dans l'innovation et la recherche de compétitivité.

Toutefois, l'agglomération géographique des activités industrielles en électroniques / électroménagères nous semble pouvoir être porteuses d'une gouvernance territoriale mixte notamment en raison de :

- L'existence d'un groupe industriel privé leader et son implication forte dans la création du CERTIC et le centre d'appui à la technologie et à l'innovation (CATI) pourrait avoir le poids nécessaire pour jouer le rôle de pivot dans la gouvernance du technopôle. L'Etat avec ses institutions, devraient aussi jouer à son tour un rôle dans l'orientation, notamment dans le cadre des dispositifs d'aides (ANSEJ, CNAC, ANDI), des projets de création d'entreprises qui devraient être complémentaires dans leur activité avec le tissu industriel existent.
- Le rôle des structures d'organisation professionnelles (FCE, association des investisseurs locaux) qui sont renfermées dans leurs structures pourrait être amélioré en tissant des liens entre elles, déjà, pour assurer une cohérence et une force d'intervention en faveur des membres en intervenant sur la réflexion

stratégique comme force de proposition dans le développement de ce technopôle (le cas du FCE).

Par ailleurs, il est important que la gouvernance mixte qui commence à prendre forme au sein du territoire de BBA permette d'assurer un échange et une coopération basée sur une logique de faire profiter tous les acteurs du technopôle et ce, notamment dans le cadre du projet d'installation du CERTIC et le CATI au niveau de BBA.

Références bibliographie :

- Allemand S. (2000) « La gouvernance. Le pouvoir partagé », N° 101. Auxerre, Sciences humaines. pp. 12-18.
- Assens. C, (2003) « Le réseau d'entreprises vers une synthèse des connaissances ». Management International, Vol. l7, n°4. Montréal. p 49 - 59.
- Bertrand, C (2005) « *Les nouvelles formes de gouvernance et les investissements régionaux : le cas de Capital régional et coopératif Desjardins* », Cahier du CRISES, collection Thèses et Mémoires, N° TM0505. Québec-Montréal. p254.
- Bocquet R, Brion S, Mothe C, **(**2013) **«** Gouvernance et innovation au sein des technopôles Le cas de Savoie Technolac ». Revue française de gestion – N° 232. Lavoisier. France.
- Bertrand N, et Moquay P, (2004) « La gouvernance locale, un retour à la proximité ». In Économie rurale. N°280. Proximité et territoires. Edition SFER. France. pp. 77-95.
- Berthinier-Poncet, A. « Gouvernance et innovation dans les clusters : le rôle des pratiques institutionnelles » Communication à la XXIème conférence de l'AIMS Lille, 4-6 juin 2012.
- Chabault, D (2010) « Gouvernance et trajectoire des pôles de compétitivité ». Management et avenir 2010/6 (n° 36). France. Edition Management Prospective.
- Chabault D (2009) « Les modalités d'émergence de la gouvernance des pôles de compétitivité » XVIIIème conférence de l'AIMS. Grenoble, 02 au 05 Juin.
- Carrincazeaux C, Coris M., Lung Y (2008), « Communication et proximités dans la dynamique spatiale de l'innovation », Hermès, Paris.
- Enjolras B. (2008) « *Régimes de gouvernance et intérêt général* », in Enjolras B. Édition, CIRIEC, Peter Lang, Brussels, p.23-38.
- Ehlinger S, Perret V, Chabaud D, (2007) « Quelle gouvernance pour les réseaux territorialisés d'organisations ? », *Revue française de gestion*, 1/2007 (n° 170), p. 155-171. Paris. Lavoisier
- Ghouati A. (2013) « Conception de la compétence et de la professionnalisation dans la réforme LMD en Algérie ». EXIFORMAM-Expertises internationales

et réformes de la formation professionnelle au Maghreb, LEST-CNRS, Aix-en-Provence, France.
- Gaudin J.-P. (Dir.) (1996). La négociation des politiques contractuelles. L'Harmattan, Paris,
- Gilly J-P., Perrat J., (2003) « La dynamique institutionnelle des territoires : entre gouvernance locale et régulation globale », Cahiers du GRES, n°5. France.
- Gilly, J.-P. ; Pecqueur, B (1995) « La dimension locale de la régulation ». In Boyer, R.; Saillard, Y. *Théorie de la régulation. L'état des savoirs.* La Découverte. Paris.
- Gilly J-P., Torre A, (2000). *Dynamique de proximité*, Ed. L'Harmattan, collection Emploi, industrie et territoire. Paris.
- Gilly J-P, Leroux I (1999) « Vers une approche institutionnaliste de la dynamique des territoires ». Revue d'Économie Régionale et Urbaine, n°1. France. p 93-114.
- Jouve B, (1999) « La gouvernance d'agglomération en Europe : les leçons d'un échec ». Pouvoirs locaux, cité par Bertrand N, et Moquay P, (2004) In « La gouvernance locale, un retour à la proximité ». Économie rurale. Edition SFER. France. N°280. Proximité et territoires. pp. 77-95.
- Jessop B. (1998) "The rise of governance and the risks of failure: the case of economic development", *International Social Science Journal*, Vol. 50, n°155, p.29-45
- LeGALES, P (1998) « *Du gouvernement local à la gouvernance urbaine* ». Revue française de sciences politiques, N° 155. France. p. 64.
- Longhi C et Spindler J, (2000) « Le développement local, Collection Politiques locales », Paris, Dexia,Crédit Local de France, L.G.D.J.
- Leloup F., Moyart L., Pecqueur B (2004) « La gouvernance territoriale comme nouveau mode de coordination territoriale ? », 4ème journées de la proximité.
- Leloup *et al*, (2005) « La gouvernance territoriale comme nouveau mode de coordination territoriale ? », *Géographie, économie, société* 2005/4 (Vol.7). Edition Lavoisier. Paris. p. 321-332.
- Pecqueur B et Zimmermann J-B (2004) « Economie de proximités ». Ed. Hermès. Paris.
- Kooiman J. et Van Vliet M. (1993) "Governance and public management," dans *Managing Public Organisations : Lessons from Contemporary European Experience*, sous la direction de Eliassen K. A. et Kooiman J. (coord.), Sage. Londres. p.58-72
- Rhodes, R. A. W. (1997) "Understanding Governance: Policy Networks, Governance, Reflexity and Accountability", Buckingham: Open University Press.

- Rallet A., Torre A. (1995) « Économie industrielle et économie spatiale : un état des lieux. In Économie industrielle et économie spatiale ». Economica, Paris. p.3-37.
- Rallet, A., & Torre, A. (2007) « Faut-il être proche pour innover ensemble ? » In A. Rallet & A. Torre (Eds.), Quelles proximités pour innover ? (pp. 7-16). Paris. L'Harmattan.
- Torre A. et Rallet A. (2005) « Proximity and Localization ». Regional Studies 39, n° 1. p47-60.
- Zimmermann J-B,(205) « Entreprises et territoires : entre nomadisme et ancrage territorial », *La Revue de l'Ires*, 1/2005 (n° 47). Paris. p. 21-36.



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 58
septembre 2017

ISSN 1112-4652